مفيد فوزي

نصيبي من الحياة

الدار المصرية اللبنانية

مفيد فوزي

نصيبي من الحياة

فوزي ، مفيد.

نصيبي من الحياة / بقلم مفيد فوزي.- ط 1 .-

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2013.

424 ص؛ 21 سم.

تدمك: 5 - 766 - 427 - 977 - 978

1- مفيد ، فوزي - المذكرات.

أ- العنوان. 920

رقم الإيداع: 16794 / 2012

©

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 23910250 202 +

فاكس: 23909618 202 + ص.ب 2022

E-mail:info@almasriah.com

www.almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: صفر 1434 هـ - يناير 2013م

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،
بأي صورة من الصور، التوصيل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الدار.

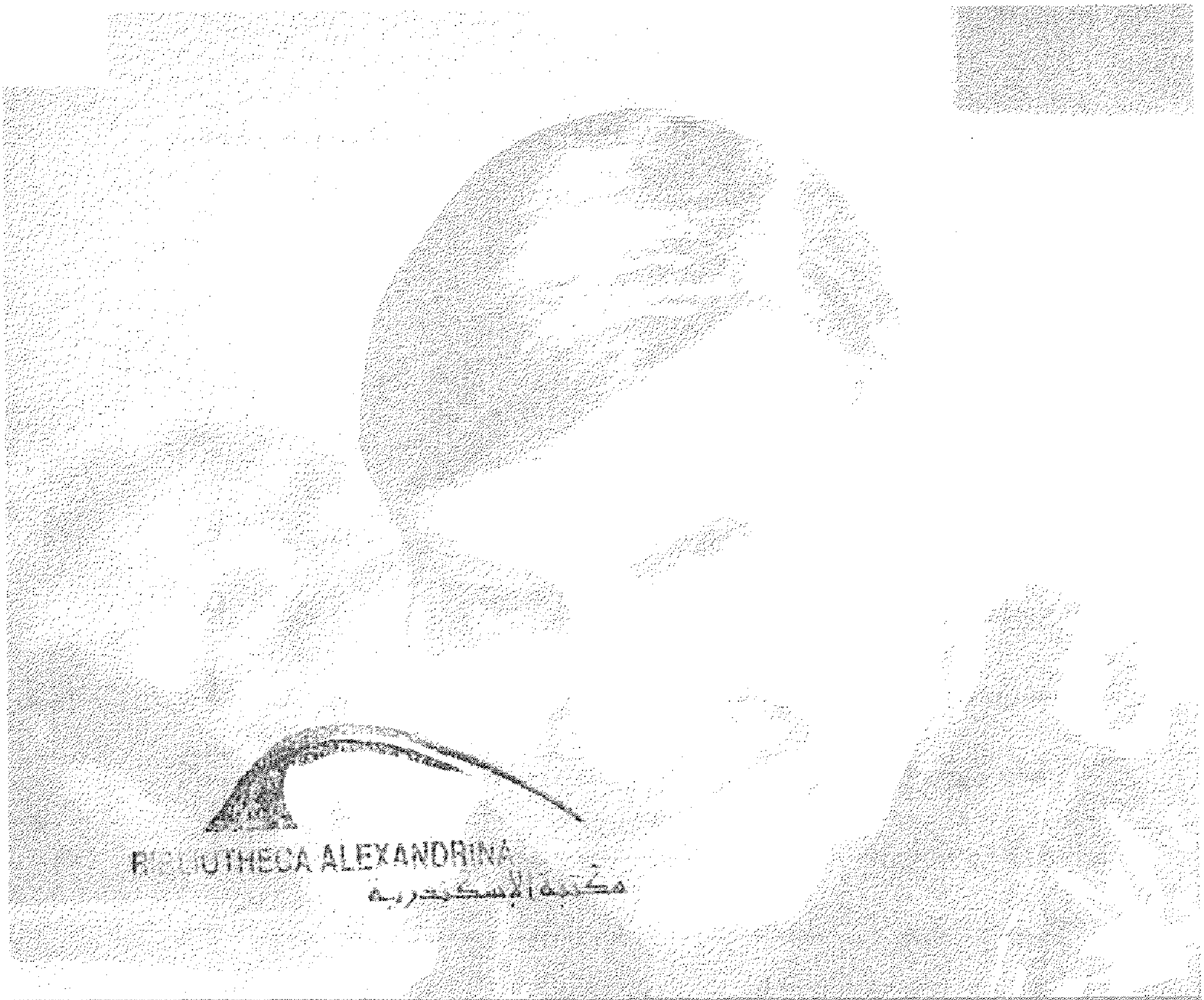

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مفيد فوزي

نصيبي من الحياة

الدار المصرية اللبنانية

المحتويات

المقدمة 7

سنوات العمر الجميل................................ 19

الجامعة وفلسفة الحياة............................ 39

على باب النجاح................................... 71

التليفزيون في حياتي 97

هؤلاء يسكنون الذاكرة 133

صباح الخير 145

حدوتة نادية عابد 167

صداقات العمر..................................... 183

أنا والسياسة..................................... 259

بعض من معاركي.................................... 273

حوارات ما بعد الثورة............................. 285

كلمات محفورة في القلب 335

فيس بوك حياتي.................................... 343

حوار مع النفس ليس للنشر.......................... 365

حياتي في صور..................................... 383

المقدمة

لست أدري على وجه الدقة سبب الشعور الغريب الذي راودني ويمتزج فيه بعض من الشجن الشخصي .. هل لأنني أكتب مشوار حياتي .. أم لأن التشبث بالكتابة عن البدايات معناه في نهاية الأمر الوصول إلى شاطئ النهايات؟ هل لأنني كبرت إلى حد أصبح عندي فيه شيء أقوله للناس، وماذا يهم الناس من أمري ..؟ هل من المهم أن أترك شيئا لجيل من بعدي قد يستفيد منه أو يشعر بما كنت أعانيه؟ لكنني أعتقد أن حياتي لم تكن على الإطلاق نزهة نيلية .. أو مجرد خلوة في ضوء القمر.. أو موعدا للغرام مع حبيبة..لم تكن مجرد قطار يسير في مروج خضراء..أو رحلة بالطائرة إلى عواصم العالم أتنزه فيها كما أشاء .. حياتي لم يكن فيها هذا الجانب من الرفاهية أو الشعور بالرغبة في الحياة أكثر.. لكني أشهد أنني لم أقدم في حياتي على تفكير أسود في الانتحار مهما كان ما حولي قاتما .. ربما لأن نصف وزني إيمان، وأنا كمصري قبطي تعلمت في مدرسة مسيحية كيف لا أوذي.. وكيف أقابل الأذى بدرجة كبيرة من السماح، ولا أجري كثيرا وراء المال؛ لأنني أدرك أن المال القليل يطرح فيه الله الكثير .

لقد كنت مهنيا طوال العمر منذ كنت صغيرا أقول ماذا؟ ولماذا؟ ومن؟ وأسأل الأسئلة التي يطرحها فضوليٌّ مثلي.. إذن .. ما قيمة ما أكتبه الآن ؟ قيمته هي خبراتي الحياتية التي عشتها.. فالإنسان منذ أن يولد يتعلم ومازلت في العمر أتعلم.. ولا أظن على الإطلاق أنني وصلت إلى درجة الكمال أو أنني على وعي ودراية بكل شيء في الحياة.. فمازلت أواجه الغدر بسبب بساطتي.. وأواجه سواد قلوب الناس رغم نيتي البيضاء.. وأقاوم نوعا من اللوع في التعامل مع النساء رغم إنسانيتي الكبيرة، .. مازلت أتعلم وأشعر وأنا أكتب هذه السيرة - إن كانت لها قيمة - أنني أنزل إلى أعماق نفسي لأستخرج من

طبقاتها الكثير فما كان من الممكن لقارئ أن يجلس أمام هذا الكتاب قبل الهجمة الشرسة للكتاب الإلكتروني إلا في حالة من الصدق، مازلت أحلم بأن يكون كتابي فوق أحد رفوف مكتبتك، وأدرك وأنت تقرأ هذا الكتاب بأنك سوف تمسك بقلم وتشطب أفكاري إن لم تعجبك، بل مازلت أومن أنه من حقك أن تمسك القلم وتكتب تعليقات في الهامش مثلما كنت أفعل في فجر حياتي مع كتب سلامة موسى..

إنني أتسلق شجرة الذاكرة وقد تعديت السبعين من العمر، وكنت أشعر بالخوف من هذه التجربة، فربما ضاعت مني بعض التفاصيل.. لا أعلم.. وقد تضيع بعض الأسماء مؤقتا ثم أعود لأتذكرها، وهذا فضل من الله، وإذا قلت إن نصف وزني إيمان فأنا بالفعل لديّ إيمان كبير بالله، وأشعر بأنه يضع يده فوق كتفي حقا.. وأنا أتذكر، وأحاول أن أذهب بعيدا..بعيدا في سنوات العمر البعيدة لألتقط منها خيط الحديث لأكتب ..

ما كنت أعلم من قبل أن رأسي أشبه بالكمبيوتر الذي تعلمته على كبر ليس من المعقول أن مثلي يعود إلى الكمبيوتر بعد مضي أزمنة كثيرة في الحياة، لكنني قررت أن أتعلم و أنا أعرف جيدا أن حفيدي شريف يفوقني 100مرة في الآي باد؛ لأن عمره الصغير يجعل ذهنه المتفتح قابلًا لكل شيء لكنني أمجد قيمة اللحاق بالعصر فقد عشت ثورتين مهمتين الأولى ثورة 23 يوليو1952 ، والثانية 25 يناير 2011 لقد أعطاني الله أعظم هبة أن أعيش يوما عصر العمالقة الذين كنت أراهم في الدور السادس في الأهرام، عندما كنت أزور صديقي ماهر الذهبي فأرى هؤلاء العمالقة الذين لن يجود بمثلهم الزمان، وبعدما أفرح بهم ..كنت أتقدم لأصافحهم.. بعضهم لم يكن يعرف اسمي.. فكنت أقول له اسمي فيردده خطأ فأصححه له.

وعندما كبرت قليلا وصرت في شارع النجاح ونلت منه بعض الشيء صار وجهي معروفا، وما كنت أحلم بهذا على الإطلاق؛ لهذا فأنا أتسلق شجرة الذاكرة وأنظر خلفي، وأقول إن الله أعطاني أكثر مما حلمت فقد كنت أبحث طول العمر عن الستر وهي كلمة من خمسة أحرف (ا ل س ت ر) وهي تعني

عندي الكثير..أولا الستر الصحي ..لأنه بدون هذا الموتور لا شيء يتحرك، ثم الستر الاجتماعي ثم المادي ثم الستر المهني ..أنواع الستر كثيرة.

وقد كنت أسمع دائما الحس الشعبي يقول إن الله وزع الرزق 24 قيراطا، و كنت أتساءل في نفسي ترى كم نلت من الشهرة؟ كم قيراطا نلته من الصحة..؟ كم قيراطا من المادة؟ و كم من النجاح الاجتماعي؟

كنت أجلس بيني وبين نفسي وأسأل: ترى ما نصيبي من الحياة.. ؟ ودق قلبي بشدة لأنني عثرت على ما أريد أن أقوله للناس عن نصيبي من الحياة، فهو سعادة وتعاسة وصدمات وكدمات وصداقات وعذابات وغدر وفراق ولقاء وشجن ودموع وفرح، عشت كل هذه المراحل على مدار العمر، ولم تستمر أي فترة منها كثيرا وكان هذا هو أول درس لي تعلمته .. إن الحياة كالمرجيحة مرة في السماء ومرة في الأرض .

تعلمت أيضا أن الإنسان أشبه بمحمصة البن وأن حبة البن تتحرك داخل المحمصة حتى تنضج، وقد عشت داخل محمصة بن الحياة وتعلمت، وتألمت وفرحت وضحكت وعبثت ويأست وانفرجت كل أحزاني.. كنت دائما أقول إن لويس عوض الناقد الكبير قد غامر كثيرا حين قال في مذكراته إن له أشقاء متخلفين حتى أنه انتقد بسبب هذا بشدة، وقال أيضا ما لا أتخيله حين باح في مذكراته بأن شقيقه رمسيس يغار منه في أشياء ما كنت أتخيلها ..

إن سيرة طه حسين العظيمة هي رحلة رجل في تنقلاته ومحطات عمره، وسيرة توفيق الحكيم العظيمة هي سيرة رجل قابل وعاش وذكر تفاصيل كثيرة من مشواره المهني لكن كلاهما لم يذكر شيئا كثيرا عن حياته كإنسان .

وقد كنت أتساءل لماذا بعض الناس لم تكتب سيرتها الذاتية؟..

إن أستاذي الكبير هيكل لديه مخزون ضخم في السياسة.. وقد أصدر كتبا عديدة أثرت كل مكتبة، فلماذا لم يكتب هيكل سيرته الذاتية وعنده ما يقوله؟ لقد حاولت بخبث شديد يوما ما أن أقترب منه لكي أقدم

« هيكل الآخر».. ولعل كتابي الذي يحمل نفس العنوان.. مغزاه ببساطة هو جانب من سيرة هيكل الإنسانية والشخصية حتى إنني كنت أرى مع الدكتور سمير سرحان أنه لابد أن يكون على غلاف الكتاب صورة الأستاذ الكبير هيكل ومعه حفيدته الصغيرة نادية، وظهر الكتاب بالفعل وعليه هيكل وحفيدته.. أما لماذا نشرت الصورة ؟ فهو لأن أحدا لم يكن يتخيل أن هذا الرجل الذي ولد وعاش للسياسة، وشهد كواليس أحداث أكبر ثورة هزت البلاد، وعاش تفاصيل أكثر الثورات أهمية في تاريخ مصر وعنده الكثير من الملاحظات، ولأني اقتربت من الأستاذ هيكل وأعرف ذكاءه الشديد و قوة ملاحظته التي تساوي 100 ڤولت وأنا قوة ملاحظتي قد تصل10 أو 15 ڤولت بكل تواضع أعلم أن الأستاذ هيكل يملك أن يكتب سيرة حياته، وسوف يقبل عليها كل محب وغير محب ..

تساءلت وأنا أتسلق شجرة الذاكرة، هل أكتب بعض الأشياء التي تجرح أناسا آخرين..؟ ووجدت أن أخلاقي لا تسمح بأن تضع أناسا في الحياة في موقف حرج، وتساءلت هل من الضرورة أن يكتب الإنسان عن ضعفه، وأن يضع هذا الضعف على الورق؟ لقد كان رشدي أباظة نجم النجوم يوما، وحين هاجمه المرض الخبيث المتوحش رقد في السرير ضعيفا ذليلا فيه كل العذاب، وحينما حاول البعض أن يلتقط صورة لرشدي أباظة في حالة الضعف..رفض العقلاء وقالوا لا..اتركوا الرجل يموت بهدوء دون أن تجرحوا صورته عند الناس.. نفس الشيء عندما ذهبت لمحاورة ليلى مراد قالت لي : يا حبوب اترك هذا للزمن فأنا لا أريد أن أمحو الصورة التي يعرفها الناس عني صورة البلبل الجميل في الأفلام، لأن جمهوري لا يرضى بصورة امرأة عجوز شمطاء، هذه الأشياء الصغيرة البسيطة كانت ذراعي وأنا أكتب هذه السيرة.

لم أستطع سوى أن أكتب عن نفسي ولا يهم إن كان بعض الناس يرى أن ما جرى لي أخلاقي أو غير أخلاقي لكن الأساس هو الأمانة في السرد إننا في هذه السير الذاتية، قد نلجأ للكذب أحيانا، ويستطيع الناس بعد أن أصبح

هناك شاشة إنترنت أن يكذبوا في كل شيء.. لأنها أصبحت ذاكرة المجتمع عن الآخرين.. إنني عندما جئت بجهاز الآي باد الجديد كنت أتحرك بين أسماء الناس الذين أعرفهم كي أعرف شيئا جديدا عنهم - ربما لا أعرفه- لكن الكتاب هنا هو الحقيقة والواقع؛ لأنها أفكاري وأحزاني وأشجاني فوق الورق، ولو خيرت بين أن المطبعة تطبع هذا الكتاب أو أكتبه أنا كله بخط يدي.. لاخترت أن أكتبه، وأعترف أن خطي في اللغة العربية من الخطوط التي يشهد بها رؤساء المطابع في الصحف التي كتبت فيها عندما قررت أن أكتب بيدي الصفحات مثلما فعل نزار قباني يوما ما.. لماذا..؟ ربما لأنني أريد أن يشعر الناس تماما بمدى الصدق في الكلمة المكتوبة، أو حتى المشطوبة أو المعدلة وأنا أريد أن أصل لقلب قارئ أعتز به ..و طوال حياتي ربما تكلمت كثيرا عن نفسي في البرامج التي كنت ضيفا فيها حيث كانوا يغوصون داخل نفسي، ويسألونني عن ما أحب و ما أكره؟ وعن عداوات وأفراح عشتها ويسألونني عن آمال العمدة كيف تعرفت عليها وأحببتها؟ ولماذا أخلصت لها بعد الموت بسنوات وكنت أقول إن آمال كانت زوجة وقبل ذلك حبيبة وقبل ذلك صديقة وكان بعض الناس يذهلون من هذا الوفاء رغم تعدد علاقات عابرة في العمر، لكن آمال ظلت تجلس على كرسي العرش داخل قلبي.

تساءلت وأنا أكتب هذه المذكرات وأتسلق شجرة الذاكرة ما القيمة المعنوية لهذه الصفحات وأدركت أنها ما قد جرى وعشته في حياتي.. وأنا أواجه تجارب كثيرة، وشخصيات متنوعة فأنا الصحفي والمحاور، و قد عشت زمن التحقيقات الصحفية في بادئ حياتي وأنجزت فيها وانشغلت يوما ما بالبحث عن الخبر والحدوتة الصحفية ،وفي نفس الوقت تتلمذت على يد عمالقة الصحافة وأخص منهم أحمد بهاء الدين يسبقه محمد حسنين هيكل ولم أعمل معه، وفتحي غانم وهؤلاء الثلاثة لعبوا دورا مهما في عمري، وقد تساءلت كثيرا لماذا لم يكتب فتحي غانم أو أحمد بهاء الدين سيرة حياتهما..؟ وغيرهما بعض الشخصيات التي مرت من الحياة دون أن تسجل ذلك .

إن صديقي الدكتور علي السمان مثلا كتب مشوار العمر السياسي في حياته، والدكتور جابر عصفور كتب عن «الأيام الحلوة في حياته» وقد ضمنها الكثير من مشاعره لكنني صممت بمساعدة الصديقة الموهوبة الشابة هانم الشربيني الصحفية بمجلة الإذاعة والتليفزيون والتي عملت معي في برنامج حديث المدينة أن أكتب أيضا عن (أنا والآي باد)، (عداوات في عمري) و(كارهي مفيد فوزي) وقد تحمست لهذا حيث إنني لست على الإطلاق ذلك الشخص الذي يظن أنه قريب من الملائكة، وأنه في شاطئ الصح على طول الخط، أو أنه دائما صاحب الرأي الذي لا يمكن أن يجادله أحد.. ليس هذا صحيحا.. أتذكر أنني عندما كنت ضيفا لإبراهيم عيسى في برنامج الديكتاتور أن قال المحلل النفسي إن مفيد فوزي يتمتع في إجاباته ونظرته في الحياة بالرقي.. أقف كثيرا عند هذه الكلمة .. لأنني أعتز بالرقي وأطمع إليه، وهو شيء جميل ونموذجي ورائع في التفكير.. ويكشف عن فكر وإحساس وخلق معين باعتبار أن عكس الرقي هو الجلافة، وقد عشت زمن الكتّاب الذين يكتبون بطريقة جلفة.. كما عشت عصر الذين يكتبون بطريقة الحواري، وكنت أراقب ذلك من بعيد وأندهش، ولكنني كنت أقف كثيرا لأتأمل ما يكتبه أحمد بهاء الدين وأرى فيه الرقي والمعلومة، ومحمد حسنين هيكل -رغم عداء البعض له - كنت أرصد فيه سيناريو الكتابة وكذلك فتحي غانم.. كنت أتأمل كل الأشياء التي تجعل الإنسان يتوقف عند السطور.

أتسلق شجرة الذاكرة وأنا لا أدري هل كنت أصلح يوما لأكون محاورا وأنال بعض الشهرة؟ ومن الممكن أن تكون الشاشات قد تمسكت بي لأنني أصلح لذلك، ولا يمكن أن أنسى أنني مدين لسامية صادق باكتشافها الذي رأته فيّ من على البعد أنني أصلح فعلا، لكن كيف تم هذا؟ أقول بالصدفة.. وتساءلت هل للصدفة قانون ..؟ لقد جلست يوما إلى جوار الدكتور زكي نجيب محمود فيلسوفنا الكبير وقال نعم هناك قانون للصدفة، وتساءلت كيف تكون صدفة ولها قانون..؟ لقد حللتها بيني وبين نفسي مؤمنا بأن هناك سيناريوهات سماوية في الحياة تقود الإنسان إلى ما هو فيه وما هو عليه.

وأنا أتسلق شجرة الذاكرة كنت أقول هل من الضروري أن أحلل الشخصيات التي رأيتها؟ نعم كان ضروريًا.. لأن هناك بعض الكلمات والأقوال لا يمكن أن تسقط من ذاكرتي وقد أكملت مسيرتي بنصيحة من الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي قال لي بالحرف الواحد لو أنك بعد أن وصلت سن المعاش وارتحت من أعمالك كرئيس تحرير لمجلة صباح الخير وتوقفت.. فإن مرض الزهايمر سوف يهاجمك ويقضي على ما فيك ولذلك عليك بالعمل.. انظر لي إنني منذ الساعة الثامنة صباحا أجلس إلى مكتبي وأقابل الناس وأكتب وأذيع وأنت والحمد لله تملك أن تذيع وتكتب و تقابل الناس، وأن يكون حولك أصدقاء ولكن خذ بالك مما قد يعطلك فإن الإنسان إذا تعطلت أدوات عقله قد يهاجمه الزهايمر، إن الطريقة الوحيدة والمناعة لوقف هذا العدو..هي أن تعمل خصوصا في سنوات الخريف في حياة أي إنسان، وأنت تكتب وتعتمد على ذاكرتك كثيرا ولا تعتمد على ذاكرة الكمبيوتر فإنها افتراضية لا بد أن تمسك بالكتاب، وتقرأ وتعيش هذه الصفحات، وتدون ملاحظاتك.. إن كتاباتك واتصال الناس بك يحميك دائما من هذا العدو الذي يهاجم الناس في خريف العمر.

منذ أن خرجت من تجربتي في صباح الخير التي أعتز بأنها كانت مثمرة على مدى ثماني سنوات.. وأنا أفكر، وأعمل وأعتمد على ذاكرتي كثيرا وأحيانا تضيع بعض المعلومات ولكن بشكل مؤقت، وقد قال لي الدكتور أحمد عكاشة يوما ثق تماما أن هناك أوقاتا تسقط منك بعض الأشياء ولكنها بعد قليل تعود إليك.

إن الإحساس بالحياة يجب أن يعاش ببعض من الاستغراق في التأمل.. لأن التأمل العميق ربما يحجب متع الحياة ولذاتها إلا أن أجمل ما فيها أن الإنسان ينبغي أن يعيش متوازنا فيعطي لنفسه قدرا من التأمل الضئيل.

وكثيرا ما قرأت أفكارا تقول عش حياتك.. عش اللحظة.. اهرب من الذي تحبه لتعرف هل يعود لك أم لا؟ هذه الأفكار السلبية الغريبة لم تكن أبدا موجودة معي على مدى مشواري، و لم تكن قناديلي بالمرة فقد كنت عندما أحب .. أحب بكل العمق وأعاتب وأفارق ثم يحدث لقاء ثم مناقشات.. لقد عشت الحياة بشكل جاد فلماذا لم أسجل على صفحات كتابي هذه الجدية..؟ خصوصا عندما ذهبت إلى ألمانيا ووجدت نفسي في حالة راحة شديدة فالإنسان أحيانا في مجتمع ما.. إما أن يشعر فيه بالغربة أو يشعر بالألفة، ولست أفهم لماذا منذ اللحظة الأولى تآلفت مع ألمانيا على وجه الدقة ثم اكتشفت السر- رغم عدم معرفتي باللغة الألمانية – وهو يكمن في تلك الدقة والجدية التي أعتبرها من أعظم قيم الدنيا.

وأعترف أنني منذ كنت تلميذا صغيرا في روضة الأطفال قد تعلمت الجدية، ولا أدري السبب لهذا أبدو دائما على الشاشة التي احترفت العمل فيها جادا ولست مهياصا، ولا يمكن أن يتخيل قارئ لهذه الصفحات أنني أنجح في تقديم برنامج منوعات للضحك والقفشات!.

إن الجدية نمط في حياتي.. إلا أنني آخذ قسطا من الراحة لعلّي في هذه الأوقات أبتسم وأعيش حياتي، وعندما يراني بعض الناس مبتسما في الشارع يقولون لي ضبطناك متلبسا بابتسامة! .. هذه الأشياء الغريبة وددت لو أضعها بصفحات الكتاب وأردت أن أحكي وأتساءل هل أنا قد تأذيت من الجدية؟ الإجابة لا.. هل الجدية منعت هدوء طريقي، ووقفت حائلا دون تحقيق أحلامي؟ الإجابة لا.. لقد كانت الجدية نمطا وأسلوبا لكل شيء في الحياة، وخاصة حياتي العملية فأنا من الذين يستيقظون في وقت مبكر، و يجلسون على المكتب في وقت معين، ويقرءون الصحف والكتب في وقت محدد أيضا .. حتى الآي باد أستقبله في حياتي في توقيت خاص، وحذرت نفسي من إدمانه لأنني من الذين يستفيدون من تجارب الآخرين.

لقد استفدت حقا من التجارب، وإذا سئلت الآن عن أحب الكتب إلى نفسي فأقول إنها تراجم السيرة الذاتية أو ما يسمونه بالبيوجرافي؛ حيث إن ترجمة السيرة الذاتية بالنسبة لي معناها أنني أعيش حياة، وهذا تعبير دقيق وليس حياة واحدة لأشخاص آخرين وقد أتوقف عند سيرة حياة لاري كينج وكيف بدأ مذيعا صغيرا في الإذاعة ثم أصبح أشهر مذيع عالمي..

لقد استفدت من قراءة سيرة حياة لاري كينج شيئًا واحدًا هو أنه دائم الحلم والإنسان الذي يحلم دائما يحقق ما يريد.. إنني أعتقد دائما أن السير الذاتية لحياة الناس فيها الكثير من الصدق وبعض من الكذب وربما العكس، ولكنني كنت دائما أرى أن السيرة الذاتية تحمل من داخل الإنسان بعضا من حفنة أيامه.. ويظل السؤال هل تذكرت كل شيء؟

الواقع أنني ما استطعت أن أتسلق شجرة الذاكرة لأصل إليه هو ما كان متاحا لي .. على مرآة ذاتي وعلى صفحة العمر وعلى فيس بوك نفسي لقد كانت فكرة كتابة السيرة الذاتية بعيدة عني لولا أن أيقظها فيّ الناشر المصري الكبير محمد رشاد صاحب الدار المصرية اللبنانية أكثر من مرة أقابله في معارض الكتاب وفي أثناء حفلات توقيع كتب ابنتي حنان، وحين ألقاه يسألني هل كتبت سيرة أيامك؟ لا تنشرها في الصحف .. اجمعها ثم انشرها في كتاب ثم ضع في الصحف ما تريد منها مثلما كان يفعل الكاتب الكبير الصديق أنيس منصور، واعتبرت أن كلمته لي مجرد إشارة عابرة.. فهل يرى محمد رشاد أن في حياتي ما يستحق أن يقال للناس؟ ماذا أكتب وبماذا أبدأ..؟ لقد اتفقت معي حنان أن تكون المجاورة لي ثم أخذتها ظروفها كزوجة وأم وكاتبة، وجغرافيا أنها تسكن بعيدا عني أحسست بمشاعر مرتبكة، وأنني أريد أن أمسك ببعض النقاط ولكني شعرت أنه ستفلت مني حزمة أيامي إن تركتها مبعثرة .

كنت قد قررت أن أكتب حوارا طويلا مفصلا بعنوان كيف تحاور..؟ لأنه وقع في يدي كتاب للاري كينج بعنوان متى تتكلم ومع من تتكلم وكيف تتكلم؟ وأنا لديّ تجربة في الحوار وعندما طرحت هذه الفكرة على صديقي الموهوب حقا الأستاذ مودي حكيم الذي عمل معي في دار روزا اليوسف وصباح الخير .. قال كتابك عن الحوار سيهتم به طلبة قسم الصحافة والراغبين في أن يكونوا مذيعين والراغبات في العمل على الشاشات، وهذا مهما كان محدودا، أما الكتاب الجيد فهو الذي يحوي قصة حياتك، خصوصا لابد أن تضع فصلا اسمه (معارك مفيد فوزي) وأعجبتني الفكرة ولكن متى أبدأ وكيف أبدأ .. ؟ وكنت قد قررت في لحظة من اللحظات أن أستعد بالتسجيل وأجلس ثم أتكلم وأرسل بالشرائط إلى الصديقة ماهيتاب رضوان التي تتولى بأمانة تحويل الشرائط إلى كلمات مكتوبة فوق الورق، ولكن الفكرة لمعت ثم انطفأت؛ لأنني لم أستطع أن أصل إلى قرار بأن أجلس وحدي وأستجمع كل ذاكرتي وأحكي.. كان لابد أن يكون معي شخص آخر أثق في حسه يسمعني وأنا أتكلم بل يعطيني الفرصة كي أخرج من نفسي كل ما أملك أن أقوله للناس من خبرة و طرفة ومعلومة، ثم جلست أتأمل نفسي وأنا مريض بالسكر هل أستطيع أن أجلس ساعات دون أن أقف وأتحرك وأسير على قدمين نصف كيلو داخل شقتي؟ كل هذا شطبته من حياتي ولم أهتم به فأنا أمام قارئ أقول له ماذا فعلت بحفنة أيامي وماذا فيّ داخل العمر ؟ فقررت أن أتكلم وأشعر بأنني أسجل هذه الأيام وأبوح بما في داخلي وأصل إلى عقل قارئ ليس بالمنطق وحده، ولكن بالمنطق غارقا في الإحساس فلا شيء يملكه الإنسان سوى أحاسيسه العفوية البسيطة .

بالمناسبة جاءت ثورة 25 يناير2011 وأنا أكتب هذا الكتاب ولا أدري لماذا اخترت هذا التوقيت ..هل أنا في حالة ثورة على نفسي؟.. نعم إنها ثورة كاتب متمرد يريد أن يقول شيئا.. كان آخر كتبي تحت عنوان «كلام مفيد» قلت خلاله كلاما كثيرا وتظاهرت فوق الورق، ولكن كل المحاولات السابقة

لم تنجح في أن أجلس وأخصص وقتا وهذا ليس بالسهل وسط أعباء الحياة والكتابة والتصوير التليفزيوني لكنني صممت بشدة على أن يخرج هذا العمل، الذي ساهم في أن أصل إلى شاطئ، أن أجلس أمام هذا الميكرفون الصغير الذي بيني وبينه ألفة، وكأنه يأتي بأشياء من بعيد لكي أصف ما أراه أمامي من الماضي على شاشة افتراضية، وكأنني أراه بالضبط..

كنت أرى محمد عبد الوهاب وهو يقف بقامته الممشوقة مع وزير الإعلام في ذلك الوقت جمال العطيفي وحولنا يقف جلال معوض مع ليلى فوزي وأقف أنا وآمال العمدة مع رجاء زوجة الكاتب الكبير يوسف إدريس ثم نتقابل في كلمات قليلة سريعة مع نزار قباني.. أرى هذا المشهد أمامي، وأصفه تماما .. كما أذكر أن موسى صبري كان جالسا مع الراحل العظيم الموسيقار مدحت عاصم، يحكي له أشياء كثيرة وأرى السيدة نهلة القدسي زوجة عبد الوهاب وهي تتحرك برشاقة الغزال بين المدعوين جميعا، كنت أرى ذلك وكأنني كنت مغمض العينين.

وتساءلت: ربي كيف أعطيت الإنسان كل هذا؟ إن الإنسان في واقع الأمر هو الكمبيوتر الحي الذي له فيس بوك متخصص، وله تويتر متخصص...، وله كل الأشياء فأنت العليم العظيم وأنت الذي وهبت العقل الإنساني العلم، وأنت خالق كل هذه الدنيا حقا، وما تعلمون من العلم إلا قليلا.

حين جاءت هذه اللحظة لكي أجلس وأسجل .. شعرت بإحساس مسيحي كأنني أمام المحراب في هيكل كنيسة، ولكن الحقيقة أنني كنت أمام محراب قارئ أتوجه إليه بالاعتراف بقدر هائل من خبرات العمر، و شخصيات عرفتها.. أحببت بعضها، وكرهت بعضها، وجاملت، وتحايلت، وداهمت البعض الآخر.. لكنني لم أكن في كل مرة من هذا العمر إلا وكنت صادقا أتذكر أيامي، وبعض أحزاني .. بها دمعة مرة وابتسامة مرة أخرى.

وقفت أتأمل على شاطئ حياتي ما عشته من تجارب ومواقف مثل أمواج البحر فهذه أتأملها من بعيد وهي تأتي مسرعة لترتطم بصخرة على الشاطئ،

وتلك تتقاذفني وترميني بين الأصداف على الرمال، وثالثة يسعدني رذاذها وهي تداعب وجهي بحبات ماء فتنعشني وتفتح مدن الوهج داخلي .. وموجة رابعة كنت أنتظرها على الشط، ولم تأت بعد ..!

وطوال هذا السرد الطويل الذي اخترت أن أضعه فوق ورق كتاب لم أفكر على الإطلاق إن كان الكتاب سوف ينجح أم لا؟ .. وجاءت منال نور الدين الكاتبة بالأهرام التي أدين لها بإعداد هذه الصفحات التي كانت تشتاق لها المطبعة .. وتضم كل ما قلته في عمري.

لقد قلت ما عندي ومن المؤكد أنني في الإهداء سوف أهديه لابنتي حنان ولحفيدي وأيضا لآمال العمدة التي ذهبت في لقاء الله عام 2001، وكانت تتمنى أن تقرأ لي كتابا يضم سيرتي الذاتية لتعرف مكانها في العمر ..

والحق أقول إن معظم الكتب التي تحمل اسمي إنما كلها نشرت في الصحف ثم جمعتها، وهذا هو الكتاب الوحيد الذي سجلت كل صفحاته صوتا ثم تحول إلى حروف فوق الكمبيوتر، ثم طبعت هذه الصفحات، وأتت أمامي لكي أقرأها، وأصحح بعضها حتى لو أعدت بعض المعلومات فقد كنت أتكلم لقارئ .. لم أكن أريد أن أمطره أسلوبا خاصا .. بل كنت أريد أن تصل إليه خبراتي فقط، فأنا أحمل خبرات عمر جاوز السبعين فماذا أريد من هذا الكتاب؟

أريد أن يعرف الناس مفيد فوزي الحقيقي، ليس المحاور الشرس على الشاشة، وليس الذي يكتب مجادلا أحيانا، أو الذي يتظاهر فوق الورق بثورات خاصة، وليس مفيد فوزي الذي تأخذه الجدية إلى عالم التأمل فتحجب عنه متع الحياة، أردت أن يعرف الناس مفيد فوزي الإنسان الحساس الذي قد يغضب من لفتة، وقد يتضايق من نظرة، وقد تؤرق مضجعه أرقًا شديدًا.. كلمة!

أما وقد قلت كل ما أريد في هذه المقدمة فلست أرى شيئًا أقيم من الصمت حتى تتابعوا الصفحات وتروا صورتي بالكلمات .

مفيد فوزي

سنوات العمر الجميل

كان أبي يريد أن أكون معلما . .

بينما أمي . . كانت تدفعني

لعمل ما أعشقه . .

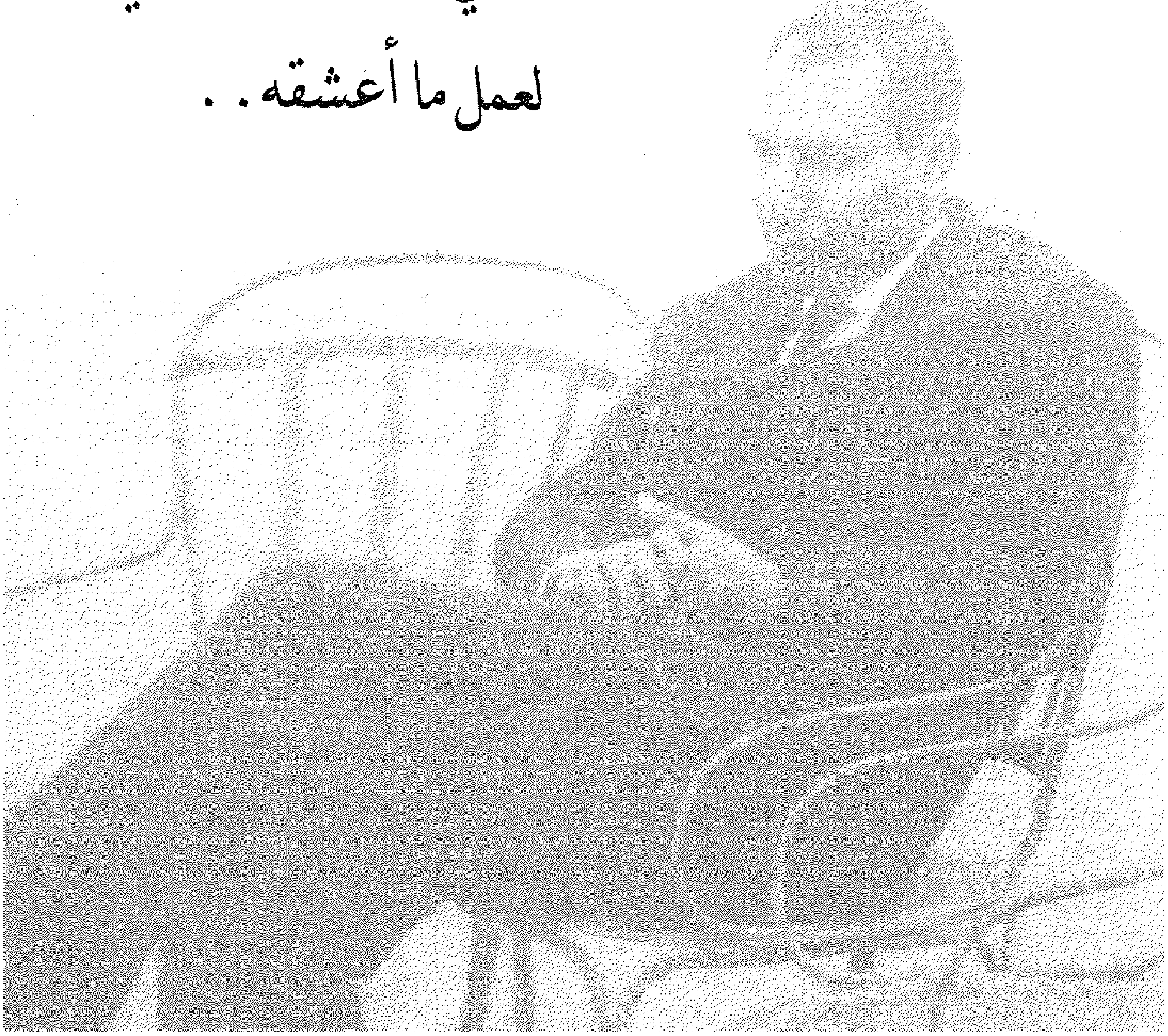

جاء ترتيبي الطفل البكر لأهلي .. نحن أربعة أشقاء.. مفيد وماهر، ونبيل، ومجدي، كنت أكبر الأولاد، وكل ما أذكره من هذه الفترة في مقتبل العمر هو سن التاسعة، لا أستطيع أن أذكر من سن السادسة أو السابعة إلا أشياء بسيطة أهمها أنني كنت طفلا فضوليا للغاية بمعنى أنني كنت أسأل أمي دائما.. إحنا رايحين فين..؟ هو بابا كان بيقولك إيه ؟ مين الراجل ده؟ كل هذه الأسئلة البسيطة الصغيرة كنت دائم الرغبة في معرفة إجابات لها، وأعتقد أنها كانت حالة من الفضول المبكر لدي .

كنت تلميذا غير متفوق، وكانوا دائما يقولون لي انت لو ركزت هتكون متفوق، لكنني لم أكن متفوقًا، وكنت أذاكر على قدر استطاعتي ولم أحقق الترتيب الثالث أو الرابع ولكني كنت الثامن عشر على فصل يضم ستة وعشرين طالبا، أتذكر جيدا مدرسًا اسمه منصور أفندي كان معجبا جدًا بنطقي في اللغة الإنجليزية، وكان يردد لي عبارة أتمنى أنه في يوم من الأيام يكون الإنجليزي عندك هو الأساس؛ لأنه النافذة التي تتيح لك معرفة آداب أخرى و معلومات أكبر، ومعرفة أشياء غيرك لا يعرفها، ويبدو أن منصور أفندي كان لديه بعد في نظرته للمستقبل؛ لأني فيما بعد التحقت بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية .

كنت طفلا شديد الحركة، وعندي رغبة أكيدة في القيادة.. فكنت قائدا لفريق كرة اسمه (الاتحاد الفني) .. كنت الحكم للمباريات .. أرتدي جاكيت فوق الجلابية ومعي صفارة .. لم أكن شغوفا بلعب الكرة، ولم يكن عندي ولعٌ بها لكن عندي إحساسًا بأن الكرة مادة جميلة ومرغوبة، والناس تحبها، ولعلي أذكر الكابتن حمدي رضوان وهو من أهم نجوم الكرة في بلد مثل بني سويف، وكنت أذهب لمشاهدة مباريات كرة القدم من أجله، خاصة التي

يشارك باللعب فيها، وفي إحدى المرات لم أتمكن من دخول الاستاد؛ لأني لا أملك ثمن التذكرة وقفزت من أعلى السور وكان جزائي ضربة بالكرباج على ظهري من رجال الهجانة الذين كانوا يقومون بالحراسة على أسوار البوابات لمنع أحد من القيام بمثل ما ارتكبته.

لم يكن جيلي يعرف في ذلك الوقت المراهنات على نجوم الكرة، ولا شراء اللاعبين، ولا الحمى المفترسة بين الأندية، ولم نعرف الشماريخ ولا إشعال النار.. في زماننا كانت الهواية وحدها تسكن العقول، ولم نشعر بتنجيم لاعبي كرة القدم، وكانت أقصى أحاسيس الإعجاب تتلخص في كلمة يا «لعيب»... كانوا يرون المباراة كقصيدة تشدو بها أم كلثوم، ولم أعرف في حياتي معلقا للكرة مثل الكابتن محمد لطيف الذي كان يقول «جووون» فتنخلع قلوبنا.

كانت عندي فكرة غريبة جدا أقوم بها في البيت، وهي عمل امتحانات للأربعة أدوار في بيتنا، فكنت أحضر ورقا وأطبع الامتحانات على كربون، وأضعه في ظرف مغلق وأحضر يد الهون، وأقرع بها كأنها جرس وأستدعي الأولاد، وأقول بدأ الامتحان وأوزع الورق مكتوبا عليه الأرقام السرية والأسماء.. يعني كنت أدير لجنة امتحانات في البيت وأجد في ذلك متعة غريبة؛ وأتساءل عن معنى هذا ودلالته الآن .. فأجد أنه كانت تسكنني رغبة في أني أعلّم غيري، وأستطيع القول بأنني في سن الثانية عشرة كنت أطمح في أن أكون صبيا مختلفا، وكانت أسرتي تطلق عليّ لقب الفصيح، ولم أر في ذلك شكلا من السخرية .. بالعكس كنت أعتبره تقريرا للواقع؛ لأنه كان يسعدني أن أتكلم أحيانا باللغة العربية التي أصبحت مرتبطا بها في حياتي حتى عندما كبرت وعملت في مجال التحاور، غالبًا ما تمتزج لغتي العربية الفصحى بمفردات العامية المفرطة .

عشق اللغة العربية

أحببت اللغة العربية وأجد متعة في التعبيرات والخيال والطباق والجناس، والتشبيهات ومع ذلك لم أتفوق في الإنشاء، ولا الجغرافيا بل كنت أحب التاريخ والصحة، وعلم المجتمع..لم أكن تلميذا بارعا في المدرسة بالعكس كنت منطويا جدا، وأذكر أني في بعض الأحيان أثناء مباريات السلة أو كرة القدم كنت مسئولا عن حمل سلة بها بعض البرتقال واليوسفي والمياه، وأعطيها للكابتن بين الشوطين .. كنت أعتبر أن هذا عمل ضخم أقوم به.

على الرغم من أنني ولدت في بنها وكان اسمها بنها العسل إلا أنني أعشق بني سويف.. كان أبي موظفا كبيرا بوزارة الصحة و معظم أفراد عائلتي يعملون في القاهرة، والغريبة أن أكثرهم يعملون في مجال المحاسبة والضرائب ..كنت أذهب إلى منطقة اسمها منتزه عزمي تقع في آخر بني سويف، وكان يحلو لي جدًّا أن تكون برفقتي مجموعة من أصدقائي ونجلس في مزارع القصب .

كانت هناك أوامر من أبي بأن أحلق شعر رأسي.. درجة ثالثة يعني زيرو، ومرة توسلت لعم مرسي الحلاق وقلت له ربنا يخليك يا عم مرسي اترك لي فتفوتة بسيطة، ومع ذلك لم يستجب عم مرسي لتوسلاتي وكان يمتثل لما يقوله أبي وينفذه تماما .

في المناسبات القبطية كنت أفضل الذهاب ليلًا إلى الكنيسة، ومع ذلك لم أكن أذهب بالفعل وكنت أنتهز فرصة هذه المناسبات الليلية، وأذهب إلى سينما بني سويف وكنت أختار الترسو وهو أقل درجة، وأحيانا كنت أستعير كرسي مطبخ؛ حتى أجلس عليه لأن الترسو معناه الجلوس على الأرض، وكانت التذكرة بثلاثة وعشرين مليمًا، وأذكر جيدا أنني شاهدت أفلام «سفير جهنم» ليوسف وهبي، و«عدو المجتمع » لعباس فارس وعقيلة راتب، و«قلبي دليلي» لأنور وجدي وليلى مراد، وكنت مشدودا للسينما .. ولم أعرف على أي بر سوف ترسو قواربي .

شمس الفكر

لجأت في فترة الصبا لفكرة كنت أعبر بها عن نفسي فكنت أحضر كراسة وأقسمها نصفين وأعلقها بدبوس، وأكتب عليها بقلم باست - وهو القلم الشهير على أيامنا - «شمس الفكر»، وهذه المجلة كنت أسهر معها ليالي طويلة، وبدلًا من المذاكرة كنت أكتب فيها، وأنشغل بها، وكان والدي يراني منكبًا على الورق فيتركني معتقدًا أنني في حالة مذاكرة شديدة .

وحقيقة الأمر أنني كنت أكتب مقالات عبارة عن انطباعات بسيطة لولد في مثل سني .. بعضها كنت أكتبه إلى «أبي» وبعضها إلى «محمود المليجي»..الذي أحببته جدا..وكنت أنا الشخص الوحيد الذي يقرأ هذه المجلة فأنا مؤلفها وطابعها وقارئها الأوحد، ومع ذلك ذهبت مرة إلى الأستاذ يوائيم غبريال المحامي الكبير، في بني سويف ووالد مكرم صديقي وعرضت عليه المجلة، وأبدى إعجابه من طريقة إصراري على الكتابة، وأصدرت منها أربعة أعداد بتشجيع منه، وقد سمح لي أن أصطحب مكرم ابنه، وأتجول بين أرفف مكتبته لأختار بعض الكتب وأقرأ الكتاب الذي أستشعر أن بيني وبينه رغبة في القراءة، وأعترف أن وجداني الإبداعي الأول قد تشكل في مكتبة الأستاذ يوائيم.

كنت أقرأ معظم أنواع الكتب .. قصص وتاريخ وقانون.. رغم أنني لم أكن فقيها إلا أنني كنت معجبًا وشغوفًا بقراءة كتب علم النفس بعمق وكان اهتمامي الشديد بهذه القراءات دافعًا لعمل مجلة حائط في مدرسة بني سويف الابتدائية الأميرية، وحصلت على موافقة بذلك من الأستاذ سامي أفندي سليمان، وكنت في (سنة ثانية)، وأصدرتها كل يوم سبت وكنت أضع فيها كل الأخبار، وهي أول خوض لتجربة صحفية ساذجة .. كنت أعلق المجلة بدبابيس ويتجمع عليها الأولاد، وكان أحيانا سامي أفندي سليمان يكلف أحد المدرسين كي يراقبها فعرفت الرقابة بشكل مبكر جدًّا في حياتي، خاصة عندما كتبت مقالا بعنوان «ليست هذه التربية يا سليم أفندي!»

أما سليم أفندي فهو مدرس اللغة الفرنسية وكان يعاقب الطالب المخطئ منا بضربه بالمسطرة على أطراف أصابعه، وعندما كتبت هذا المقال نزل المدرس ولصق ورقة سوداء على المقال، وتجمع الأولاد لأول مرة يسألونني عما كتبته ولماذا تم طمسه ؟؟ فقلت لهم إنه لا يجب الضرب بهذا الشكل، وانتقدت هذا الأسلوب، وأنا في هذه الفترة من العمر، كما التحقت في المدرسة بجمعية الصحافة المدرسية وكنت أحبها وأتفاعل معها، كما حاولت الانضمام إلى فريق التمثيل، وفشلت لأنني لم أكن قادرا على حفظ الأدوار.

عندما انتقلت إلى المرحلة الثانوية كبرت المجلة وأصبحت فرخا كبيرا من الورق، ونضج داخلي الحس الخبري، وأصبح لدي خبر ملون بالأزرق، وخبر بالأحمر وكنت أعتبرها أجمل وأمتع شيء أقوم به؛ لأن الفترة التي كنت أنتقل فيها من الابتدائي إلى الثانوي كانت هي الفترة التي بدأ فيها تشكيل وجداني الثقافي يتبلور، وهي نفسها التي ذهبت فيها إلى جمعية الشبان المسيحيين، ليس لهدف ديني على الإطلاق، بل لكي أرى مفكرا من نوع خاص اسمه الأستاذ سلامة .

كنت حريصًا على قراءة كتب سلامة موسى في هذه الفترة بالتحديد، وعشت لأول مرة تجربة أن يأتي المؤلف ويتوسط عشرة أولاد ويناقشهم فيما قرءوا له ..؟ وماذا اتفقوا عليه أو اختلفوا معه؟ وفي هذه الفترة أحببت الجملة القصيرة، وكنت شغوفا بها لأن سلامة موسى كانت جملته قصيرة دقيقة تشعر فيها بالإيجاز والمعنى البليغ .

وأعترف أنني فتحت عيناي على كاتب عظيم اسمه محمد التابعي، وكان أجمل ما فيه أنه يكتب وينتقد دون تجريح وأدركت معنى الرقي في النقد وتابعت كتاباته في جورنال آخر ساعة وكنت أشتريه من مصروفي الذي كان وقتها ثلاثة قروش، كنت أشتري به أشياء عديدة؛ صحفًا وأكلًا و(لبّ وتسالي)، وأنا لم أعرف معنى التدخين طوال عمري، ولم تكن لدي رغبة في الإمساك بسيجارة على سبيل التجربة أو حتى المغامرة.

مسحراتي الوطن

شهر رمضان كانت له خصوصية وكانت لي مغامرة لا أنساها أبدا ونحن نسكن في الدور الثالث، حيث كنت أجلس في البلكونة في عز البرد وأتغطى ببطانية وأنتظر بشغف المسحراتي، وغالبا ما كنت أنام قبل مروره وتتكرر هذه الحكاية كثيرًا إلى أن جاء اليوم الذي رأيته وهو يمسك الطبلة ويأتي على الباب ليأخذ العيدية في العيد، ولكن فكرة المسحراتي نقشت في ذهني معنى وفلسفة غاية في الأهمية ملخصها، أنه لا بد أن يكون بعض الناس في الوطن مسحراتية .. وكنت أعتبر نفسي في بداية العمر مسحراتي بالمعنى الحرفي للكلمة .

في فترة من الفترات كنت مشدودًا لأن أكون معلمًا كي أعلم الأولاد كل المعاني الجميلة، وفي فترة أخرى انشغلت بالكرة وكنت أقف حكمًا، وفترة ثالثة فكرت في الكتابة، وكنت أكتب وكأنني مسحراتي يوقظ الناس، وعندما كبرت أدركت المعنى المستتير الذي يكمن في فكرة المسحراتي،كما أنني أصبحت عبر رحلتي الطويلة مع الكتابة وشاشة التليفزيون - التي استمرت طوال حياتي - أقرب ما أكون إلى المسحراتي .

بين الجفاف.. والحنان

لم تكن علاقتي بوالدي في هذه الفترة المبكرة من العمر جيدة وكان عقابه لي مبرحًا،لم يكن بالكلمة ولا الحرمان ولكني كنت أقيد بحبل غليظ في السرير حتى لا يسمح لي بالخروج، وكانت أمي هي الوحيدة التي يمكن أن تفك قيودي و تخفف عقابي .

العلاقة الجدلية في النقاش بيني وبين أبي كانت تأخذ شكل حالة صمت .. لم أدخل في معارضة معه؛ لأنني عندما أعترض عليه كنت أعاقب، بينما أمي كانت سيدة حنونة للغاية..اسمها مريم، وهي التي قادتني للذهاب إلى

مكتبة البلدية واستعارة الكتب مجانًا، وزرعت داخلي أهمية الحفاظ الشديد على الكتاب، حتى أستطيع تبديله بكتاب غيره وكانت لي عادة نفسية في أثناء القراءة؛ حيث كنت أكتب انطباعاتي على طرف الورقة التي أقرأها، وعلمتني أمي أن هذا عمل سيئ لا يجب أن يتم في الكتاب، ويمكن أن أكتب ما أريده في ورقة منفصلة حتى لا أفرض أفكاري على من سوف يقرأ الكتاب من بعدي في مكتبة البلدية في بني سويف، ولقد لعبت هذه المكتبة دورًا كبيرًا في حياتي.

من الأشياء الطريفة التي مازلت أذكرها أنني كنت أخرج في بعض المظاهرات عن السودان وكان عمري وقتها ستة عشر عامًا.. كنت طالبًا في مدرسة بني سويف الأميرية الثانوية وكان يخرج معنا طلاب مدرسة الصنايع الثانوية ومدرسة الأقباط الثانوية، ونمشي في الشارع الرياضي، وهو أهم شارع في بلدتنا.. كنت أتلفح بالعلم المصري معتقدًا في هذا الوقت أن من يتلفح بالعلم لا تقترب منه الشرطة، ولكن الهجانة أعطوني كرباجين على ظهري، وكانت النتيجة أني قضيت 15 يومًا في البيت، وتعلمت درسًا ملخصه أن المظاهرات تنتهي بخروج الهجانة لفض التظاهر بالكرابيج.

في البيت كان لنا جيران يحرص أبي وأمي على علاقتهما، وهم محمد أفندي سليم موظف التليفونات وزوجته، وفي الخامسة من عصر كل يوم كنا نتبادل شرب القهوة معًا، إما أن يشربها أبي عند محمد أفندي أو ينادي أبي عليه كي يحتسي القهوة عندنا في جلسة يومية، لم أكن أعلم وقتها هذا مسلم أو يهودي أو قبطي، ولا أعرف غير أن محمد أفندي سليم عنده ولد اسمه عمر يلعب معي الكرة ونذهب معًا إلى المدرسة، وغالبًا كانت سيرًا على الأقدام رغم بعد المسافة، أما في أيام المطر الشديد فكنت أذهب بالحنطور، وظللت طوال فترة المرحلة الابتدائية أرتدي بنطلونا قصيرا، وعندما انتقلت إلى المرحلة الثانوية في الصف الأول الثانوي ارتديت البنطلون الطويل.

كان أبي يرى أنني سوف أكون معلمًا جيدًا، ويحفزني للالتحاق بمدرسة المعلمين العليا، بينما كانت أمي تدفعني لعمل ما أعشقه .. وكان هذا صراعًا

بين أمي وأبي، كانت أمي ترى أن حنانها في نظر أبي شكل من أشكال الدلع.. وكانت تعترض على أسلوب الجفاف الذي يتبعه أبي في معاملته لي، وكنت أشعر أنني بين حنان شديد وجفاف رهيب، ولا أعرف كيف أفلت من هذه القبضة الغريبة جدًا .

كانت تراودني رغبة في الجلوس مع الأستاذ يوائيم غبريال رغم فارق السن الكبير بيننا، فأنا صبي وصديق ابنه الوحيد مكرم، لكنه كان يسمح لي بالحوار معه، وكنت أراه يعامل ابنه بحنان أبوي، كما كنت أرى الأستاذ محمد سليم جارنا يعامل ابنه عمر بحنان واضح أيضا، وهنا لم أعرف كيف أفسر هذا الجفاف الذي يعاملني به أبي !

وأذكر أن أبي حينما كان يصعد درج السلم الخشبي في البيت، وكان عندنا راديو موبيليا تغني فيه فايزة أحمد (ياما القمر ع الباب)، بمجرد سماع صوت خطوات أقدام أبي كنت أبدل المحطة إلى نشرة الأخبار خوفًا من أن تصل نغمات الأغنية إلى مسامعه، وكنت أخاف أن أشتري مجلة على غلافها صورة بنت جميلة. في المقابل كانت تربطني بوالدتي علاقة غريبة وجميلة حيث كنت أحكي لها عن كل شيء في حياتي، بينما أبي لم يكن يسمح لي أن أفتح قلبي له، وعندما كنت أنجح في دراستي كان يقول إن الذي يذاكر لابد أن ينجح، والذي لم يذاكر سوف يفشل ويمنع خروجه من البيت .

هـــذه ..أمي

كانت أمي المخلوق الوحيد في العمر الذي يطبطب على ظهري، ولم أعرف معنى الطبطبة من المجتمع.. لكني أدركت فلسفتها من أنامل أمي حينما كانت يداها الحانية تربت على ظهري وأنا صبي في مراحل عمري الأولى، وكان لهذه الطبطبة فعل السحر؛ لأنها منحتني الثقة في النفس، بينما يسحب أبي هذه الثقة مني، أنا لا أكره أبي .. بل كنت أحبه بخوف، وأدركت بعد كل هذه الأيام الطويلة من زمني أن ما فعله أبي؛ معي لأنه كان يريد أن يزرع بداخلي

صلابة كنت أراها جفافًا، وكانت أمي تمنحني الحنان والدلع وأمهات جيلي كن مشغولات بالأولاد، ولم يكن هناك فيس بوك، ولا أشكال مخملية لجمعيات، ومن هنا كانت النشأة قوية، وراسخة وممتلئة بالقيم كانت هذه صورة أمهات الماضي.

لم يكن لي إخوة بنات وكل من جاء بعدي كانوا ذكورا، كنت سعيدا مع أشقائي ماهر ونبيل ومجدي خاصة فترة الظهيرة.. في البيت كنت أدخل غرفة الجلوس كما كنا نسميها وهم جالسون في الأرض وأبدأ في تقليد مشهد سينمائي كنت أشاهده في السينما الأهلي في بني سويف، ويصل بهم الحد إلى أن تدمع أعينهم من فرط شعوري، وأنا أمثل ما يقرب من حوالي ساعة وأعزف موسيقى وأقلد ضربات الطبول بيدي، وكان أشقائي يفرحون بي في زمن لم نكن نعرف فيه إلا الراديو الموبيليا الذي كنا نستمع خلاله إلى حديث الساعة التاسعة عندما يقول المذيع: حديث اليوم مع الدكتور طه حسين. كنت أنصت إليه، وأستمتع بنبرة صوته، وفي اليوم التالي نستمع إلى عباس محمود العقاد واليوم الثالث إلى بنت الشاطئ.

والحقيقة أنني لم أكن أفهم شيئًا مما يقال عندما كنت أسمع إليهم لكنني كنت على يقين بأن أذني تتغذى بهذه اللغة الفصحى والنبرات الجميلة والمعلومات القوية، وكنت في مرحلة الدراسة الثانوية شغوفًا بسماع هذه الأحاديث المفيدة ولم أكن أنتبه للأغاني ولست حريصا على سماعها، بل كنت أسمعها على سبيل المرح.

أعترف أنني لم أعرف المرح، ولم أمارس اللعب في حياتي، وأذكر أنني عندما كنت طفلًا صغيرًا لم يشتر لي أحد لعبة مثل كل الأطفال، ولم أكن أعرف معنى اللعب إلا من خلال كرات البلي الملونة، والكرة الشراب التي كنت أصنعها بنفسي وأزهو بها.

كنت معجبًا بالتمثيل و أذهب إلى مقهى في القاهرة اسمها قهوة ريتس في المرحلة الثانوية، وكان يجلس عليها محمود المليجي كما كان هناك مقهًى

آخر في شارع عماد الدين كان يجلس عليها توفيق الدقن، وكان هؤلاء -بالنسبة لي- شخوصًا مهمة، وعندما سألت نفسي هل كنت أفكر في التمثيل؟ كنت أرد بالنفي، وكذلك الحال بالنسبة لعملي في مهنة التدريس، لكن كانت تراودني فكرة العمل في الصحافة، وكانت هناك مجلة مجهولة نشرت إعلانًا عن طلب كتاب وصحفيين اختتمته بعبارة ابعث بصورتك كي ينالك الحظ، وفعلًا أرسلت صورتي وأنا في المرحلة الثانوية ولم يسأل فيَّ أحد!

خطابات رومانسية

عشت هذه الفترة دون أي عاطفة على الإطلاق، ولكن في المرحلة الثانوية في بني سويف كانت تسكن أمامنا شابة جميلة اسمها فايزة والدها شيخ من رجال التعليم، وكان صديقي علي غيته الطالب بكلية الشرطة تربطه علاقة بهذه الفتاة إلا أنه لم يكن يجيد كتابة خطابات رومانسية لها، وكان يطلب مني أن أكتب له خطابات ثم يعيد هو كتابتها بخط يده، وكنت أختتمها بعبارة «دائمًا في حياتي حياتك وفي مماتي مماتك»، وكان يرسلها مع المكوجي، ولكن من فرط ما كتبت من مشاعر لفايزة بدأ قلبي يخفق بأحاسيس تجاهها خصوصًا عندما رأيتها، وعلمت أنها وأسرتها في طريق عودتهم إلى القاهرة؛ لأن والدها اعتلى منصبًا ما في الوزارة، فذهبت إلى محطة بني سويف ووقفت على الرصيف كي أرى فايزة وهي تركب القطار، وكل ما أذكره أنني ألمحت إليها بيدي اليمنى على استحياء وخجل وأشرت لها بالسلام ومازلت رغم مرور كل هذه السنين أذكر ابتسامتها التي أضاءت وجهها البريء، وهي تنظر لي باعتباري صديقا لا أكثر ولا أقل .. حتى علي نفسه لم يأت لوداعها وارتبط بحب فتاة أخرى بعد سفرها، وكنت أقول له إن قلبه مثل التاكسي؛ حيث كان ينتقل من حب إلى حب ثم ثالث ورابع، بينما ظللت أنا معلقًا بحب من طرف واحد للشابة فايزة التي ظلت في مخيلتي صورتها، وهي في القطار، وكانت هذه المشاعر أول أحاسيس يخفق لها قلبي، و لم أكن قد شعرت بها من قبل.

والحقيقة أنني كنت أرى البنت في بني سويف رقيقة ومهذبة ولكنها ليست فاتنة، وأسوأ ما فيها شعرها.. لأنها لا تذهب أبدًا عند الكوافير، وبالتالي يظل شعرها مجعدًا مثل بنات إفريقيا .

علاقتي بالكنيسة

في مراحل عمري الأولى لم تمثل الكنيسة بالنسبة لي الكثير.. فمعظم الشباب الذين عرفتهم كانوا يجيدون الترانيم القبطية بينما أنا لا أجيدها، وكان بعض شباب الكنيسة يعمل شماسًا.. بينما لم أحاول أن أكون شماسًا، كما أن بعضهم كان يحب الاعتراف على يد بعض القساوسة، و لم أجلس يومًا معترفًا أبدًا بخطاياي أمام قسيس وكانت علاقتي بالرب خاصة جدًّا.. لم يتدخل فيها أحد، ومن الغريب أنني كنت في بدايات عمري أنحني على القس دون أن تلمس شفتاي يديه بل كنت أعطي فكرة تقبيل اليد دون أن أقبلها، ولكني أقرأ الإنجيل كثيرا.. كنت ملتزمًا وأحاول الاقتراب من المثالية وأتحلى بصفات الشجاعة والأخلاق الكريمة، وكان ضميري هو الذي يرشدني إلى الصواب، وكنت باستمرار أستمع إلى الوعظ وأناقش ما كنت أراه في الكنيسة، واعتدت على صيام العذراء والسهر حتى الواحدة صباحًا في موسم « كياك » - وهو شهر من الشهور القبطية -

لم أنخرط في الكنيسة، وعندما كبرت أدركت أنني لم أعش اجتماعيات كنسية ولم أحضر لقاءات وعظ واكتشفت أنني صحفي فقط ومحاور، وقد تقابلت بعد ذلك مع البابا ورموز الكنيسة، ولهذا لم أعرف فروقًا تذكر بيني وبين شاب مسلم، وبين أحد يقرأ الإنجيل أو ثالث يقرأ القرآن، بل إنه من أغرب الأشياء أن أمي هي التي تنبهت لهذا في فجر العمر، فنحن في مدخل صالون بيتنا يوجد كتاب الإنجيل كما يوجد مصحف صغير، والاثنان على منضدة واحدة، وفي الخلفية زهور صناعية تكمل ملامح الصالون، وفتحت عيني على أنه ليست الحياة فقط إنجيلًا وليست قرآنًا، وإنما الحياة في مصر هي هذا الإنجيل و القرآن معا.

أذكر جيدًا أن أول مرة كنت أتطلع فيها إلى السماء جذبني صوت جميل لم أدرك أنه ترنيم ولا شدو، بل كان الصوت العذب لإمام المسجد عندما صعد إلى أعلى المئذنة ليدعو للصلاة وينادي : الله أكبر، وظل في وجداني هذا الشدو بمتعته؛ لأنه كان ينطلق في المساء وكل الناس تسمعه دون مكبرات صوت على الإطلاق ..فكان الصوت ينطلق شجيًا دون تشويه خاصة في شهر رمضان كنت أسمع هذا الرجل، وكان شغفي كبيرًا للقاء المسحراتي، ولكنني عندما كبرت وعملت في الصحافة والتليفزيون ذهبت إلى مساجد في بلاد عديدة وخلعت حذائي وجلست على الأرض أحاور الشيوخ وكان آخرهم في أذربيجان، وكل هذه المساجد كنت أتمنى رؤيتها في أوقات صباي، ولكني كنت دائمًا أذهب للكنيسة وطوال وقتي داخلها لا أعرف ما الذي يقال، وعندما ذهبت يومًا ما إلى الكنيسة بصحبة الأستاذ عمرو أديب حتى ينقل طقوس الصلاة في العيد، سألني عمرو عما يحدث في الكنيسة وقال لي: إيه اللي بيحصل في الكنيسة يا أستاذ مفيد ؟قلت له لأ لازم حد ييجي يقول لك، قال لي: أنا جبتك يا عبد المعين تعيني لقيتك يا عبد المعين عاوز تتعان!!.. فقلت له أنا أفهم المسيحية كديانة لكن ليس عندي فكرة عن الطقوس والتفاصيل الصغيرة، الدين عندي أن درجة الإيمان تكون كبيرة وأنا نصف وزني إيمان.. مؤمن بالله، و بالكتب السماوية وفي فترة من فترات حياتي كنت أقرأ بعض آيات الإنجيل، وأرشدني لذلك صديقي الذي سافر إلى أمريكا فيما بعد، وهو ليس متدينًا لكنه طيب وقال لي إنه لابد من قراءة الإنجيل، وإن كثيرًا من المسلمين قرءوا الإنجيل واستوعبوه جيدًا.

سور الأزبكية

كان أهم حدث في حياتي في الإجازة بعد نجاحي في التوجيهية هو السير على سور الأزبكية حيث كنت أستمتع بشراء الكتب القديمة، وسعادتي لا توصف عندما اشتريت بقرش صاغ كتابًا يكاد يكون متهدل

الصفحات، و يحمل اسم (إيران فوق بركان) للكاتب محمد حسنين هيكل، وقد أحدث هذا الكتاب انقلابًا في حياتي حيث قرأته في نفس الليلة كاملًا وأعدت قراءته مرة ثانية، وبدأت أشعر أن كلماته وعباراته تكاد تسكن رأسي ووجداني وشعرت أنه أجمل سيناريو للكتابة الصحفية وأن هذا هو الأسلوب الجميل الذي ينبغي أن أكتب به، ومنذ تلك اللحظة كنت مفتونًا بمحمد حسنين هيكل وظللت أفكر وأتساءل هل أستطيع يومًا من الأيام أن أقابل ذلك الرجل ؟

كما كنت أقرأ أحيانا بعض قصص إحسان عبد القدوس في فترة التوجيهية وأنا على أبواب الجامعة في بني سويف، وعندما نأتي إلى القاهرة لزيارة خالي باسيلي الذي يسكن في شارع طوسون ونقضي معه حوالي 15 يومًا .. كنت في هذه الأثناء مصدرا لإزعاج أمي لأني أسأل أسئلة كثيرة لا تعرف إجاباتها، لم أذهب في حياتي إلى ما يسمى بارًا، ولم أحاول أن أذهب إلى كباريه وبعض أصدقائي كانوا يذهبون إلى هذه الأماكن لكنني كنت أخاف الاقتراب منها ..

المكان الوحيد الذي كنت أذهب إليه في القاهرة هو جمعية الشبان المسيحية، كي أرى سلامة موسى، وأتابع محاضراته في 15 شارع شريف، وأرى كاتبًا عظيمًا اسمه محمد زكي عبد القادر والد الصحفي سمير عبد القادر، كنت أحضر هذه الندوات وأبدي إعجابي واستمتاعي بهذا الكاتب؛ لأنه كان يتكلم بأسلوب رومانسي وحميم إلى قلبي، وأصبحت لا أعرف هل أسلوب محمد حسنين هيكل هو الأفضل؟ أم أسلوب محمد زكي عبد القادر؟.. والأخير له أسلوب عاطفي رقراق، أما محمد حسنين هيكل فهو يعتمد على أسلوب الفارس الذي يمتطي جواد البلاغة والفصاحة الجميلة.. واخترت أن أرسو على شاطئ محمد حسنين هيكل، وكنت أستمتع بالكاتب الكبير محمد التابعي وأقرأ له، وخاصة في مرحلة الصبا حيث كنت أقرأ بلا هدف، وكنت أختار هذه الكتب وهؤلاء الكتاب بشكل عفوي لكنني عرفت أنه كان مراسلًا لآخر ساعة في كوريا، ولم أشتر كتابًا لمحمد زكي عبد القادر لكنني كنت أقرأ

هذه الكتب على أساس أنها تعطيني شحنة بأشياء مهمة تدفعني للالتحاق بكلية الآداب،لم يكن وقتها يوجد معهد للصحافة إلا بعد الليسانس ولم توجد كلية للإعلام، وكانت الآداب هي المكان الوحيد المناسب لطموحاتي.

فلسفة النجاح

تشمل صداقاتي في عمر الصبا ممدوح طه خليفة الذي أصبح ضابطًا بالقوات المسلحة، وعبد الحليم الدرباشي الذي كان ضابطًا في الشرطة، ومات مبكرًا ويسري عزت المراكشي الذي عمل بالتجارة وما زال ناجحًا، وحسين محمود سالم الذي تخرج في كلية الطب وسافر إلى أمريكا، وحسن محمود وكان أول الثانوية العامة والتحق بكلية الهندسة ثم عمل بعد ذلك في بلدته كفر الشيخ عملًا بسيطًا لا علاقة له بشهادته العلمية، وكان ذلك محورًا لسؤال ظل يراودني طويلًا : هل النجاح في الدراسة يؤدي إلى نجاحي في الحياة ؟

أدركت أنه لا يمكن لإنسان أن يكون ناجحًا في الدراسة نجاحًا مبهرًا ويفشل عندما يدخل الحياة العملية ويسقط عند أول مشكلة، وأول محطة، وأول عذاب، وأول صدمة إلا أن هناك شخصا قد يكون غير متفوق في الدراسة، ويمكن أن يكون مسلحًا تسليحًا مهمًا في الحياة، فينجح في الحياة بذكائه الاجتماعي وقدرته على النفاذ إلى قلوب الناس بإصغائه ومعاملته الرقيقة وأدركت أن جامعة الحياة هي أهم ما يمكن معرفته، وأن التفوق الشديد في الدراسة ليس مؤشرًا لنجاح الإنسان في حياته، و توصلت إلى هذا اليقين وأنا على باب الالتحاق بالجامعة في بداية عمري؛ لأنني رأيت أناسا نجحوا نجاحًا باهرًا في الدراسة وفشلوا في الأعمال التي قمت أنا بها .

فمثلًا بعض الناس - وأنا لست منهم - التحقوا بالعمل بعد التوجيهية، لكي يحصلوا على خبرة عند الالتحاق بالجامعة واختلفوا مع أصحاب العمل فتركوهم وانصرفوا، بعضهم قال إن العائد من هذا العمل قليل وهم يريدون راتبًا محترمًا، وكنت أشعر أن بعض الشباب المتفوق لديه في رأسه شيء

محدد أو ما يطلق عليه (one track Minded) أي إن رأسه يسير في خط واحد، ولا شيء غيره على الإطلاق، وأذكر زملائي الذين كانوا معي في التوجيهية مثل يسري عزت المراكشي كان واعيًا ويقظًا وكما تنبأت له عمل بعد ذلك في التجارة وتفوق، كذلك ممدوح طه خليفة كان جادًا جدًّا والتحق فيما بعد بالقوات المسلحة وقد قابلته أثناء تصوير حديث المدينة .

مكان في قلبي

بدأت علاقتي بحب الطبيعة في بني سويف.. خاصة مع مزارع القصب التي كانت تشكل في ذهني أول منظر للخضرة رأته عيني .. هناك عرفت المطر عندما كنت أمشي ليلًا وتصافح وجهي حبات المطر، وعرفت الريح القوية جدًّا ..لكنني كنت أخاف وأنا طالب صغير عندما كانت السماء ترعد وأنا أسير في الشارع فكنت أجري وداخلي شعور بأن هذا الرعد سوف يسقط فوق رءوس الناس وأختبئ في أي مكان .

كنت سعيدا جدا بحالة الدفء التي أشعر بها في بني سويف وكانت والدتي تصمم على ارتدائي معطفا، فأخلعه في المدرسة، وأحرص على الرجوع به إلى البيت، بالمناسبة تعرضت مرة لعقاب شديد عندما فقدت حذائي الجديد الذي قام بتفصيله عم حسن بطاطا ولما ضاع الحذاء مني ورجعت البيت من دونه اكتشفت أنه مقلب من بعض الأولاد أصحابي .

لم أعشق السباحة ولا أجيدها، ولا أذكر أنني نزلت إلى البحر ولا مرة طوال حياتي ولم أعرف ركوب الدراجات ولم تكن عندي دراجة أبدا، ولم أتعلم قيادة سيارة في حياتي، ولذلك أستعين بسائق،كنت أتساءل لماذا لا أركب دراجة ولا أعشق السباحة وأتعامل مع كرة القدم بشكل عابر،إذن ما هو الشيء الذي يجذبني إليه ويستهويني؟ واكتشفت أنه الحرف والكتاب، وأدركت أن القراءة هي أعذب ما لدي وأن النقاش والجدل مع الآخرين متعة أمارسها مهدت فيما بعد لمهنة المحاور .

التفوق في الحياة

من الشخصيات المهمة التي أثرت في تكوين وجداني الثقافي في تلك الفترة أستاذ يوائيم غبريال المحامي، وأستاذ توفيق جرجس مدرس الفلسفة، وهو أول من طرح أمامي كلمة فلسفة وشرح لي معنى علم النفس، وأول من أهداني كتابًا، وكان اسمه «مقدمة علم النفس» وهو كتاب كبير يتكون من 400 صفحة قرأته خلال يومين اثنين فقط، وكانت القراءة بالنسبة لي عشقًا ربما يفوق رغبتي الحقيقية في التحصيل من كتب الدراسة، وكنت أحصل في ترتيب درجاتي على 17 من 40 درجة أو18 من 30 درجة، ولا يمكن أن يندرج اسمي في ترتيب الأوائل على الفصل.. وقد حكيت هذا الموقف لابنتي حنان، فقالت لي لا تردد ذلك أمام شريف حفيدك حتى لا يشعر بأن عدم التفوق مطلوب !

قلت إنني أرى أن التفوق الحقيقي هو التفوق في الحياة، وما زلت أومن بهذا بمعنى أن الحياة إلى جانب الدراسة هيأت لي مكانة مناسبة، وقد كنت أرى وأنا شاب صغير أن النجاح جهد إنسان أما التوفيق فهو من عند الله، وجزء كبير في ملامح شخصيتي إيمان من الله فأنا أصلي وصلاتي قصيرة ليست مطولة، وصلاتي فيها الابتهال العميق لله – عز وجل - ولي جملة أرددها دومًا «يا رب حط إيدك على كتفي» وأشعر كما لو أن الله يبارك خطواتي وأدعوه: «يا رب اجلي بصيرتي أحب أشوف الناس زي ما أنا عاوز أشوفهم بدون شروط» أقولها كلمات ليست مكتوبة في المسيحية ولا في الإسلام لكنها كلمات من القلب.

ومن هذه النقطة الجوهرية تبلورت رؤيتي للحياة وهي تصديقي للناس، وعدم الشعور بغدر الآخرين أرفض اللعب تحت الترابيزة، وأفضل التعامل المطلق برجولة وأرفع شعار «لا للخبث»، وكانوا يسمونني في هذا الوقت الفصيح الفضولي.

بعضا من اللين يا أبي

كانت مرحلة الجامعة مهمة للغاية في حياتي وهي تعني التفكير في المستقبل حيث لم أستطع تحديد ما أريده بالضبط، وحتى أنقل خبراتي الحياتية من خلال هذا الكتاب أقول بصدق إنني كنت أعتمد على إحساسي ثم عقلي، وقد بدأت في الصحافة المدرسية وأعتقد أنها أعطتني شحنة لكي أعبر عن نفسي، وأعترف أن بيتي لعب دورًا رئيسيًا في ذلك.

أتذكر أول مقال كتبته في حياتي وهو(بعضًا من اللين يا أبي) ..كنت أناشد فيه أبي أن يكون لينًا معي، إلا أنني كنت أرى كيف يعامل الآباء الآخرون أبناءهم وخاصة والد منير وسمير فريد اللذين يسكنان أمامي كيف يعاملهما والدهما باللين ؟ وكنت أشعر أن والدي يبدو متحجرًا بعض الشيء معي.. أبي كان من مدينة بجوار الجيزة اسمها الصف وأنا لم أر جدي لأبي لكني أسمع عنه ورأيت جدتي وهي تقول له يا فوزي وبس! فكان يمتثل جدًّا لهذا الكلام، وعندما نذهب لبيت جدتي كان يقول لي أغلق فمك بلاش غلبة، وأنا لم أكن «غلباوي» بل كنت فضوليًا وهناك فرق كبير بين الاثنين؛ لأن الغلباوي يتكلم بصورة مستمرة فيما ليس له قيمة بينما الفضولي هو الذي يسعى نحو معرفة الحقيقة .

وفي سنوات ذلك العمر المبكر لم أكن أعرف ماذا تعني فكرة الحقيقة، بل كنت متأكدًا أنني أبحث عن شيء، وعندما كنا نذهب إلى جدتي كنت أغلق فمي تمامًا وحينما يأتي البطيخ في وقت الظهر كنت أمد يدي لألتقط شريحة لآكلها، وفيما بعد تعلمت أن أكل البطيخ لابد أن يتم بالشوكة والسكينة.

حينما جئت من بني سويف لكي أذهب للجامعة كانت تدور في رأسي فكرة عالم الجامعة الذي يتكون من البنات والأولاد والدراسة والمحاضرات، وقد استضافتني خالتي وأقمت عندها عندما جئت لأول مرة من بني سويف إلى القاهرة، وهي تسكن في شارع رائف وهو جانبي متفرع من شارع الترعة البولاقية في حي شبرا، وشقة خالتي تتكون من أربع غرف تشغل هي وزوجها

واحدة منها، وغرفة أخرى للضيوف وثالثة للسيدة حكمت ابنة خالتي، وقد خصصت لي خالتي غرفة مطلة على الشارع كي أعيش فيها وكان بها دولاب وترابيزة ومكتبة؛ لأن أسرتي كلها في بني سويف سوف تأتي لزيارتي في بيت خالتي وكان هناك أحد الأبواب مخصصا لخروجي ودخولي حتى لا أتسبب في قلق لخالتي وزوجها، وبالتالي كنت شديد الأدب وحريصًا على المذاكرة بصوت منخفض، وكل هذه الأفكار راودتني وأنا على باب الجامعة، وجلست أسأل نفسي : يا ترى ماذا يرتدي الأولاد في الجامعة؛ لأن الملابس في القاهرة تختلف عنها في بني سويف، وذهبنا أنا ووالدي إلى محل عبد العزيز عبد الغني وهو أشهر محل للملابس في بني سويف، وكنت أتساءل لماذا يشتري لنا والدي بنطلونات واحدة وقمصانًا متشابهة؟ حتى عم حسن بطاطا الذي يفصل الأحذية لنا كان يقوم بتفصيل (حذاءين متشابهين) لي ولأخي ماهر، يعني أنا مثلًا لم أعرف الحذاء الموكسان إلا حينما كبرت ونزلت للحياة العملية، لكن كل أحذيتي التي ارتديتها في هذه الفترة من العمر كانت عبارة عن أحذية سوداء لها رباط .

اشتركت في الجامعة في أبونيه الترام الذي كنت أستقله من دوران شبرا حتى الجامعة، وحتى هذا الأبونيه أخذت المبلغ المخصص له ولم أشترك به بسبب ذهابي إلى سور الأزبكية لشراء الكتب التي كانت بمثابة أول نبع لوجداني كإنسان يحب الكتابة، وكانت الكتب تباع هناك بأسعار رخيصة جدًّا، ويمكن أن أشتري كتابا بقرشين أو أربعة أو عشرة قروش .

الجامعة وفلسفة الحياة

"تعلمت أنه لا ينبغي أن أنبهر
بمظاهر الحياة العامة في الجامعة
وأعترف أنني قادم من بيئة متوسطة
ومحافظة وتعرف العيب"

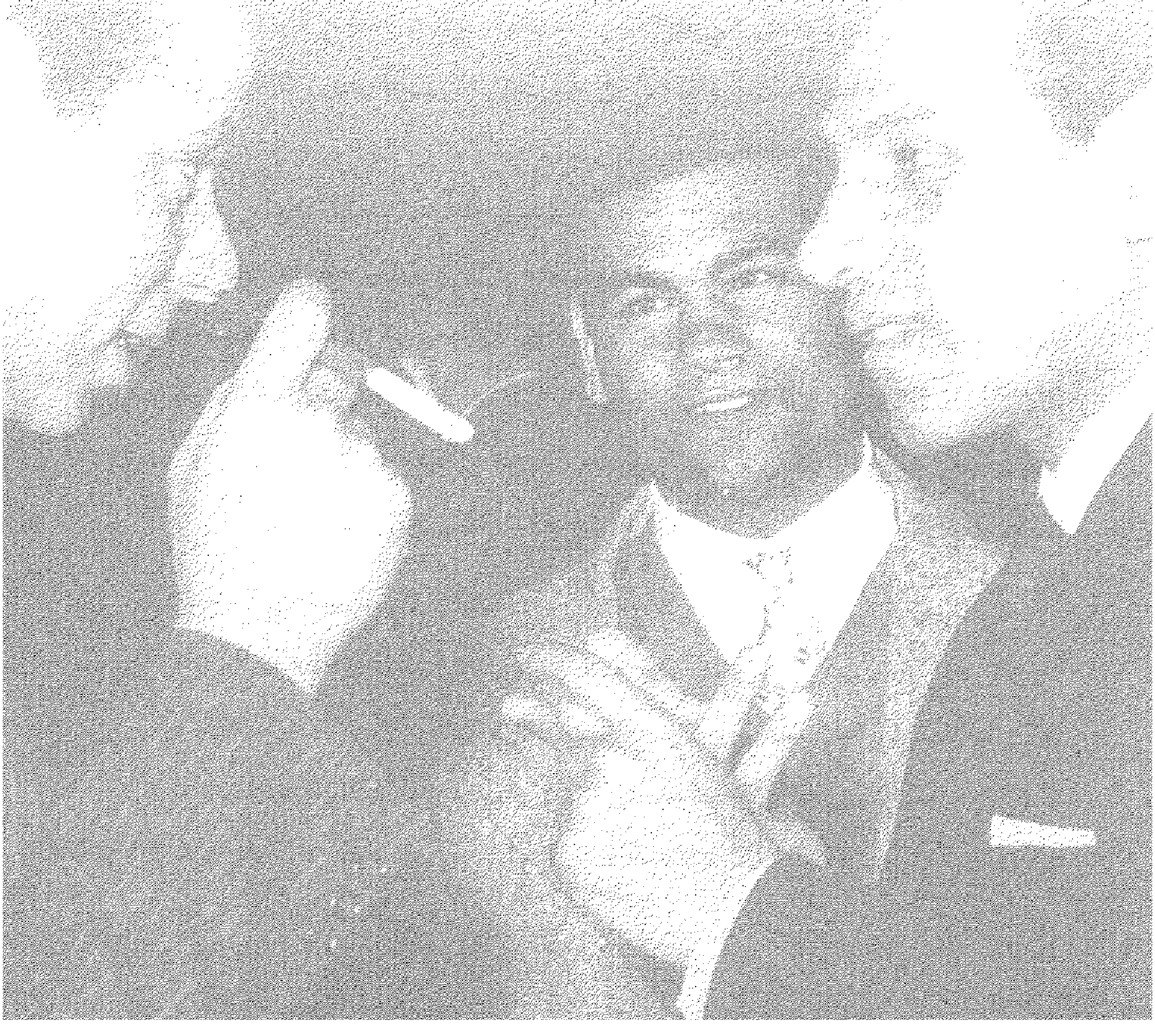

كانت تراودني أسئلة حينما أذهب للجامعة فأنا لا أعرف أحدًا، ولا أعتقد أنني سوف أرى أحدًا من بني سويف التحق بكلية الآداب مثلي؛ فمعظم أصدقائي اتجهوا للشرطة وبعضهم للبحرية أو كلية الطب وكنت الوحيد الذي التحق بكلية الآداب، ولا أنسى فضل إنسان من بني سويف عندما كنت في التوجيهية كان يذهب معي تحت الكابولي، والكابولي هو عامود النور في قرية مقبل وكان هو الأستاذ فوميل لبيب الذي أصبح فيما بعد من الصحفيين المرموقين بدار الهلال، وكان يحكي لنا داخل الجامعة عن فاتن حمامة كيف تفكر، وكيف تتعامل في كواليس السينما، وكنت أسمع كل هذا وأفرح وتلمع عيناي ويتوهج خيالي، وأتمنى أن أرى على الطبيعة يحيى شاهين وفاتن حمامة وكل من أسمع عنهم .

وقد سألته مرة هو حضرتك يا أستاذ فوميل شفت الأستاذ عباس العقاد؟ قال لا .. إلى أن جاء يوم وأمسكت يدي بمجلة روز اليوسف، وقرأت فيها حديثا للعقاد كانت قد أجرته معه السيدة مديحة عزت، وهي واحدة من الصحفيات اللاتي كانت تمثل قيمة في ذلك الزمن وكنت حريصا على قراءة الصحف، وأنا داخل الجامعة خاصة آخر ساعة التي يكتب فيها هيكل ومحمد التابعي الذي يشارك ببعض مقالاته النقدية التي تكاد تكون مثل حد السيف.

في اليوم الأول لدخولي الجامعة ذهبت حتى أرى اسمي مكتوبًا في السجلات،، لم يكن معي أحد يمكن أن أطلب منه النصيحة وكان اعتمادي المطلق على نفسي حتى لم ألجأ إلى أولاد خالتي وكان بعضهم يعمل محاسبا وفي الضرائب والأعمال الحرة .. كنت أشعر أنني وحيد بمعنى أن كل قراراتي اعتمدت فيها على نفسي، وكل لحظات عمري وقتها كانت عبارة عن تساؤلات كيف أفكر؟ وكيف أعمل ؟،

وكيف أصنع مستقبلي؟ ودلفت لأول مرة في حياتي إلى غرفة الدراسة الخاصة بمحاضرات قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب، وكان الدكتور أنيقًا وقاسيًا جدًّا وكل ما أتذكره منه وجهه وملامحه والمنديل الملون في البدلة، وعلمت فيما بعد أنه الأستاذ الدكتور رشاد رشدي أستاذ الدراما في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، ولم تكن هناك كيمياء في التعامل بيني وبينه لقسوته الشديدة، إلى جانب أنني لم أكن مستوعبًا لعلم الدراما.

من أساتذتي الذين أذكرهم الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس أستاذ اللغة العربية، الذي كان بمثابة قامة كبيرة تعتز بها مصر وكان يعبر لنا عن نفسه بقوله بأنه كفيف ولكن له بصيرة، وله ابن هو الكاتب المعروف د أحمد يونس.

كان لدينا أستاذ للغة اللاتينية وهو رجل إنجليزي كان يقيمُ في مصر، كما تستوعب ذاكرتي أيضا الرجل القاسي رقم 2 وهو الدكتور محمد محمود الصياد أستاذ الجغرافيا، والدكتور جمال عبد الرحيم أستاذ التاريخ والأميرة دينا التي صارت فيما بعد زوجة الملك حسين (الملكة دينا) وأيضا الدكتورة سهير القلماوي التي كانت تدرس لنا الترجمة، وكل هذه المجموعة الضخمة من الأساتذة كانوا مصريين فيما عدا.. أستاذ اللغة اللاتينية.

سلاسل ..الذهب

مرت الأيام بالجامعة، وتعرفت على اثنين أحدهما محمد حقي الذي كان مستشارًا إعلاميًا، وعاطف عبد العزيز الذي عمل مراقبًا للموسيقى في إذاعة الشرق الأوسط ثم مذيعًا في إذاعة صوت العرب، وقد حدث موقف لا أنساه في الجامعة حيث كنا نجلس في محاضرة للدكتور رشاد رشدي وكانت زميلتي التي تجلس أمامي لها شعر أصفر طويل وأنا لم أكن قد رأيت من قبل مثل هذا الشعر فأنا محبوس فيما يمكن أن أراه من شعر البنات في بني سويف، وهو القصير، والمجعد، وقد أقدمت على عمل خارج إرادتي العقلية وهو أنني أمسكت شعرها بيدي وكأنني كنت أمسك أسلاكًا من الذهب الأصفر، وقد نبهني زميلي محمد

حقي إلى ضرورة أن أترك شعرها؛ لأنها لو تقدمت إلى الأمام ستشعر أن هناك أحدًا يمسك بشعرها من الخلف، وامتثلت لنصيحة محمد حقي وفوجئت بها بعد قليل تتقدم للأمام بتلقائية، وقد أنقذني زميلي من الفصل من الكلية؛ لأن آمال الدفراوي كانت شابة يانعة وجميلة وقد كان بإمكان الدكتور رشاد رشدي أن يعتبر ما أقدمت عليه جرمًا من الناحية الجامعية والإدارية .

وقد تعلمت درسًا في حياتي أنني لا ينبغي أن أنبهر بمظاهر الحياة العامة في الجامعة وأعترف أنني قادم من بيئة متوسطة ومحافظة وتعرف العيب جيدًا، ولم أتعلم الجرأة على الإطلاق بل كانت البيئة تعلمني عقدة اللسان كما أعطتني بيئتي دافعا لمعرفة الحقيقة، لكنها نفس البيئة التي صادرت مني طلاقة لساني التي كنت قد اعتدت عليها .

لم يكن لي أي نشاط في الجامعة، وقررت أن أعمل صحيفة حائط، وقضيت أياما كاملة أذهب فيها للدكتور محمد زكي حسن عميد كلية الآداب، من أجل الحصول على تصريح بعمل جريدة حائط أنا وزملائي في الكلية، وكنت أبحث عن دور يبرز شخصيتي وسط زملائي ولم تكن لدي رغبة في أن أكون واحدًا مثلهم .

فيس بوك الجامعة

كنت أرغب في أن أكون مختلفًا ليس بالملابس الغريبة ولا بالصياح بل كنت أريد أن أختلف بحضارة، وتوصلت إلى أن الحل الوحيد هو جريدة الحائط وقمت بعملها فعلا بقلم بسيط على فرخ ورق أبيض طويل وعلقتها بالجامعة، ووقفت مع الطلبة ولم أكن أذكر اسمي فيها أو من الذي يحررها، واستمعت لآراء الطلبة ووجهات نظرهم، وأستطيع القول بلغة العصر الحالي بأنها كانت فيس بوك بدائيًا شديد التواضع، تضم مجموعة أخبار ومقالات ولم أنس أن أكتب أن الجامعة ميدان جميل للفكر الحر وكتبت المقال الرئيسي الخاص بي تحت عنوان «هل هو بوفيه أم مكتبة» ؟

لقد لاحظت أن مكتبة كلية الآداب يجلس فيها الطلاب شبابًا وبنات في نفس الوقت يتهامسون بطريقة عاطفية كنت محرومًا منها؛ لأنني لم أستطع أن يكون لي علاقة بأي فتاة، وكنت أتخيل أن المكتبة لابد أن تضم كتبًا وتخصص للقراءة فقط، وذات يوم ذهبت إلى المكتبة باحثا عن كتاب في الجغرافيا أرشدنا إليه الدكتور محمد محمود الصياد، وقرأت فيه بعض الصفحات وأغلقته إلا أني جلست أراقب البنات والأولاد من بعيد وكنت أرى الشفاه المرتعشة والبريق الذي يلمع في العيون، وأراقب الحركة الجسدية لكليهما فكنت أشعر بحركة الكلمات وسلوك البنات وهي تستعرض قوامها وملابسها وشعرها الطويل، وكانت تبهرني في بنات الجامعة الأناقة، وكنت أرى شعرًا غير مجعد لأول مرة وأشتم رائحة عطور جميلة، وكنت أعرف أنه لا يجب أن أصرح لأي زميلة بقولي إيه الريحة الحلوة اللي انتي حطاها ؟ وعندما كبرت فهمت أن اسمها بارفان، وكانت كل هذه الأشياء تدور في خلفية رأسي حينما أجلس في الكلية وأراقب شابًا جاء لتوه من الصعيد، كانت دقات ساعة الجامعة لها صدى عميق داخل نفسي لدرجة أنني اخترت نغمة دقات جرس الجامعة لهاتفي الجوال الآن، ربما لأنها تذكرني بلحظات عزيزة على قلبي ولن أنساها..

فلسفة النجاح

كنت أتقابل أحيانا في الجامعة مع الدكتور عبد الحميد يونس فأعرفه بنفسي، ويقول لي إنه قد علم أنني أصدرت جريدة حائط وأكتبها بلغة عربية جيدة، ويطلب مني إعطاءه نسخة أو الذهاب إليه لقراءتها له، وكانت هذه أول شهادة في الحياة أسمعها؛ مما يدل على أن أحدًا من زملائي قد أبلغ الدكتور عبد الحميد يونس بذلك، أما بقية الأساتذة فلم أجد تعقيبًا منهم على المجلة غير أن الأستاذة الدكتورة سهير القلماوي عقبت بقولها « مفيش جورنال يطلع سري لازم تقول رئيس التحرير مين !!» ولم أتجرأ أن أوقع رئيس التحرير.. لكنني وقعت باسم المحرر مفيد فوزي وانتشر اسمي في ذلك الوقت داخل الكلية، وأذكر صديقي كمال صبري وهو حاد اللسان وجريء ..كان مرآتي

الصادقة، وكنت أتساءل عن سر حبي له واكتشفت أنه صادق وأمين معي، وصعيدي مثلي ولكن من سوهاج، وكنت قد قررت أن أستمع لأي شيء يقال لي ولا أعلق عليه في نفس الوقت، كما قررت أن أتخذ مسافة من أي نميمة وأبتعد عن أي مجموعة تتحدث عن بنت وكنت أعامل كل البنات في الكلية كأنهن صديقات لي؛ لأنه ليس لي أخوات بنات وذلك كان يشعرني بأنني على نياتي مع كل البنات اخواتي.

لم أكن قد عرفت بعدُ معنى القرب من الحب لكني أتذكر أن واحدة من البنات دون ذكر اسمها كانت ترمقني ببعض النظرات؛ لأنها كانت تشعر أن الجريدة التي قمت بتحريرها بها شخصيتي، وبدأت أعدل في طريقة اختياري لملابسي، فقد كنت أرتدي قميصًا وبنطلونًا وحمالة نايلون لكني بدأت أراقب كيف كان يرتدي الأولاد في الجامعة ملابسهم، وأستطيع القول بأنني استطعت فيما بعد أن أغير من نفسي، وكنت أتحدث مع هذه الفتاة وكانت أول بنت أعرفها في حياتي، ولكني فكرت في تفاصيل صغيرة جدًّا وغريبة فقررت أن أؤجل حديثي معها حتى آخذ حماما ساخنا في البانيو، وكان الحمام في بيت خالتي معطلًا به الماء الساخن فلم آخذ الحمام وبالتالي قررت ألا أتحدث معها، كما كان من الضروري حلاقة ذقني بطريقة جيدة، وكان هناك نوع من الكولونيا الرخيصة جدًّا اسمها ثلاث خمسات، وكان لابد من إجراء عملية جلي لأسناني حتى تبدو بيضاء وكل هذه الاستعدادات كانت ضرورية حتى أتحدث مع الفتاة .

حوار من القلب

في اليوم التالي قمت بعمل كل هذه الأشياء فاشتريت زجاجة الكولونيا وبعد انتهاء المحاضرات جلست بالبوفيه أحتسي شايًا، وهوأرخص شيء وجاءت الفتاة وجلست بجواري وأذكر أنني عندما اقتربت مني وقفت، وقالت لي «تفضل خليك زي ما انت» وعندما جلست بجواري أول مرة شعرت بارتباك

غير عادي وأصبحت لا أعرف ماذا أفعل، وكنت أشبك أصابعي ببعضها مرة وأفكها مرة أخرى، وأبتلع ريقي مرة وأتوقف عن ابتلاعه مرة أخرى، وشعرت بأنني أحتاج لأن أقوم بتعديل جوربي،كنت أجلس مرة وأتحرك كثيرًا بالكرسي، بينما هي كانت هادئة ثابتة لا تتحرك مطلقًا وبعدها قالت لي :

هو انت صحفي بتتمرن في جريدة إيه؟ وكانت هذه أول جملة يقولها لي شخص من مصر.

فقلت لها أنا لست بصحفي أنا طالب بالكلية، وعمري ما اتمرنت بأي مكان قالت لي..لا سوف تصبح صحفيًا أصل أنا جدي كان يعمل بالصحافة فسألتها من جدكِ ؟

قالت : إنه في موقع الجد لكنه معروف جدًّا وهو جبران فرج جبران .

سألتها : هل هو الذي يكتب رحلات العالم ؟.. قالت بالضبط كده، فذهلت أن هذا رأيها فيما أكتب .. وسألتها مرة ثانية هل أعجبتك الجريدة ؟

قالت : جدًّا، وسألتني ولماذا كتبت عن الطلبة في البوفيه أو في المكتبة ؟ وكنت أذكر جيدًا شعورا راودني بالمتعة واللذة لا يمكن أن تصل في حدودي إلى شيء أعظم من هذا، وهو وجود صدى لرأي كتبته خصوصًا عندما بدأ أمين المكتبة ينتبه إلى أن المكتبة لابد أن تكون للقراءة، وليس للجلوس الثنائي، وهذا يعني أن كلامي وصل وبجرأة في اللحظات الأولى من عمري، واندهشت عندما قالت ذلك وبدأت أجاوبها واخترت كلمات عاقلة حتى أعبر لها عن وجهة نظري .

سألتني : هل تعرف رسامًا ؟ قلت لها : لا .

قالت لي : لكنني أعرف أولادا وبناتا يجيدون رسم المناظر الكاريكاتيرية وكانت أول مرة أسمع فكرة الكاريكاتورية فاستعنت ببنت اسمها لمياء علي حسن، وكنت أخبرها أنني مثلًا سأكتب شيئًا عن الدكتور محمد محمود الصياد، حتى ترسمه، ولأول مرة يتلخص الدكتور الصياد في أقل خطوط ممكنة؛ عينين وأنف، ورأيت ذلك يحدث في بعض الكتب عندما يلخصون

الشخصية .. وقد علقت الفتاة بقولها «إنت شاطر» ووقعت في رأسي هذه الكلمة بطريقة stereo type بمعنى أني سمعتها إنت شاطر.. شاطر.. شاطر...!

جعلتني أشعر وأنا جالس كأنني أنتفخ وأصبح إمبراطورا في العالم، وسألت نفسي لماذا أنا شاطر هل لأني أصدرت المجلة ؟ أم لأنني جعلت زملائي الشباب يعرفونها ؟ لكن أنا لا توجد عندي سيارة مفتوحة السقف، ولم أرتد ملابس أنيقة ولم أكن حليق الذقن، ولم يكن عندي شارب صغير، وتساءلت يا ترى هل أربي شاربي ..؟ وهل الشارب هو الرجولة؟ كان بعض الشباب يذهبون إلى الجامعة بسيارات ألوانها غريبة وجميلة جدًّا ويتركونها أمام الكلية، وممكن أن تكون أهم مليون مرة من سيارات الأساتذة، وفكرت أنني بعد ذلك سوف أخرج في سكوت لأركب الترام رقم 30، وأذهب لدوران شبرا عند خلوصي وأعود لحجرتي؛ لأجلس إلى مكتبي وتظل باستمرار ذكريات اليوم برأسي .

أكاد أكون في تلك الفترة شبه مهتز بين القيم والأفكار التي تربيت عليها في بني سويف، وبين قيم القاهرة تلك المدينة المنفتحة الخرافية والشيء الكبير الذي لا أعرف أوله من آخره، هذا الكيان المسمى بالجامعة، وبدأت أحاول الاحتفاظ بالتوازن، وفي تلك الأثناء تعرفت على شاب في كلية الهندسة اسمه سيد شريف كان خفيف الظل، ودعاني للذهاب إلى كلية الهندسة، وكنت أدعوه إلى كلية الآداب في البوفيه ونشبت بيننا علاقة صداقة عرفني خلالها على شاب وقال لي إن هذا الشاب اسمه فؤاد زقزوق .. كان يدرس في المرحلة الثانوية وقال لي صديقي انت تعلمه الإنجليزية، وأنا أعلمه رياضيات نظير مقابل مادي كل أسبوع، ففرحت؛ لأن معنى هذا أنه قد جاءتني الفرصة أن أعطي دروسا باللغة الإنجليزية، وسيد - الله يرحمه - يعطي دروسا لمادة الرياضيات، فذهبنا إلى بيت الشاب المطل على حديقة الحيوان، وكان بيتا واسعا وجميلا ربما يتكون من ثماني غرف كانت تزينه النباتات والزهور في كل جوانبه وتوجد مرجيحة في البلكونة كنت أختار الجلوس عليها؛ لأتأرجح

ولكن عندما كنا نذهب إليه أنا وسيد الشريف - رحمه الله - كنت أعطيه الدرس وسيد شريف بعدي، وآخر الأسبوع نتقاضى المبلغ المتفق عليه، ولا شك أن هذا المبلغ أوجد لي نوعا من التوازن؛ لأن أهلي كانوا يرسلون لي نقودا قليلة للغاية كل شهر من بني سويف .

كان صديقي يأخذنا بسيارته للتنزه في معالم القاهرة التي لم نكن أبدًا نعرفها، وفي يوم من الأيام عزمنا سيد الشريف في بيته أذكر أنني جلست في هذه المائدة مع فوزية الشريف شقيقته، وسعيد الشريف شقيقه، وسمير الشريف (الذي قابلته فيما بعد في دبي) وتناولنا طعام الغداء كلنا وكان معنا فؤاد زقزوق الذي عزم الأسرة فيما بعد على الغداء، وأصبحت علاقاتي في القاهرة تكبر رويدًا رويدًا.

ولكن عندما كنت أعود إلى البيت في شارع رائف في الترعة البولاقية كنت أجلس مع نفسي، أستعيد ما جرى بالنهار وكنت سعيدا بمجموعة من الجنيهات تدخل جيبي وأملك أن أشتري نوعا أفضل من الكولونيا و حذاء جيدا بدون رباط؛ لأنني كنت معقدا من الأحذية ذات الأربطة، وبدأت أفكر إلى أين ستأخذني الحياة ؟ وسنة بعد سنة، نجحت وعند الفرقة الثانية بدأت أدخل عالمًا جديدًا وغريبًا بالنسبة لي، فبعد نجاحي بالفرقة الثانية انقطعت عن الكلية لمدة عامين؛ لأني في تلك الأثناء كنت أذهب إلى كازينو الكوبري وهو محل شيراتون الآن، وفي تلك الأماكن كنت أرى شخصية باهرة جدًا اسمها كامل الشناوي، وكان أول شخصية من هذا المجال قابلته في القاهرة، وكانت له جلسة جميلة رائعة، ونبرات صوته لا يمكن أن يخطئها أحد، وكنت أذهب إليه ليلًا، وفي تلك الأثناء جاء أهلي إلى القاهرة وأقاموا في المنزل رقم 18بحي الروضة، وفي أثناء فترة ابتعادي عن الكلية حدثت مشاكل حادة بيني وبين أبي؛ حيث كنت مبهورا بهذا العالم الجديد الذي عرفته، ولكن بعد عامين عدت إلى الكلية وسجلت اسمي حتى تخرجت، وما أتذكره جيدًا أن اهتماماتي بالدراسة لم تكن قوية؛ حيث إن رأسي هاجر من كلية الآداب، ولذلك كان نجاحي عاديًا جدًا بتقدير مقبول، وكانت بالنسبة لي مجرد شهادة .

صائد المواهب

خلال فترة الانقطاع عن الجامعة، التي استمرت عامين تغيرت ملامح شخصيتي .. فقد كنت أذهب كل ليلة إلى كازينو الكوبري ومعي قروش قليلة، ولا أعرف أحدا، وأجلس بجوار كامل الشناوي، فيسألني تشرب إيه؟ فأشرب أرخص حاجة فنجان قهوة، وأرى الفنانين العظام والكتاب يأتون ويصافحونه ويتكلمون معه، وذات مرة في أثناء كلام كامل بيه كما كنا نسميه قلت له : هذه الحكاية يا كامل بيه فيها شيء من التوازن المختل.

فقال لي : قولها ثاني التوازن المختل أنت جبتها منين ؟

قلت له : لا أنا بقول جملة عادية (توازن مختل) قال لي : العبارة جميلة وفصيحة .

فقلت له : يا كامل بيه أنا لا أستطيع أن أصل إلى عُشر الهرم الذي يجلس أمامي، أنا مجرد طالب أدرس في كلية الآداب تعلمت على يد الدكتور عبد الحميد يونس، وما زلت أنهل من هذا العلم .

فقال لي : أنا مبسوط من جرسك الموسيقي.

لم أفهم ماذا يعني، ولم أحاول أن أسأله، لكنني فهمت دلالة ذلك أن العبارة عندي لها إيقاع معين، وتكررت زياراتي لأيام كثيرة، وكنت سعيدا بحديثه وأضحك بشدة لأن النكتة كانت عنده شيئًا بلا حدود .

وفي يوم من الأيام جاء شاب صغير ليجلس مع كامل الشناوي، وكان يدندن بصوته وكان هو بليغ حمدي وأدركت أن كامل بيه ربما كان في نظري أول إنسان أستطيع أن أطلق عليه لقب «من صائدي المواهب»، وتعرفت على بليغ حمدي، كما تعرفت أيضا على جاره الذي يسكن أمام شقته وكان اسمه.. صلاح چاهين كنا في بداية العمر، نسهر معا في أي مكان، وكان بليغ يأخذنا لنسهر في مركب ونشرب القهوة أو الشاي تقريبًا للساعة واحدة أو اثنين صباحا، وأعود إلى البيت في الروضة ..أطرق الباب فأسمع صوت أبي يقول

لي اذهب لتنام عند من كنت عندهم، فأجد نفسي واقفا على الباب أكاد أبكي لأنها لحظة درامية غريبة .

كامل الشناوي يقول لي أنت الجرس الموسيقي عندك جميل، ويسألني عن عبارة التوازن المختل، وأبي يقول لي اذهب ونم عند من كنت عندهم! كنت أجلس على السلم من الساعة الثانية حتى الثالثة أمام باب الشقة، وأحيانا يغلبني النوم فتقوم أمي التي تراقب الموقف كله وتفتح باب الشقة وتدخلني بهدوء، وتقول لي ادخل نام وغطي نفسك، فأدخل في هدوء وأنام وأغطي نفسي، وفي الصباح يذهب أبي إلى عمله وأنا أنزل مرة أخرى وأذهب للجامعة لكن عندي غصة داخلية وأشعر بالظلم من أبي، وأكاد أشعر بأننا اثنان .. أحدهما له شيء من الاحترام هو أبي، والثاني يعيش في شيء من الاحتقان هو أنا .. نصفان .. أبيض و أسود، والليالي التي كنت أقرر فيها أن أسهر لوقت طويل، كنت أكلم عمتي من التليفون الأرضي وأقول لها يا عمتي أنا اليوم سأحضر لأنام عندكم، فتقول لي : أهلا وسهلًا يا بني، طبعًا لأني لا أستطيع العودة إلى بيتنا الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا .

اعتدت الذهاب إلى كازينو الكوبري الذي كان يسهر به كامل بيه للساعة الرابعة أو الخامسة صباحًا، وكنت أسهر وأرى أسماء غريبة منها صلاح عبد المجيد الصحفي المرموق صاحب الأسلوب الهائل القذيفة الذي كان من الممكن أن ينافس أسلوب محمد حسنين هيكل في الكتابة، وتعلقنا بكامل بيه وانفعلنا بالنكت والمقالب التي بينه وبين مخرج في التليفزيون اسمه محمد سالم، وتعلقت ببليغ حمدي الذي كان يدندن كل يوم، وتفاعلت بالعامية الحلوة لصلاح چاهين التي كان يُسَمّعها لكامل الشناوي، وفي نفس الوقت كنت أذاكر دروسي، لكن عندما تنتهي السهرة الساعة الرابعة أو الخامسة صباحا وأستقل الترام لأنام عند عمتي التي تسكن بعد محطة تريومف في مصر الجديدة بالدور الرابع، وأنام مفتوح العينين لأنني كنت أستعيد كل ما حدث مع كامل بيه وأسترجع كل لحظة قضيتها وأستعيد تركيزي .

وفي ليلة من الليالي أتيت له ببعض نماذج من الجريدة التي أقوم بإصدارها في الكلية تحت عنوان «شمس الفكر» وهو اسم الجريدة التي كنت أكتبها وأنا صبي، ونظر كامل بيه في الجريدة وقال لي : شيء هايل إنت مولود صحفي، ونظر إلى بليغ حمدي وقال له : إنت بارع وسيكون لك شأن هائل في المستقبل وإياك أن يأخذك شيء من الموسيقى.

كان كامل الشناوي يعطي له أذنه، وقد ثبت لي فيما بعد أن بليغ حمدي ربما كان هو الذي يكتب معظم أغانيه بعد التنقيح الشعري والصياغة الشعرية للشاعرالجميل محمد حمزة، وكان بليغ حمدي مجموعة مواهب موسيقية، وله قدرة على التأليف، والكلمة المنغمة، والبحث المجنون الدائم عن المزيكا، فكنت أسمع وأسعد وأشعر بمتعة وشجن ..

في إحدى الأمسيات قال لي بليغ بلاش الليلة دي نروح لكامل بيه، طب نروح فين يا بليغ نروح مكان غريب اسمه عرب الأربعين في آخر مصر الجديدة حتى نستمع إلى أشياء أقرب ما تكون للذكر الجميل، ولكن ذكر في حدوتة، وكنت أسمعه بفضول، لكن هو يسمعه بمتعة نادرة لا مثيل لها، فيما بعد عرفت من بليغ حمدي أن أحد أسباب أسفاره خارج مصر وبالذات الخليج أنه كان حريصا على أن يحتفظ بأرتام الخليج، وينتقي منها ما يستطيع ويدمجه بموسيقاه، والذي يستمع إلى «تخونوه» لا يمكن أن ينسى هذا النغم، الذي يشبه موسيقى الشمال الإفريقي .

اكتشـــافي

جاء عدلي فهيم واصطحبني إلى حسن فؤاد وهو شخصية مهمة في حياتي كان مفكرًا وكاتبًا ونوعية خاصة من الشخصيات التي لديها القدرة على أن تلتقط أصحاب المواهب، وسبحان الله فإن الشخصيات المهمة التي قابلتها في حياتي، ولعبوا دورًا مهمًا في تشكيل مفرداتي ..هما كامل الشناوي

وحسن فؤاد والاثنان يلتقطان الموهبة ويكتشفانها على بعد، ولديهما القدرة على معرفة من هو الشخص الموهوب وكيف يفكر؟ إلا أن كامل الشناوي هو الذي جعلني أستشعر ما ذاع لديّ من حجم الموهبة الصغير الضئيل الذي يمكن أن ينمو، وكنت أحارب في سبيل الاحتفاظ بثقتي بنفسي؛ لأن والدي كما ذكرت كان يرى أن التربية هي القسوة، وربما أعترف بعد مرور الزمن أن هذه القسوة أورثتني الصلابة في الحياة، وأنا من الذين إذا مروا بتجربة قاسية كتموا في أنفسهم، فلا أقول لأحد وقد ظللت عمري كله أواجه مشاكلي بنفسي وأتعذب،إلى أن جاءت صديقتي في الحياة حنان فأصبحت من حين لآخر أبثها بعض شكواي، وأذكر أن عمتي كان لها دور كبير في احتوائي بحنان، وقد كانت هي السرير لي إذا عدت في الرابعة أو الخامسة صباحا، وما كنت أجرؤ على الذهاب لبيت أبي الذي لم يصدق أني أسمع كامل الشناوي وأجلس لأتكلم في أدب وشعر وصحافة أو شيء من هذا القبيل، وكان يتصور أنني مع أولاد سيئين، وقد لاحظت أكثر من مرة أنني حين أدخل البيت كان يقرب أنفه من فمي، وكأنه يستشعر أنني أدخن في الخارج، وأنا لم أكن أدخن على الإطلاق ولم يكن لي شيء في الدنيا أفعله أبدًا غير أنني أردت أن أصنع نفسي باقتدار وثقة شديدين وأقفز فوق كل المتاريس .

سنتان من عمري

كنت أتساءل كيف أستطيع أن أظهر بمظهر جيد أمام زملائي في الجامعة وكل قرش كنت أعتبره مكسبا لي من الدروس لماذا؟ لأن أحد أصدقائي وهو كمال صبري أرشدني إلى معهد أستطيع أن أذهب إليه مرتين في الأسبوع حتى أعطي دروسا لطلبة صغار في اللغة الإنجليزية فكسبت نقودًا من التدريس بالمعهد، وكذلك التدريس لفؤاد زقزوق مع صديقي سيد الشريف، رحمه الله، وهذا أعطاني مقدرة على الظهور في هذا الوقت وكان ذلك التزاما بأن أذهب إلى المعهد بشارع السد الجواني بالسيدة زينب، وكنت أستقل الترام رقم 16

وأرجع غالبًا إلى كازينو الكوبري الذي كان مزارًا مهمًا في عمري، وكان هذا كله خلال السنتين اللتين انقطعت فيهما عن الجامعة لأنني لا يمكن أن أجد وقتا للتدريس والدراسة في نفس الوقت.

وفي هذين العامين قمت بالزيارة المهمة لكامل الشناوي الذي ألحقني بمجلة آخر ساعة وكانت هذه هي النتيجة وهو رئيس تحرير آخر ساعة في ذلك الوقت، وكان محمد حسنين هيكل هو المراسل العسكري لمجلة آخر ساعة في كوريا، وكنت أكتب أحد الأبواب تحت اسم «نقاط فوق الحروف»، ولم يكن يرى أحد مني على الإطلاق سوى الأخبار وأمضي لحال سبيلي، وكنت لا أرى كامل بيه في الجورنال، ولا أستطيع الدخول إليه لكنني كنت أراه ليلًا في مجلسه بكازينو الكوبري، ومن خبراتي الحياتية أنني كنت مهذبًا بمعنى أنني لم أسأله أبدًا كيف أعثر على الأخبار؟

وكان من الممكن أن أستعين بأي شخص في الدنيا إلا هو، وقد لفت نظر كامل الشناوي خبر كتبته عن أول مكوجي يعمل بدون المكواة الرِّجْل، وصورته وهو يعمل بالمكواة الكهربائية وكتبته بعنوان «المكواة بالقدم موضة قديمة » مع الصورة .

في هذه الفترة كنت أحاول أن أعثر على مكان آخر لأكتب فيه، و قد تعرفت على شاب اسمه عدلي فهيم - رحمه الله - كان سكرتيرا لتحرير مجلة اسمها المجتمع العربي فأخذني معه، وقدمني لرئيس التحرير وهو رجل اجتماعي جميل كان هو الذي قام لمرة واحدة في حياته بدور مصطفى كامل واسمه أنور أحمد ، فضمني إلى مجلة المجتمع العربي، وهذه أول مرة أدخل مجلة وأقدم موضوعات اجتماعية في الوحدات الاجتماعية وأرى مشكلاتها ومتاعبها، وكانت تتبع وزارة الشئون الاجتماعية، وفي ذلك الوقت كنت أتقاضى جنيهات قليلة..حاولت في هاتين السنتين الاعتماد على نفسي مبتدئًا بالدروس ثم العمل في مجلة المجتمع العربي؛ مما يؤكد أن العشق الحقيقي للكلمة كان يسكنني منذ الصغر، وأني بذلت في سبيله كل ما أملك .

في تلك الفترة لم يكن إدراكي للمرأة قد تشكل بعد، فأنا لم أكن أعرف سوى عايدة وهذا اسمها، هي التي جعلتني أفهم عن قرب ما هي احتياجات المرأة ماذا تحب أن تسمع؟ كيف ينبغي التعامل معها ؟ ماذا يعني لها المال ؟ ماذا تعني لها الرحمة ؟ هل هي مخلوق شرير؟ وكيف أستطيع أن أوقف الشر لديها ؟ما قيمة كلمة تقولها لي وموقعها في نفسي؟ كيف تحرص على هنائي كطالب يتعلم ؟ ماذا كانت مشاعرها عندما أصابني المرض أكثر من مرة؟ كل هذه الأشياء جعلتني أعرف دنيا المرأة من خلال هذه النافذة، وكنت أشتري لها بعض الهدايا ومن أبرزها ساعة في لعبة وعندما تدق الساعة 12 تصدر صوتا مثل صوت الدجاجة وقد سافرت إلى بورسعيد، وأذكر أنني سألتها يوما: ماذا لفت نظرك فيَّ؟ فقالت لي أنك لست مراوغًا، وبسيط وينضحك عليك بكلمتين، وتقول ما في قلبك في دقيقة، وقد كانت هذه الكلمات درسًا بليغًا لي في بداية الزمن فلم يعد ما في قلبي أقوله في دقيقة، صحيح أنني لم أراوغ بل كنت صادمًا لأحمي نفسي من العدو، وكنت لبقًا لكي لا أنزلق في الكلام، وظللت أحاسب على ما أقوله بأن أمرر ما يقال على رأسي حتى لا أندم، كنت أكره بشدة كلمة الندم في مطلع العمر، وكنت أشعر أن أمي تساعدني وتشجعني على أن أذهب إلى كامل الشناوي، و تقول إن راجل مثله ح يقعدك جنبه ليه ..إلا إذا كنت تقرأ وبتقول كلام يستمخ منه ..!

كانت عايدة بالنسبة لي بمثابة علامات طريق، ونقاط تحذير، خاصةً أنني أتعامل مع مجتمع عريض من البشر، ليس له أول ولا آخر ومليء بالزيف وأشياء كثيرة؛ لأنه حين سافرت هي إلى بورسعيد حاولت أن أبحث عنها في الشواطئ صيفا فكنت أمضي سيرًا على الأقدام أرتدي قبعة على رأسي، أتجول بعيني على كل بلاجات بورسعيد، كأني أبحث عن إبرة في كوم قش بحثًا عن عايدة.. كانت فارعة طويلة، وفيها كثير من ملامح راقية إبراهيم الممثلة المصرية الشهيرة التي هاجرت إلى أمريكا، وكانت ترتدي القفطان المغربي، وربما هذا هو سر حبي له عندما أسافر إلى المغرب، وكانت مسلمة

نعم وكانت تقول لي في الكلام بيننا وبين بعض إنني لم أعرف على الإطلاق أنك قبطي وأنا اعتبرت تجربتي أنها ليست خطيئة بل خبرة حياتية جديدة في الحياة، أضافت إليَّ شيئين أساسيين الأول احترام الجسد .. أما الثاني فهو احترام رغبة المرأة ..فإذا لم ترد ..أنا لا أتحرك، وإذا أرادت .. تحركت وتفاعلت معها .

إنها قصة حبي

إن احترام رغبة المرأة كان من المبادئ الأساسية عندي ولم أتوقف عند العلاقة؛ لأنها نسجت فيما بعد نظرتي إلى الحياة، والمرأة لم تكن غادرة بل كانت إنسانة بسيطة، ولم أكن أنظر إليها نظرة دونية أبدًا، بالعكس لأن هذه العلاقة تمت بعد حوارات ومناقشات طويلة بيننا.. بعضها كان حينما أذهب إلى الكلية وأمشي من عند البيت، إلى دوارن خلوصي لألحق بالترام حيث كانت تمشي بجانبي صباحًا ونتكلم وتتركني على محطة الترام وتعود، وبعض الأحيان كنت أقابلها في كافتيريا بشارع عماد الدين تسمح بأن يجلس الرجل والمرأة بدون مشاكل، وكانت الدنيا رخيصة وكنت أعزمها على كازوزة، كما كانت تسمى في ذلك الوقت، وكنت أشرب مثلها أيضا وقد أهدتني مجموعة أقلام ملونة أحمر وأزرق وأخضر، وأنا منذ بداية التاريخ والأقلام الملونة تعد جزءا مهما وأساسيا في شخصيتي؛ لأنني أخطط تحت الكلمات دائمًا بالألوان حتى في كراسة محاضراتي بكلية الآداب كنت أرسم علامات الاستفهام والتعجب باستمرار في بعض الكتب، وكانت عايدة تسمعني وأعتقد أن إصغاءها كان حافزًا لدي للمتعة، فقد كانت هي أول إنسان في العمر يسمعني جيدًا، وكانت تسبقها بمراحل أمي التي كنت أحكي لها كثيرًا عن بليغ حمدي والبدين صلاح چاهين، وعندما اخترت آمال العمدة زوجتي، كنت أجد فيها شيئًا من أحاسيس أمي، والحنان الذي كنت أشعر به مع أمي.

وأثناء علاقتي بعايدة تعرفت على صديق يملك جزءا في عوامة كانت قريبة من مركب اسمها السمرة، وكنا نجلس عليها نشرب خروب وهي تشرب تمر هندي، ولم أحاول على الإطلاق أن أقول لها اشربي خروب مثلي، ولم تحاول هي أيضا أن تقول لي اشرب تمر هندي مثلي، وقد كانت تعشق النسكافيه وكنت أحب الشكولاته الساخنة، وهذا الاختلاف كان يسعدني، ولم أكن أفرض عليها شيئا وهي أيضا.

العوامة نمرة 2

كنا نتقابل في العوامة التي كانت تذكرني بنجيب محفوظ وقصته الشهيرة «ثرثرة فوق النيل»، كنت أشعر أن هناك ثرثرة جسدين فوق النيل، وكانت العوامة نمرة 2 بعد بيت خالتي، وكتمت الحدوتة تمامًا إلى الأبد وكنت لا أحكي لأحد عن هذه التجربة التي أعتبرها شيئا من خصوصياتي وخبرة حياتية أضيفت لي وأرويها في مذكراتي اليوم؛ لأنني أردت أن أتعرى أمام الناس وأحكي بصدق ماذا جرى بعمري، وأريد أن أكون أمينًا وأقول إن عايدة ليس اسمها الحقيقي، واخترت اسم عايدة لحرف العين فقط فبعض من قابلت أحافظ على أشخاصهم؛ لأني لا أعلم هو على قيد الحياة أم لا، وثقافة عايدة كانت تسمى الفنون التطريزية لكنها كانت قارئة وتعشق كتابات يوسف الشاروني، ويوسف إدريس، ويوسف السباعي، وكانت تقول لي يوسف السباعي يجعلني قريبة منك؛ لأنه يشعرني بالعاطفة ويوسف إدريس يحرضني على أن أشتبك معك في أي مناقشة؛ لأنه يعلمني الجدل، أما يوسف الشاروني فأعود معه إلى نفسي وأذكر كل لحظة أقابلك فيها.

لقد ساهم في رسم شخصية عايدة ثلاثة (ي) وعندما كانت تقول لي إن يوسف إدريس علمها الجدل والاشتباك فهي أول من وجهني إلى يوسف إدريس وقراءاته، وعايدة لم تكن تراني مع أحد حتى تغار علي، وبالتالي لا مكان للغيرة هنا، وقد كنت حريصًا عندما رويت قصة الكلية عندما أمسكت

فيها بشعر البنت وقد تجمدت وسكتت وكنا نجلس في نهاية شبرا في كازينو اسمه الشجرة من أشهر كازينوهات مصر، وهرولت مسرعة ودفعت الحساب وخرجت مهرولًا وراءها وسألتها : ما الذي أغضبك ؟ قالت لي : من يمسك شعر بنت لابد أن يصف نفسه وصفا لا يعجبه، فقلت لها : بماذا أصف نفسي بقلة الأدب أم الوقاحة ؟ قالت : إنت أدرى باللي توصف نفسك بيه .

وقد ظلت عايدة في حالة خصام معي أكثر من 10 أيام، ولم أكن أنا البادئ في العودة أنا وضعت النهاية بنفسي، وكنت قد تعلمت درسًا لا أنساه وهو أنني لا أتكلم في سيرة واحدة من النساء أمام الأخرى، وأنه ينبغي علي أن أخفي كل ما له صلة بعالم النساء الأخريات حتى لو كانت علاقة زمالة أو صداقة أو إحدى قريباتي، ينبغي تمامًا أن أصمت ولا أذكرها على الإطلاق في أي شيء، وقد نجحت .

كانت عايدة لا تجيد اللغة إلا أن ملاحظاتها كان فيها ذكاء شديد، فمثلًا هي التي قالت لي «وانت قاعد مع كامل بيه اسمع له أكتر مما تتكلم وحاول تبقى قليل الكلام، حتى يشعر بك».

في ليلة من الليالي كنت قد نويت أن أروي قصتي مع عايدة لكامل بيه.. أردت أن أتوج حميمية العلاقة بيني وبينه، ولكنني لاحظت أنه كان يحكي في الجلسة عن بعض الموجودين قصصًا من حياتهم الخاصة أي إنه أعظم وكالة أنباء للنشر ..في تلك الليلة أعدمت بداخلي فكرة أن أحكي عن نفسي لأحد، من هنا أردت في هذه المذكرات أن أوضح بعض المواقف التي عرفت من خلالها المرأة؛ حيث كان التعامل بيني وبينها متحضرًا، حينما سافرت إلى بورسعيد كنت أبحث عنها في عيون النساء، ولم أعرف حتى الآن هل تزوجت أم لا وكل الذي أعلمه أنها طلقت ومعها طفل وطفلة، وأدركت أن كل إنسان في الدنيا ينام على وجع شخصي داخلي .

تأمـلات

عندما سافرت عايدة إلى بورسعيد دخلت إلى حياتي بنت تدرس العمارة بكلية الهندسة اسمها أشجان، وهذا ليس اسمها الحقيقي، وقد عرفتها وكانت أجمل بنات قسم العمارة، وكنا نبحث عن لحظة يكون لنا فيها معنى وكيان، وكنت أكتب في مجلة شهرية وهي المجتمع العربي وأدرس معًا، وبالتالي لم أكن أصرف النقود المخصصة للأبونيه، وتعرفت عليها عندما جاءت تزور زميلتها سناء وهي إحدى تلميذاتي في المعهد بشارع السد البراني بالسيدة زينب، وقد أعجبتني سناء وكانت تبهرني بذكائها في الدراسة، إلى أن جاء يوم دخلت فيه المحاضرة وفوجئت بأشجان قطعة من القمر وربما ثارت سناء بعصبية شديدة حينما منحت أشجان اهتماما واضحا، وقد بدأت علاقتي بأشجان عندما انتهت علاقتي بالمعهد بكل ظروفه وأتذكر جيدًا من المعهد صبحي أفندي مدرس الكيمياء، والأختين نبيلة وسهى شقيقتين مشاغبتين جدًّا، وكانتا تداعبان صبحي أفندي مدرس الكيمياء لكنني لم أسمح لأحد على الإطلاق بلحظة هزار واحدة .

ومنذ بداية العمر أشعر بشيء أساسي وهو أن الثقة بالذات تولد الاحترام، وأنا أملك الأدوات التي تولد احترام الآخرين لي، وأشعر أن أحد أسباب الثقة بالذات هي تلك التجربة الحياتية التي قضيت فيها عامين مع عايدة؛ حيث أعطتني في هذا العمر معنى الكيان وقيمة احترام الذات والآخرين، أنا الذي لم أقل لأحد إلا حضرتك ولم أقل لبنت إلا حضرتك، وكنت أحيانا لا أستخدم كلمة مدموزيل ولا كلمة يا آنسة، إنما كنت أقول يا أشجان باشا يا عايدة باشا كنت أضع لقب باشا حتى أهرب من كلمة مدموزيل أو آنسة، وطبيعة العلاقة مع أشجان بدأت بدرجة كبيرة من التفاهم الشديد .

الحب الأول

كنا نلتقي في مركب على النيل اسمها أرابيا و نقضي الساعات الطويلة هناك وقد ظلت أشجان قريبة مني جدًّا وكان هذا هو الحب الأول في حياتي بصورة حقيقية ؛ لأنني كنت مكتمل الشعور، ولم أعرف معنى اللوعة والشوق والتمني والغضب واللقاء والفراق والعتاب إلا مع أشجان، كل ما أذكره أن أشجان أشارت إلي في أثناء زيارة طلاب قسم العمارة بكلية الهندسة إلى روزا اليوسف حيث كنت أتردد على الدار عن طريق صديق لي هناك هو عدلي فهيم، وكنت أزوره بصورة عادية وأحببت جدًّا الرسام الجميل الأستاذ جمال كامل حبًّا جمًّا، وجاءت أشجان وسط مجموعة من الأولاد والبنات ووقتها لم يكن لي مكتب فجلست على مكتب أحد الأساتذة وهو الأستاذ سري الدين كأنه مكتبي، وبعدما انتهى المرور سألتني حضرتك محرر، فكذبت وقلت: آه فسألتني هل الصبح تعطي دروسا بالمعهد وبعدها تأتي هنا ؟ فأجبت أنني قد انتهيت من دروس المعهد وكل ما تعلق به لكني هنا تحت التمرين وأنا لست بصحفي وهذا ليس بمكتبي، هذا مكتب سري الدين، وإنني هنا في زيارة وأدعو الله أن يكون لي مكتب مثل هذا المكتب، ويبدو أن أبواب السماء كانت مفتوحة ويبدو أن ما قلته كان سببًا رئيسيًّا في احترامي.. نفحة الصدق الشديدة التي تكلمت بها، ولا أدري لماذا كنت ضعيفًا إلى هذا الحد، وعيناها الخضراوان جعلاني أبوح بلحظة كانت بكل كياني وحياتي، وكيف أنني زائر ومجرد إنسان أحلم وأشتاق كي يكون لي اسم مشهور .

وقد بلغ بي الأمر أنني ركبت الأتوبيس المتجه إلى الجامعة وكنت أجلس بعيدًا على سور الجامعة حتى أراها وهي تخرج من بيتها في شارع خيرت بالسيدة زينب، وكانت تصفف شعرها بطريقة «ديل الحصان »، وكانت كتلة من الأنوثة المتفجرة، ذكية جدًّا، ولها أنامل ذهبية في رسوماتها المعمارية توقعت لها أن تكون مهندسة عمارة من نوع خاص ترسم الفيلات والشاليهات،

وكنت أريد أن أكون شيئًا مهمًا في عيونها، وكان يستفزني قدرتها الخلاقة على الرسم المعماري وتمنيت لو أتيحت لي الفرصة أن أراها داخل المحاضرة، ولكني لم أستطع، ولأول مرة أشعر بالغيرة، وقد كنت أخشى عليها من شباب كلية الآداب المفتول العضلات.

اعترافات ..عاشق

أعتقد أنني كنت في عملية صناعة لنفسي وذاتي وهذا سر زواجي متأخرا في حوالي سن السادسة والثلاثين...لقد أجلت حبي وعواطفي وإن كان هناك حب كبير في حياتي قبل آمال العمدة فهو لهذه الفتاة الجميلة التي علمتني كيف أكتب رسائل لها بحبر قلبي.. وكيف أهتم بنفسي ولا أقابلها إلا بعد غسل أسناني عدة مرات وقبلها لم أكن أهتم بغسيل أسناني، علمتني كيف تكون عندي لغة مهذبة في الحديث. وكيف أكتم بعض غيرتي وإن كنت أعبر عنها بوضوح.. الغنوة اللي اقدر اقول مجرد ما اسمعها افتكر أشجان بشدة هي «تخونوه» لعبد الحليم حافظ، ليه ؟ لأنه ذات يوم كنت أسأل عنها في التليفون الأرضي وردت بنت خالها سمر العطيفي وأخبرتني أن أشجان سوف تتزوج غدا من شخصية كبيرة سعودية، وكنت في مكتب إحسان عبد القدوس وقعت من طولي وأغمى عليا لمدة نصف ساعة لأفيق بعدها.. وقد عشت عذابا لم أعرفه في عمري.. ولابد أن أقول هنا نقطة مهمة جدًا وأنا أروي قصة حياتي أنه في حالة الفشل في الحب لا شيء يخرج الإنسان من هذه الحالة سوى العمل .

صحيح أنني لا أنساها وهي على بالي باستمرار في أي عمل ناجح تداعب خيالي، وكذلك في أي فشل تأتي على بالي ..لقد سكنت داخلي واحتلت قلبي وكياني و كنت باستمرار في حالة شوق إليها ولتسريحة شعرها ديل الحصان..

كنت أشعر أنها أول ضربة واقعية في العمر، أول سطر في سيناريو عذابي والواقع يقول إنها ليست من دينك، وإنها من المفروض أن تتزوج، وعليك أن

تضحي وأن تفرح لها وأن تبتسم... كنت أردد ذلك حتى أقف نفسيا على أرض ثابتة ولعل انطلاقي فيما بعد وإيماني بعملي كان نابعا من أنها شاورت عليا وأنا نكرة ليس لي اسم، وليس لي رنين ولا شيء على الإطلاق، كانت تحترم نظرات عيوني وتسميها نظرات مهذبة .. وكانت دائمًا تقول إن نظرة الرجل للمرأة نوعان اثنان..إما نظرات مهذبة تجلس معك، وإما نظرات مقتحمة تعريك من ملابسك .. وكانت دائمًا تقول إن الرجال نوعان اثنان واحد يحمل رقيًا في مد جسر، والثاني مقتحم ويكاد يكون مغتصبا..

كل هذا جعل لي مكانة عندها ولأنها كانت جميلة جدًا فإنني لم أقل كلمة واحدة عن جمالها ولم أغازلها على الإطلاق، ولعلها قالت لي في أحد خطاباتها القصيرة أنت أول رجل لا يحدثني عن جسدي بل ينظر لى من أعلى، من رأسي، وأول رجل يشعرني بمعنى الإصغاء، ويسمع كلامي ويرد عليه، و أشعر بنفسي معه، وأول رجل أشعر وأنا أكلمه أني أجلس مع إنسان عندي ثقة فيه وأمان، ومرت الأيام، وسافرت مرة إلى معرض دمشق الدولي ووجدت أشجان تتجول ومشيت وراءها بتاكسي ولم تكن معي أجرة التاكسي لكني رأيتها عندما دخلت إحدى الڤيلات .. ومضيت حزينا .

الذكاء الاجتماعي

كل هذه الصفات والشخصيات تدلل على أني كنت جادًا في عملي وحريصًا على أن أقدم أفضل ما لدي وكنت أيضا أستثمر ذكائي الشخصي والاجتماعي، وأقف عند كلمة الذكاء الاجتماعي؛ لأن معدومي الذكاء الاجتماعي دائمًا يفشلون .

كنت أرى مثلًا أن عبد الحليم حافظ يتمتع بقدر هائل من الذكاء الاجتماعي.. بينما محرم فؤاد صاحب صوت قوي ولا يتمتع بالذكاء الاجتماعي، وأن علي رضا أحد فرسان النجاح زوج السيدة فريدة فهمي كنت أراه يملك ذكاء اجتماعيًا بينما محمود رضا لا يملكه.

أما أبو الذكاء الاجتماعي في مصر فهو محمد عبد الوهاب، فقد كان يتصل ببعض الكتاب يهنئهم على مقالاتهم إذا أعجبته، وتعلمت في فجر العمر أن الذكاء الاجتماعي هو تلك اللمسة التي تخلو من النفاق.. أما كيف وصلت لهذا المعنى فذلك لأنه شيء من التكوين، والإنسان الذكي الاجتماعي هو الذي لديه طريقة راقية للوصول ومد الجسور مع الآخرين.

أما الشيء الذي ينبغي أن أهتم به جدًّا بجانب ذلك فكان القراءة.. وكان عندي مخزون من المعلومات سببه أنني كنت أقرأ ثلاثة أو أربعة كتب في الأسبوع بالتبادل وأضع ورقة لأعرف أين وقفت في كتاب يوم السبت والأحد، وهكذا بقية أيام الأسبوع وكنت حريصًا على التنوع حتى لا أشعر بالملل، وأعترف أن أول كتاب قرأت فيه كان 11 صفحة على مدار شهر، وكان من الصعب جدًّا أن أكمله، وأدركت في نهاية الأمر أنها عادة .. تماما مثل العادات اليومية للإنسان الذي يصحو ويأخذ حمامه الصباحي ويشرب فنجان قهوته ثم يرتدي ملابسه ويتوكل على الله ومن هنا قررت أن أقرأ 11 صفحة وأتوقف، والكتاب الثاني أقرأ 20 صفحة وهكذا إلى نهاية الشهر يكون عندي مخزون من المعرفة.

آمال العمدة

بدأ التعارف بيننا في الأقصر، واتفقنا على أن أراها عند عمتي في مصر الجديدة وقد تكررت زياراتي لبيت عمتي، وجذبني في آمال نطقها للغة وجذبتني حواراتها وذكاؤها اللماح وعيناها .. عندما ذهبت لعمتي قلت لها خبطي على جارتكم تيجي تقعد معانا شوية.. قالت لي طيب كانت الساعة السابعة مساء، وذهبت عمتي وطرقت باب الجارة وقالت لها ابن اخويا هنا يا آمال ..ولم تقل الأستاذ، وجاءت آمال ومعها أخوها شريف وجلسنا جميعا ..نتكلم قلت لأخيها.. أهلًا يا شريف ..أصل أنا شفت .. قالي آه ما هي حكت لنا.. قلت لها تصوري يا عمتي إن أنا ما عرفتش آمال لما شفتها بتجري على السلم، وافتكرتها إيطالية قالت لي لا هو فيه زي آمال.

جلسنا نتكلم من الساعة السابعة إلى العاشرة، ثم نزل شريف وبعدها قالت لي بجرأة نادرة إيه رأيك نكمل السهرة عندنا ؟ قلت لها إيه رأيك يا عمتي قالت لي اسهر وانهي سهرتك، وتعالى هنا نام.. قمت أنا الساعة العاشرة إلا ربع، وذهبت أقابل حماتي لأول مرة وهي ليست حماة، بل هي إحدى القليلات النادرات بين سيدات مصر التي تملك عقلًا متسعًا ومحيطًا ولا تنام إلا ومعها راديو تحت دماغها وتعرف منه أنباء العالم وتجيد جيدًا اللغة الفرنسية، ولديها صداقات من أهمهم أم رامي لكح، وأم نجيب ساويرس، وهذه الشخصيات كلها تعرفها آمال .. بينما زوجها توفيق العمدة كان ترتيبه الرابع في نقابة المهندسين وكان مفتش ري قنا، ومن الشخصيات المهمة في هندسة الري.

آمال لها أخ اسمه كمال يعيش في كندا، وصبري كان يدرس الآداب الألمانية وكان متزوجا ثم مات، وشريف الآن طبيب ناجح للغاية ومتزوج من منى، عنده بنت وولد، بنته تزوجت من شاب مصري من أصول كندية وله نجاح هائل ساحق في مجال علم النفس وعلاجه للأمراض.. تكلمنا مع طنط كما كنت أسميها ولكن المناقشة انتهت الساعة الثانية صباحًا .. بعدها توجهت إلى عمتي وطرقت الباب، وفتح عزيز ابن عمتي وقال ..أكلك هنا أهو قلت له لا أنا أكلت قال طيب سريرك أهو، ونمت لكن كانت عيناي مفتوحتين ولم أذق طعم النوم ..هل هذا هو الحب ؟، أو أن هذه المعرفة كان لها مجال مهم؛ لأنه فيها خطاب عقلي .

استمرت الرؤيا خارج بيت عمتي وبيتها، وكنا نذهب لمركب على النيل وفهمت منها أنها تركت السياحة؛ لأنها تعبت منها وكان المفروض أنها تريد أن تنتقل إلى أسرة ثانية في الكلية ولكن عميد الكلية لم يكن يسمح بذلك .. فذهبت لأقابل العميد وقلت له: إنها صديقة لي على وشك الخطبة قال لي: يعني خطيبتك قلت له: لا مش خطيبتي بس فيه تفكير جدي نحوها، وهي تريد أن تنضم إلى أسرة كذا، بدلا من أسرة فلان قال لي طب إيه رأيك إن أنا مش

ح انقلها إلا لما تخطبها قلت له: يا دكتور اخطبها ازاي أنا إمكانياتي لا تسمح وأتقاضى مبلغًا صغيرًا من مجلة روزا اليوسف، قال لي طيب يا سيدي انده لها، وجاءت فعلا وصافحتني، و قال لها احنا ح نسمع قريبا أخبار سعيدة، أومأت برأسها خجلًا فقال لها: أنا موافق على النقل لأسرة الدكتور فلان قولي للدكتور فلان إن العميد موافق، وصار العميد صديقًا إلى أقصى درجة حتى ثورة يناير، حينما دعاني لحضور اجتماع الحوار الوطني الدكتور عبد العزيز حجازي الذي كان عميدا لكلية التجارة جامعة عين شمس، ثم صار وزيرا للمالية ثم رئيسا لوزراء مصر ثم جاءت به الثورة إلى لجنة الحوار الوطني وكل هذه الفترة الطويلة لم يذهب من رأسي وظللت صديقًا حميمًا له وفي كل المناسبات كنت أذهب إليه، وأسجل معه بعض البرامج، و ذات يوم كان عندي حلقة في التليفزيون أستضيف فيها تحية كاريوكا والمفروض أني أقابل آمال بعد البرنامج .

كشكول الحب

وعندما انتهت الحلقة ذهبت لأقابلها في المركب، وجلست أتكلم معها ثم حدثت مفاجأة أنها قالت لي إنها سوف تمر على روزا اليوسف وتترك لي كتابًا تحب أن أقرأه، وذهبت في الساعة الثامنة إلى روزا اليوسف فقالوا لي: لك هنا كتاب أحضرته آنسة حتى تقرأه، وفتحت الظرف كي أرى اسم الكتاب وأنا لا أزال في الاستقبال والمدخل الرئيسي للدار ووجدته كشكولًا ففتحته، وأول الكشكول قرأت العزيز مفيد هذه تعليقات أكتبها لك على مقالاتك التي نشرتها وعددها 16 موضوعًا في مجلة صباح الخير بعنوان سافرنا أوروبا 186 ورقة هذه ليست آراء بل إنها أطول رسالة غرام، ليس بها كلمة حب واحدة لكنها تشهد بكل الحب وتساءلت متى كتبتها وكنت مذهولا.. يا ربٌ كيف يحدث ذلك ؟

أعتقد أن هذه الرسالة كانت عربون المحبة والحب للزواج ذهبت أصطادها فصادتني هي، ورجعت البيت وأمسكت بالرسالة التي قرأت كل كلماتها من الثانية عشرة مساء وانتهيت منها في الخامسة صباحا..

جاء في تعليقاتها كيف عرفت أن المجتمع الألماني راق وانت مش واخد بالك ان مصر مافيهاش حضارة، لكن فيها إيد بتشتغل وتنظف لكن المصري عنده حضارة في إنه ينظف، اذهب إلى القرى المصرية لترى الناس كيف تنظف أمام بيتها .. اذهب للبيوت المصرية البسيطة في الأحياء الشعبية لترى الناس ترش المياه أمام بيوتها، وإذا كان فيه مصطبة تضع سجادة وغطاء للجلوس عليها..وكتبت آمال تقول في إحدى مقالاتك قلت إن الطفل الألماني خدوده أهم وأبرز ما فيه، وتتضح فيه الصحة،ما هو طبعًا المجتمع الذي يخلو من الآفات يكون فيه الجو نظيفا.. الصحة للأطفال في الحدائق، أما الطفل المصري فأين يذهب بعدما اختفت الحدائق ولم تعد موجودة وحتى الفصول ضيقة والفناء في المدرسة لم يعد موجودا بعدما ازدحم بالفصول، وتساءلت لماذا تستغرب ..اعمل إحصاء؛ لترى لدينا كم دكتور في مصر بالنسبة لعدد السكان سوف تجد أن كل ألف أو عشرة آلاف فيهم طبيب واحد.

لقد ملكتني هذه الفتاة ..وصرت مغرما بها من رأسي إلى قلبي ..كنت مدركا إدراكا عميقا جدًا بأن الوصول إلى عقل الرجل هو أسهل طريق إلى قلبه وليست المعدة، اكتشفت أن العقل هو الجسر الذي يبني شيئًا من الكيان يقربني منها أما (المعدة أفضل طريق لقلب الرجل) فهذا تفكير الجهاز الهضمي.

وعقدت مقارنة في رأسي بينها وبين أشجان التي أحببتها بعمق .. واكتشفت أنني لم أقابل أحدا بهذا المعنى، وفي حبي لأشجان كان الأمر مقتصرا فقط على شخصيتي لم يكن لي وجهة نظر ولا رأي .. بل أنا الذي كنت مبهورا بلوحاتها بينما لم يكلمني أحد عن كلمة كتبتها، فإذا كان لي قراء قبل ذلك في أي مكان فأكيد أن القراء كانوا مدركين أنني أملك أن يكون لي حساسية أو شيء من العفوية في رأسي.

وتساءلت عن الفتاة التي جلست تكتب 186 ورقة، ما هو سبب الرغبة الشديدة في الاهتمام بي، شعرت أني سقطت في بحر اهتمام غير عادي لا أحد يكتب كل هذه الصفحات ليعبر عن رأيه لكاتب، وأنا لو عشت طول العمر لن تأتي لي خطابات بهذه القدرة، وهذا الكم من الاهتمام وصلت لي دون أن أدري رسالة اهتمام شديدة بشخصي من غير أن تقول كلمة حب واحدة بل إن كل كلمة فيها تشهد بالحب، وتشدو به.

كانت تقول أرجو يا مفيد أن تسمح لي ببعض التجاوز فأنت قد بهرت وليس من المفروض أن تبهرك الحياة إلا لأنك أول مرة تسافر، هذه صدمة السفر.. الله حاجة غريبة جدًّا.. ولقد ملأتني آمال من رأسي وتسلل هذا الإحساس إلى قلبي، وما كان إلا أن ذهبت إلى أمي وأبي وقلت لهم القصة، وطلبت من آمال أن تحدد لي موعدًا لزيارة أبي وأمي، وقد ذهب الاثنان معي لخطبة آمال .

زفاف على المسرح

كنت قد قررت أنا وآمال أن نكتب كرت الفرح بأنفسنا.. مفيد فوزي وآمال العمدة يدعوان حضراتكم لحضور حفل خطبة أو زفاف، وتمت الخطبة، وكنا نرى بعضنا من حين لآخر، وهذا ما يجعل عمتي تبكي عندما تقول إن مفيد عرف آمال من عندنا بعد كده نسينا، لأني كنت آتي من الخارج مباشرة على آمال في بيتها وأسهر للساعة الواحدة صباحا، وأركب تاكسي لأذهب إلى بيتنا في الروضة حتى قررنا أن نتزوج.

أنا الذي اخترت يوم الزواج 5/1 / 1968 لأنه كان يوافق عيد العمال رمز الكفاح والعمل والضنا يعني أنا كنت أقول لها إن مرتبي 18 جنيهًا وعشرين قرشًا، لما اتعينت في صباح الخير لكن هي التي أتت بدبلة الجواز وهي التي دفعت 300 جنيه خلو رجل الشقة، ولم أدفع شيئًا بل العكس الحاجة الوحيدة اللي دخلت بيها في الشقة كانت سجادة بـ 55 جنيهًا أدفع 5 جنيه كل شهر

للراجل بتاع السجاد، وفي مرة لم يكن عندي 5 جنيهات وخرج يصرخ قلت له لا ترفع صوتك .. خذ كل اللي معانا 4 جنيه و 80 قرش وقد دفعت هي مبلغ الخمسة جنيهات، وقالت لي خلاص خلي الباقي ده تصرف منه، عشنا أيام الفقر المدقع واحنا متجوزين .. وقد حضر الفرح حسين كمال ونادية لطفي وسعاد حسني ويوسف إدريس ومجدي العمروسي، ولم يغن عبد الحليم، وأذكر أنه كانت هناك مسرحية تعمل بها نادية لطفي وكان مخرجها حسين كمال فذهبنا إلى المسرح بملابس العرس، وعملوا لنا زفة على المسرح والناس تصفق ونادية لطفي غنت بصوتها ومدبولي حضر هذا كله مع حسين كمال وتزوجنا، وسافرنا إلى كنج مريوط بجوار الإسكندرية وقد حجز لنا أحد أصدقائها؛ لأنها كانت تعمل في شركة سياحية وعشنا في كنج مريوط أسبوعين من شهر العسل على حسب قدراتي في ذلك الوقت ولكني بعدها طوفت بها العالم كله حتى في أيام المرض .

وعشنا في شقة الدقي وكانت قدم السعد علينا، ورأينا انتعاشات بسيطة وأصبحت الدنيا تزهر لنا وأجزم أنها هي التي ساعدتني كثيرا في الإنفاق على البيت وكنت أيضا أتقاضى نقودا من أمي إلى أن سافرت الدوحة، وعرضت البرنامج وذلك في السنة الأولى من الزواج وبدأت الدنيا تزهر أكثر، ثم صارت آمال حاملا في خلال سبعة أو ثمانية أشهر، وكانت أول مولودة لنا حنان وكانت قدم السعد في حياتي كلها .. في عملي تدفقت وتعددت أسفاري، وبدأت رحلة العمر مع آمال ولابد من التوقف هنا عند خبرة في رحلة العمر مع آمال، وهي أن الغيرة حطمت أعصاب آمال خاصة من اللواتي تمنحهم أذنيها من الصديقات اللائي يهمسن في الأذن وهذه خطورة .

كانت آمال لا تعمل وقد سألتني مرة انت متصورني إيه ؟ فيما بعد قلت لها أتخيلك سكرتيرة لأحد الشخصيات المهمة تديرين له أموره فغضبت وثارت بشدة واعتبرت هذا أقصى إهانة لها وقالت لي أنا عمري ما أكون

سكرتيرة، انت الراجل اللي قابلته في حياتي وأخدمه، أنا طلبوا مني كتير ولي قريب يعمل في شركة الخطوط الفرنسية أنا بكرة ممكن أطير وأكون مضيفة .. بلغتي وملابسي و شكلي لكنني رفضت لأنني خلقت لكي أخدم رجلًا واحدًا أحبه، وليس لمجموعة ركاب لا أعرف من هم، اعتذرت لها طبعًا ولم يكن عندي في ذهني تفكير في رغبتها في العمل لكني أدركت أن آمال عندها قدرة شديدة جدًّا على أن تكتب، وقد بدأت آمال تكتب فعلا في مجلة للشباب، التي كان يرأس تحريرها الأستاذ ماهر سامي الذي هو الآن نائب رئيس المحكمة الدستورية العليا، وكان من كتاب هذه المجلة الأستاذ سيد حجاب الشاعر المعروف، وكان ذلك في وجود السيد عبد الحميد حسن وزير الشباب، وكان وزير الإعلام هو الأستاذ كمال أبو المجد الذي اكتشف في آمال الصوت الجيد وروح الكتابة والمحاورة، وقد طلب كمال أبو المجد أن تأتي آمال العمدة وتعين في إذاعة الشباب وذهبت آمال بسعادة بالغة جدًّا لكي تكون مذيعة الشباب وانتقلت آمال من إذاعة الشباب إلى إذاعة الشرق الأوسط، وكانت تقدم برنامجًا شهيرًا جدًّا اسمه «ساعة زمان مع».

حنان ..وآمال والإبداع

وقد حصلت آمال العمدة على جائزة أفضل حوار ضمن ثلاثة هم نجوى أبو النجا صوت العرب، ونادية صالح البرنامج العام، آمال العمدة الشرق الأوسط، وكان في البيت مذيعة في حين كنت أعمل بالإذاعة أحيانا، وكانت آمال في هذه اللحظة قد بدأت الغيرة في حياتها تتراجع قليلًا مما يؤكد لي أن المرأة حين تعمل تتجه بكل كيانها لنجاح ذاتها بالمجتمع، كان نجاحي وشهرة اسمي في مصر يرتبط بشعور بأنني أكتب لآمال برامجها، وكانت دائمًا ترد بأنها تذهب بلا أوراق بعد أن تدرس الشخصية وتقرأ عنه ولم يكن من المعقول أن أدخل داخل فمها قبل أن تنطق بالأسئلة، ولعل هذا هو السبب في أن حنان مفيد

فوزي أدركت في فجر العمر أنها لا تريد أن يكون هناك أي تشابه في أسلوب كتابتها وأسلوبي، أو أي شيء لي .. فحنان كتبت شعرًا وأنا لم أكتب في حياتي بيت شعر واحدًا، وحنان استطاعت أن تكتب كتابات ساخرة وأنا جاد، وحنان التحقت بمجلة نصف الدنيا وهي مجلة نسائية أساسًا وأنا لم أذهب في حياتي لمجلة نسائية.. إذن حنان نبتة خاصة مستقلة بشحمها ولحمها وتعبر عن كيانها وحده، وأيضا استطاعت حنان في فترة وجيزة ربنا يحفظها أن تفرض نفسها على الشاشات وتكون محدثة جيدة، وتجري حوارات في قناة مودرن على مدى أسابيع طويلة مع زميلها محمد عبد الله رئيس التحرير التنفيذي لمجلة الشباب، وتعمل برامج جيدة جدًّا مع شخصيات وحولت البيت الذي كنا نعيش فيه إلى بلاتوه تجري فيه حواراتها.

تلك كانت الأيام التي جرت فيها حياتي وأستطيع القول بأن حياتنا أنا وآمال مرت بين خلافات واتفاقات وصعود وهبوط، إنما أشهد أن البيت كان مزارًا كبيرًا لمجموعة من النجوم.. لم أعرف الخيانة؛ لأنها في رأيي لم تكن خيانة جسد بل خيانة ذهن، ولم يحدث لي أنني خرجت خارج سياق آمال إلا عندما أصبحت أنا بالنسبة لها محل الشك الدائم .

إن آمال كانت رفيقة كفاح و نجاح ومشروعًا كبيرًا لي هو كيف أكون أنا ذلك الاسم الذي دخل إلى الناس في مصر وهي أيضا استطاعت أن تكسب اسمها خصوصًا في الأيام الرمضانية بمعنى أن آمال كان الناس ينتظرونها في كل رمضان؛ لأنها كانت مهتمة جدًّا بأن تعثر على فكرة نادرة . ولم أر في حياتي شكلًا من أشكال الدقة كما رأيت في آمال، كانت تذهب لمقابلة يوسف إدريس لتسجل معه برنامجًا لمدة 45 دقيقة والمطلوب أفضل 5 دقائق و 20 ثانية ولذلك كانت آمال تقضي ثلاث ساعات أقول لها عملتي كام حلقة يا آمال ؟ تقول لي واحدة أقول لها بتاعة بكرة تقولي آه يا خبر والباقي ! .. نسمع الحلقة ونعمل ديكو باج بلغة السينما أي تقطع الحلقة في ورقة، وهي التي تجري المونتاج بنفسها .

على باب النجاح

"كان لأحمد بهاء الدين دور مهم جدًا في حياتي ولا أستطيع أن أنكر أنه – تقريبًا – هو من أعطاني كل هذا الكيان والفهم، وعلمني كيف أفكر»

حسن فؤاد مهندس حياتي

اصطحبني عدلي فهيم وجلست مع حسن فؤاد، تكلمنا معًا في كل شيء إلا الصحافة، ولاحظت أنه كان يراقب طريقتي في الكلام، ويستمتع بطريقة إخراج الكلمات من لساني، ويرصد لمعان عيني كما قال لي فيما بعد .

قال لي : أنت تستمع كثيرًا للإذاعة؟

فأجبته : نعم .

فقال لي: بتسمع مين ؟

قلت له : العقاد وطه حسين وبنت الشاطئ وزكي نجيب محمود .

قال لي : ما علاقتك بهؤلاء؟

قلت له: أنا مضطر اسمعهم في بيتنا.

قال لي : ولماذا تكون مضطرًّا؟

قلت له : إن أبي دقة قديمة، ولا يطيق أن أسمع أغاني، بل محطة هنا القاهرة وحديث السهرة للأستاذ الدكتور طه حسين أو للأستاذة الدكتورة سهير القلماوي، ويبدو أنني من فرط سماعي لهؤلاء أصبحت لي لكنة خاصة تعبر عن أسلوبي في الحياة، وأذكر عندما رأيت محمد عبد الوهاب فيما بعد قال لي انت عندك ميزة، أنك تسقي الحروف إحساسًا يعني أنني كنت أتابع أحد المذيعين وهو يقول «حضرتك يا فندم» وكان يبلع الحروف ولكن أنا من عاداتي أن أنطق الجملة واضحة، وأضغط على الكلمة الأخيرة، وهذا ما يمنحني الصبغة الصحفية والإنسانية عند الناس، خاصة أنني متشدد في

نطق الكلمات، وهو شكل من أشكال المبالغة سواء في الكاريكاتير الإذاعي أو التليفزيوني الذي كان يتناول طريقتي في الأداء.

لمحت في قهوة ريتش في ميدان سليمان باشا شخصيات كنت أراها لأول مرة منهم نجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار، وأعتز أن أول صالون أدبي في حياتي عشته كان يسمى سيمينار، وهو ما تعرفت فيه على سلامة موسى، وتعلمت منه أن الجملة القصيرة التي بدون إطناب وتنبيهات هي جملة مهمة مكثفة، وهذا الذي صنع في حياتي فيما بعد اعتزازي بالجملة القصيرة والتي اكتشفها فيما بعد صلاح چاهين وأسند إليّ باب «سماعي»، ومازلت أكتبه حتى الآن، حسن فؤاد قال لعادلي فهيم هات بعض المقالات اللي كتبها مفيد في المجتمع العربي في ريتش، وبعدها مشينا وكان يسكن في شارع القصر العيني بالقرب من روزا اليوسف.

عدلي فهيم وأنا

كان حسن فؤاد يرى أن موهبة عدلي فهيم ليست كبيرة، لكنه إنسان جميل وبالتالي تغفر له موهبته القليلة نظرا لإنسانيته العالية ..أحببت في عدلي فهيم إنسانيته وقد أخبرني بأن حسن فؤاد سوف يقدمني لأحمد بهاء الدين ..لم أنم ليلتها أحمد بهاء الدين 28 سنة رئيس تحرير وكانت مجلة صباح الخير قد صدر منها ثلاثة أعداد، وتقابلنا أنا وحسن فؤاد على باب روزا اليوسف، وأول وجه قابلته كان عم حسن رئيس المطبعة، وجه بشوش حنون يقابل كل شخص جديد بأمل ويطبطب على ظهره، ويقول له ربنا يوفقك وأنا أتفاءل بهذه الكلمة وشعرت وقتها أن عم حسن سيكون التميمة بتاعتي، ودخلت مكتب أحمد بهاء الدين، وكان في نهاية الطرقة بجوار البوفيه الذي لعب دورا في حياتي ؛ لأني كنت أقيم في روز اليوسف وأتعرض أحيانا لبعض التفاصيل الحرجة منها مثلًا ، أنه كان هناك صحفي معروف اسمه الأستاذ سري الدين، وعندما دخلت من الباب لم أغلقه كاملا خلفي وعادة الناس الذين لهم باع قبلي في الصحافة يعاملون أمثالي بشيء من عدم التقدير،

فقال لي انت قرأت اليافطة اللي على الباب؟ نظرت إليها وكان مكتوبا عليها عبارة «أغلق الباب خلفك من فضلك» قلت له أنا آسف .. غلطت، وأغلقت الباب فلم يرد، ودخلت لمكتب الأستاذ حسن فؤاد و كان يجلس فيه مع المفكر الكبير كامل زهيري والشاعر الكبير صلاح عبد الصبور، والشاعر الكبير أحمد عبد المعطي حجازي، والقصاص محمد صدقي أما المحررون فلم أر سوى لويس جريس، ومصطفى محمود .

أول مرة

دخلت عند أحمد بهاء الدين وظللت واقفا بينما حسن فؤاد كان جالسا وفيما بعد عندما قابلته في الكويت حكيت له القصة، فقال لي : أنا انبسطت إنك وقفت ولم تعط لنفسك حق الجلوس فقلت له: أنا احترمت أني دخلت مكتب رئيس التحرير أحمد بهاء الدين .

كنت أستغل الذكاء الاجتماعي، وكان السويتش به عاملة اسمها ريتا فكنت أقول لها ممكن أكلم الأستاذ أحمد بهاء الدين عبد العال، وكان من يقول أحمد بهاء الدين عبدالعال، يعني أنه زميله في النيابة الإدارية، مثل عبد الرحمن الشرقاوي و فتحي غانم فهم كانوا زملاءه في النيابة الإدارية يقول لي: آلوه. فأقول له : أستاذ بهاء أنا مفيد فوزي أنا عندي موضوع كذا وكذا.. توصلني ضحكته في التليفون، فيقول لي نفذ فأنفذ، لما دخلت وقفت وقال لي اقعد حرصت طول عمري في حضرة بعض الناس الذين سأتعامل معهم في الصحافة أو في الحياة العامة أن أذني تكون أكثر حرصًا من لساني، وهذه خبرة حياتية تعلمتها، وأن لساني عندما يتقدمني لا يأتيني بما أريد، ولكن عندما تتقدمني أذني غالبًا أسمع ما أريد.

فقال لي : ما اقتراحاتك فقلت له أستأذنك في الأستاذ جمال كامل لنذهب في سهرة مع التلامذة، وقال لي غيره، فقلت له أنا أقدر أروح لشخصية من الشخصيات سيدة محجبة منعت الرجال من تقبيلها وقال لي: غيره،

أستأذنك آخذ الرسام واعمل حاجة اسمها عالم السيرك على فكرة يا أستاذ بهاء في عيد مريم العذراء قال لي : آه فاهم قلت له : سيكون في بني سويف، أنا ممكن أروح مع الأستاذة تماضر حرم الأستاذ هبة عنايت الرسام قال لي: أنت مقسمهم؟ قلت له دي محاولات يا خابت يا أصابت.. لكني سأحاول أن أقنعهم، نظر إلى حسن فؤاد الذي قال له : على الله، كان يحضر الاجتماع فارس جميل طويل اسمر هو سكرتير تحرير روزا اليوسف فيما بعد، قال الولد ده حينفذ لأنه يتحدث بثقة، وفعلًا ذهبت للأستاذ جمال كامل .

قال لي: عندي اقتراح.. إيه رأيك تعمل سهرة مع أم كلثوم ؟

قلت له: أين؟

قال لي: في قهوة أم كلثوم .

قلت له: سأحضر لك اليوم إذن .

وذهبت إلى شارع عرابي وقابلت صاحب المقهى وقال لي : أنا موافق يقعد يرسم في الدور الأول، ويطلع على الدور الثاني، لكن الدور الثالث لا، لأنه ليس به طاولة ولا دومينو ولا كوتشينة، انتهزت الفرصة وشربت شاي بتعريفة، وجمعت كل المعلومات واللوحات عن قهوة أم كلثوم وبعض الصور، والتوقيعات وبعض الإهداءات والإمضاءات الشهيرة وتاريخ القهوة والتسجيلات ..كل هذه المعلومات، وبالمناسبة السيدة بطلة موضوع «عندما منعت الرجال من تقبيلي» كانت هي السيدة زينب الغزالي، وعرفت تليفونها عن طريق الصديقة مديحة عزت اللي طول عمرها منذ رأتني أول مرة وكانت سكرتيرة إحسان عبد القدوس، وحتى الآن أنا اسمي الواد مفيد راح .. الواد مفيد جه .

روزا اليوسف

عندما تقول مديحة عزت كلمة ولد فهذا دليل على احترام موهبته، وتقديرًا لشخصه ولو قالت لي يا مفيد تبقى زعلانة مني، وأخذت التليفون

والعنوان في الحلمية، وقابلت السيدة زينب الغزالي ومعي الأوراق والقلم لم يكن معي جهاز للتسجيل وكتبت عنوان الموضوع «عندما منعت الرجال من تقبيلي» وكان يحكي عن علاقتها بالرجال والإسلام الوسطي وعدم التشدد وكيف أنها كامرأة داعية لها قيمة ووزن في المجتمع، تسلم على الرجال بيدها دون قفازات ودون قبلات تقليدية في ذلك الزمن، لم يكن هناك حجاب بل كان هناك إسلام وسطي وجميل، وكان أول موضوع ينشر لي في صباح الخير وذهب جمال كامل لعمل الرسوم وعدت لكتابة الموضوع عندي وذهبت للرسام زهدي وقلت له يا أستاذ زهدي عندك مانع نروح السيرك؟ وبذكاء شديد ذهبت قبلها للسيدة محاسن الحلو، وقلت لها : أنا صحفي اسمي مفيد فوزي وعندي موضوع اسمه عالم السيرك قالت لي بس الرسام معه كاميرات أو أي حاجة ؟ قلت لها : لا..معه ورق و يرسم قالت لي : يقعد فين قلت لها : حضرتك ح تختاري المكان، هو قاللي اتركني اجلس مع الجمهور كي أعرف علاقة الجمهور بالحيوانات، وأشوف البلياتشو لما يطلع وأشوف الدنيا شكلها إيه وأخذت المعلومات والرسام زهدي رسم وأنا كتبت، وأخذت منه الرسوم واحتفظت بها عندي وبعد كده قلت للأستاذة تماضر الرسامة ممكن نسافر بني سويف فسافرنا الساعة 6 صباحًا ووصلنا حتى الجسر، وأخذنا مركبًا لتوصلنا إلى الجهة الثانية، ووصلنا إلى مولد العدرا، شيء غريب أن الناس بتشوف واحدة ست معاها فلوسكابات كبيرة وترسم وأنا أجمع المعلومات، وذهبت وقابلت أبونا وقلت له أنا مفيد فوزي صحفي وبعمل موضوع وعايز اعرف قصة هذا المكان، ولماذا هو مزار محبوب إلى هذا الحد؟ وحكى لي أبونا كل التفاصيل ورسمت شيئًا خطيرًا جدًا وكتبت ليلا، وبالتالي لم يكن لدي وقت للمذاكرة، في اليوم الرابع تقريبًا يوم الأربعاء استيقظت في الساعة السادسة، وركبت الترام رقم 30 ومعي ملف به جميع الموضوعات ووصلت الساعة السابعة والربع ودخلت عند عم حسن في المطبعة ووجدته يتثاءب قال لي تشرب شاي قلت له أشرب ..

قال لي : أنت جاي تقابل مين ؟

قلت له : الأستاذ بهاء .

قال لي : يا واد يا شاطر أنت عرفت منين انه بييجي الساعة سبعة ونص مكتبه ؟

قلت له : عرفت، قاللي انت جاي تقابله عشان محدش يمنعك قال لي ده السكرتارية بتيجي الساعة 10 ولسه باشرب أول رشفة، وقال لي أستاذ بهاء طالع على السلم ودخل مكتبه فطرقت الباب فقال مين ؟ دخلت ..

و قلت له : صباح الخير.

قال : صباح النور انت مين ؟

قلت له : أنا مفيد فوزي .

قال لي : آه اللي جابك حسن أبو علي، قلت له أيوه يا فندم اللي جابني الأستاذ حسن فؤاد قال خير قلت له أنا جايب الشغل ..

قال لي: أي شغل؟ قلت له: لما اقترحت على حضرتك في التليفون، قال لي: آه لما قلت عايز اكلم أستاذ أحمد بهاء الدين عبد العال، قلت له؟ أيوه يا فندم، والاقتراح كان في وجود الأستاذ حسن قال اقعد وريني وقال مفيش بوفيه أطلب لك شيء ؟

في وقتها ملأ الأكسجين جسمي، وبعدما كنت جالسا على طرف الكرسي جلست على الكرسي نفسه، كل ما فعلته أنني لم أستطع أن أضع رجلا فوق رجل أمام أحمد بهاء الدين أو فتحي غانم أو إحسان عبد القدوس أو أي أحد من هؤلاء، وسلمته الموضوعات وقال لي: حظلك كويس، قال لي إيه البرواز ده ؟ قلت له عن السيرك يا فندم أنا جبت معلومات هل في تأمين على من يعملون بالسيرك ؟وعن أشهر سيرك في العالم، و أصل كلمة السيرك .

وسألني : من أين أتيت بالمعلومات؟ قلت له: ذهبت إلى دار الكتب قال لي: اللي في باب الخلق؟ قلت له: آه قال: غريبة، ومكتفتش ليه بالموضوع قلت له: حبيت يكون فيه تغطية بالكامل. قال لي: وإيه براويز اللي جنب أم كلثوم، قلت له: حبيت أقول الراجل ده كام سنة والقهوة كام سنة والمشروبات تطور شرائها ازاي، وقال لي: والعدرا، قلت له: حبيت اعرف أول قس اشتغل وعمل القداس وعمر المكان أد إيه ؟. والكنيسة تاريخها إيه فسألني: وليه البراويز؟ قلت له: لأنها بتخدم الموضوع. ابتسم، فالأكسجين زاد عندي. قال لي: إيه؟ قلت له: خلاص أنا سلمته لحضرتك وخلاص قال لي ح تعمل إيه جديد قلت له في خبر مهم عن طبيب عيون تبرع للجامعة بمكتبته قال لي اعمله لكن ح تجيب صور، قلت له: طبعا وأحصل على معلومات من الجامعة. وبعدين رجعت طلعت صباح الخير الأسبوع اللي بعده لا يوجد شيء .

آلو ريتا أكلم أستاذ أحمد بهاء الدين .. قال لي: ألوه، قلت له: أنا مفيد فوزي، قال لي: فين الموضوعات؟ قلت له: أنا سلمتها لحضرتك، قال لي: أنا سلمتها مش عارف لمين مش فاكر. قلت له : أنا عارف مكانها، وكل اللي عملته أنني فتحت درج مكتب الأستاذ صدقي وسلمته عند الأستاذ أحمد بهاء الدين، فذهل وقال لي كان فين الكلام ده قلت له عند الأستاذ صدقي قال لي غريبة أنا طلبته، وقلت: فين موضوعات مفيد فوزي ونسيت واعتبرت إن المسائل ماشية ونشر في الأسبوع التالي زينب الغزالي، وبعده سهرة مع التلامذة ثم سهرة أم كلثوم .

بصمتي الصحفية

توالى نشر الموضوعات واحدا تلو الآخر على مدى خمسة أسابيع متتالية والإمضاء مفيد فوزي كان ذلك بمثابة أول وجود لي وبعد نشر الموضوعات انتبهت إلى ثلاثة أسباب عرفتها فيما بعد من رأي صلاح عبد الصبور، أولها العناوين الصحفية المتميزة، والأسلوب الخاص بي، والثالث هو اهتمامي بالمعلومات .

حدث بيني وبين أستاذ بهاء أن أرسلني إلى أسوان؛ لأحضر عيد ميلاد السد العالي بعد مرور سنتين.. فرجعت وكتبت الموضوع وبذلت جهدا في الخمسة وعشرين سطرًا الأولى في حوالي أربع ساعات، ودخلت له بالموضوع ونظر فيه، وقال لي تعالى اقعد إيه ده هل تعتقد أن الناس قعدوا حوالين السد العالي وجابوا تورتة وفيها شمعتين وقالوا هابي بيرث السد العالي فضحكت، وقلت لا، قال لي لا تضحك ثم قال لي شوف فيه في مصر محمد حسنين هيكل واحد.. انت عمرك ما ح تبقى محمد حسنين هيكل وبلاش تكون مفتون بيه، وكل الجزء ده لن ينشر قلت له يا خسارة قال لي ما أنا عارف أنت بذلت جهد فيه؛ لأنك مفتون بهيكل، أول سطر هنا إيه محمد أبو دروة فلاح من كفر طشت عاد إلى بلدته جلس حول الطبلية يحكي أيامه في السد العالي، قال لي ده أول الموضوع وتعلمت إن في الصحافة لابد من الدخول في الموضوع مباشرة وأنا لم أفتن بأحد، وأحب أن أكون أنا نفسي لعلها من أهم خبراتي الحياتية في الصحافة.

تعلمت أيضا أن أستخدم أسلوبي البسيط، وأن يكون متضمنا للمعلومة، وكلما كانت المعلومة على أجنحة الأساليب كان ذلك أفضل، وأن أحمد بهاء الدين نفسه السهل السلس الممتنع، وأن عظمة بهاء الدين أنه قريب إلى أذهان الناس، وقال لي لا تكن بهاء ولا تكن كامل زهيري ولا صلاح عبدالصبور ولا أي أحد .. كن مفيد فوزي.

حوار.. المرآة

عندما قال لي كن مفيد فوزي انتابتني الرغبة في أن أجلس أمام المرآة دون أن يراني أحد .. وكلمت المرايا كالمجانين وقلت له: «خد بالك إن أحمد بهاء الدين قال لك مفيد فوزي اقتلع من داخلك الهيكليزم - نسبة إلى محمد حسنين هيكل - إنت مش ح تبقى هيكل هو قال لك في هيكل واحد بس .. ومش ح تكون بهاء أنت تتميز بإيه يا أخي حمل أسلوبك معلومات، ابحث عن

معلومات يحتويها الأسلوب، وقلت لنفسي طب ما انت جبت معلومات في حاجات كتير بدل ما تحط المعلومات في براويز خلي الأسلوب يشيلها» وكان هذا أغرب حوار بيني وبين نفسي أمام المرآة .

ودارت الأيام وإذا بأحمد بهاء الدين يفاجئني بشيء لم يكن على بالي حيث قال لي في صباح الخير باب اسمه «من مفكرتي» وكان يوقعه مخبر صحفي، وإذا بأحمد بهاء الدين يقول لي إن باب «من مفكرتي» سوف أكتبه بنفسي، ويظل إمضاؤه (مخبر صحفي) وهذه أول مرة تتفتح عيوني على الخبر؛ فأنا أكتب موضوعات وأعمل تحقيقات، وبعض الحوارات على استحياء وقدمت موضوع طبيب العيون الكبير الذي أهدى مكتبته للجامعة، وتم نشره في 6 صفحات، وكان أكبر حجم لموضوع قدمته في تلك الأيام والإمضاء مفيد فوزي .

شعرت أن أحمد بهاء الدين أعطاني الثقة، وبالتالي لم أطلب حذف مخبر صحفي لأضع توقيع مفيد فوزي، وظللت لمدة عام ونصف أكتب باب مخبر صحفي وإذا بأحمد بهاء الدين يكلفني بزيادة عدد صفحات باب مفكرتي إلى صفحتين وبها برواز عنوانه «رأيت» والإمضاء مفيد بنط 9 أسود أصفر، و«مفكرتي» لم تكن فقط أخبارا سياسية ولكن أيضا أخبار اجتماعية، وكتبت رأيت عمر الشريف يدخل سينما كذا، وهو يعتبر من بين النجوم الكبار ولكني أرى أنه ينبغي أن يحافظ على مكانته بين النجوم ..وأرسلت الكلام كله للأخبار، قال لي شوف رأيت عمر الشريف يدخل فيلم كذا نقطة ... لا تضع رأيك في باب خبري قال لي يا سيدي بكرة تبقى بتكتب مانشيتات واسمك يبقى زي اليفط اللي في الشوارع لا تتعجل .

عدت إلى المرآة أحاور نفسي مرة ثانية .. قال لك لا تتعجل اسمك 9 اسود اتركه، ومشيت ثم فوجئت بأن أحمد بهاء الدين وضع (مفكرتي) يكتبها

مفيد فوزي والخبر فيه شكل الرأي على استحياء، ومشيت وإذا به يصدر قرارا بأن «مفكرتي» تصبح ثلاث صفحات وأملك أن أقول إن باب مفكرتي في صباح الخير هو الباب الذي قدمني للناس في مصر لأني ظللت أكتبه لفترة طويلة جدًّا هي فترة وجود أحمد بهاء الدين رئيسًا للتحرير ثم بدأت أدخل في موضوع آخر عبر المفكرة وهو الحوارات الصحفية وخرجت من دائرة توقيع مفيد فوزي أسفل الصفحة .. إلى حوار أجراه مفيد فوزي .

صباح الخير

بدأ اسمي يلمع ... وكانت صباح الخير هي مجلة الصحفيين ولا يوجد صحفي في مصر لا يقرأها، وقد كلفني يوما بعمل موضوع مع شكوكو قال لي عايزك تعمل موضوع مع شكوكو قلت له يا أستاذ بهاء حضرتك كاتب في الصفحات الأولى حوارًا مع ساطع الحصري أحد المفكرين السوريين الكبار وأنا كاتب صفحة 69 حديث مع شكوكو ..قال لي شوف المجلة وجبة... بها الجميل والقبيح والثقيل والخفيف، وفيها المتعة وفيها الإثارة وفيها النصح والإفادة والخبرة، وشكوكو ليس شيئا سهلًا المهم بماذا خرجت من شكوكو من معلومات، وعرفت تفسر إن شكوكو موجود في وجدان المصريين، بدأت أنتبه بشدة إلى الطريقة التي كان يفكر بها أحمد بهاء الدين في الأشياء في منهجه في التفكير، وظللت مفتونا ومشغولا بأسلوب محمد حسنين هيكل والسيناريو الذي يكتب فيه هيكل موضوعاته، لكن أحمد بهاء الدين كان يفكر في كيف يحفظ للوجدان ملامحه.. وأن كل إنسان في الدنيا له عقل وقلب وروح، ولو كنت قد كتبت شكوكو بالنهج اللي قال لي عليه كنت أرجعت شكوكو للبيئة التي خرج منها، وأثره في الناس البسطاء وكيف تتعامل معه طبقة الكبار، أكيد سوف تكون هناك رؤية مختلفة، على أية حال في الموضوعات القادمة سوف تكون رؤيتي كما فكرني بها أحمد بهاء الدين، وعلمني كيف أرجع الأشياء لأصولها وكيف أن فن الكتابة ليس فن الثرثرة فوق الورق وأنه لابد من التركيز على المعلومات .

أستاذية .. أحمد بهاء الدين

كانت المعلومة هي الشيء الأول الذي كان يقوله أحمد بهاء الدين عندما تخرج لقارئك بدون معلومات فقد فشلت، وكنت أول مرة أسمع منه جملة «السؤال المعلومة» في الحوار عندما أسأل ضيفي سؤالاً فيه معلومة أعرف مدى صحتها من عدم صحتها ذلك أحمد بهاء الدين ولا شيء في رأسي سوى انخراطي التام في هذا العالم، في البيت كان أبي يثني المجلة على الموضوع الذي كتبته، بينما أمي تحتضنني وتقبلني وتقول لي قرأناه وأبوك كان يقرأه بصوت عال، ولكن أبي لم يصارحني بشيء ولم يقل لي كلمة واحدة إني ح أبقى صحفي .. لم يعترف بي كصحفي إلا عندما أخذت موعدا من وكيل وزارة الصحة وذهب معي، ولما ظهرت أنا على الباب في مكتب وكيل وزارة الصحة قام وكيل الوزارة وصافح أبي، وقدمت له نفسي وقال لي اقعد يا أستاذ مفيد وكان لأبي مطلب معين، تم تنفيذه في الحال ورفع وكيل وزارة الصحة التليفون وقال أستاذ فوزي يكون مسئولا عن كذا كذا، واعترف أبي منذ ذلك الوقت بي، لكنه لا يستطيع أن يلين بسهولة ولم أحاول أنا أمام أمي أن أحكي القصة بالكامل حتى لا تكون نوعا من الفضل، لكنه حكى لأمي، وقال إن وكيل الوزارة قام لما شاف مفيد، ومفيد قعد وأنا ظللت واقفا حتى قال لي اتفضل ..

أمي هنا كانت بمثابة القوة الروحية في حياتي .. كنت أشعر باستمرار أن أمي تساندني وتدفعني .. بدأت أسجل أوراق عودتي إلى الجامعة من جديد بعد سنتين؛ لأني كنت قد قدمت اعتذارا لسفري خارج البلد بالتالي كنت أشبه بالحاصل على إجازة بدون مرتب وعائد إلى عمله بعد فترة انقطاع .

عند عودتي للجامعة كانت عملية التحصيل صعبة بالنسبة لي خاصّة عملية استيعاب هذه العلوم، ولكنني كنت قد قررت أن الدراسة سوف تمنحني شيئا من الرصانة وعندما رجعت لأصدقائي كان بعضهم قد تخرج وتعرفت على أصدقاء جدد فكان منهم ثلاثة وهم أمجد لبيب وحسين الدرباشي وليلى

عبد المجيد بدر الشهيرة بـ «ليلى بدر» وهم أصحابي وكان ميزتهم أن بعض المحاضرات التي يصعب علي متابعتها كانوا يزودونني بها؛ لأنني كنت مشغولا بشئون العمل الصحفي إلى أن حدث شيء شديد الأهمية في حياتي، وكنت أتعامل في مجلة صباح الخير بالقطعة وحدث أن السيدة فاطمة اليوسف انزلقت على ساقها وتعرضت للكسر، وحدث أن معظم الناس زاروها للاطمئنان عليها وكانوا يقولون لها حمد الله على السلامة وشيء من هذا القبيل .

بنط 12 على الجبس

ذهبت للاطمئنان عليها وأخذت معي قلم فلوماستر وجلست تحت رجليها وكتبت لها على الجبس أريد إن ربنا يشفيكي ويكون اسمي مفيد فوزي أكبر بنط 12 أسود، وعقَّب أحمد بهاء الدين بقوله حد في الدنيا يدخل يسلم على حد يكتب أمنيته وعاوز اسمه يكبر، إيه ده هي قالت الواد كتب إيه قالت لي اقعد يا واد، واد دي اللي بتقولها مديحة وقد صدر قرار تعييني أول يناير في ذلك العام، وأنا لا أزال طالبا في الجامعة أي أتقاضى أجر القطعة من إبراهيم خليل وهو رجل طويل عجوز.. ثمن القطعة الخبر المطول بجنيه، والقصير بـ 50 قرشًا والحدوتة بـ 2 جنيه ونصف .

صدر قرار بتوقيع إحسان عبد القدوس و أحمد بهاء الدين أن أتقاضى مرتبًا قدره 18 جنيهًا و22 قرشا، وهو أول مبلغ أتقاضاه من الجرنال طبعًا رجعت فرحان لدرجة كبيرة جدًّا لم أعد أطبع جريدة الحائط في الجامعة أصبحت أكتب في صباح الخير، وكل اللي فاكره من التاريخ في صباح الخير هو بضعة أخبار كتبتها تحت عنوان «نقط فوق الحروف» في آخر ساعة عند كامل الشناوي وبعض الموضوعات الصحفية في مجلة الإذاعة، هنا حصل في حياتي أنني ارتبطت بعملي في مجلة صباح الخير بشدة وبدأت أذاكر وأهتم بالدراسة وكنت أوزع وقتي بين الكلية وصباح الخير وعملت لنفسي أبونيه عشان أعرف أحضر، وكنت أحيانا أكتب بعض الموضوعات في

الكافيتريا ومعي ورق الصحف وأشتري أقلام فلوماستر من شارع الفجالة، وعمري ما كتبت في الصحافة على الإطلاق بقلم حبر إلا نادرا، وكل الهدايا التي جاءتني من أقلام حبر كنت أحتفظ بها وكنت معروفا في الكلية بأني مفيد فوزي الصحفي .

العودة إلى النفس

على نطاق ضيق من قراء صباح الخير كانوا يعرفونني خاصة الدكتور عبدالحميد يونس الكفيف، وكان يعرف ما أكتبه؛ لأن صباح الخير كان يحتفي بها المثقفون و كانت المجلة تجسد معنى الحب وخطابات متبادلة بين أحمد بهاء الدين وفتحي غانم ومحمود أمين العالم، «معنى الله» خطابات متبادلة بين أحمد بهاء الدين ومصطفى محمود وجمال كامل «التنوير» خطابات بين أحمد بهاء الدين ومحمود أمين العالم وفتحي غانم كانت صباح الخير «منبر تنويري نادر» .

بدأت تنتابني الرغبة لدخول عالم الحوارات مع شخصيات ..وفجأة ترك أحمد بهاء الدين مجلة صباح الخير، وجاء الروائي فتحي غانم، ويوم وداع أحمد بهاء الدين وذهابه لجريدة الشعب رئيسًا للتحرير، كان وداعه صعبا جدًا ..وبكيت بمفردي، وكان أحمد بهاء الدين له دور مهم جدًا في حياتي ولا أستطيع أن أنكر أنه تقريبًا هو من أعطاني كل هذا الكيان والفهم وعلمني كيف أفكر، وتعرفت فيما بعد على ليلى أحمد بهاء الدين ابنته وتعرفت على زياد ابنه وكنت قد قابلت السيدة ديزي صليب زوجته المسيحية التي تزوجها في تجربة إنسانية مثيرة للغاية، و أحمد بهاء الدين يعتبر شخصية فريدة في عالم الكتابة؛ لأنه عقل ممنطق، وفي نفس الوقت شيء نادر وتنويري وعندما سمعت مرة الصديقة العزيزة حسن شاه، تتكلم عنه؛ لأنه كان هناك مشروع خطبة بين أحمد بهاء الدين وحسن شاه، غضبت في سري ولم أكن أرغب في سماع أي شيء يمسه .

كنت أرى أن أحمد بهاء الدين هو الذي أعادني لنفسي وأعاد اكتشافي واستخرج أفضل ما عندي، وعلمني كيفية تناول الموضوع الصحفي، والنظر إليه من عدة جوانب، وعلمني كيف أفكر برؤية مستقبلية ، وأعبر اللحظة الآتية بمعنى أن لا تكون اللحظة هي الأساس وذهب إلى جريدة الشعب وقد افتقدته بشدة .

الصحافة بين المعلومة والأسلوب

وعندما سافرأحمد بهاء الدين إلى الكويت ليتولى رئاسة تحرير مجلة العربي، وكنت في زيارة هناك قضيت معه ساعات لا أنساها، وكان يسألني ويقول لي انت وراك إيه؟

فأقول له لا يوجد شيء فيقول لي تعالى نتغدى سوا ونقعد في قهوة وتزور الكويت، وكنت قد أصبحت صحفيا معروفا، وقلت له فاكر لما قلت لك إنك تكبر اسمي شوية قال لي هو أنا أنسى انك كتبت لفاطمة اليوسف على الجبس ورجلها مكسورة .. والآن صرت ملء السمع والبصر ونلت من الشهرة الكثير، وأصبحت نجما في التليفزيون .. اقتربت منه بينما لم يكن ذلك متاحا من قبل .

بعد سفر أحمد بهاء الدين إلى الكويت جاء رئيس التحرير فتحي غانم وأتذكر من زملائي في صباح الخير الروائي الجميل صالح مرسي ورءوف توفيق ومحمود المراغي وزوجته نجاح عمر وعبد الستار الطويلة وصبري موسى ولويس جريس وعبد الله الطوخي.. كل هذه الأسماء كانت تمثل الجيل الأول في صباح الخير، وأملك أن أقول إنه كان هناك تنافس شديد بيننا، خاصة على الموضوع الأول وفتحي غانم كان يهتم بكتابة التحقيق الصحفي بطريقة الروايات وهناك قصة شهيرة جدًا لي مع فتحي غانم؛ حيث كلفني بعمل موضوع مع اللواء عبد الله النجومي الذي رأس حديقة الحيوان لسنوات

طويلة تزيد على العشرين عامًا وقابلته في حديقة الحيوانات وكتبت الموضوع وأحضرته، في المرة الأولى قال لي فتحي غانم الموضوع معقول لكن ليس به معلومات، قلت له آخذه. وبالفعل ذهبت إلى الحديقة وقابلت اللواء النجومي مرة ثانية قلت له أريد معلومات إضافية عن حديقة الحيوان وأحدث الحيوانات، وأجمل ريش من هذا القبيل وآخر شخصية أجنبية زارتكم وبدأت تتفح مسامي للحصول على المعلومات، وكتبت الموضوع وزودته بالمعلومات الجديدة، وسلمته له قال لي اقعد وقعدت ليقرأه، وقال لي طبعًا لا يوجد شك أن الموضوع به معلومات لكن لا يوجد به أسلوب هنا تذكرت عبارة قالها لي أحمد بهاء الدين في يوم من الأيام، عندما دخل له عبد الستار الطويلة يشكو من أن موضوعاته لا تأخذ اهتماما.

بالمناسبة لي قصة شهيرة أيضًا مع عبد الستار الطويلة؛ حيث إنه في يوم من الأيام جاء رجال مباحث أمن الدولة إلى روزا اليوسف للقبض عليه، وذهبت إلى مكتبه قبلها بساعة عندما عرفت الخبر عن طريق أحد السعاة أنه جاء هنا الصبح شخص ينتظر أستاذ أحمد بهاء الدين؛ لأنه لا يملك ضابط أمن الدولة أن يدخل ويفتش في مكان دون إذن رئيس التحرير فأخذت كل المنشورات الموجودة في مكتب عبد الستار الطويلة، وقطعتها وألقيتها في سلة المهملات، وناديت الساعي إبراهيم عبد المقصود وقلت له خذ ألْقِ هذه الأوراق في القمامة خلف مبنى روزا اليوسف، وقد جاء رجل أمن الدولة ودخل مكتب عبد الستار الطويلة للعثور على المنشورات فلم يجد شيئًا فسأل من الذي قطع المنشورات اللي هنا؟ أجاب إبراهيم عبد المقصود مشيرا إليَّ، وكان من الممكن أن تلصق لي تهمة تمزيق المنشورات الشيوعية فأدخل في حيص بيص وتبقى مصيبة، إلا أن أحمد بهاء الدين نده لي فدخلت قلت له أيوه يا فندم، قال لي دي آخر مرة تقترب من مكتب أحد من زملائك ونظر للضابط وقال لي تاني مرة ما تعملش الحركة الرومانسية اللي انت عملتها،

العواطف دي برة يا اخويا.. أول مرة كان يشخط فيها قلت له حاضر، وخرجت وأنا أتوعد الساعي إبراهيم عبد المقصود الذي ظللت أكرهه كراهية التحريم طول عمري لأنه هو الذي فتن علي.. لكني كنت أفعلها لرجولة بين صديقين .

صداقة .. العمر الجميل

مبدأ الرجولة بين صديقين ظل يحكمني العمر كله ..كنت أقف مع أصدقائي وقوفًا ليس له حدود، ولي صديق ثالث هو صبري موسى .. كنا الثلاثة مفيد فوزي وصبري موسى وعبد الستار الطويلة، شقاوتنا نحن الثلاثة مع بعض، وأيضا نقف لمساندة بعض في مثل هذه المواقف التي من الممكن أن يحدث بها مشاكل، وقد تم اعتقال عبد الستار الطويلة بعد ذلك بناء على قرارات مباحث أمن الدولة ولكن أنقذه في ذلك الوقت أحمد بهاء الدين، وتعهد بألا تكون هناك خلايا في هذا المكان؛ لأنه كان فيه اشتراكيون أمثال الأستاذ زهدي وصلاح حافظ ولكن أحمد بهاء الدين حجب الأذى عن عبد الستار الطويلة الذي عقدت بيني وبينه صداقة تعمقت أكثر بعد هذا الحادث الرجولي في فجر العمر، وكان معنا زميل العمر أحمد بهجت الذي كان يكتب موضوعات نادرة وله أسلوب جميل ..

أذكر عبارة شهيرة قالها أحمد بهاء الدين: يا عبد الستار المجلة دي فيها أحمد بهجت عنده أسلوب وقليل المعلومات، ومفيد فوزي كثير المعلومات ولا يوجد لديه أسلوب.. أنت لا أسلوب ولا معلومات !

فقال له عبد الستار الطويلة ..أمال أنا بعمل إيه؟ قال له انت بتكتب زي المنشورات فغضب عبد الستار بشدة، والعبارة كانت قاسية وجامدة على قلبي وحاولت بجنون أن يصبح لي أسلوب لذا عندما جلست مع فتحي غانم، قال لي فيه معلومات لكن لا يوجد أسلوب فأخذته وكتبته مرة ثانية 11 ورقة ذهبت مرة أخرى إلى فتحي غانم، ووقتها قال لي إن الأسلوب ليس معناه أنك تضع جملًا إنشائية، الأسلوب معناه أنك تأخذ المعلومة وتذوبها عندما تقول

إن النجومي يقول لك إن أكثر أصدقاء له هم السباع والنمور، فلابد أن نوضح ما معنى أن السباع والنمور هم أصدقاء رئيس الحديقة، ولكن بأسلوب جميل وأخذت الموضوع وجلست لأكتبه من جديد.

حوار يكتبه .. مفيد

حاولت استخدام الدراما في الكتابة وحرصت على أن تجذب المقدمة الانتباه فأخذت الموضوع وكتبت المقدمة التي يتمناها وكتبته وسلمته له وبخط يده كتب اسمي فوق مانشيت حوار يكتبه مفيد فوزي، بخط واضح وكانت هذه أول مرة يظهر فيها اسمي على صدر الصفحة كحوار بعد سبع محاولات.

في بعض الأحيان عندما أجلس وحدي وأنا رئيس التحرير فيما بعد أتذكر الجيل الذي جاء بعدنا ..لو أنا صلحت له خبر يبقى عنده مغص ويشعر أنه أستاذ، سبع مرات قمت بإعادة كتابة الموضوع لفتحي غانم حتى أجيز نشره، أريد أن أقول إنه حدث في حياة مصر كلها جدل كبير في هذه الفترة وهو ثورة 23 يوليو1952 أول مرة أسمع عن الثورة وأنا ماشي في شارع المبتديان أنا وزميلي في الكلية إبراهيم الصحن الذي صار فيما بعد مخرجًا مرموقًا في التليفزيون فسألنا في إيه ؟ وفاكر عندما قال إبراهيم فيه ثورة في البلد، وهنا لم نكن نفهم معنى الثورة ولكن عرفت كلمة اسمها الإطاحة، وكانت أول مرة تدخل في حياتي هذه الكلمة «الإطاحة» كانت بالملك فاروق وبالأحزاب وعلى رأسها حزب الوفد، لم يكن لدي أي علاقة بالسياسة إلا مرة واحدة في حياتي عندما حضرت اجتماعًا لإبراهيم شكري رئيس حزب الشعب الذي كنت أحضر بعض اجتماعاته دون أن أفهم ما هي أهمية إبراهيم شكري، بل كنت مأخوذا بالخطابات، ولم يكن عندي فكرة يعني إيه الملك فاروق ويعني إيه التاج؟ وكنت كلما أرى شيئين أتذكر بهما الملكية، وهما حلواني التاج بشارع القصر العيني، وكبابجي التاج في شارع باب اللوق وكبابجي الملك الذي أطلق على نفسه بعد

ذلك كبابجي الجيش، كنت أذكر جيدًا مندوب الثورة الذي كنت أخشاه، لأنه كان هو من يبلغ عنا وكنا نسميه مندوب الثورة إنما هو في حقيقة الأمر كان يسمى مندوب القيادة، وعرفنا لأول مرة الرقيب الذي يأتي في إحدى الغرف ويقرأ كل المقالات قبل النشر، ولم يكن رجلا عسكريا.

يوميات الثورة

أذكر جيدًا وجه محمد نجيب أول رئيس للجمهورية وكنت مأخوذا بطيبته الشديدة، وأشعر أنه رئيس وحاكم وقلبه مفتوح لكل البشر، وكان الأستاذ جلال كشك الصحفي ونحن نكتب موضوعات، وتصل تقارير بهذه الموضوعات لأحد رجال الثورة وكانت تحمل تحليلا للمقالات وأتذكر أنني كنت قد سافرت مرة إلى اسطنبول في تركيا، وكانت معي هناك في هذه الزيارة الفنانة الكبيرة الأستاذة سميرة أحمد، وأتذكر أننا في المساء ذهبنا إلى كازينو قمار ووجدنا هناك أنطوني كوين الممثل الشهير العظيم وبعض نجوم هوليود، وكان معي في نفس المكان صلاح جلال الكاتب المعروف والمحلل العلمي في الأهرام رأينا هذا العالم الغريب المثير، فكتبت أنا موضوع عن ليلة في كازينو قمار وقد فسرت من جانب الأستاذ جلال كشك على أنها دعوة للقمار، ذهبت هذه التحليلات إلى كل القيادات في البلد ومنهم من فسرها حسبما قرأت فيما بعد أنها دعوة للقمار، ولم تكن كذلك على الإطلاق ولا طاف بخيالي، لولا أن فتحي غانم وضح لي أنني عملت موضوعًا صحفيًا جيدًا من الناحية الفنية، ورفض فكرة أنه دعوة للقمار وقال لي خليك في فكرة الفن لأنك أنت نادر في الصحفيين اللي يبقى صحفي فنان ولست صحفيًا تقريريًا ..لديك الزاوية الفنية التي تكتب بها موضوعاتك وهذا شيء مهم، وانعكاس الثورة على ما تكتب وما تعمل كان غريبا، أنا شخصيًا كنت أخاف وأفكر في الموضوع قبل تنفيذه وكنت أشعر أنني في تلك الأثناء أصنع اسما لكي يكبر في الحياة العامة.

كان شعوري في هذه الأثناء أنني لا أعرف ما هي الحكاية فأنا لم أذهب لأي من هذه الفصائل ولم ألتحق بهيئة تحرير ولم تكن لي علاقة بمنظمة شباب على الإطلاق، أو بشيء كان قريبًا من تنظيم قاده عبد الناصر، لكنني عشت انزواء محمد نجيب، وظهور جمال عبد الناصر وإقصاء بعض الشخصيات منهم يوسف صديق، وخالد محيي الدين وكيف أن جمال عبد الناصر وصل من الرجل الثاني إلى الرجل الأول، حيث كان وزيرًا للداخلية وكنا نتهامس عن علاقات هؤلاء الناس ونتساءل من هم زكريا محيي الدين وحسين الشافعي وأسماء هؤلاء الثوار، لكن كنا ندرك أن هناك مجلس قيادة ثورة وندرك أن هؤلاء هم من يصنعون الحياة في مصر .

كان سيناريو الهمسات يتضمن أن هؤلاء أطاحوا بملك ثم جاء 12 ملكًا هؤلاء جعلوا الملكية محددة فبعض الناس سقطت في الفقر.. بعد الثراء، وحيكت محكمة الغدر ومحكمة الثورة وتمت محاكمة عدد كبير من الناس وخرجت وجوه كثيرة من الحياة السياسية تمامًا وحدث العزل السياسي للبعض وكنا جميعًا نرقب هذا بعيون وقلوب مفتوحة؛ حتى نفهم ما الذي يجري وقلقي كان مما قد يصل إلى مجلس الثورة، والحرية في العهد الملكي كانت أكبر مما لا شك فيه والزمن الناصري كان زمن ديكتاتورية من نوع خاص.

إننا في النهاية حصدنا نكسة كان سببها الحقيقي والرئيسي حجب المعلومة الحقيقية عن عبد الناصر وكان هناك دائمًا تلوين ورتوش فوق الحقيقة، ثم جاء خطاب لي في عهد فتحي غانم نشرته تحت عنوان خطاب قصير جدًّا في صباح الخير، وكان موجهًا إلى السيد عبد المحسن أبو النور نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة وردت به معلومات أنه في قرية اسمها صان الحجر انتزعوا شتلات الأرز وقاموا بتسوية الأرض وكتبت في المقال إنك يا سيادة الوزير كنت في ديكور صان الحجر وأنه بلاتوه فأرسل لي خطابًا نشره الأستاذ فتحي غانم كان ملخصه أنني مش واخد بالي من طريقة زراعة الأرز وكان أول تزيين في العمر للكذب .

وعندما عرضت الموضوع على أحد الأصدقاء الذين كنت أراهم في ذلك الوقت، قال لي هذا كذب عريق .. وأنا أمامي أرقام سيارات الاتحاد الاشتراكي التي نقلت شتلات الأرز من مزارع إلى مزارع، كتبت في نهاية الموضوع أنني سوف أنشر الأسبوع القادم أرقام سيارات الاتحاد الاشتراكي التي نقلت شتلات الأرز، وأسماء سائقي هذه السيارات وبعد ذلك لم ينشر.. وذهبت إلى الجرنال في اليوم التالي وكان يوم الخميس وعلى الباب ساعي إحسان عبد القدوس وتم نزوله للأمن على الباب فقال لي يا أستاذ مفيد أنت مرفوت أول مرة كنت أسمع هذه الكلمة «مرفوت ليه !! »

اتصلت بزميلي عبد الله إمام حتى أذهب لرئيس مجلس الإدارة وكان اسمه أحمد فؤاد وكان قاضيا يعمل في بنك مصر وصاحب المطبعة السرية التي تطبع فيها منشورات الثورة مع جمال عبد الناصر، وكان أقرب الناس إليه الأستاذ عبد الله إمام زميلنا الذي رفض أن يرد على التليفون وسكرتير الأستاذ أحمد فؤاد قال لي إنه مشغول .

رجولة حليم في المحنة

أدرت ظهري ومشيت من روزا اليوسف إلى الزمالك وتوجهت إلى 12 شارع الزهرية وصعدت إلى الدور السابع وطرقت الباب ففتح لي شخص أسمر اسمه عبد الرحيم دخلت إلى المكتب وجاء لي بكوب ماء وطلبت كوبا آخر ثم طلبت دخول الحمام وظللت أشرب وأشرب إلى أن ارتويت وقام صاحب البيت يرتدي جلابية وبقايا النوم في عينيه وطاقية بيضاء وقال لي مفيد خير ؟

فارتميت في حضنه باكيًا بكاء الثكالى وكان هذا عبد الحليم حافظ الذي سمع مني القصة كاملة وبدأ يتصرف برجولة فلم تكن العلاقة بيننا علاقة بين مغنٍ وكاتب، بل علاقة بين صديقين وأنا جئت إليه في لحظة محنة المهم أنني لا يمكن أنسى اللحظة التي وقفت فيها بالغرفة ورويت له ما حدث

فأصابه نوع من الذهول الغريب وقال غريبة إيه الحكمة ؟

سألني حليم هل قابلت أحمد فؤاد رئيس مجلس الإدارة ؟

قلت له : حاولت عن طريق الأستاذ عبد الله إمام وفشلت .

أحمد فؤاد كان رئيسا لبنك مصر، واشترك مع جمال عبد الناصر في تحرير بعض المنشورات السرية في مكتبه ببيته، وكوفئ أحمد فؤاد فيما بعد بأنه أصبح رئيسا لمجلس إدارة روزا اليوسف أما عبد الله إمام فهو واحد من الصحفيين الذين كانوا يعملون في روزا اليوسف واقترب من أحمد فؤاد ويكاد يكون صوته داخل المؤسسة، وأنا عرفت طعم الطغاة الصغار في فجر حياتي وأدركت معنى أن الإنسان يركن جنب حد ؟ يعني إيه الواحد يتنطط على كتف حد ويبقى قريب منه ويبقى صوته اللي يعبر عنه وأقرب الناس إليه ؟!

- بعدما رويت القصة لعبد الحليم قام في الحال وارتدى ملابسه ونزلنا معًا مباشرة وقال لسائقه اطلع على مكتب صلاح بيه نصر مجرد ذكر الاسم كان كفيلًا بأن ينخلع قلبي من مكانه؛ لأنه كان مدير المخابرات صاحب الاسم المرعب الذي كان عندما يحب أحد أن ينطقه يردده في سره فكان صعبًا أن ينطق اسمه علنًا واندهشت أنه ارتدى ملابسه وتحرك معي في السيارة وكنت أجفف دموعي وأخفي عذابي وألملم حزني من حادث الرفت المفاجئ، ولم أكن أعرف أحدا غير عبد الحليم حتى أكلمه، وكان هو طاقة النور بالنسبة لي ووصلنا واصطحبني عبد الحليم لمكتب صلاح نصر، وسبقني للمكتب لمدة 3 دقائق وانتظرته عند مدير المكتب وبعدها تم السماح لي بالدخول فقال صلاح نصر خير، قال له يا فندم الأخ مفيد فوزي صديق وروى له ما حدث فضرب جرسًا أمامه وتكلم في التكتافون، وقال شوف لي حكاية منير فوزي ده إيه، فأنا قلت له يا فندم مفيد فقال شوف لي حكاية مفيد فوزي ده إيه؟ أحضروا لي ليمونًا وشربت رشفة واحدة منه ولم أكمل خوفًا .

بعدها دخل الرجل وكان معه ورق و أخذ صلاح نصر يقلب في الورق ولم أستطع أن أرفع وجهي في وجهه من الخوف والرعب، وكنت أشعر أن مستقبلي ضاع في هذه اللحظات الفارقة من عمري، جلست أفكر في أبي وأمي لو يعلمان أنني بمكتب صلاح نصر.. ماذا يكون الوضع وكيف يتقبل إخوتي الأمر ؟ المهم أنه بعدما قرأ الورق قال له ليس عندي شيء، راجع وزير الداخلية نزلنا وذهبنا إلى مكتب وزير الداخلية فدخل عبد الحليم عنده وجلس لفترة طالت قليلًا لأن الوزير كان يتكلم في التليفون ثم دخلت إلى المكتب وتكرر نفس السيناريو ثم جاء الرد بأن القرار ليس عندنا، وحدث لي نوع من الدهشة الشديدة فنظر لي عبد الحليم وقال لي متسائلًا عند مين ؟؟

رجعنا معًا للبيت وتناولنا الغداء لا أتذكر على الإطلاق طعم الأكل ولا الشرب ولا أي حاجة بعدها طلب من عبد الفتاح سائقه الخاص توصيلي للبيت وأخفيت القصة، ولم أفتح فمي بكلمة لأحد على الإطلاق ..

لكن وجهي كان ينطق أمام أمي بالأسى فدخلت عند أمي ورويت لها القصة كلها، وقلت لها إنهم مشوني من روزا اليوسف والإذاعة ولم أستطع أن أنطق كلمة (رفدوني) ولاحظت دموعها وهي تنساب على خدها في مشهد لا أستطيع نسيانه العمر كله.. جففت دموعها بكم قميصي و قامت وأحضرت زيتًا من الكنيسة وضعته على جبهتي وقالت لي ربنا مش ح يتخلى عنك بس هي شدة وتزول .

عشت فترة طويلة من العذاب أخطر ما فيها الشائعات التي نسجها بعض زملائي وكلها كانت مضحكة؛ لأنها نتاج عقول فارغة وتتعلق بأسباب وقفي، وكان منها أنني أقابل بعض الأقباط وأحكي عن اضطهاد الأقباط في مصر ولم تكن هذه هي الحقيقة ولا شخصيتي .. وظهرت الشائعات بقوة وكنت أسهر ليلًا في فندق سميراميس مع عدلي فهيم وأشرت إليه فيما سبق وبعض الجالسين من فنانين وصحفيين .

وفي يوم من الأيام تلقيت هاتفا من الأستاذ محمد عروق وكان مديرا لإذاعة صوت العرب وطلب مني الذهاب إلى مكتبه في الإذاعة، و تخيلت أنه يحتاجني للعمل في الإذاعة، ولكن كان تفكيري متفائلا أكثر من اللازم؛ فقد اصطحبني الأستاذ محمد عروق إلى صديقي السابق السيد شعراوي جمعة، وكان محافظًا للسويس ويشغل شعراوي منصبًا خطيرًا جدًّا هو أمين التنظيم فيما بعد في ثورة يوليو، فدخلت وجلست مع السيد شعراوي جمعة وقال لي عبارة مكونة من كلمتين معناها بلاش تروح تقعد تحكي عن اللي حصل لك في سميراميس، قلت له يعني ما اروحش يا فندم خالص سميراميس، قال لي آه طبعًا بطلت أروح سميراميس وتغير مكاني من سميراميس إلى منزل عبد الحليم وكنت أذهب إلى بيت عبد الحليم كل ليلة بدءًا من الساعة السابعة كنوع من التسلية .

وقضيت في بيت عبد الحليم 81 يوما، وهو على فراش المرض، وكان في حالة صعبة للغاية والأطباء يزورونه باستمرار والمشكلة أن عبد الحليم في تلك الفترة كان قريبا مني جدًّا وتعمقت في وجدانه وشعرت برجولته كإنسان مستعد لمساندتي.. وأنا لا أنسى أبدا اللحظة اللي قال فيها عبد الحليم لصلاح نصر يا فندم لو كان مفيد بيكتب منشورات ضد مصر يبقى بيكتبها في بيتي لو كان بيتآمر على مصر يبقى بيتآمر في إحدى غرف بيتي، فصلاح نصر قاله يا عبد الحليم الكلام اللي أنت بتقوله ده كلام خطير، قال له: أنا مستعد أكتب اعتراف بيه، والحقيقة لا يمكن أن تجد في هذا الزمن مثل هذه الصداقة والرجولة في المحن .

التليفزيون في حياتي

"كنت أصغي وأشعر
أن في إصغائي فائدة
رغم أني كنت أحب
الكلام. . إلا أن
كلماتي كانت قليلة؛
حيث تعلمت في علم
الحوار أن الإصغاء
محرض على البوح"

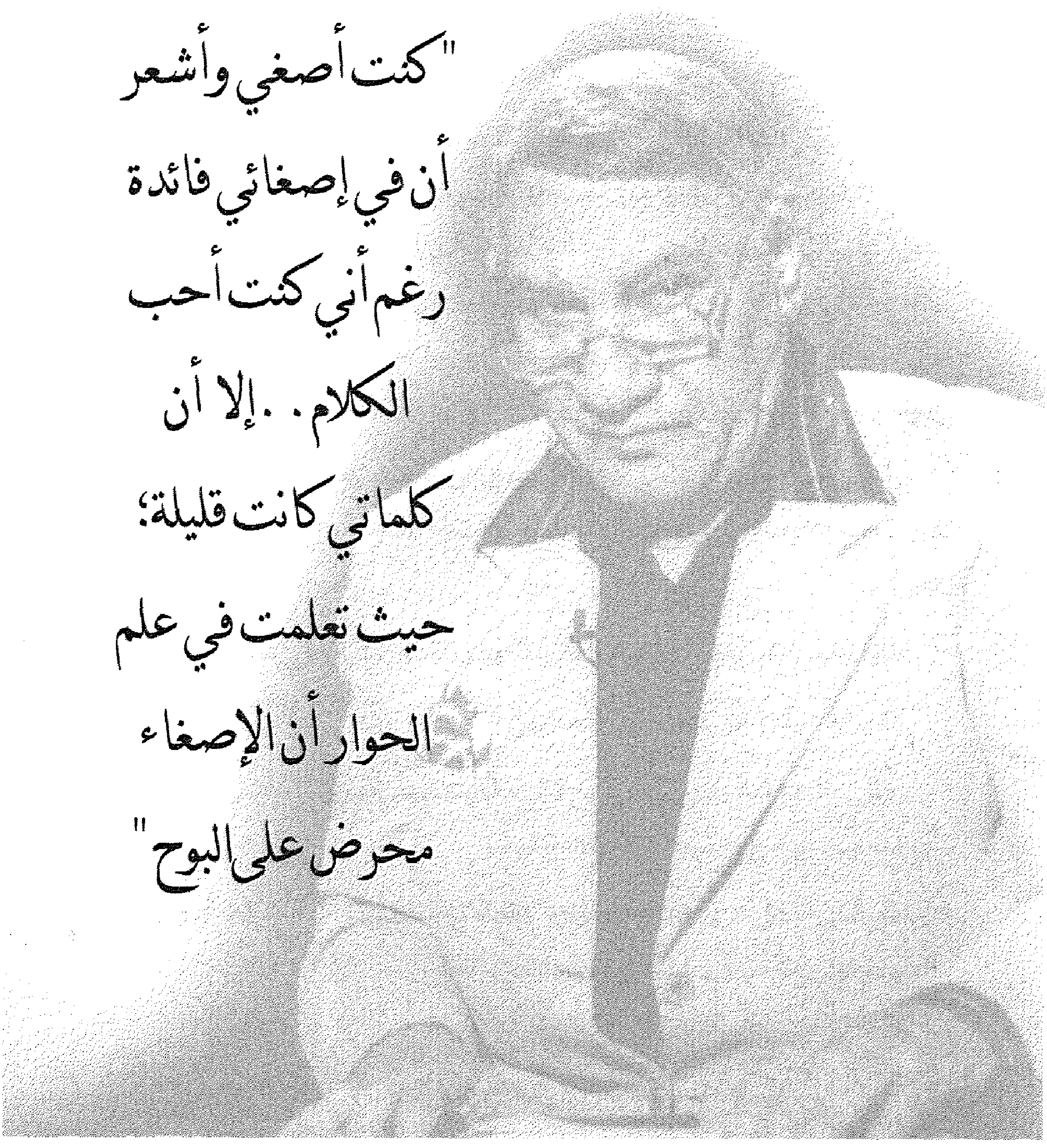

تعتبر مرحلة عملي بالتليفزيون من أهم مراحل حياتي.. إنني لم أفكر في العمل بالتليفزيون، وكانت كل علاقتي به مثل أي مشاهد عادي للغاية، وكنت مدركا إدراكا عميقا أن هناك أسبابا إلهية تقود الإنسان لأشياء ليس له بها علم، ولكنها تجري في الزمان والمكان المحدد.

على سبيل المثال أتذكر جيدًا أنني كنت أسير على كوبري قصر النيل حينما التقيت صدفة بواحد من أحب الشخصيات لي وهو أفضل مذيع وقارئ نشرة على الإطلاق صلاح زكي، وذلك أمام نادي القاهرة بجوار دار الأوبرا، وقد سألني عن أخباري وكنت أيامها صحفيًا في مجلة صباح الخير وكان من عاداتي دائمًا أنني أذهب إلى أصدقائي سيرًا على الأقدام وكانت الحياة سهلة وبسيطة ولم يكن هناك تكدس في الشوارع أو زحام .

بادرني صلاح زكي بقوله من الضروري أن تذهب للتليفزيون، وأن يكون في برامج التليفزيون معدون، فاندهشت وقلت له بالحرف الواحد : ما معنى معد؟

قال : هو الذي ينسق الفكرة للمذيعة، وهي تقدم فكرة من إعدادك.

قلت له : ماذا عن المذيعين الحاليين ؟

قال : لا هو فيه مذيعين صحيح لكن معظمهم مذيعين قراء نشرة الأخبار أي مذيعين برامج ومذيعات قارئات نشرة .

فسألني : هل ترى هذه البرامج؟ فقلت له بالحرف الواحد لم أر سوى السيدة ليلى طاهر في برنامج يتحدث عن الفن .

فقال: نعم رئيس المنوعات اسمه محمد سالم صاحب فكرة برنامج جديد اسمه نجمك المفضل، وطلب مني صلاح زكي التحضير له فترة زمنية طويلة، وأراد أن يستفيد بي في عمل إخباري تليفزيوني مع الأستاذ سعيد عيادة، الذي يقدم برنامجًا يستعرض فيه برامج الأسبوع المقبل، ولكن بشكل مصور؛ بمعنى أن الكاميرات تنتقل إلى الاستوديوهات لتصوير البرامج التي يتم تصويرها واقترحت اسمًا لهذا البرنامج بعنوان (نص ساعة من وقتك) واقترحت أيضا أن تقدمه النجمة اللامعة الكبيرة سميرة الكيلاني التي تعد من أفضل ناطقات النشرة على الإطلاق في التليفزيون، وهي زوجة الكاتب التقدمي المهم محمود أمين العالم .

صحافة تليفزيونية ..

اجتمعت مع الأستاذة سميرة الكيلاني وكانت أول مرة في حياتي أدخل فيها مبنى الإذاعة والتليفزيون وفكرت كيف تمضي حياتي، واستطعت بطريقتي كصحفي أن أعرف برامج الأسبوع القادم، وذهبت إلى الاستوديوهات وأقمت علاقة مع المخرجين وكان من أول مخرجي هذه المسلسلات أو البرامج زميل عمري بكلية الآداب الأستاذ إبراهيم الصحن، فاتفقت معه على الحضور وكتبت أول اسكربت في عمري بالمقدمة والأسئلة .

وذهبت إلى الأستاذة سميرة الكيلاني وجلسنا نتدارس الموضوع وطلبت منها أن تقرأ الأسئلة وتستوعبها حتى تقدم البرنامج، ثم دخلنا الاستوديوهات وبدأنا التصوير وبدأ الأستاذ سعيد عيادة يأخذ كادرات التصوير، وطيلة هذه الفترة لم أكن سوى معد فقط وقد أخذ هذا البرنامج نصيبًا من المشاهدة الكثيفة ولأول مرة قرأت اسمي على الشاشة إعداد مفيد فوزي تقديم سميرة الكيلاني، وهذا أول عمل قمت به على شاشة تليفزيون مصر .

ثم بعد ذلك استمر البرنامج لدورة كاملة وبدأنا في الإعداد لبرنامج آخر هو «نجمك المفضل» وكنت سعيدًا بالسيدة ليلى طاهر، ولكني كنت أريد شخصية جديدة من داخل التليفزيون، وقد طاف بي الأستاذ صلاح ذكي غرف المذيعات جميعًا وذهبت لأحتسي معهن القهوة، ولكني توقفت عند مذيعة تقدم الأخبار باللغتين الإنجليزية و الفرنسية على القناة الثانية وكانت هي السيدة ليلى عبد الحميد رستم، جلست معها نتناقش وأعجبني فيها كبرياؤها والشعور بالثقة التي تتحدث بها، وطلب مني صلاح زكي أن أبدي رأيي وقلت إنني أعتقد أن ليلى رستم هي أفضل من يقدم هذا البرنامج الذي أظن أنه يحتاج للمواجهة وشيء من السخرية معا، وإلى الكثير من هضم المعلومات بالإضافة إلى معلوماتها كخريجة للجامعة الأمريكية إلا أن معلوماتها عن البيئة المصرية كانت قليلة فلم تكن على الإطلاق تجيد رواية الأدب المصري أو الرواية المصرية، بقدر ما كانت تقرأ دائمًا الصحف الأجنبية، ولذلك كان الفن بالنسبة لها مجموعة قليلة من النجوم تفضل الفرجة عليهم وتؤمن بهم، أما الباقي فلا يشغل بالها .

وقد جلست مع ليلى رستم وكانت أول حلقة مع السيدة سميرة أحمد، وكانت في رأيي عملية «تلفزة الصحافة» أو «تصحيف التليفزيون» ولأول مرة خرجت الكاميرات إلى بيت سميرة أحمد وصورت حياتها ودولاب ملابسها وعلاقتها بابنتها الصغيرة في تلك الأيام وحياتها البسيطة داخل البيت لكي تكون هذه اللقطات ضمن البرنامج وكان جمهورالاستديو يسأل سميرة أحمد بعض الأسئلة بينما تذاع على الشاشة لقطات تم تصويرها من قبل، وهذا الأسلوب لم يكن معمولًا به على الإطلاق في الشاشة المصرية وقد كنت أول من قدم على الشاشة هذا النوع من البرامج، وبدلًا من الفوتوغرافيا في تصوير الشخصية كان هناك التصوير المرئي الذي يذاع على الشاشة وكانت ردود الفعل واسعة حيث بدأ الناس ينتبهون لهذا العمل الجديد، وبالطبع نالت ليلى رستم إعجاب المشاهدين وحظي اسمانا بنوع من الانتباه والتقدير .

فنون الإعـداد

ما معنى المعد؟ وكيف أنه يتحمل المسئولية الفكرية لأي برنامج يقدمه، ومن هنا كان اعتزازي بلقب المعد كثيرًا ؛ حيث عشته عشر سنوات كاملة قدمنا بعد ذلك أكثر من برنامج ولكن حدثت مفاجأة حينما كنت أقدم الحلقة الثانية، حيث طلب مني الأستاذ صلاح زكي أن يكون أسبوعيا، وكنت أتقاضى أجرا عن هذه الحلقة بالضبط اثني عشر جنيهًا وأربعة وثمانين قرشًا، وقدمت الحلقة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وجئنا بمجاميع لا يمكن لإنسان أن يتخيل كيف أنني أحصل عليها، وكان من أهمها برنامج جمع بين فاتن حمامة وعمر الشريف، و آخر جمع بين مصطفى أمين وعلي أمين، و ثالث جمع لبنى عبد العزيز وكامل الشناوي، ورابع جمع بين نجيب محفوظ ويحيى حقي ويوسف إدريس ومحمود المليجي ويوسف شاهين، والأستاذ زكريا الحجاوي والموسيقار محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ، وأتذكر أن يوم عبد الحليم حافظ اضطررنا للاتصال بمركز الشرطة الذي كان على بعد مسافة قريبة من التليفزيون لكي تأتي الشرطة وتحافظ على الأمن من تدفق الناس على الدخول للاستوديو.

كان المعد بداخلي ينافس الصحفي، وكما كنت أعمل بالصحافة وأكتب، بينما كنت أجتهد بشدة في الإعداد، ولم تكن هناك موبايلات في هذا الزمن، فكنت أذهب للمصدر بنفسي، وأجلس معه وأتكلم وأحافظ على العهد به ونناقش الأمر وأجمع معلومات، وأكتبها بعناية شديدة ثم أقدمها للمذيعة، وأكتبها على ورق من كربون؛ حيث لم نكن قد عرفنا أي طريقة للكتابة، ولم أكن أرسل الأوراق إلى الآلة الكاتبة بل كنت أطبع الكربون بنفسي وأعطي نسخة لها، ونسخة للأستاذ سعيد عيادة الذي ارتبطت به طول حياتي فيما قدمت من برامج .

وحين تم عرض البرنامج صادف نجاحا شديدا وتطورًا وقمنا نسجل حلقات عن الجيش المصري، واتصلت بهيئة التدريب وطلبت منهم أن تأتي مجموعة وقد أتى ثلاثة جنود يمثلون الأسلحة المختلفة في نجمك المفضل (تتم استضافة كاتب أو مطرب، وكل مرة نجم من هذه الشخصيات).

مضت الأيام و في إحدى الحلقات كان من المفروض أن تذاع حلقة جنود الجيش، وخرجت ليلى رستم وقالت إنها تعتذر عن أن المعد مفيد فوزي لن يكون معنا في الأيام القادمة ولعل المانع خير، قالتها بلهجة فيها شجن وفيها حزن حتى كادت الدموع تفر من عينيها حيث ارتبطنا معًا بالعمل وكان من مسببات نجاحها والاهتمام الذي حظيت أنا به.

أما سبب ذلك فكان ما جرى في الخامس عشر من أكتوبر عام أربعة وستين حينما تقرر وقفي عن العمل في الصحافة وفي الإذاعة والتليفزيون .. ولأول مرة برزت في رأسي أسئلة غريبة من نوعين :

هل العمل في مصر يحتاج الالتواء ؟

هل النجاح المزيف يعيش كثيرًا ؟

هل كان لابد أن أحمي نفسي بأحد يكون ظهرا لي؟

هل من الضروري أن يكون الإنسان له ظهر في مصر ؟

أسئلة كانت مهمة للغاية تحوم في رأسي، ولكني لا أعبأ بها وقررت أن أمضي في طريقي جيدًا، وظللت صامتا 14 شهرًا كاملًا على التليفزيون في تلك الأثناء، أذكر أن الدكتور عبد القادر حاتم استدعى إلى مكتبه ثلاثة كتاب هم الأستاذ أنيس منصور - عليه رحمه الله- والأستاذ أحمد رجب والأستاذ سعد الدين توفيق رئيس تحرير مجلة الكواكب، وقد طلب الدكتور عبد القادر حاتم من الثلاثة أن يقدم كل منهم حلقة من حلقات برنامج «نجمك المفضل» بحيث لا تجور على أوقاتهم .. فليقدم أنيس منصور حلقة وفي نفس الوقت

يكون أحمد رجب مستعدا للحلقة التي تليها كمعد، أيضا يكون سعد الدين توفيق مستعدا للحلقة التي بعدها..لكن الأستاذ سعد الدين توفيق بعد حلقتين لم يستطع التعامل مع ليلى رستم فطبيعته لم تتناغم مع طبيعة ليلى رستم التي فيها اعتزاز بالنفس .

أما الأستاذ أحمد رجب فقد قال كلمته الشهيرة أنا لن أقدم برنامجًا بعد مفيد فوزي خصوصًا أنه يتقن هذا الفن وأنا أجيد الكتابة فقط، والأستاذ أنيس منصور أتى للعمل وقام بإعداد حلقة بعنوان محمد علي كلاي الملاكم الشهير، ثم قدم الحلقة التراثية المهمة التي أتى فيها بالدكتور طه حسين وجمع حوله المفكرين عبد الرحمن الشرقاوي وثروت أباظة ومحمود أمين العالم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس، كل هؤلاء جمعهم حول الدكتور طه حسين الذي قال في هذا البرنامج جملة شهيرة أنت قارئ جيد يا أنيس ومرت الأيام ومضى مشوار ليلى رستم مع أنيس منصور لفترة طويلة .

لم أعد أقدم مرة أخرى برنامج «نجمك المفضل» وانتهيت عند 184 حلقة لعلها أول شكل من أشكال تلفزة الصحافة، وبينما ظل أنيس منصور حدثت مفاجأة أن السيدة ليلى رستم ذهبت إلى بيروت كي تقدم برنامجا اسمه «نجوم على الأرض»، وقد طلب مني الأستاذ سعد لبيب فكرة برنامج جديد بعد سفر ليلى رستم التي ذهبت أودعها في المطار ونزلت دموعي وأنا أودعها وهي على سلم الطائرة؛ حيث إن نجاحي قد ارتبط حقًا بنجاح ليلى رستم التي شعرت أنها تحولت من مجرد مذيعة تقرأ النشرات الإنجليزية والفرنسية، وتقدم برامج تعليمية باللغات ببراعة شديدة استشعرت أنها انتقلت إلى مرحلة أخرى بحياتها كمقدمة برامج بالتليفزيون .

يا ختي ...عليه !!!

لم يحدث بيني وبين ليلى رستم أي خلاف على الإطلاق فقد كنا متزاملين تمامًا وكنت أنا واسع الصدر معها حينما كانت تضيق بها الأمور، وحين تشعر أن الشخصية القادمة لها شخصية صعبة ..

لعل أخطر ما قالته ليلى رستم وكان مثيرًا للجدل في المجتمع المصري، حينما قالت لأحمد رمزي الممثل الذي اكتشف أنه يلبس سلسلة في رقبته، ولم يكن هذا مألوفًا في ذلك الزمن القديم فقالت له «ياختي عليه »؟ حين سألته من أين أتيت بهذه السلاسل، قال لها مامي أعطتها لي، وحين كبر أحمد رمزي ومضت به السنين الطويلة وسافر ثم عاد إلى مصر وأجرى حوارات قال إن ليلى رستم استدعاها وزير الإعلام في ذلك الوقت وفصلها، ولم يدرك أحمد رمزي على الإطلاق أن هناك من عاش التجربة ويعلم جيدًا أنه لم يحدث أي شيء لليلى رستم لا أحد فصلها ولا أحد قال لها أي كلمة، وقد خرجت الكلمة من ليلى رستم عفويًا..

عزيزي المشاهد

كانت سلوى حجازي هي المنافسة الوحيدة لنا، ومع ذلك أشهد أن العلاقة بين ليلى رستم وسلوى حجازي كانت علاقة تنافس جميلة، وكانت تربطهما صداقة شديدة وعميقة بعد ذلك طلب مني الأستاذ سعد لبيب أن أعمل مع الأستاذة الراحلة أماني ناشد في إعداد لبرنامج اسمه (عزيزي المشاهد) وكان مع الأستاذ سعيد عيادة، وكان اسمي في ذلك الوقت يكبر مع الأيام فقد كنت أحيانا أقوم بالتحاور أمام الأستاذة أماني ناشد حتى تدرك كل مداخل الحوار، ولعلي أتذكر في إحدى المرات أنني قمت بالحوار أمامها مع صائد الثعابين بقرية أبو رواش حيث يعمل هؤلاء في مهنة غريبة يأكلون منها العيش المر، وقدمت برنامج «عزيزي المشاهد» لفترة طويلة كمعد، وقد

استعانت هي لفترة بصديقي الأستاذ إبراهيم سعده الذي رفض أن يكمل العمل وقال إنه مخلوق للكتابة فقط، أما مفيد فوزي فإن الإعداد في دمه وقد حاولت أماني ناشد التخلص قليلًا من شعبيتي كمعد وصحفي وكانت دائمًا لا تستطيع.. ورغم أنها كانت عنيدة في أوقات كثيرة إلا أن سعيد عيادة كان المرهم والبلسم في هذه الأثناء .

والحقيقة أنني بعد أماني ناشد كان لابد لي أن أغير جلدي قليلًا فذهبت إلى سعد لبيب وقررت أن أعمل برنامجًا جديدًا؛ حيث إنني اختلفت مع أماني ناشد، ولم نستطع التعامل معًا، فأتت أماني ناشد بأحد المعدين لا أذكره وأدارت برنامج اسمه «كاميرا 9 » وكان نسخة أخرى من «عزيزي المشاهد» الذي تألفت فيه الصحافة التليفزيونية، و كان عبارة عن حوارات مصورة وشخصيات بالاستوديو.

أذكر واقعة حدثت لا أستطيع إطلاقا أن أغفلها للتاريخ وهي أن مذيعاتنا حتى القديمات منهن لم يكنَّ على دراية بنوعية الأدباء والكتاب؛ فقد كن رغم أسمائهن الكبيرة يكتفين بالقليل من المعلومات، ولم يكن هناك نت ولا فيس بوك ولا شيء من هذا أو ذاك وكان كل الاعتماد على معد على درجة كبيرة من الوعي وأشهد أنه كان هناك معد اسمه الأستاذ يحيى تادرس وهو من الذين يجيدون فن الإعداد بشدة، وكذلك الأستاذ صلاح الدالي ..كل هؤلاء ظهروا فيما بعد ولكنه من الثابت أنني الذي بدأت الإعداد في مصر، وأنا الذي بدأت تلفزة الصحافة في البرامج .

مرت الأيام واخترت بنفسي السيدة لبنى عبد العزيز حتى تكون مذيعتي لفترة زمنية وإن كان الأستاذ رمسيس نجيب زوجها في ذلك الوقت قد حذرها بشدة من أن تكون نجمة تليفزيونية وقال لها بالحرف الواحد الكلام «ده ح يحرقك» وهو تعبير يقال للنجم إذا ظهر كثيرًا على الشاشة .

كان الموضوع هو الغرفة المضيئة والنجم بذاته، فنحن نأتي بثلاثة من عمال المطافئ ونصور المطافئ، والسيارات والخراطيم ونأتي بلاعب

السيرك ونصوره، وكل هذه البرامج قدمتها كإعداد وكان يدعم الأستاذة لبنى عبد العزيز الكاتب الصحفي الراحل الأستاذ علي حمدي الجمال الذي قال لها تمسكي بمفيد فوزي؛ لأنه يدرك ماذا يريد المشاهد ويضع نفسه مكان المشاهد أثناء البرامج ويدرك متى يصل إلى لحظة الملل وكيف يثيره مرة أخرى برسم بياني ذكي، وحمدي الجمال كان معروفًا بأناقته ووسامته وكان رئيسًا لتحرير الأهرام، ويجاور لبنى عبد العزيز ذهنيًا وفكريًا رغم ثقافتها الشديدة؛ لأنها كانت ممثلة في الجامعة الأمريكية تجيد فن الدراما، وكان الكاتب والشاعر الكبير كامل الشناوي وراء اكتشافها، وقال كامل كلمته المشهورة للبنى عبد العزيز إن مفيد فوزي يقوم بإعداد والباقي قعدات أو جلسات .

في تلك الأثناء كان من المهم أن نكمل معًا الموضوع غير أنه كان لي برنامج إذاعي بعنوان "أوافق..أمتنع" حدثت به مشاكل وذهبنا إلى المحكمة ودافع عنه الأستاذ لبيب معوض في قضية عبد الحليم حافظ الشهيرة، وأيضا الكلمات التي قيلت عن السيدة الشهيرة أم كلثوم، واعتبرتها ماسة بها وبكيانها، وكانت قد طلبت عدم إذاعة أغانيها في إذاعة الشرق الأوسط رغم توسلات السيدة آمال فهمي لها .

أم كلثوم

كان الأستاذ عدلي حشاد وكيلا لوزارة الإعلام في ذلك الوقت..وقد أومأ إلى الأستاذ سعد لبيب بنشر الخبر في الصحف فقرأته في باب أبو نضارة الذي كان يكتبه الأستاذ نبيل عصمت، وقال إن برنامج الغرفة المضيئة استنفد أغراضه .

وكانت السيدة أم كلثوم مغنية أسطورة في زمانها شيء يذهب العقل ويمتع الخيال ولكنها كإنسانة كانت تتمتع ببعض القسوة، ولعله من اللافت للنظر أن بعض الصحفيين الشباب الذين وقفت أنا بجوارهم في بداية العمر،

ومنهم شاب اسمه أيمن الحكيم قد رأينا أنا والراحل العظيم رجاء النقاش أنه سيكون واعدًا في العمل الصحفي وقد جاء في أحد كتبه « من قتل أم كلثوم..؟» وذكر أنني أنا من أحد القتلة باعتباري أتيت ببرنامج ذي أهمية في الإذاعة وكانت الناس تستمع للإذاعة بكثافة، وقال إنني لامستها بأسئلة مدببة والحقيقة أنها كانت مبالغة من أيمن الحكيم لم أحاول حتى أن أذكرها في أي برنامج؛ لأنها بعد هذه الحدوتة جلست فترة بلا عمل في التليفزيون حتى أعادت أغانيها إلى الشرق الأوسط .

أما تفاصيل حلقة أم كلثوم فتتلخص في سؤال طرحته السيدة سناء منصور للأديب الأستاذ يوسف إدريس حيث قالت له في حفل أم كلثوم هل تستطيع أن تمتنع عن التدخين؟ قال بالحرف الواحد إذا منعوني من التدخين في حفل أم كلثوم سأعود إلى البيت دون أن أحضر ولا يهمني .

وذات مرة سألت أحمد سعيد ما رأيك في المقدمات التي يقدمها جلال معوض للسيدة أم كلثوم؟، وكان معروفًا أن بين أحمد سعيد وجلال معوض شيئًا من التنافس .. قال أحمد سعيد أم كلثوم ليست المحمل حتى تقوم بهذا الأسلوب الفضفاض الواسع المليء بالمبالغات.. سألت سناء منصور من أسئلة صلاح جاهين.. ما رأيك في «إنت عمري»؟ فقال بالحرف الواحد إن «إنت عمري» هي الابنة المراهقة لأعمال أم كلثوم والسنباطي.. واعتبرت أم كلثوم أن هذا كله يهين اسمها وكرامتها وتاريخها، بينما هذه الأسئلة كانت في ذلك الزمن شيئًا خارقًا للعادة، حتى إني عوقبت من وكيل وزارة الإعلام بوقف برنامجي «الغرفة المضيئة» رغم وجود الفنانة لبنى عبد العزيز التي قررت السفر إلى خارج مصر، وذهبت إلى أمريكا حيث عاشت مع زوجها هناك قبل أن تعود للمرة الأخيرة.

لم يستطع سعد لبيب أن يقف أمام أم كلثوم، ولا عدلي حشاد، ولا وزير الإعلام، وقد توقفت حوالي 8 أشهر بسببها، أذكر أنني قدمت أنا والسيدة سلوى حجازي برنامجًا كنا نتناوب عليه في الإعداد أنا والأستاذ رءوف

توفيق .. حيث كان يقدم حلقة وأنا أقدم حلقة... ورءوف توفيق كان له مخرج متخصص وأنا كان لي مخرج آخر .

أذكر أول حلقة قدمتها كانت بعنوان «الكلاب».. وكنت قد ذهبت إلى أكثر من فنانة منهن ثناء جميل والسيدة هند رستم وأتحدث معهن عن الكلاب وكيفية تربيتها؟ ولماذا تحتفظ بها؟ وأيضا ذهبت إلى مقبرة الكلاب في نادي الجزيرة وبعض الذين ماتت لهم كلابهم وذهبت إلى حديقة الحيوانات لأرى كيف تعيش الكلاب، وذهبت أيضا للسيرك لأرى كلاب السيرك المدربة المشهورة، كانت حلقة رائعة رهيبة لفتت النظر لي وأعادت زمان برامجي كلها بالكامل.

في هذه الأثناء وخلال فترة معينة قدمت برنامجًا بين الأستاذة سهير الإتربي والمذيعة السورية رشا مدينة وكان اسمه (أنا المصري) إضافة إلى بعض الحلقات مع السيدة ملك إسماعيل، وقدمت برنامجًا مع السيدة فريال صالح كان حول بعض المعلومات حيث كانت تطوف موائد فيها فنانين، وجاءت فريال عندي لتسألني الكاتب الصحفي فلان أرجوك الترابيزة اللي إنت قاعد فيها، فيها نجوم فقل رأيك في كل نجم، قلت بالحرف الواحد: فلانة انت أباجورة مطفية، وقلت لحسين كمال انت الغرور المشروع، وكانت هذه اللقطة سببا في اهتمام المخرج جميل المغازي بي، وكنت أقوم بإعداد برنامج اسمه «أم كلثوم عصر من الفن» يشارك فيه نخبة من الأدباء من بينهم نجيب محفوظ فذهبت إلى مبنى صحيفة الأهرام .

رحلتي إلى الأهرام

أعددت أسئلتي وذهبت مرتديًا قميصا وبنطلونًا أسود وبلوفر أحمر.. وفي جريدة الأهرام كنت تواقا لأرى العمالقة توفيق الحكيم- نجيب محفوظ –يوسف إدريس- ثروت أباظة – دكتور ذكي نجيب محمود والكبير صلاح

طاهر، وجاء جميل المغازي بالعدسات، وجلست في حالة صمت أنتظر المذيعة والوقت طال..

فسألت :جميل المغازي يا جميل من المذيعة ؟

فقال :لا أدري..

قلت: طيب من المذيع ؟

قال :أنا لا أستطيع أن أجزم أنا زيي زيك بالضبط منتظرين مجيئها.. ثم جاء الساعي في مكتب صلاح طاهر، وقال أستاذ مفيد تليفون لحضرتك.. وتساءلت من يكون المتحدث ويطلبني في مكتب صلاح طاهر، كان ذلك مبعثا للدهشة بالنسبة لي.. وذهبت أرد على التليفون .. وجاءني الصوت على الناحية الثانية يقول أيوه مفيد أنا سامية صادق قلت أهلًا وسهلًا مدام سامية أؤمريني قالت اللي ها يقدم البرنامج هو إنت... هو مش إنت اللي قلت لي برضه أنا من أفضل من يقدم البرنامج الذي أعده ؟

قلت لها :هذا صحيح... كنت قد تعاونت مع سامية صادق في الإذاعة من خلال إعداد برنامجها الشهير جدًا «فنجان شاي».

لقد كانت الثواني التي تلت كلام سامية صادق بالنسبة لي أطول فترة زمنية من الحيرة، ولكن السيناريو الإلهي كما قلت دفعني إلى الأستاذ جميل المغازي وأبلغته أنني سأقدم البرنامج بناء على تعليمات سامية صادق، وضحك جميل المغازي ضحكة نصفها مصري ونصفها ألماني؛ لأن زوجته الألمانية أثرت عليه قليلًا وكان في الضحكة بعض الخبث حيث فهمت فيما بعد أنه كان يعلم من الذي كان سوف يقدم البرنامج .

ودخلت مباشرة إلى نجيب محفوظ وحاورته وصفق لي عمال الإضاءة وختمت دائمًا أي لقطة مع أي شخصية دون التعبير التقليدي شكرًا لك على معرفش إيه .. مفيش !!.

كان عنوان البرنامج «أم كلثوم عصر من الفن» وبعدما عرض على الشاشة قالت أم كلثوم كلاما كثيرا عني، وكان هذا هو السبب في أن كل رحلات أم كلثوم يتصل بي الأستاذ محمد دسوقي ابن أختها؛ ليطلب مني إعداد الحلقة فأعددت حلقة سلوى حجازي، وحلقة نجوى إبراهيم إلى تونس، وحلقة سهير الإتربي إلى السودان وحلقة أخرى من ليبيا .

كل هذه الحلقات من إعداد مفيد فوزي حتى إني أذكر أن السيدة نجوى إبراهيم أرادت أن تستأثر بالتقديم والإعداد، لولا أني نزلت وكنت عنيفًا معها، وأذيع البرنامج من إعداد مفيد فوزي وتقديم نجوى إبراهيم، المهم أني فوجئت بعد هذا البرنامج بثورة المذيعات .

اكتشفت أن الأستاذ محمود سلطان أمده الله بالخير والسلامة كتب مذكرة وقعت عليها كل المذيعات ما عدا اثنتين هما نجوى إبراهيم وملك إسماعيل؛ لما يربطني بهما من صداقة .. المذيعات رفضن وجودي كمقدم برنامج وذهبوا بالمذكرة إلى السيد صفوت الشريف، من المهم أن أعود قليلًا قبل هذا إلى أهم برنامج كلفت به من قبل الدكتور عبد القادر حاتم وأنا في التليفزيون، وتقدمه كل من نجوى إبراهيم - سلوى حجازي - عائشة البحراوي - فوزية العباسي، ومذيعة رابعة اسمها راندا كامل .. كان هذا البرنامج من أهم برامج التليفزيون المصري؛ حيث كنت أقوم بالإعداد وهناك أربع مذيعات واثنان من المخرجين وكان يراقبه د.حاتم بشدة..

برامجي للإذاعات العربية

بدأت شهرتي على مستوى العالم العربي عندما تعرفت على شاب جاء إلى مصر وقاصدا التعاون معي بالذات اسمه حسيب يوسف الله يرحمه.. كان مخرجًا نابهًا في التليفزيون الأردني، قال لي عندي برنامج في الأردن وأريدك تعمل إعدادًا وحضرت أتفق مع المذيعين والمذيعات .. اقترحت عليه السيدة نجوى إبراهيم، وقابلها واتفق معها وسافرنا إلى الأردن .

وفي يوم وصولنا أنا ونجوى للأردن تلقيت دعوة على العشاء من مدير إذاعة الأردن أحمد الخطيب الذي طلب مني إعداد برنامج للإذاعة.. قلت له موافق وطلب مني الذهاب إلى مكتبه في اليوم التالي ومعي الأفكار.. وكان اليوم التالي موعد تصويرالبرنامج في السابعة مساء، وفي الصباح قابلت محمد الخطيب وبالمناسبة ابنته هي وزيرة السياحة في الأردن الآن، عرضت عليه الأفكار واتفقنا على تنفيذ ما اختاره.

من الأشياء المهمة أنني أرى دائمًا أن التقدير هو كلمة السر في حياة أي فنان، وهو البلسم لأي إنسان وكلمة فيها شيء من الثناء الصادق لها فعل السحر في حياة الإنسان.. قال لي محمد الخطيب إننا نريد أن نفاجئ جلالة الملك حسين في العيد بحوار طويل مع عبد الحليم حافظ مهم جدًا، وكنت على قناعة أن الإنسان يجب أن ينفق على عمله ولا يستفيد منه ماديًا فقط، وقد اشتريت جهازا جديدا للتسجيل ومايكروفونات، وذهبت إلى صديقي العندليب وأجريت معه حوارا وذكر فيه أحاسيسه بالنسبة إلى الأردن وبالنسبة للملك حسين .

أذيع برنامج عبد الحليم حافظ وكلفني الأستاذ محمد الخطيب بحوار مع الأستاذ محمد عبد الوهاب، وقدمت أكثر من برنامج لإذاعة الأردن، وعندما تعرفت على حسيب يوسف وقدمنا برنامجًا آخر وكانت المذيعة هذه المرة فريال صالح وفي إحدى المرات جئت إلى الأردن ومعي سعاد حسني لعمل فوازير في إذاعة عمان ..

في بيت الأستاذ محمد الخطيب جاءت سعاد حسني وجلست في حضور بعض الشخصيات الأردنية، وقالوا وين يا أبو محمد وينها سعاد حسني ما شفناها يا أخي ولا شيء قال لي بس اتفضل.. الست سعاد حسني أهيه رد بقوله والله ده شيء مختلف خالص أهلًا يا ست سعاد، واكتشفت أن سعاد حسني قمة في نضجها وانطلاقها وشخصيتها، أما نادية لطفي فوجودها

في مكان بصوتها وشخصيتها وكيانها وجمالها وتورد بشرتها لا يمكن أن تخطئها العين عن كل ممثلات السينما، وحضورها في الحياة أكبر مائة مرة من سعاد حسني التي ينطبق عليها في الحياة الخاصة low profil كانت ساكنة بلا مكياج ولا رموش، ولا كيان ولا صوت .

تليفزيون الأردن

قمت بعمل حوارات في الإذاعة وسافرت أكثر من مرة منهم مع نجوى إبراهيم كي نقدم برنامجًا أيضا لحسيب يوسف، وكل هذه البرامج كانت تبث على شاشة التليفزيون الأردني، وذات مرة عرفني مدير الإذاعة محمد الخطيب على مدير التليفزيون السيد محمد كمال وهو شخصية قوية للغاية وصديق شخصي للملك حسين، أذكر أنه في يوم من الأيام هبطت طائرة هيلوكبتر في مكان فسيح داخل مبنى الإذاعة والتليفزيون هبط منها فجأة الملك حسين الذي دخل فجأة على مكتب محمد كمال وصافحه، وقبله وقال أهلًا سيدنا حمد لله على السلامة اتفضل قال أهلًا يا محمد هذه هدية لك بمناسبة عيد ميلاد محمد كمال الذي خرج وراء الملك يقول له طيب فنجان قهوة .. فأجابه الملك قائلا له: لا.. وركب الملك الطائرة وحياه بين ذهولي، لأن ملك البلاد يأتي لرئيس التليفزيون ويعطيه هدية عيد ميلاده وينطلق..! وكان تعليق محمد الخطيب .. نحن يا أستاذ مفيد أسرة لأن عددنا قليل ونحن لسنا مثل مصر، وقد حصلت على دخل محترم من برامجي في الأردن .

كما طلب مني الأستاذ عبد الرحمن المعضاضي مدير إذاعة قطر أن أسافر إلى قطر لكي أقابله عندما أصبح اسمي إعداد مفيد فوزي في التليفزيون، أما في الراديو فكنت أقول بصوتي - إعداد وتقديم مفيد فوزي - وقدمت برامج كثيرة لإذاعة قطر في ذلك الوقت .

أذكر أنني سافرت إلى قطر قبل ذلك مع الياور العسكري لمحمد نجيب وكان صديقًا مباشرًا جدًا وأكثر من صديق للفنانة ماجدة الخطيب - رحمها الله - قابلنا هذا الرجل الذي عرفنا أن له علاقات بيزنس في الدوحة، وسافرت معه إلى هناك وقابلني أيضا بأحد أصدقائه وهو من الإخوان المسلمين كان يعيش هناك ومات هناك أيضا، وأذكر أن له عبارة كان يطلقها عليَّ؛ أنني من أتباع الليل وآخره؛ لأني كنت أسهر كثيرا مع محمد رياض، وهو الياور العسكري لمحمد نجيب أول رئيس جمهورية في مصر، هو صاحب دعوتي للسفر إلى قطر، وهناك قابلني عبد الرحمن المعضاضي رئيس الإذاعة، وقال لي اعرض أفكارك وعرضتها عليه بالفعل، ولكن حدث شيء جميل أن محمد رياض أخذني كي أقدم السلام والتحية باعتباري صحفيًا مصريًا لحاكم البلاد، وذهبت وسلمت على حاكم البلاد، الشيخ خليفة وقتها، وقال لي شوف ولي العهد كمان اللي هو رئيس قطر الحالي وقدمت برامج متميزة هناك.

فمثلًا أعددت برنامجًا اسمه «آباء السينما» كان فيه عبد الوارث عسر وحسين رياض، ويحيى شاهين، كل اللي مثلوا أدوار الآباء، وكذلك برنامج اسمه «أمهات السينما» كانت فيه فردوس محمد، وعزيزة حلمي، وكريمة مختار، كل ما نتخيله عن الأمهات .. و برنامج «ديون لا تسدد» والمقصود بها الديون المعنوية أستضيف حسين كمال، هند رستم.. وصل عدد كل هذه البرامج في المتوسط حوالي من 50 – 60 برنامجًا.

كان لهذه البرامج دور فاعل في الإذاعة، وتحولت فيها إلى مذيع قبل أن أصل إلى التليفزيون وهذا كان يسعدني؛ لأن الناس كانت تسمعني، في عمان مثلًا قدمت برامج منها «الفنان والإنسان» مع عفاف راضي، «أدب في أدب» مع صلاح عبد الصبور، الأستاذ أحمد بهجت، والشيخ الباقوري وكل هذه الشخصيات قدمتها ما بين الإمارات والأردن وقطر «موضوع للتأمل» الدكتور حازم الببلاوي . «الضحك فن» لعادل إمام، و«الوجه الآخر» للفنان سعيد

صالح، وبرنامج «أبي من المشاهير»مع ناهد فريد شوقي، و«أمس واليوم» مع أحمد رمزي . كل هذه البرامج قدمتها للإذاعة وكنت سعيد جدًّا بها وأكاد أقول إن الناس بدأت تعرف اسمي جيدا خصوصًا في الوطن العربي .

أذكر كلمة للدكتور مصطفى الفقي كان يقول فيها إن مفيد فوزي اقترب منه العالم العربي عبر صوته قبل أن يقترب منه في مصر، وكان راشد عبد الله وزير خارجية الإمارات يقول إنني مددت جسور التعاون بين البلدين قبل التعاون الرسمي؛ لأنني كنت أذهب إلى الإذاعة في الوطن العربي كله، إلا أنني لم أقدم أعمالا لإذاعتين هما سلطنة عمان والكويت التي زرتها كصحفي وكانت مغلقة؛ لأن صديقي وجدي الحكيم كان يقدم برامجها.. والسيدة آمال فهمي كانت أيضا تقدم مجموعة برامج للإمارات، وكنت أرسل برامجي إما بالسفر بنفسي أو عن طريق الملحق الإعلامي للسفارة وأسلمه الشرائط وهو يرسلها في الحقيبة الدبلوماسية ..

إذاعة الشرق الأوسط

بالنسبة لمقدمات البرامج الخاصة بي فكنت أختار لها أشهر اثنين من الأصوات الإذاعية في مصر وهما سناء منصور وإيناس جوهر، سناء منصور قدمت لي «أين هم الآن» ومن أشهر هذه الحلقات ما قدمته مع المطربة رجاء عبده وأتذكر ختام الحلقة كانت رجاء عبده قد ابتعدت عن ساحة الغناء وقالت لي خلاص خلصت تسجيل . قولتلها آه قالت يا خسارة أصل أول مرة في حياتي من 15 سنة أقعد أمام ميكرفون إلى أن قالت: دنيا ..

وفي الإذاعة كنت متأثرا جدًّا بصوت جلال معوض وعندما كنت طالبا، وأسمعه كنت أضع يدي على أذني وكأنهما مايكروفونات، وأقول هنا القاهرة، وكنت أيضا أقول أرى أمامي كوكبةً من الشخصيات التي تلمع، وأرى في الصف الأول الفنان الشاعر أحمد رامي، وأرى من موقعي هذا سيدة الغناء

العربي تطل من خلف الستارة ولعلها تقرأ جمهورها ولعل كوكب الشرق يهمها جدًّا أن تقرأ جمهورها، قبل أن تطل عليهم من مسرح حديقة الأزبكية أتحدث إليكم ..كنت مبهورا به .

كنت أسمع برنامج «أوائل الطلبة»؛ لأن فيه معلومة من عباس أحمد، وكنت أحب مذيعًا وكاتبًا أتيح لي أن أحاوره في السنوات الأخيرة من حياته هو فاروق خورشيد، وهو محاور يقظ مملوء حماسًا لا تفوته ورادة ولا شاردة ولا يضيع من حوار من يحاوره كلمة ثم يحاور طاهر أبو زيد. كل هؤلاء أحببتهم في فجر شبابي.

مدرسة .. طاهر أبو زيد

لا أنسى أبدًا أن سنة 1954 بعد جلاء الإنجليز عن مصر عندما وقف طاهر أبو زيد فوق سطح أحد المنازل وهو يرى الجنود الإنجليز في طريقهم إلى السفر في سيارات، وقال بالحرف الواحد أرى الجلاء يتجسد أمامنا حينما قرر جمال عبد الناصر أن يرحلوا قرروا الرحيل؛ لأنه لا مكان للمستعمر في هذا البلد ..عمل طاهر أبو زيد في هذا اليوم ملاحظة غريبة حيث حول الكلام بلغتة العربية إلى عامية، و قال بالنص «أنا مش قادر يعني أسيطر على أعصابي في هذه اللحظة من الفرحة اللي داست على النعال في هذه الأرض حا تطهر الأرض منهم.. أنا عايز أنزل أحضن أي مصري مش عارف أنزل ازاي». لا تزال هذه الكلمات تسكن وجداني طاهر أبو زيد وهو ينقل إذاعة خارجية عن خروج المستعمر الإنجليزي عن مصر وكيف قلب العربية إلى عامية.

وعندما كان محمد علوان يعمل في إذاعة صوت العرب وطلب مني أنا والأستاذ محمد وجدي قنديل الصحفي المعروف، أن نذهب معه إلى مكان ما عرفنا فيما بعد أنه إحدى المطارات السرية، وفاجأني محمد علوان وأنا أمسك الميكرفون وقال لي بعد خمس دقائق سوف ينزل الطيار بالميج 21

اللي إحنا كنا لأول مرة بنستعملها وأجرى معه الحوار على الهواء.. فقلت أقف في أرض المطار على أرض ثابتة ثبات مصر الخالدة أقف في هذا المطار وأنظر حولي ولكن من المفترض أن أنظر في سماء مصر بهذه الطائرة في هذا المكان كيف كان أحد النسور - وإلى آخره - وقد نزل الطيار وأخذني محمد علوان بنفسه لكي أصافح النجم الإذاعي الكبير مد الله في عمره أحمد سعيد الذي كان مديرا لإذاعة صوت العرب.

كنت أبذل قصارى جهدي في العمل لفترات طويلة وتعلمت من العمل النظام فكنت أشتري نوتة وأكتب فيها مواعيدي ومن بيتنا أكلم الشخصيات، وطبعًا لم أكن لامعا بعد وإنما كنت متواضعا من صباح الخير، ولاحظت أن الناس كانت تستجيب وكان الزمن رحبًا،لم يكن مزدحما ولا شيء، وكل الشخصيات التي تمنيت أن أقابلها ..التقيت بها فعلا.

أعترف أن الهمة والعزيمة هي التي صنعتني وتوجت عملي، وقد قدمت برنامجًا اسمه «نجوم الشر» ومنهم توفيق الدقن، ومحمود المليجي، و يوسف شعبان، نعمة إبراهيم، و فريد شوقي، وعادل أدهم، وكنت أحصل على هذه التليفونات من سويتش روزا اليوسف، وأعتقد أن اتجاهي كان فنيًّا واجتماعيًّا وأدبيًّا أكثر منه سياسيًّا ؛ لأنني كنت أقدم هذه البرامج ..للإذاعات العربية ولم يكن مطلوبا مني أي برامج سياسية.

وفي إحدى المرات بإذاعة عمان طلبوا مني ثلاثين حلقة فاشتريت جهازا جديدا يشبه جهاز الإذاعة كنت أحمله معي، ورصدت به مشوار يوسف وهبي في ثلاثين حلقة، وكذلك مشوار أمينة رزق في ثلاثين حلقة أخرى، وأذكر أن المبلغ الذي حدده كل منهما جاء إلى مصر الأستاذ يوسف عماري وسلمه لكليهما.

الإذاعة .. في حياتي

إنني لم أطرح عملي الإذاعيّ في مصر إلا عبر أثير إذاعة الشرق الأوسط وقدمت برنامجًا بعنوان «ضيف في ليلة صيف»، وصوتي كان يظهر باعتزاز شديد مني في برنامج مديحة نجيب بعنوان «خواطر مفيد فوزي» .

لقد كنت سعيدا للغاية بهذا الجهد الإذاعي، وخاصة الحوار مع عبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب لإذاعة الأردن؛ فقد نالا حظا وفيرا من الاستماع والنجاح، وقد كانت البرامج تذاع في أوقات مناسبة جدًّا وفرح بها محمد الخطيب وما زلت حتى فترة قريبة أزور الأردن، في سنة 2010 ذهبت إلى الأردن وكان من أول البيوت التي زرتها صديقي محمد الخطيب وذهبت إليه مع ابنته الوزيرة راندا، وهو لديه ابنة هي راندا، وابنه مهند الذي يعمل في التليفزيون بينما راندا صديقة شخصية للملكة رانيا زوجة الملك عبد الله بن الحسين، فهي وزيرة السياحة وهي التي قابلت البابا عندما جاء إلى الأردن.

عندما أتأمل مشواري أكتشف أن الهمة تجعلني أقفز فوق الإحباط.. تعلمت من خبراتي الحياتية ألا أتوقف عند التفاصيل، وقد قدمت برامج لإذاعة الأردن طوال سنوات عمل محمد الخطيب، وكل برامجي لتليفزيون الأردن قدمتها مع حسيب يوسف وكلها كانت من إعدادي؛ لأنه كان يعرف أنني عندي رؤية معينة في الإعداد، وعندما أصبح الأستاذ المجالي مديرا للإذاعة لم أقدم أية برامج.

وفي لمسة وفاء من السيد مجالي مدير الإذاعة ظل يوسف عماري مدير مكتب محمد الخطيب يعمل لفترة معه، ولكن المشكلة أن الأستاذ المجالي كان ينظر لي باعتباري لصيق الصلة بمحمد الخطيب .. ولم يكن يعطيني برامج وكان يجعلني أنتظره بالنصف ساعة والساعة في مكتب سكرتيره .. لقد أخذت درسًا في بداية العمر أنه لا ينبغي أن يكون الوفاء لشخص هو

المعيار؛ لأنني أعمل لإذاعة الأردن، وقد استشعرت هذا في بدء العمر ولم أعد أزور الإذاعة عندما أسافر إلى الأردن، وإذا كانت هناك برامج تليفزيون أشارك فيها، وظللت فترة طويلة أقيم في فندق متواضع بجوار المطار ثمن الليلة فيه حوالي الستة دنانير خلف الإنتركونتينتال، حتى أصبحت أقيم في فنادق فاخرة عندما كنت أقدم برنامج الأستاذ حسيب يوسف .. وقد سافر معي إلى الأردن نجوى إبراهيم، وفريال صالح، سلمى الشماع، وسعاد حسني، نادية لطفي، وكل هؤلاء سافروا للأردن من خلالي.

كنت أعتبر أن سفري للعمل بالإذاعة خارج مصر مهمة رسمية ..والهمة والعزيمة داخلي كانت تقودني إلى حالة من التنظيم الشديد لسرعة الإنجاز.. أذكر مرة أنني كنت في حاجة لإنجاز 18 حلقة قبل رمضان والدورة الإذاعية .

من أهم الشخصيات التي قابلتها في العالم العربي بالدوحة محمود الشريف مدير الإعلام في قطر، ووزير الإعلام الأستاذ عيسى الكواري أما محمود الشريف فهو أساسًا من العريش، وجذوره أردنية، وأنهى حياته مستشارًا للملك حسين.. وقبلها كان وزيرا للإعلام في الأردن .. بالمناسبة محمد الخطيب مدير الإذاعة صار وزيرا للإعلام في الأردن وكذلك نصوح المجالي مدير الإذاعة في عمان صار وزيرًا للإعلام فيما بعد.

أما محمود الشريف فعندما كنت أسافر إلى قطر كانت جلستي الوحيدة الحقيقية معه، وكان يتحدث أمامي عن مشاوير عمره وكيف كان يقابل المهام الصعبة، وقد عاش أهم سنوات الانفتاح الذهني لدولة قطر وعشت لحظة الانقلاب على الأمير في قطر، وحينما ترك محمود الشريف مكتبه في الدوحة، وذهب إلى الأردن كان دائمًا يمر عليَّ في الفندق؛ لنجلس في مقهى ونتحدث.. كنت صغيرًا ولكن كانت تبدو عليّ صفات الجدية، وأعتقد أنها كانت سببا رئيسيا لمصادقة هؤلاء الكبار أمثال محمد عبد الوهاب ونزار قباني و يوسف إدريس وموسى صبري .

تعلمت الانطلاق في الكلمات، والمعاني من طاهر أبو زيد كما تعلمت الجرس الموسيقي مع الفرق الهائل من جلال معوض، وعرفت من فاروق خورشيد أن الذي يجلس خلف ميكروفون لابد أن تكون له صلة واسعة بالفكر، وتعلمت أن المعلومة ضرورة من عباس أحمد أما العفوية الجميلة فهي المذيع فهمي عمر، و أحببت صوت بديعة رفاعي وعشقت صوت سميرة الكيلاني

وزراء الإعلام .. وأنا

بالنسبة لعلاقتي بوزراء الإعلام فقد تبنى موهبتي الدكتور حاتم، ودفعني جدًّا السيد محمد فايق .. وكافأني الوزير أمين هويدي ..ورشحني جمال العطيفي رئيسًا لتحرير مجلة الإذاعة؛ وعندما جاء صفوت الشريف وكانت الورقة أمامه لم يعترض، وكتب أوافق على استبعاده بشرط أن تقدم المذيعات برامج في مستوى ما يقدمه بنفسه .

جاء البرنامج الثاني وساعدتني فيه السيدة سامية صادق وكان اسمه «الموعود بالعذاب والنجاح» عن عبد الحليم حافظ ثم حدثت مفاجأة حيث طلبني السيد صفوت الشريف والمشير عبد الحليم أبو غزالة لأقدم برنامج (المدفع قبل الخبز أحيانا)، وأجريت حوارا مع المشير عبد الحليم أبو غزالة كان فيه على الشاشة لأول مرة أحمد رجب الذي لم يكن قد نطق العمر كله، ولأول مرة ظهر شاب قادم من أمريكا لامع الأفكار مرتب الذهن جدًّا اسمه الدكتور صبري الشبراوي، ولأول مرة تظهر على الشاشة الأديبة الكبيرة العظيمة سهير القلماوي .. كان هؤلاء الثلاثة في برنامج «المدفع قبل الخبز أحيانا» وحينما طلب السيد أبو غزالة هذا البرنامج من صفوت الشريف طلبني بالاسم .

وفي إحدى المرات يطلب السيد حسن أبو باشا وزير داخلية مصر وقتها أن يؤتى بمفيد فوزي ليبدأ بتقديم برنامج في أحد أعياد الشرطة، ولعله منذ حسن أبو باشا بدأ الشعور بأهميتي كمحاور بعد أبو غزالة وأم كلثوم وصمتت

الآراء التي كانت تنادي بإقصائي إلى الأبد، وقدمت بعد ذلك يوسف إدريس وإحسان عبد القدوس ويحيى حقي، وأشهد أن جميل المغازي قد منحني فرصة كبيرة للتألق ولأن من سجلت معهم يعتبرون وثائق هامة بعد 50 عامًا، عندما يسألون من كان هذا إحسان عبد القدوس سيجدون أن التسجيل الوحيد هو معي، وفي التاريخ عندما يذكرون اسم مفيدة عبد الرحمن أول محامية مصرية فسيقولون أنا وكذلك الموسيقار محمد عبد الوهاب.. الحوار المهم له كان معي بعنوان «الموسيقار وأنا».. لم أستطع أن أسجل مع عبد الحليم حافظ فقد مات قبل أن أكون على شاشة التليفزيون، وكان يتمنى و يقول دائمًا بل هو لعله أول من تنبأ لي أنني سوف أكون على الشاشة يوما ما.

أتذكر أنني قد قدمت إحدى حلقات الشرطة وكتب أحمد بهاء الدين مقاله الشهير الذي يقول فيه عرف مفيد فوزي كيف يسمرنا على مقاعدنا في حلقته المتألقة غير المسبوقة في تاريخ التليفزيون بين الغفير والوزير، وكتب مصطفى أمين يقول إذا كان أحمد بهاء الدين يحلل ما كتبه، ومصطفى محمود يتأمل، فإن مفيد فوزي يسأل .

كانت هذه إشارة مهمة إلى فكرة السؤال حيث قالت فيما بعد مرة أخرى السيدة سناء البيسي حينما قرأت لي حوارا صحفيا مع الأستاذ نزار قباني، ويبدو أنها تذوقت الأسئلة بشدة، فكتبت تقول اسأل ولا تكف عن السؤال، ثم مرت الأيام الطويلة إلى أن جاء صباح يوم من أيام الشتاء وعرض علي تقدم برنامج قيل لي فيه سيكون صورة مرئية لمصر، واسمه «حديث المدينة» ولم يكن معي جميل المغازي بل تلميذة نجيبة من تلاميذه كانت تدير المونتاج واسمها الراحلة نادية كمال، بدأت فيه على ما أتصور في سنة من السنوات يوم 12 يناير الحلقة الأولى لبرنامج حديث المدينة الذي أعتقد أنه أقدم برنامج تليفزيوني وعمره أكثر من 12 سنة حتى الآن وجاء بعد نادية كمال الأستاذ أحمد معوض الذي رافقني الرحلة، في تلك الأثناء كان اسمي بين

المحاورين يكبر منذ أن قدمت بنفسي برامجي واستعين بي كمعد أكثر من مرة قبل أن أقدم برامجي بنفسي.

حديث المدينة

ظهر برنامج حديث المدينة في الأسبوع التالي لإنهاء مهمتي في مجلة صباح الخير كرئيس للتحرير حيث تحولت إلى كاتب بمؤسسة روزا اليوسف، وانتظمت في طابور الصحفيين عندما اختير الأستاذ رءوف توفيق رئيسًا لتحرير صباح الخير، أخذت أفكر في هذه التجربة الصحفية، وكيف استطعت أن أحول الصحافة إلى عمل تليفزيوني، وكان كل الذي يهمني هو كيف أقدم مجلة تليفزيونية جيدة تتحسس نبض المدينة في كل أخبارها،كان اهتمامي الأول والأخير بالناس في هذا البلد، خاصة البسطاء، نزلت إلى الشارع في أماكن بسيطة أتابع حياة الصيادين والمهمشين وسكان البدرومات والمستنقعات والعشوائيات وضحايا الزلازل والسيول ورغيف العيش ومشاكله والأبنية المتصدعة وحوادث المدارس التي سقطت على الأولاد، والسلعوة التي هاجمت بعض الناس، وذهبت للفلاحين الذين ليس لهم صوت بالمرة كل هذه الأشياء كانت محورا لاهتمامي في حديث المدينة كما أتيح لي مقابلة الرئيس السابق كمحاور تليفزيوني في حديث المدينة 4 مرات، وقابلته كصحفي مرتين، وتم نشر حوارين معي في صباح الخير، وفي حديث المدينة كانت لي لقاءات مع وزراء الداخلية؛ حيث اكتسب البرنامج مصداقية جعلت الوزراء يطلبونني بالاسم وحينما بدأت أقدم برامجي بنفسي قبل حديث المدينة كنت قد قدمت المشير عبد الحليم أبو غزالة في ثلاثة أحاديث تليفزيونية، أما الرابع فلم يكن على الإطلاق بمفردي بل كان معي الأستاذ محمود سلطان والسيدة زينب سويدان، وأذكر أنني كنت على وشك الرفض أن أكون واحدًا من ثلاثة يحاورون المشير أبو غزالة وللدقة سألت صديقي الدكتور علي السمان الذي كنت ألجا إليه؛ ليفسر ما حدث أمامي ويحل اللغز

الذي لا أفهمه ... لقد قدمت من قبل ثلاثة حوارات مع المشير أبو غزالة فما هو المبرر أن يأتوا بي مع محمود سلطان وزينب سويدان وكلاهما قارئ للنشرة ولم تكن زينب سويدان قد تولت رئاسة التليفزيون المصري بعد؟

وقال لي علي السمان بالحرف الواحد (يا بني عندما تكونوا أنتم الثلاثة تحاورون أبو غزالة فهذا برنامج، ولكن عندما تكون أنت تحاور أبو غزالة بمفردك فهذا بورتريه، وليس مطلوبًا أن يكون لأبو غزالة بورتريه، وعليك القبول لكي يكون البرنامج شيقًا) ويبدو أن السيد أبو غزالة فهم هذا المعنى جيدًا وأشهد أنه كان ذكيًا بدرجة مذهلة تلفت النظر .

هؤلاء الرجال ..لا أنساهم

أذكر من بين الرجال الذين قابلتهم وأعجبت بذكائهم جدًّا المشير أبو غزالة في الجيش ووزير الداخلية حسن أبو باشا، والاثنان نمطان من الرجال الأذكياء الذين يربطون الأشياء بعضها ببعض ويستنبطون ويستنتجون منها أشياء كثيرة؛ وقدمت منها البرنامج المطلوب لأبو غزالة حيث وزعت الأسئلة التي كنت قد أعددتها للأستاذين زينب سويدان ومحمود سلطان وقد سألت أبو غزالة يومها هل الحرب تعلم الحرب؟ وإذا بأبو غزالة يقول إن هذا السؤال جميل ويفتح الباب لنقاش شديد الأهمية.. نعم الحرب تعلم الحرب وفاض واستفاض وتكلمنا كثيرًا في هذه النقطة وكان بارعًا في الشرح والتكتيك العسكري، أبو غزالة أحد مثقفي الجيش المصري، وهو رجل قال عنه التاريخ إنه إضافة حقيقية للجيش المصري وربما قلت إنه الوحيد من بين القادة العسكريين الذي تمتع بحب ضباطه وجنوده.

وفي حديث المدينة قدمت القضايا ذات الصبغة الشعبية فقدمت الوزير بطرس يوسف بطرس عندما كان الموضوع «الضرائب في مصر»، ولم أكن أحظى بلقاء مع محمد حسنين هيكل، رغم أنني كنت أتمنى أن يكون هيكل

أحد ضيوفي لكني لم أستطع مقابلته؛ لأن هناك أسماء لا ينبغي إطلاقا أن تصل للتليفزيون المصري أهم شخصية عندي محمد حسنين هيكل لأني كنت صحفيا، وقد تدربت كصحفي في مدرسته،عندما عملت تحت يد كامل الشناوي في مجلة آخر ساعة لكنني لم أعمل مع هيكل بشكل شخصي بحت، وهو أخذ من صباح الخير أحمد بهجت ليعمل في الأهرام عندما كان مسئولًا في الأهرام، كما أخذ أيضا يوسف فرنسيس ليكون رسامًا في الأهرام.

وكانت القضايا المهمة تثار دائمًا في برنامج حديث المدينة للأسباب الآتية :

1- شخصية المحاور .

2-المصداقية التي يتمتع بها .

3 - البرنامج نفسه.. حيث.لم يكن هناك برامج على الإطلاق مثلها فيما عدا رئيس التحرير للأستاذ حمدي قنديل فقد تزامنا أنا والأستاذ حمدي كمحاورين أنا أقدم حديث المدينة، وهو يقدم رئيس التحرير وصار لحديث المدينة أبناء فعندما جاءت رولا خرسا إلى مصر قدمت برنامجها واسمه "القصة وما فيها" وهو برنامج يشبه بالزمن والتقدير حديث المدينة اعتمد على أن يكون سهرة وفي البداية كان سهرة شهرية تمتد لأكثر من ساعة ونصف ثم أصبحنا نقدم حديث المدينة كل نصف شهر لمدة ساعة ونصف ثم صدر قرار من وزير الإعلام صفوت الشريف بأن تكون مدة البرنامج ساعة واحدة فقط ويكون أسبوعيا، وفي عصر أنس الفقي أصبحت مدة البرنامج 45 دقيقة فقط وأظن أن برنامج حديث المدينة يعتبر أول توك شو في العالم العربي على الإطلاق؛ فلأول مرة يخرج البرنامج إلى الشارع ويتكلم مع الناس ويستمع إليهم، وفيما بعد أصبحت لقاءات الناس في الشارع يقوم بها بعض المراسلين الذين يفتقدون المصداقية الشديدة .

أعتقد أن حديث المدينة يعتبر أقدم برنامج تليفزيوني في مصر وضع أسسًا للتحقيق التليفزيوني والحوار التليفزيوني والمواجهة التليفزيونية، وقد كنت وأنا أقدم حديث المدينة ملتزمًا بكتابة بعض التحقيقات والحوارات في مجلة صباح الخير، وكنت قد تعاونت أيضا مع الأستاذ عماد أديب في مجلة «سيدتي» ومجلة «المجلة» وكنت أراسله من القاهرة ثم استقر بي المقام أن أكتب افتتاحية العدد الأسبوعي من «العالم اليوم» وحتى خروج عماد أديب من مجلة «سيدتي»، ومجلة «المجلة» لم أعد أكتب فيها لأنني لم أعد أعرف من هم الفرسان الجدد الذين سوف يكونون بها .

إنني أشعر أن حديث المدينة قطعة مني وأنا قطعة منه ولو امتد بي العمر؛ لكي يكون هذا البرنامج أقدم برنامج تليفزيوني في مصر فقد أعطاني التليفزيون اسما أكبر مضافًا إلى اسمي في العمل الصحفي .

لقد بدأ ظهوري في التليفزيون المصري منذ عام 1982 حين قدمت لأول مرة برنامج «عصر من الفن» وكنت أظهر بظهري قبل أن يرى الناس ملامح وجهي وفي تلك الفترة سألوني كثيرًا لماذا لا تظهر بوجهك؟ ولعلي كنت أول محاور تليفزيوني يقدم تحقيقات طويلة لساعة أو أكثر دون أن يظهر وجهي، وكانت فلسفتي بسيطة أنني أتوارى كمحاور لأعطي الوقت كله واللقطة كاملة لمن أحاوره، وربما ظهرت لأول مرة بوجهي حين دار بيني وبين الرئيس السابق مبارك حوار مطول لعله كان الأول الذي يجلس فيه محاور أمام رئيس الجمهورية في مصر؛ ففي عهد الرئيس الأول محمد نجيب لم تحدث استضافة ولم يكن هناك تليفزيون، وفي عصر الرئيس جمال عبد الناصر لم يجرؤ أحد على أن يحاوره وفي عصر الرئيس السادات كانت السيدة همت مصطفى تجلس مع الرئيس السادات في أبو الكوم حيث الكاميرات تقدم حديث الرئيس السادات إلى الناس في مصر، ولم تكن همت محاورة بالمعنى المفهوم، بل كانت تقول بالضبط يا ريس، فعلًا معقول، تمام يا ريس، وكلها

كلمات تشعر الرئيس السادات بأنه لا يتحدث بمفرده، بل إن هناك من يجلس بجواره يعطيه الألفة والونس بالكلام .

في عهد مبارك أشهد أن السيد صفوت الشريف قدمني له بعد أن اشتركت بمعاونة رئيس هيئة الاستعلامات وقتها ممدوح البلتاجي كصحفي، وذهبت لأحصر بعض المشاريع المهمة التي أنجزها الرئيس السابق مثل مشروع الصرف الصحي، وأذكر أنني كتبت حوالي 4 أو 5 صفحات؛ حيث حللت الصرف الصحي صحيًا واجتماعيًا وسياسيًا، وقلت ما معنى الصرف الصحي في مصر وقد نشر الموضوع في مجلة صباح الخير وقيل إن الرئيس مبارك اندهش جدًّا من هذه السيولة في الكتابة، وقد قال لي في أحد أعياد الإعلام إن عملية التحليل هذه جديدة بالنسبة لي .. كان ذلك في سنوات الحلم الواعدة الأولى قبل ظهور شبح التوريث التي كان يرفضها الجيش سرا والشعب علنا .

25 يناير 2011

أقول هذا الكلام وأنا في زمن الثورة أي بعد 25 يناير فأنا أسجل هذه السطور خلال محاكمات الرئيس السابق، ومطالبة البعض بإعدامه أو أن يعيش بعيدًا، ومطالبة البعض الآخر بدرجة من المصالحة معه.. كل هذه الأشياء تمر أمام عيني وأنا أتذكر جيدًا بمناسبة هذا الموضوع أنني قد سألت الأستاذ الدكتور أحمد جمال الدين موسى وأنا أجري حوارا لـ «حديث المدينة» عن المؤرخين حينما سألته بالحرف الواحد ماذا حدث في مقر التاريخ؟ وأفتى الأستاذ أحمد جمال الدين موسى وزير التعليم بأنه أعطى للجنة تقييم التاريخ، وقال إنه لم يغفل إنجازات مبارك، أقول هذا الكلام بعد 25 يناير والكتاب سوف يكون بين أيدي الناس في أي لحظة عندما أفرغ منه .

إن هذه الثورة لم تقم من أجل وحشية الانتقام ولا من أجل الأحكام قبل المنصة، ولم تقم من أجل أن يتحول الشارع إلى قاض بل الثورة قامت باللغة العامية بهدف العدالة الاجتماعية والحرية، وشيء آخر مهم في رأيي اسمه الإنصاف .

في تقديري الشخصي أن التاريخ فيما بعد سوف يراجعنا مثلما راجعنا التاريخ في قضية الملك فاروق؛ حيث اتضح أن الملك فاروق ليس ذلك الشخص الذي يشبه الشيطان الذي كان يجري وراء النساء ويحتسي الخمر ولا شيء من هذا كله أبدًا، وقد حاورت السيد إبراهيم بغدادي الذي كان محافظًا للقاهرة، وأشهد أني أجريت معه حوارا صحفيا استمر لمدة شهر كامل في جريدة الرأي العام وكان هو الرجل الذي أشيع أنه دس السم للملك فاروق في أحد مطاعم كابري ومات هناك، فقد كان الموضوع كله يدور حول الملك فاروق حينما ذهب لكابري وطاف بالجزر وكيف كانت تمضي حياته من واقع أنه كان مكلفا بمراقبة فاروق، حتى لا تحدث هناك أشياء تشوه ثورية يوليو 1952 سوف يحاكمنا التاريخ فيما بعد إذا كنا أنصفنا مبارك أو أنصفنا السيدة سوزان مبارك فيما قدمته من إنجازات في التعليم، أو في مدارس الأقصر (36 مدرسة) أو في جوهر الارتقاء بفكر النساء أو ببعض المشروعات المهمة التي أدارتها كي تشعر المرأة بأنها ليست دمية يلعب بها الرجل.

رؤيتي للثورة

سوف يناقشنا التاريخ ولكن للأسف غياب مبارك الذهني خصوصًا بعد رحيل حفيده يعتبر مسئولًا عما جرى في الفترة الأخيرة من انتفاضات شعبية، وصلت في زمن الثورة إلى أن يحاكم أول رئيس مصري؛ حيث خرج مبارك من التاريخ بهذه المحاكمة والسيدة سوزان ثابت صالح كان لها إنجازات لا يمكن إنكارها ولكنها شوهتها تماما، وألقت عليها الغبار الفظيع حيث ثبت

للخاصة والعامة في مصر والدنيا كلها أنها كانت تسعى لتوريث السيد جمال مبارك في أثناء وجود مبارك، وللحقيقة والأمانة أذكر أنه في بعض اللقاءات الصغيرة التي كانت تتاح لي أثناء السفر الطويل على مدى التاريخ الطويل، أن مبارك كان يقول إنه سيظل في مصر حتى الرمق الأخير؛ إذن لم يكن مبارك قاصدًا أو راغبًا في توريث ابنه جمال لهذه المهمة، غير أن سيدة القصر كانت تريد توريث جمال مبارك مثلما جرى في سوريا وما جرى بالمغرب وما جرى في عمان الأردن.

كلمة .. للتاريخ

كانت تريد أن ترى ابنها على عرش هذا البلد، وبالتالي كانت هي المسئولة عما جرى، وقد رفضت الناس كل إنجازاتها في مقابل رغبتها وسعيها في توريث جمال .. أذكر أن أول لقاء مع مبارك كان في قصر الرئاسة، جئت لكي أقدم البرنامج ومعي مجموعة من الأسئلة أذكر أن السيد صفوت الشريف ألقى عليها نظرة كاملة، لعله اقتنع بكل ما قلت وكتبته.. وأتذكر جيدًا أنني بدأت في الجلوس وكان الرئيس مبارك متوترًا بعض الشيء؛ لأنه كانت أول مرة يجلس فيها أمام محاور مصري ..لم يكن قد سبقني في هذه التجربة أحدٌ من قبل وأتذكر وأنا جالس معه أنه سألني ما هو سؤالك فقلت إن السؤال يا فندم .. ماذا في بؤرة تفكيرك ؟

فقال: «إيه بؤرة دي عامله زي غرزة.. اختار يا أخي كلمات أبسط من كده إنت مش بتكتب»؟ قلت له بالحرف الواحد سأسألك يا ريس بتفكر ازاي في المصريين؟

قال: كده معقول، والتفت إليَّ وقد تكلمنا عن موضوعين دائمين أولهما الكثرة العددية من السكان، والثاني عن التعليم كان يقول نحن نتكاثر بطريقة فظيعة، وكثرتنا تلتهم كل ما لدينا من أكل وكل ما لدينا من حياة ولا شيء سوف يحلها إلا أن نحدد السكان في مصر .

أذكر بالمناسبة أن مبارك لم يقل على نفسه إنه مثقف أو أنه قارئ من الدرجة الأولى، كان رجلًا عسكريًا منهمكًا وبشدة في الشئون العسكرية، وأنه في أحد المرات كان هناك لقاء يضم العمالقة أحمد بهاء الدين، وعبد الرحمن الشرقاوي، وفكري أباظة، وثروت أباظة، ويوسف إدريس، وسعد الدين وهبة، ودارت مناقشة لا أذكر تفاصيلها ظهر أحمد بهاء الدين خلالها يقول له يا ريس هذا موقف مشابه لمواقف سابقة، فسأله مبارك يا أخ بهاء من هم الخوارج ؟ إيه المعنى اللي انت بتقوله ده ؟ وشرح بهاء وكتب أنها أول مرة يتواضع رئيس ويسأل عن شيء لا يعرفه، ولعل الرئيس السادات كان مشهورًا عنه أنه يعرف كل شيء، وكان يرى أن وجود أنيس منصور بجانبه كان كافيًا ليكون موسوعةً للثقافة الكاملة .

مرت الأيام ولا أنفي أبدًا أنني كنت أهاب لقاء الرئيس أول مرة ولكني أشهد أن بساطته وبعض قفشاته كانت كفيلة أن تخفف من أي توتر حتى توتره الذي لاحظته في أول اللقاء حين طلب ترابيزة، فسأل بصوت عال هو مفيش ترابيزات هنا ولا إيه، وأظن أن هذا الصراخ كان يخفي توترًا عند الرئيس، وأنا أيضا قلبي كان تزداد دقاته؛ لأنه لم يكن أمرًا سهلًا وبسيطًا أن يجلس أول محاور مصري على الإطلاق أمام رئيس جمهورية ليجري حوارا .

مما لا شك فيه أن الحوارات التي تلت هذا الحوار كان الأمر فيها بالنسبة لي سهلًا.. خصوصًا عندما كنت أقابله على الطائرة في رحلاتي كرئيس تحرير؛ إذ أتذكر أنه لأول مرة كنت في الإسماعيلية ناداني الرئيس مبارك من بين الصحفيين، وقدمني للملك حسين فقال الملك حسين ده بييجي عندنا في عمان.. وسألني الرئيس ياسر عرفات أخبار حنان إيه ؟ فقال الرئيس مبارك إنت بتسافر من ورايا؟ فقلت لا ياريس أنا بروح عمان لأني بأقدم برامج إذاعية لإذاعة عمان، أما من حيث الرئيس عرفات فقد تعرفنا عليه أنا وزوجتي - رحمها الله- والسيدة الكبيرة سميحة أيوب، ودعينا جميعًا إلى مهرجان جرش وهو مهرجان سنوي في الأردن، ولا شك أن هذه المهرجانات تصبح وسيلة للتعرف والتقارب.

وفي إحدى هذه السهرات قابلنا الرئيس عرفات الذي كان يجلس بجوارنا وأجرت معه زوجتي حوارًا لبرنامجها ساعة زمان . بعد هذه المرات التي قابلت فيها الرئيس في لقاءاته معنا على الطائرة أصبح الأمر سهلًا وبسيطًا، ولكنني في عام 1994 لم أعد رئيسًا للتحرير وبعد سنة أو سنتين قدمت حواري الأول معه ثم ثلاثة حوارات أخرى، ولكن في السنوات العشر الأخيرة التي هي سنوات العاصفة الشديدة بالنسبة لمبارك.

أرسلت أكثر من خطاب له بخط يدي وموقعًا مني وكنت أتحدث للسيد جمال عبد العزيز سكرتير الرئيس مبارك ليرسل أحدا إلى بيتي، ويأخذ منه الخطاب، فكان يرسل وكنت أكتب له وأقول يا ريس الناس بتغلي في الشارع وأنا أسمع الناس ولأني خدمت معك، وهي مصطلح عسكري؛ لأني جلست معك أريد أن نجلس ونتحاور مثل ما كنت ونسا للبيت المصري سواء معي أو مع غيري ولكم جزيل الشكر والاحترام والصحة الإمضاء أخوك مفيد فوزي.

كنت أفعل هذا بدافع الوطنية بدافع الإصلاح، ولا أستطيع إطلاقا أن أدعي الثورية في ذلك الوقت المبكر . ولكن كنت حريصًا على أن يكون البلد في حاجة لعقل يفكر وعقل يستنهض الهمم وعقل يرى ما حوله جيدًا، أرسلت أربعة خطابات بصيغات أخرى مختلفة.

وكنت أتصل باللواء جمال عبد العزيز وأسأله هل قرأ الرئيس الخطابات فيقول لي نظر فيها وقرأها.. وفي إحدى المرات قال لي السيد جمال عبد العزيز اتصل بالوزير الفقي واذهب إليه لإعداد الصيغة، ولما ذهبت للوزير الفقي وكان معي نسخة من الأسئلة قرأها وقال لي لا دي تتكد عليه ..أنا عاوز أسئلة بسيطة خفيفة فيها الفرفشة، قلت له يا أستاذ أنس من الصعب جدًا في حوار يجلس معه صحفي مثلي له عمر طويل في الصحافة ورئيس الدولة، وهناك في البلد أشياء كثيرة وعشوائيات وزلزال، ودويقة سقطت

منها الصخور، هناك أشياء تريد الرئيس أن يضع نفسه في موقع المتعاطف المحب الذي يفكر في البسطاء، وليس في قضية السكان التي هي الموضوع الوحيد المفضل لديه، فقال لا حاول مرة أخرى إنك تعمل أسئلة ما تتكدش عليه هو مش ناقص وأعترف أن آخر خطاب أرسلته أوضحت فيه أنه من المهم جدًّا أن تكون هذه المشاكل التي يعاني منها الناس في مصر محلا للنقاش، وأظن أن ونسك للبيت المصري سوف يستعيد الهدوء ويطفئ النار المشتعلة داخل النفوس، أرسلت هذا الخطاب بعد يومين من حادث المحلة الكبرى الذي في الواقع كنت أعتبره بروفة للعصيان في مصر..

هؤلاء
يسكنون الذاكرة

"أدركت حقيقة وخبرة حياتية وهي أنه لا يجب أن يكون الإنسان على الإطلاق مرتبطًا أو محسوبًا على إنسان آخر حتى يكون مستقلاً بذاته . . فإذا ذهب هذا المسئول . . ذهبت معه كل الأبهة والوهج واحتواه الظلام والتعتيم . . !"

إذا أردت أن أقدم شهادتي عن شخصيات عملت معها واقتربت منها خاصة وزراء الإعلام في مصر ووزراء الداخلية، فسأقول ببساطة إن الدكتور عبد القادر حاتم أبو الإعلام في مصر، هو الذي كان يؤازرني وكان يفخر بي وكان يشعرني أنني ابن ماسبيرو باعتباري من أوائل الصحفيين الذين أعدوا برامج للتليفزيون، يسبقني في هذا الأستاذ يحيى تادرس وهو المعد بالتليفزيون وكان يعد للأستاذة سامية الإتربي برنامج حكاوي القهاوي .

عبد القادر حاتم ..

الدكتور عبد القادر حاتم كان يعتز بي عندما أسند لي إعداد حديث الأربعاء أو سهرة الأربعاء، وظل يساندني حتى عملية وقفي من الإذاعة والتليفزيون والصحافة، وذهبت أنا وليلى رستم لمقابلته في بيته بالزمالك وجلسنا معه وتحدثنا .. أتذكر أن وزير الإعلام الذي جاء بعده كان الدكتور جمال العطيفي ولعله أول وزير إعلام في عهده ظهرت البرامج السياسية حيث بدأت بشكل الندوات، ولم يكن من قبل للتليفزيون في هذا المجال أي مساحة، وكان أول ما قدمه جمال العطيفي على شاشة تليفزيون مصر ندوات سياسية مهمة، ولعل الناس قد التفتت جيدًا إلى هذه المساحة من السياسة؛ حيث إنها لم تكن من قبل قد رأت هذا .

كما أذكر صديقنا الكاتب الراحل عبد الوهاب مطاوع الذي كان كاتبا مرموقًا بالأهرام وكل هذه الشخصيات عرفتها في فجر العمر وأنا أكتب في صباح الخير، وأقدم برامجي في التليفزيون من خلال الإعداد لبرامج ذات أهمية وكان قد سمع مني الدكتور جمال العطيفي أن لي تجربة متواضعة في

مجلة الإذاعة؛ حيث جلست على نفس ذات المقعد الذي جلس عليه الأستاذ علي فائق زغلول وكانت المجلة في سطح الشارع القديم ليس ماسبيرو، ولكنه شارع الشريفين في الدور الخامس .

لم يسقط من ذاكرتي الأستاذ رجاء العزبي وكان أستاذا بكلية الإعلام وهو أول رئيس تحرير تعاملت معه، ومما لا أنساه على الإطلاق أنني سافرت للسودان، في أثناء بعثة السيد صلاح سالم الذي كان مبعوثًا للثورة في السودان، وهناك رأيت لأول مرة الكاتب الراحل الأستاذ صلاح هلال الذي أشهد أنه واحد من الذين صاغوا فكرة التحقيقات الصحفية في مصر وكان هناك تنافس بين مجموعة صلاح هلال ومجموعة صلاح جلال الذي كان من أوائل المحررين العلميين، غير أن تجربة صلاح هلال في السودان علمتني أشياء كثيرة وهي من أهم الخبرات الحياتية التي اكتسبتها .

إقالة صلاح هلال

لقد راهن الأستاذ صلاح هلال على السيد صلاح سالم عضو مجلس الثورة فكان دائمًا بجواره يفكر معه، وكان الناس دائمًا يرون صلاح هلال وصلاح سالم كما لو كانا شقيقين ثم حدث أن أقال جمال عبد الناصر كعادته بعض الشخصيات التي لا يود أن تستمر؛ حيث إنه مر على دار الشعب وكتب خطابًا قصيرًا: «أخي صلاح أشكرك على ما قدمته في العمل الإعلامي، وأعفيك من المسئولية»، أتذكر أن قال لي صلاح هلال عندما قابلته ذات ليلة في الشارقة حيث كان قد ترك مصر ويصدر جريدة في الشارقة وجلسنا معًا قال لي : إن تليفون بيتي لم يعد يدق ولو مرة واحدة بعد أن تخليت عن فكرة الرهان على السيد صلاح سالم، واشتغل الأستاذ صلاح هلال في فترة من الفترات المهمة مع الأستاذ محمد حسنين هيكل بل كان أحد أضلاع مجلة آخر ساعة في هذا الوقت، وأدركت حقيقة وخبرة حياتية لا أنساها، وهي أنه لا يجب أن يكون الإنسان على الإطلاق مرتبطًا أو محسوبًا على إنسان آخر حتى يكون

مستقلًا بذاته فإذا ذهب هذا المسئول ذهبت معه كل الأبهة والوهج واحتواه الظلام والتعتيم، وهذا هو الدرس الذي تعلمته في بداية العمر من الأستاذ صلاح هلال، وقد قلت هذا الكلام بالحرف الواحد للفتاة الناضجة اليانعة المقبلة على الحياة أميرة صلاح هلال وهي تعمل في جريدة الأهرام ابنة الكاتب الراحل صلاح هلال .

بعد ذلك أذكر أنني تعرفت على السيد عبد المنعم السباعي أركان حرب الإذاعة وكان هذا اسمه وهو والد زميلنا الصحفي والمخرج مدحت السباعي.. في تلك الأثناء كان رجاء العزبي يكلفني بموضوعات كثيرة وكنت أقدم بعض الصفحات لوكالة أنباء يديرها مصور معروف جدًّا اسمه زخاري هو مصور الأهرام، ويومًا ما قابلت شابًا طيبًا متواضعًا في حجرة مظلمة هي الحجرة التي يتم فيها التحميض للأفلام وأتذكر اسم سكرتيرة هذا الرجل، وهي روحية شابة مرحة كانت تعطف على هذا الشاب الموجود بالغرفة المظلمة؛ حيث كان يتميز بولائه الشديد للعمل، ويقضي ساعات طويلة بالغرفة المظلمة، ذات يوم كان الأستاذ ليون نصيف المصور على موعد معي؛ لنصور للوكالة موضوعًا عن سباق المكفوفين في السباحة وكان الموضوع مثيرًا بالنسبة لي ولكن الأستاذ ليون نصيف لأسباب لا أعلمها اعتذر عن عدم الحضور، فطلبت من هذا الشاب الذي في الغرفة المظلمة أن يرتدي قميصه وبنطلونه ويحمل إحدى كاميرات المكتب ويذهب معي لتصوير هذا الموضوع، وقالت روحية إن الأستاذ أي المصور الكبير سوف يغضب بشدة لو علم أنه نزل معك، فقلت لها اتركيني أقنعه فيما بعد ولا أعلم على ماذا أراهن في ذلك الوقت، ولكن ما حدث أننا ذهبنا للدكتور عبد المنعم، وهو المشرف على هذه المسابقات وكان يدير معهد النور وذهبنا نصور في إحدى حمامات السباحة في مسابقة المكفوفين، وكانت هذه أول مرة أرى المكفوفين أمامي يسبحون ويتسابقون وبدأ المصور الشاب في التقاط هذه اللقطات، وحينما عدت اكتشفت أن لديه حرفية غريبة ونظرة فاحصة وعدسة متميزة والمصور في نهاية الأمر هو

نشال اللحظة، فقد كان الشاب نشالًا بارعًا بعينيه قبل عدسة الكاميرا، دخل بنفسه إلى الغرفة المظلمة وتمت عملية تحميض الصور ثم نشرها كما كانوا يفعلون في الزمن القديم قبل أن تتطور الأمور ويتم استخراج الصورة في ثوانٍ، وأذهلتني الصور عندما وقعت عيناي عليها، وكتمت المفاجأة لحين مجيء مدير المكتب، وكان يتعطر بنوع من العطر اسمه الكنسون أتذكر هذا جيدًا، وكان عطره فواحًا فإذا به عندما يرى الصور يقول برافوا يا ليون لابد من مكافأة لك فقلت له بالحرف الواحد لا اللي صور الصور دي مش ليون قال: أين ليون فقلت والله اعتذر، فقال من صور هذه الصور؟ فقلت له : العفريت الذي يجلس في الغرفة المظلمة فقال معقول: هل أنت الذي وجهته قلت: لا أنا كنت الذي أحصل على المعلومات فقط، وتركت له حرية التصوير، كان هذا الشاب صاحب أول تجربة معي هو فاروق إبراهيم، الذي صار فيما بعد فاروق إبراهيم ولعله كان يريد أن أنسى أنني في يوم من الأيام رأيته وعايشته في الغرفة المظلمة وكلفته بموضوع عن سباحة المكفوفين .

وربما لم أرو هذه القصة أبدا؛ لأن بعض الناس ومنهم المشاهير لا يريدون أن يعرف أحد بداياتهم، وتظل البدايات مخبوءة بين الضلوع .

أصوات أعتز بها

كانت هذه التجربة حين طلب مني جمال العطيفي أن أتقدم وأصبح رئيسًا لتحرير الإذاعة، كانت مفاجأة وجاء أحمد بهجت وهو يذكر جيدًا هذه التجربة، وقال له جمال العطيفي أنا رشحت فلان وهو الذي رشحك فقال أحمد بهجت : أظن أن فلانًا يعرف مجلة الإذاعة أكثر مني لأن له فيها صفحات، وقريب من المذيعين ويعرفهم واحدًا واحدًا..

في تلك الفترة أعترف أنني كنت مفتونًا بجلال معوض وأذهلتني ثقافة فاروق خورشيد واحترمت بهاء طاهر احترامًا خاصًا؛ لأنه كان صامتًا..

أعجبتني جدًّا بعض الشخصيات من زاوية الجمال والصوت منها الأستاذة بديعة رفاعي، وكنت قد احترمت من قبل سميرة الكيلاني التي بدأت في الإذاعة، وهمت مصطفى التي بدأت أيضا في الإذاعة، وكنت أرى برنامج طاهر أبو زيد .

أتوقف هنا عنده لأنه أول من تأثرت به فهو محاور حقيقي في برنامج شهير اسمه جرب حظك، لعل كل جيلي قد تربى على صوت طاهر أبو زيد الذي ظل طوال العمر حارسًا أمينا للغة العربية؛ حيث إنه في خريف عمره كون جمعية للحفاظ على اللغة العربية واستضفته يومًا لحديث المدينة؛ ليتحدث عن هذه اللغة وكيف أن الناس هجرتها، وبدأت تتحدث بلغات أجنبية وأن المدارس المصرية ما عادت تعطي اللغة العربية قيمتها وكذلك الخط العربي.

ومرت فترة طويلة ثم تولى السيد أمين هويدي مسئولية وزارة الإعلام - وقد كان مديرًا للمخابرات - وجاء بعد الأستاذ جمال العطيفي وأذكر أنه بعد كل برنامج قدمته وأشعر فيه بأني بذلت جهدًا شديدًا كان يطلبني ويبادرني بالتحية مرة بالتليفون ومرة بشكل شخصي وأقف هنا لأقول إن أمين هويدي أصدر قانونًا صار تقليدًا فيما بعد وهو أن يقف وزير الإعلام في بعض اللحظات أمام أعمال؛ ليمتدح من قدم العمل ويقدره أو ينتقده ويدفعه إلى شيء من الاهتمام .

أعترف أنني ذقت مساحة الاهتمام كثيرًا في حياتي بدءًا من عبد القادر حاتم ثم جمال العطيفي، ثم أمين هويدي حتى جاء السيد صفوت الشريف لأول مرة حينما كان وكيلًا لمصلحة الاستعلامات وقابلته مع السيدة سميرة خاشوشجي الكاتبة الصحفية التي قدمت مجلة الشرقية، واختارتني للعمل مديرًا لتحرير المجلة، ووجهت لي دعوة لزيارة بيروت للتعرف على أعضاء مكتب التحرير لمجلة الشرقية، وأذكر من هذه الأسماء السيدة سونيا بيروتي التي كانت مديرة التحرير في بيروت، وكنت أنا مديرًا للتحرير في القاهرة،

وكانت المجلة تطبع في بيروت وتستعين ببعض المقالات والموضوعات من القاهرة، وحينما تركت مجلة الشرقية؛ لأسباب شخصية جاء الأستاذ صلاح حافظ الكاتب الصحفي المعروف وكان هو تقريبًا مدير التحرير ولكنه فعليا كان يرأس التحرير حتى رحلت عن عالمنا الأستاذة سميرة خاشوشجي إثر مرض غريب في معدتها.. أذكر شيئًا مهما يخص حياتي أنه في تلك الأثناء حدث أنني سافرت أنا والأستاذ رجائي ونيس إلى طوكيو باليابان، وظللنا هناك حوالي 20 يومًا بدعوة من رئيس مجلس إدارة مصر للطيران وهو شقيق المخرج خليل شوقي الذي كان زوج الراحلة أماني ناشد وقضينا أنا ورجائي 20 يومًا في اليابان تعرفنا فيها على معالم اليابان بالكامل .

ميلاد جديد..

ومما أذكره جيدًا أنني يوم 19 يونيو طلبت من رجائي ونيس زميلي الرسام أن نسافر من طوكيو ونتنزل في هونج كونج هذا العالم الغريب جدًّا الذي لا نعلم عنه شيئًا وهو عالم أسطوري صيني غامض، كل ما رأيته أو عرفته عنه كان من بين بعض الأفلام الأجنبية التي تعرضت للحياة داخل هذا البلد هونج كونج، وذهبنا الساعة 11 صباح يوم الجمعة إلى مدير مكتب الطيران ..أغلقنا الباب وتوسلت إليه أن نهبط إلى هونج كونج في 19 يونيو؛ لأنه يوم عيد ميلادي وكل الذي فعله أنه أخرج من زهرية ورد بجانبه وردة وأعطاني إياها، وقال لي كل سنة وأنت طيب وركبنا الطائرة في التاسعة مساء، وهبطنا في هونج كونج وذهبنا للفندق الذي كنا قد اخترناه من المطار حيث إنه من الممكن أن يذهب الإنسان ويطلب غرفة أو غرفتين في أحد الفنادق ويدفع نظير ذلك المبلغ الذي يريد أن يدفعه، وذهبنا للفندق وجلسنا نتسامر كيف نقضي أسبوعا في هونج كونج ثم نعود منها إلى القاهرة ..

وبعد ساعة بالضبط سمعنا دقات شديدة على باب الغرفة، وذهلت كيف يمكن أن تكون هذه الدقات في هذه الساعة، ولكنه صوت بالعربية ينادينا «افتح» فقلت لرجائي زميلي لابد أن المخابرات المصرية تتبعنا أو أن أحدا من الأمن العام يعرف مكاننا، ولم أكن أتوقع على الإطلاق حينما فتحنا الباب أننا سوف نقابل رجلًا في منتصف عمره يرتدي قميصًا أبيض وبنطلونا كحليا ويخبرنا بقوله أنا قنصل مصر العام في هونج كونج أنا السفير عبد المنعم النجار ثم قام يعانقنا بلا مناسبة ..

كانت هذه اللحظات الغريبة النادرة محل دهشتنا التي لم نستطع أن نخفيها كيف عرف مكاننا؟ وكيف وصلَ إلى هذا المكان المتواضع للغاية؟ ثم لماذا يعانقنا بهذه الحرارة ؟ وبعد أن استرحنا قليلًا أخبرنا أن الطائرة التي أقلعت من طوكيو إلى هونج كونج ارتفعت في الجو بعد حوالي 45 دقيقة ولكنها اصطدمت بأحد الجبال وتحطمت وتهشمت تمامًا فاندفعت في القول دي اللي كان فيها عايدة خالد، قال نعم أما عايدة خالد فكانت أجمل مضيفات مصر للطيران وكانوا يستخدمونها في الإعلان، وكانت هي على متن الطائرة ونحن قادمون من طوكيو؛ حيث إننا كنا نجلس مع عائلة مكونة من جد وأب وأم وثلاثة أطفال، وكنا نتحدث وكانوا هم يمسكون بورقة وقلم ويكتبون أهم المناطق التي سوف يزورونها في مصر..!.

أصابنا الحزن الشديد والتوتر والخوف ولعل من أهم الأشياء التي حدثت، أنني نزلت إلى الشارع بمعاونة عبد المنعم النجار إلى أحد الأماكن التي يمكن أن نرسل عبرها برقية كانت مكونة من ثلاثة كلمات «still a life» أي ما زلنا نعيش مفيد .. ونيس، وهذا الحادث اعتبرته يوم ميلاد جديدًا لي وقد كان يوافق يوم ميلادي الحقيقي .

أعتقد أن هذا الحادث كان عام 1964 لأنه من أخطر التواريخ في حياتي، واعتبرت هذا اليوم يوم ميلاد جديد لي، وظللنا هناك أنا ورجائي في بيت

مدير مصر للطيران في هونج كونج، وهو قريب للفنان الراحل الأستاذ كمال الطويل، قضينا 40 يومًا مرت الأيام العشرة الأولى في حزن شديد، في المساء كنا نسمع أم كلثوم فكان يراودنا الشوق للأوبرا وعندما أرسلت البرقية أرسلتها إلى الكاتب الكبير الراحل إحسان عبد القدوس؛ لأن أخبار اليوم نشرت في المانشيت الرئيسي لها تحطم طائرة مصر للطيران عند مغادرتها هونج كونج، وكان من بين ضحاياها صحفيان مصريان فأردت أن أسرع بإعطاء المعلومة للأستاذ إحسان عبد القدوس؛ حتى يعرف الأهل والأصدقاء أن الله قد كتب لنا الحياة، وأتذكر أننا حين وصلنا القاهرة كان في استقبالنا الفنانة العزيزة نادية لطفي والأستاذة سميحة أيوب وبعض الأصدقاء وكانت بينهم آمال العمدة.. كانت لحظة فارقة ومهمة في حياتي ..

وزراء الداخلية ..

تأتي بعد ذلك شهادتي على وزراء الداخلية الذين حاورتهم، أستطيع أن أقول إن حسن أبو باشا أول وزير داخلية بمصر كان رجلًا قويًا؛ لأنه كان رجل شرطة ومفكرًا وكذلك عبدالكريم درويش أحد قيادات الشرطة الذي سجلت معه واعتبره مفكرًا بدرجة لواء، كما أستطيع أن أقول إن محمد زكي بدر وزير الداخلية القوي، كان رجل شرطة محترفًا فقد كانت قوته في فهمه، وكان أول رجل جنائي يتقلد منصب وزير، أما شهادتي على أحمد رشدي فهو أول وزير ينزل للشارع ليعيد ضبطه وإيقاعه وكان بطبيعته قويًا، وأذكر أنني سألته سؤالًا وإن كان مثيرًا بالنسبة له وللناس أيضا في تلك الأيام، فقلت له إن شكلك يظلمك وشكلك يدل على أشياء ربما ليست محبوبة لديك وليست محبوبة لدى الناس؟

ومن الأسئلة المهمة التي وجهتها لمحمد زكي بدر حين قلت أنا أحب فيروز فمن تفضل أنت ؟

قال لي : أحب الملاحم الأمنية .

بينما سألت الوزير أحمد رشدي في نهاية البرنامج: متى تعتقل المواطن مفيد فوزي ؟ قال أحمد رشدي : إذا خرج مفيد فوزي عن الشرعية فإنني فورًا أقدمه للمحاكمة وأعتقله .

ثم جاء بعد ذلك وزير الداخلية حسن الألفي، وقد كان رجلًا طيبًا بشدة وقد بلغت طيبته درجة لا أستطيع أبدا أن أصفها؛ فلم أر بحياتي إنسانًا طيبًا يمسك بمقاليد وزارة كوزارة الداخلية، وقد استطاع اللواء رءوف المناوي في تلك الأثناء أن يسمح لنفسه بمساحة داخل وزارة الداخلية؛ حيث إن الناس كانوا يقولون إن للداخلية وزيرين حسن الألفي ورءوف المناوي، وعشت في ذلك الوقت أحداث الأقصر الدامية وقد بكيت السويسريين الذين ماتوا في حادث الأقصر وما زلت حين أسافر لسويسرا أسمع شيئًا من هذا الجرح الدامي الساكن في نفوس السويسريين ؛ حيث يتذكرون حادث الأقصر بمجرد أي أحداث عنيفة تحدث في مصر.

جاء بعد ذلك حبيب العادلي الذي كان يعمل في أمن الدولة، وأشهد أن وزراء أمن الدولة في مصر أكثر من أي وزراء آخرين فمثلًا حسن الألفي كان يعمل في مباحث الأموال العامة، والسيد زكي بدر قادم من المباحث الجنائية، ولكن الوحيد الذي لم أحاوره هو عبد الحليم موسى، ولكنني حاورت حبيب العادلي على مدى سنوات، وشهادتي أنه كان يحافظ أكثر على نظام مبارك، ربما لم تصله من مدير مباحثه معلومات دقيقة وعريضة وكبيرة عن ضيق الضباط و الجنود وضيق أمناء الشرطة، وأشهد أنني في كل مرة أقابل حبيب العادلي أكرر نفس السؤال حتى قال لي مفيش مرة تقابلي إلا وتسأل نفس السؤال وكان سؤالي (ماذا أنت فاعل في مرتبات الضباط) وهناك سؤال آخر لماذا لا توجه حصيلة المرور أو توزع في وزارة الداخلية، وفي مرة قلت له إن راتب مدير الأمن ربما يستفز الضباط وأمناء الشرطة الصغار، ومرة علقت

قائلا إنني أخشى أن أمناء الشرطة حين يمدون أيديهم يتبعهم الضباط صغار الرتب.. كل هذه الأشياء كنت أرددها أمام حبيب العادلي، على أني أريد القول بأن تجربة وزراء الداخلية في مصر كان فيها الاستقرار الكامل وأكبر مشهد عشته وتعذبت منه هو بروفة العصيان والاعتصام في مدينة المحلة الكبرى حينما ذهبت بنفسي لأحقق هذا في حديث المدينة وعدت حزينًا مكسور القلب والوجدان؛ لأني رأيت مصر تهبط لهذه المرحلة، وقد عشت بنفسي لحظات 26 يناير التي عاشتها مصر قبل ثورة يوليو 1952 في حريق القاهرة أيام فؤاد سراج الدين، وكنت في ذلك الوقت أسير في شارع فؤاد ورأيت عملية السطو على المحلات والواجهات الكبيرة التي يهشمونها ثم يسرقون كل ما هو معلق داخلها، ويدلفون إلى داخل المحلات لسرقتها، و شعرت أن حادث المحلة الكبرى قد يتكرر في لحظة من اللحظات داخل مصر، ولعله كما قلت بروفة للعصيان المدني ولكن أحدًا لم يتعظ .

صباح الخير . .

" كان المكان أشمل مما أتخيل . . كان
يشبه أسرة في شقة تضم الأب والأم
والأولاد . . كنا جميعًا أولادا لهذه
السيدة روزا اليوسف التي كانت تأتي
أحيانا . . فيهز صوتها أرجاء المكان "

الكلام عن تجربتي في «صباح الخير» من القلب .. أذكر أنني تلقيت خبر تعييني رئيسًا لتحرير صباح الخير من الأستاذ موسى صبري، كنت في مكتبي كصحفي عادي وكان رئيس التحرير هو الأستاذ لويس جريس، وتلقيت تليفونًا من الأستاذ موسى صبري يقول لي اسبقني على البيت، ولم أخف اضطرابي فكلمة اسبقني على البيت صعبة خصوصًا أنه قد نبهني من قبل أنه لا مبرر لاستضافة المطربات والممثلات المحجبات، وانتابني القلق وأفكاري كانت تتراوح بين تأنيب شخصي من وزير الإعلام، أو ملاحظة مهمة تتعلق بالحجاب على لسان أحد المسئولين.. ولم أكن أعرف أين ذهب موسى صبري وتذكرت مواقف لي معه كثيرة، ولست أدري لماذا كان موسى صبري يعطيني مساحة من وقته.. عندما ذهبت إلى الأخبار لأجلس معه ونتكلم ثم نذهب لنتناول العشاء في أي مكان، موسى صبري هو المحرر والمخبر ورئيس التحرير ورئيس مجلس الإدارة، والفنان القريب من الفنانين وصديق المفكرين والسياسيين، وهو المناضل ومدمن المعارك كان هذا هو موسى صبري..أسطى الصحافة المصرية .

وانتظرت في بيته فترة طويلة.. استمرت من الساعة الثالثة ظهرا حتى الساعة السادسة إلا الربع وقد شربت هناك سبع فناجين قهوة مازلت أذكرها..ودخل موسى صبري وانتظرته ليفتح فمه لأعرف أي كرة من اللهب سوف يلقيها عليّ، أو أي عود ياسمين سوف يقدمه لي، لا أستطيع أن أقرأ مشاعره جيدًا فقد كان مرهقًا ولم أتبين حقيقة مشاعره تمامًا .

نظرت إلى موسى صبري .. طويلا .. فقام أسطى الصحافة المصرية المنهك وعانقني وقال لي مبروك .. لم أكن أدري عن أي شيء يتحدث ..

فقال لي الرئيس كان أمامه خمسة أسماء فاختار الاسم الثالث وهو مفيد فوزي، حاولت أن أعرف بشدة من هي الأسماء الخمسة ولم أستطع، فقد كان موسى صبري كتومًا عندما يتعاون مع الدولة، وأذكر أنني في ذلك المساء انتابني شعور غريب بالرهبة؛ لأن رئاسة التحرير ليست مجرد مكتب وجلسة، وإنها مسئولية وأسلوب معاملة للكتّاب والمحررين، وفي صباح الخير ستون كاتبًا ورسامًا نصفهم رسامون والنصف الآخر محررون .

انتظار

في أثناء فترة انتظاري لموسى صبري في بيته داعبتني بعض الأفكار ودارت برأسي مواقف متشابهة عديدة كانت تتراءى لي، بحكم أنني لم أكن أعلم سر ذهابي إلى بيته كان من أولها أنه في تلك الفترة كنت مثلًا أرى الفنانة الكبيرة سهير البابلي وقد أحدث حجابها زلزالًا في قلب المخرج جلال الشرقاوي صاحب مسرحية عطية الإرهابية، وطلب مني الشرقاوي أن أذهب لسهير البابلي معه لأنه على حد قوله حا يتخرب بيته، ولكن سهير أصرت على موقفها وقالت بالحرف الواحد إنها هداية من الله، وقرر جلال الشرقاوي أن يسلم ابنته النص حتى تمثله عبير الشرقاوي فما كان من عبير إلا أنها حفظت النص، ولكن هيهات الفرق بين عبير الشرقاوي وسهير البابلي، فقد كان اختيار عبير الشرقاوي قاسيًا لعبير الشرقاوي نفسها، فمن الصعب أن تأتي بممثل شاب لكي ينافس عمر الشريف، أو تأتي بممثل شاب تخرج من معهد الفنون المسرحية ليقف أمام الغول عبد الله غيث، كانت مغامرة بكل المقاييس لجلال الشرقاوي، وبالطبع هنا أقول شهادتي أن جلال الشرقاوي طلب مني وبإلحاح أن أقدم عبير الشرقاوي في صباح الخير كصحفي لكي أبرز شخصيتها بالنسبة لجرأتها ومغامرتها في دور عطية الإرهابية الذي كانت تمثله سهير البابلي .

أما الموقف الثاني فهو عندما كنت أنتظر عبد الحليم حافظ وهو يأتي آخر الليل بعد أن يكون قد حضر حفلة غنى فيها لعبد الناصر ورفاقه، وقلت إن عبد الحليم لابد أن يكون قد قابل سامي شرف لأعلم منه ماذا قال له، ومتى أعود حين فصلتني ثورة يوليو أو النظام تحديدا 14 شهرًا، كان عبد الحليم يجلس أمامي مرهقًا بعد أن حضر الحفل وغنى، وأنا أركز في شفتيه بما سينطق ودقات قلبي تخفق بشدة، فربما ينطق أنني سأظل خارج السياق وربما ينطق أنني سوف أتحدث مع الرئيس .. آخر مرة أتذكر حين نظرت إلى شفتيه..

قال لي: إنك تقعد ستة شهور أخرى .

سألته: لماذا..؟

فقال : إنه سمع ثرثرة في بيتك تقول فيها بالحرف الواحد هو سامي شرف ده ربنا.. ربنا أكبر من كل دول ؟

فقلت لعبد الحليم بالحرف الواحد: إما أن أبي يعمل في مباحث أمن الدولة وأنا لا أدري.. أو أن أمي جندتها المخابرات وأنا لا أدري أيضا!

قال لي : أخوك الذي يعمل في إحدى شركات المحاسبة في الأزهر جاء منه الخبر؛ حيث إنه قال بالحرف الواحد حين سألوه مفيد ها يرجع امتى ؟ فقال حينما يرضى عنه سامي شرف، فقلت لعبد الحليم في الحال: هل يصل الأمر إلى أن شركة في الأزهر تكون هي منبع الخبر؟

فقال لي بطريقته التي أحفظها عن ظهر قلب: يا حياتي ده في كل خندق في كل حفرة لهم ناس.

هنا أدركت أن النظام الشمولي يصادر الناس من الداخل وتعلمت أن حجب الرأي وهذا الجو الممتلئ بالمباحث والمخابرات سوف يكون حصاده صعبًا، لم أكن أتخيل أن معلومة بسيطة قالها أخي الذي يعمل بالأزهر يمكن

أن تصل للرئيس جمال عبد الناصر الذي يعمل سامي شرف بمكتبه، ولم أكن أدري على الإطلاق أن النظام الشمولي له عين في كل مربع في البلد ينقل إليه الأخبار، وكانت هذه إحدى الجروح الشخصية التي تحولت لسؤال كبير كانت إجابته في 5 يونيو 1967 (النكسة) .

كنت أفكر في أحد بنفس النمط الشخصي لموسى صبري ولم أجد فقد كان حسن فؤاد فنان الصحافة التشكيلي، وكان عبد الغني أبو العنين الذي كان يرسم صفحات روزا اليوسف فنانًا تشكيليًا متميزًا وصامتًا وكان يشبه نجوم هوليود في وسامته، وما زلت اذكره مبتسمًا وهو قليل الكلام وأنا مدين لحسن فؤاد كما سبق أن قلت حيث إنه هو الذي قدمني للكاتب المستنير أحمد بهاء الدين، وحينما أتكلم عن موسى صبري، فقد صارت بيني وبينه صداقة من خلال لقاءاتي العائلية بين زوجتي الراحلة آمال العمدة وبين أنجيل زوجة موسى صبري الراحلة أيضا .

كانت آمال وأنجيل تتقابلان وتدور بينهما أحاديث كثيرة لم أكن بالطبع في مستوى موسى صبري، ولكن هناك شيء غريب أحاول أن أفسره في حياتي فكان أول إنسان جلست إلى جواره يسبقني بمراحل عمر كثيرة هو الكاتب العظيم المفكر سلامة موسى، ولست أدري لماذا كان يحب أن يستأثر بالوقت معي ولم أكن أدري لماذا محمد زكي عبد القادر حينما كنت أذهب إليه في 15 شارع شريف لأتابع ندواته، وهو كاتب رومانسي راق لست أدري لماذا كان يؤثرني ببعض الأشياء ويخاطبني بعد الندوة ؟

مبروك يا رئيس التحرير

وقد تلقيت هاتفًا على التحويلة من رجل أعتز به هو الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمي، الذي كان نقيبًا للمعلمين، ورئيسًا للمجلس الأعلى للصحافة .. قال لي بالحرف الواحد مبروك ثقة الريس، فشكرته.. أذكر في

ذلك الوقت أنه اختير الأستاذ صلاح منتصر رئيسًا لتحرير مجلة أكتوبر، والأستاذ محمد وجدي قنديل رئيسًا لتحرير مجلة آخر ساعة، مفيد فوزي رئيسًا لتحرير مجلة صباح الخير،الأستاذ محمود التهامي رئيسًا للتحرير، ورئيسًا لمجلس إدارة روزا اليوسف، ولعل من الشيء الغريب والملفت للنظر أنه حينما صدرت في الأهرام كل هذه الأسماء وفي الصحف قال لي الأستاذ محمود التهامي ببساطة وعفوية إن سفريات الرئيس يقوم بها رئيس تحرير روزا اليوسف، أي هو بنفسه فقلت له وأنا لسه رئيس تحرير «لانج» اللي تشوفه وبعد 4 أيام بالضبط جلست على مكتبي، وكان لي تليفون مباشر وحدثت تحيات وسلامات وصفعات من بين مؤيد ورافض ومن بين متغير، وبدأت أشعر بنوبات النفاق و الحقد، والنظرات، وهذا مجتمع غريب على الصحفيين، فإذا وضع أحدهم رئيسًا لمجلس الإدارة عليه أن يصمت أمام نوازع قارة النفس البشرية وليس عليه على الإطلاق أن يناقش أعماق الناس لأنها من حق الناس، ولكني كنت أتأسى حينما أعلم بأن أحدًا غاضب أو أن أحدًا كان يود أن يكون رئيسًا للتحرير.

خريطة للنفوس البشرية ..

علمتني خبرتي أن اتفاق كل الناس على شخص هو رهان على مستحيل كان لابد لي أن أجلس وحدي ..كي أخطط للمجلة وكيف تكون وطلبت من لويس جريس رئيس التحرير الموجود أن يعطيني مهلة عشرة أيام أسافر فيها لدولة الإمارات، حيث قابلت صديقي عبد الله النويس هناك، وهو أحد فرسان الإعلام في الإمارات وجلست أخطط وحيدًا كيف تكون الافتتاحية، والموضوع الأول وكان هناك باب اسمه شاشة صباح الخير يوضح كيف يمكن أن يرسم رسام كبير صورة مهمة، ثم يعقب في سطور قليلة أكتبها كيف أختار من يقوم بهذا العمل، ومن يمسك بباب الفن ؟ كل هذه الأشياء كانت معي حينما كنت في الإمارات ثم عدت لأطبقها، وقد اجتمعت بالمحررين في صالة التحرير

وأصدرت تكليفات وأذكر أهمها وهو الفن فكلفت الأستاذ محمود سعد بأن يكون مسئولًا عن قسم الفن، وكان يعمل به بنتان إيناس إبراهيم والمحررة الثانية عفاف علي - يرحمها الله - وبعد شهور قليلة اختلف معهما ويبدو أن الخلاف كان حادًا وجاءني الأستاذ محمود سعد وطلب مني إعفاءه من باب الفن؛ حيث إنه لا يستطيع أن يكون معهما، وبالفعل أعفيته وطلبت منه أن يتخصص في الموضوعات الصحفية وتخصص فعلًا، ولكنه أراد أن يجرب حظه وكان يذهب للكواكب وينشر بعض التحقيقات والموضوعات والأحاديث هناك .

وهنا أقول إن بعض الناس يستطيعون أن تكون مؤدية عظيمة وهو صحفي لديه الحس ربما لم يكن لديه أسلوب أخاذ يمكن أن يعرفه الناس به، ولكن بذل جهدا بالمعنى الصحفي بدليل أنه اختير ليكون رئيسًا لتحرير مجلة الكواكب، ولكن جاء التليفزيون عليه وعندما أصبح ثريًا لم يعد ينتظر القروش التي تعطيها له دار الهلال في عهد الأستاذ مكرم محمد أحمد فاستقال وتولى رئاسة التحرير الأستاذ فوزي إبراهيم .

وفي تلك الأثناء حدثت معركة غريبة حيث ثار المحررون ثورة عارمة؛ لأنني أعطي بعض المحررين مميزات أو موضوعات، وهي ثورة طبيعية تحدث في حياة كل رئيس للتحرير في مصر حتى في زمن هيكل أو زمن مكرم محمد أحمد أو موسى صبري، هناك دائمًا في الصحافة المظلوم، وقد يكون مظلومًا بحق وهو صاحب موهبة وقد يكون مظلومًا بلا موهبة .

أذكر وأنا أواجه هذه العاصفة في أول زمني كرئيس للتحرير اضطررت أن آتيَ بالمحررين جميعًا كبارهم وصغارهم ..أذكر من كبارهم الأساتذة رءوف توفيق وعبد الله الطوخي و صالح مرسي، و هبة عنايت و أحمد هاشم الشريف و رشدي أبو الحسن، هؤلاء هم كانوا مجلس الحكمة في صباح الخير، وبقية المحررين كانت كريمة كمال شابة، محمد الرفاعي شابا، وكان

رمسيس ما زال يرسم وطراوي ومحمد هيبة كان سكرتيرًا للتحرير ورشاد كامل كان مديرًا للتحرير، كل هؤلاء جمعتهم في جلسة صاخبة استمرت من الساعة الثانية عشرة ظهرا حتى الساعة الثالثة والنصف تبادلنا فيها كل الكلام وقلت بالحرف الواحد إنه بسبب كثرة الصحف العربية في مصر ولجوء البعض للعمل فيها لم تعد هناك أسرار.

من هنا كنت أسمح لمن يملك فكرة أن يدخل عندي أما في الاجتماع فنحن نناقش الرؤى العامة، أما المقترحات فتتم بشكل خاص يأتي المحرر ومعه اقتراحه ويجلس الأستاذ رشاد كامل يكتب الاقتراح وموعد التسليم، سمعتهم كما لم أسمع طوال عمري، وانتهى الاجتماع وعاد كل واحد إلى مكتبه وعدت لمكتبي وبدأ كل محرر يتصل بي تليفونيًا في مكتبي في مجلة صباح الخير، منهم على سبيل المثال الأستاذة ماجدة الجندي - شفاها الله - زوجة جمال الغيطاني، قالت لي: إن هناك عميدًا بكلية العلوم رجل له أفكار بارزة جميلة وبريئة وتنطوي على مفهوم كبير للفكر، ولا أعتقد أن من بين أقرانه أحدًا من هذا النموذج وبالتالي فهو يفكر خارج السرب العلمي، ونصحتها أن تقابله فورًا، وهذه أول مرة يعرف الناس فيها اسم الدكتور أحمد زويل من صفحات صباح الخير، وصاحبة الفكرة كانت ماجدة الجندي وهو نفس الشخص الذي قدمته على شاشة التليفزيون في حوار مطول قبل أن يتسلم جائزة نوبل، وسافرت معه إلى استكهولم أنا والمخرجة نادية كمال والمصورون وأجرينا حوارًا معه عقب خروجه في اللحظة التي كان يتسلم فيها جائزة نوبل، وخرج وذهب للفندق فوجد « النصبة » أي أجهزة التصوير، ومن المذهل أنه حينما ذهبت لتقديم أحمد زويل للناس في العالم العربي في برنامج حديث المدينة كانت معي كاميرا واحدة و بعد أن ألقيت أسئلتي كلها عدت لأواجه الكاميرا وأتفنن في أن ألقي الأسئلة كما لو كانت في التو واللحظة، أو بشكل عفوي بأن يسبق سؤالي ابتسامة أو أجلس بمواجهة له، وأقول له أنا عايز أقول لك وابتسم ابتسامة في وسط حديثه لكي تنقل الابتسامة أثناء المونتاج، وفعلت

هذا وأنا في استكهولم كان معنا هناك من التليفزيون المصري الأستاذة هالة أبو علم،أتذكر أنني وأنا رئيس تحرير صباح الخير حدثت أحداث العراق وهجوم العراق على الكويت واغتصاب أرض الكويت وقدمنا تحقيقات مثيرة، كانت صباح الخير كتلة من اللهب .

حوار..

وقد أجرت الأستاذة ماجدة الجندي حوارًا مع أحد قادة العراق وجاءني الحديث، ولكني وجدت في نهاية الحوار سطورا ضد الكويت، بينما موقف مصر كان داعما لها، وكنا نرى أن صدام مغتصب للكويت، وقد شطبت سطرين من الحوار ونشر الموضوع فثارت ماجدة الجندي ثورة عارمة وذهبت لزوجها جمال الغيطاني، وقالت له حدث كذا وكذا، المهم أبلغ الموضوع للأستاذ موسى صبري الذي أعتبره الأب الروحي، و استدعاني موسى صبري في أخبار اليوم وقال لي : إما أن تنشر الحديث كاملًا أو تلغيه تمامًا ولكن لا تمسك القلم وتكتب سطورًا مهما كان الأمر، فقلت له أنت على حق لقد عشت حياتي أستفيد من أي خطأ يحدث لي.. ولم أكن على الإطلاق متمسكًا برأيي؛ حيث إن المهنية كلما أبحرت فيها تقودني دائمًا إلى الاستفادة من الأخطاء وأن جوهر الأمر في المهنية هو التجربة، ولابد أن أستوعب التجربة تماما.. وإدارة مجلة ليست بمقالة رئيس التحرير ولكنها بالروح العامة للمجلة والأسلوب الذي يدخل به القارئ دائمًا لكي يقرأ هذه المجلة .

وبعد ثماني سنوات تحدث إليَّ الدكتور مصطفى كمال حلمي وقال نشكرك بشدة على ما أعطيته من وقتك وإحساسك و اهتمامك بمجلة صباح الخير، وسوف يتم اختيار رئيس تحرير آخر بعدك وهو رءوف توفيق .

علمت هذه المعلومة واستدعيت ناهد فريد التي أكن لها احترامًا شديدًا، وقلت لها بعد أيام أنا لست رئيسا للتحرير فدمعت عيناها .. وأعتقد أن

الإنسان له مجموعة قليلة يثق فيها، من بين هؤلاء وثقت أيضا في محررة كنت قد أرسلتها إلى رجاء النقاش، وأرسلتها إلى غالي شكري وهي الأستاذة منال نور الدين، كانت منال نور الدين تجري حوارات ولا أضع فيها كلمة؛ لأنها كانت حوارات جميلة، وكنت أحاول بشتى الطرق أن أكافئ الأولاد المحررين والمحررات الشباب عن طريق الحوافز مثل سيارة من الجورنال أو بدل سفر ثم أسترده فيما بعد عن طريق المكافآت وكان التوزيع يعلو رويدًا رويدًا رويدًا، وكان الأستاذ رشاد كامل يأتي بورق التوزيع ويقول الحمد لله ..الحمد لله وطبعًا كانت المجلة الورقية ذات أهمية فلم يكن هناك نت ولا فيس بوك ولا هذه الأشياء وكانت المجلة الورقية ذات أهمية كبرى وأيضا الكتاب الورقي، أذكر بالخير الأستاذ علاء الديب وهو أحد الكتاب الصحفيين كان يكتب في صباح الخير بابًا بعنوان عصير الكتب الذي استخدم فيما بعد في قناة دريم، ويديره الكاتب بلال فضل .. عصير الكتب كان بالصفحة الأخيرة في المجلة وكان علاء الديب بالنسبة لي ونسًا جميلًا؛ لأني كنت أشعر دائمًا بأنه نقي القلب شفاف عذب لا يهمه في الحياة سوى أن يكتب فقط وحزنت حين ترك المجلة وصار يكتب خارج سرب صباح الخير .

موعد مع الرئيس

في تلك الأثناء تم تحديد موعد لي مع الرئيس الذي قال لي بالحرف الواحد إنه لابد أن تقدم شيئًا كبيرًا في التليفزيون، وقال لي بالحرف الواحد صباح الخير صغيرة عليك، وكان صاحب فكرة حديث المدينة هو صفوت الشريف، أقول هذا للتاريخ، وبدأت في إعداد البرنامج، واخترت الذين يعملون معي وهم نادية كمال وأحمد معوض.. وكان ذلك في 13 يناير من أحد الأعوام صدر قرار برؤساء تحرير جدد وفي نفس الليلة يوم 13 كان يوم ثلاثاء وكانت الحلقة الأولى من برنامج حديث المدينة الشهرية، وأذكر أنني حاورت مفكرين كثيرين وأعتقد أن السنوات الثمانية التي قضيتها رئيسًا

للتحرير قد زادتني خبرة حياتية بما قيمته 18 سنة ؛ حيث إن الإنسان في هذا الموقع يقترب بشدة من قارة النفس البشرية، وأيضا يفهم ماذا يريد القارئ .

كانت مرحلة مهمة بالنسبة لي؛ لأنه من الممكن أن يكون هذا القارئ شديد الملل ولابد أن تحاول المجلة أن تقدم له شيئًا مبهرًا.. أذكر أن من الذين حرصت على ضمهم أو دعوتهم للكتابة في صباح الخير أ.د شوقي السيد، كان من الذين دعوتهم ليكتبوا بابًا بعنوان «قلم زائر»، وكذلك الأستاذ حمدي قنديل والكاتبة المبدعة منى حلمي، والزميلة الصحفية فوزية مهران، وأول رئيس تحرير خرجت من رحم صباح الخير هي الأستاذة إقبال بركة ؛ حيث تم تعيينها رئيسة لتحرير مجلة حواء، ولكن من أهم المعالم والخبرات الحياتية أنه عندما يكون الإنسان مسئولًا عن مجموعة كبيرة من الناس لابد أن يتفهم الدوافع و يلعب دورًا أساسيًا في التشجيع؛ حيث إني من جيل فهم كلمة التشجيع من أحمد بهاء الدين وتأكدت تمامًا أن التشجيع حافز وأن الإثابة والمكافأة المادية ربما ليس لها نفس سحر كلمات الإثابة والتشجيع والمديح .

تعلمت أيضا أنه حينما يكون الإنسان مسئولًا عن مجموعة من الناس يتعامل معهم بالإخاء، وألا تكون هناك لمبة حمراء، وبالفعل لم تكن هناك أية لمبة حمراء على مكتبي وكان من السهل ببساطة أن يدخل أي صحفي مكتبي باستثناء الجلسات التي كنت أعقدها مع سكرتارية التحرير ومدير التحرير، وكانوا هم الأستاذ محمد هيبة سكرتير التحرير، والأستاذ رشاد كامل في ذلك الوقت مديرًا للتحرير، وأصبح الأستاذ رشاد كامل رئيسًا للتحرير، كما أصبح الأستاذ محمد هيبة رئيسًا للتحرير أيضا.

تجربتي في صباح الخير علمتني الكثير؛ حيث إنني توقفت بشدة عند الفنان المبدع صاحب أرقى الخطوط وهو الأستاذ محمد الطراوي، كان يستعيره مني الأستاذ مكرم محمد أحمد؛ ليرسم غلاف المصور حينما

كان رئيسًا للتحرير، وكنت أوافق لأن محمد الطراوي ريشة صباح الخير، وأذكر على وجه الدقة الفنان الحساس صاحب الرؤية الأستاذ إبراهيم عبد الملاك - الله يرحمه - الذي صار ابنه يرسم فيما بعد بريشة كريم إبراهيم عبد الملاك، وأذكر جمال هلال الذي كان تلميذًا لجمال كامل، وصار فيما بعد يقدم بابًا للرسامين في صباح الخير، وأذكر جيدًا الأستاذ سامي أمين الفنان المبهر؛ حيث كنت أستعين به في رسم لوحات صباح الخير في باب شاشة صباح الخير، أذكر أنني عندما بدأت الصحافة خرجت مع جمال كامل وزهدي وجورج البهجوري ورجائي ونيس، وكل هؤلاء أنا مدين لهم في نجاحاتي، وأنا رئيس تحرير .

كما ساهم التليفزيون في ظهوري للناس، وقد كنت كل يوم اثنين في الساعة الواحدة ظهرًا على موعد مقدس مع المذيع محمد حمودة الذي اشتهر بحواراته معي في برنامج «غدًا تقول الصحافة» على شاشة القناة الثالثة، وكان الحوار مثل مباراة بنج بونج، ولعل هذه الإطلالة تأتي بعد البرامج التي أديتها مع جميل المغازي منذ أن كلفتني سامية صادق بأن أتولى التقديم طوال السنوات الثمانية، دخلت بيوت الناس من باب «غدًا تقول الصحافة» وكنت أسمع الكثير عما يسمى بتوجيهات السلطة نحو الصحفيين ورؤساء التحرير، وأشهد أني لم أتلق أي توجيه في حياتي وأنا رئيس تحرير، بل لعل ظهور الفنانات المحجبات كان مجرد رجاء من الأستاذ موسى صبري، ولعل من أشهر الأشياء التي نشرتها في صباح الخير والتي تدل على أني لم أخضع لسلطة ولا وزير هو ما نشرته الأستاذة درية الملطاوي التي كانت بالنسبة لمجلة صباح الخير شاكوشًا يدق على رءوس المسئولين، وأذكر أنها في يوم من الأيام كتبت لماذا لا يحدث تفعيل لأحكام القانون التي تصدر، وكان الحادث أو الموضوع في محافظة القاهرة، فقد كتبت بخط يدي في السطور الأخيرة بالاتفاق مع درية أنه إذا غاب القانون وغفل عن التنظيم فربما كانت هناك يد لأخذ الحق بالقوة.

الصفحة .. 41

ومن الأحداث المهمة أن الرئيس السابق عندما كان يفتتح في يوم من أعياد الإعلاميين مشروعا، قابل المحافظ وقال له قرأت «صباح الخير» النهاردة قال .. لا يا فندم قال له.. شوف صفحة 41 وأبلغني فاروق حسني أن الرئيس سأل المحافظ عن ص 41، وبسرعة شديدة عرفت ماذا كان فيها.. قال الرئيس مبارك اللي في صفحة 41 ده مش في مجتمعنا قلت له : ايه هويا ريس قال اللي بتقول فيه : اللي مش حا ياخد حقه بالقانون ح ياخده بإيده، كان هذا طبعًا في أوائل أيام مبارك حينما كان ينتبه للسطر، وذكر الكاتبة درية الملطاوي وكانت لديه يقظة شديدة في التسعينيات وكتبت في «صباح الخير» في مقالي الأسبوعي أن الرئيس انتبه لـ ص 41، إلا أن تنفيذ الأحكام ليس باليد أو أخذه باليد، وهذا معناه أن الأحكام يجب أن تفعّل ولست أدري إلى أين تنتهي بالتفعيل، أم بمنطق القوة الذي رفضه الرئيس، لا أنسى سلسلة من التحقيقات أجريتها مع الأستاذ أنيس منصور - الله يرحمه- بعنوان «في صالون السادات كانت لنا أيام»، وكنت قد ذهبت للأستاذ أنيس، وأخذت معي ما نشر في «صباح الخير» من تحقيقات مع موسى صبري بعنوان من قتل السادات يا موسى؟.

حوارات كثيرة لا يمكن أن أنساها لعلها هي التي دفعتني دفعًا لكي تكون صفة المحاور الأساسية لدي؛ لأن كل الناس يتساءلون هل أي إنسان يصلح للحوار؟ وهذه نقطة لأنه لا أحد يصلح للحوار إلا من عاش الحوار وجرب الحوار، وفهم معنى الحوار أو على الأقل فكر وتحاور ووضع المعلومة وأشياء كثيرة هي التي تحدد هل يصلح لأن يكون محاورًا أم لا..!

السادات ..والصحافة

يتسلق الإنسان شجرة الذاكرة لكي يتذكر بعض الأشياء، منها أن .. الرئيس السادات جمعنا ذات يوم الدكتور أحمد أبو المجد، وكان وزيرًا

للإعلام وجلسنا في قصر رأس التين، وكان الرئيس السادات صاحب أسلوب مميز وخاص ويريد أن يرى الصف الثاني من الصحفيين .. كان هناك سقف للحرية، بل أعترف أنه لم توجد حرية على الإطلاق في عهد الرئيس جمال عبد الناصر كان هناك دكتاتورية النظام الشمولي، وما كان باستطاعة أحد أن يقول كلمة ولا يكتب سطرًا ولا يصدق على الإطلاق كل ما يقوله الناصريون، فقد كانوا هم دراويش الناصرية، وبالتالي لا يقولون شيئًا عن ثورة يوليو سوى أنها شيء هبط من السماء لينقذ المصريين .

ولعل ما تكتبه المفكرة لميس جابر، والدكتور وحيد عبد المجيد من رصد للحياة السياسية في مصر كان بارعًا، المهم أن يستطيع الإنسان أن يقول ما يشاء .

You look fine

أتذكر أحد المواقف في حياتي عندما قلت للسيد سامي شرف سكرتير الرئيس عبد الناصر لم يكن هناك شيء على الإطلاق قد فعلته ضد هذا البلد، ده أنا بعشق ترابها ده أنا ممكن قدامك أسف التراب.. قال لي أصل الثورات زي ما قالك الأستاذ هيكل أحيانا تظلم بعض الناس، وأحيانا تعصف بالبعض الآخر أنت الحمد لله لم تدخل المعتقل ولا حاجة لكن الأستاذ عبدالستار الطويلة، اللي كان معاك دخل المعتقل، وقعد فيه انت كل اللي حصل لك إيه إنك قعدت بره وافتكر الأخ عبد الحليم حافظ كان عينه عليك..

قلت له أيوه يافندم بالضبط، قال طيب يا آخي ده كان محتضنك ده مين اللي يقعد مع عبد الحليم تلاقيه كان طول الوقت بيسمعك أغاني، قلت له يا فندم ولا عمره غنى حاجة قدامي لكن عشت الأغاني اللي كان بيعملها للبلد وكان قلبي معاه، على أي حال يافندم أنا سعيد إني شفت حضرتك، قال لي إنت بتعمل إيه هنا؟ قلت له يا فندم أنا كنت أصور برنامج حديث المدينة، كنت واقف مع الاصطاف هناك أول ما شفت حضرتك قلت آجي أسلم ولكني

سأفشل في تصوير الحلقة النهاردة.. قال لي: ليه، قلت له: لأني استرجعت الماضي بأسره فقال لي: لا.. إنسى واتعود انك تنسى الجروح، وهي آخر كلمة قالها لي السيد سامي شرف متعه الله بالصحة حتى الآن وأذكر أنه كلمني مرة بالتليفون وقد صرنا معارف لم تصل بعد إلى درجة صداقات، وكانت قد تحاورت معه المذيعة اللبنانية جيزيل خوري، المهم عندما عدت سألوني مين ده، قلت لهم ده أستاذ سامي شرف، أقوى الرجال في مصر مع جمال عبد الناصر قلت نعم الذي يسير على قدميه ولا أحد يعرفه، ويذكر هذه الحادثة مهندس الصوت الذي لازمني العمر كله الأستاذ حمدي محمود وأيضا المصور الذي لازمني العمر كله الأستاذ حمدي السبروت .

روزا مكان في القلب

ما زلت أذكر بالكامل روزا اليوسف كان مكانها 18 ش محمد سعيد خلف مجلس الوزراء، كان المكان فقيرًا ومعدمًا وبسيطًا منذ أن كانت السيدة روزا اليوسف تملكها وجاء إحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين ودخل كل عملاق هذا المبنى الفقير جدًّا، حيث كانت روزا ليوسف وصباح الخير والكتاب الذهبي يتم إصدارهم منه، كان الدور الأول الأرضي أو البدروم هو المطبعة، ولا أنسى عم حسن رئيس المطبعة وصاحب الوجه الطيب وقد كان مسموحا له فقط بأن يصعد بنفسه بملابسه المتسخة أحيانا بشحم المطبعة ولونه الأسود وقبقابه التقليدي على أرض المكان؛ حيث كان المكان مبلطًا بطريقة الشوارع في عابدين والحواري الضيقة وكان عم حسن الوحيد المسموح له بدخول مكتب إحسان عبد القدوس للحصول على المقالات والمسموح له بالصعود مرة أخرى للبروفات .

أتذكر أنني لم يكن لي غرفة على الإطلاق إلا فيما بعد حينما انتقلنا إلى الدار الجديدة القائمة في 89 أ ش القصر العيني، وحيث كنت أذهب لآخر الصالة وأنحرف للشمال؛ كي أرى صلاح عبد الصبور الشاعر العظيم وكامل

زهيري الكاتب الكبير الذي كان لا يُرى إلا وهو يضم تحت إبطه مجموعة من الكتب والمجلات الأجنبية، وكان في هذه الغرفة أيضا حسن فؤاد والشاعر الكبير أحمد عبد المعطي حجازي وأذكر وجه فوزيه مهران الأم الرءوم التي كانت بالنسبة لنا جميعًا أمًا تحيطنا بالرعاية أنا وصديقي عدلي فهيم الذي رحل مبكرًا عن الحياة والمكان، أيضا جمعني بصبري موسى هذا الكاتب الكبير الذي لم يأخذ حقه، وهو أحد روائيي مصر الذين يعيشون في الظل لم تكن له أي ضوضاء أو شلة، كنا نحن الثلاثة أنا وصبري وموسى وعبد الستار الطويلة أصدقاء نسافر معًا ونعود معًا، أتذكر من هذا المكان أنني كنت حريصًا على أن أذهب مبكرًا وتجتاحني رغبة في الجلوس على المكتب، والتليفون الذي كان يجمعنا جميعًا وأطلب خطا من ريتا عاملة التليفون الشهيرة، وكذلك عوف عامل التليفون الأشهر الذي يقدم خدمات خاصة للمحررين.

كانت زوجتي عندما تطلبني تقول آمال، وكنت حريصًا أن يكون لها اسمها الحركي فجاءت ابنتنا الأولى وأطلقنا عليها اسم حنان؛ لأني كنت حريصا على السرية الشديدة في العلاقة بيني وبينها، وكان تليفون روزا اليوسف معروفا للدنيا كلها (20888) ولم يكن هناك تليفون خاص سوى في مكتب إحسان عبد القدوس وأحمد بهاء الدين وبقية الصالة بها تليفونات عادية، في هذا المكان رأيت رجلًا زميلًا ضخم الجثة عيناه تقطر حنانًا، وقد التصقت به فترة طويلة اسمه سامي الليثي، كان مندوبا لروزا اليوسف بمجلس الوزراء، ورأيت أيضا أحد كتاب روزا اليوسف العظام، ذلك الفتى النحيل الجميل الذي عاش في السجن أكثر مما عاش في حياته وهو فتحي خليل، وزهدي الرسام وزكي الرسام اليهودي وكنا نعرف أنه يهودي وليس بصهيوني وكنا نمزح معه كثيرًا حينما يقول إن وطنه هو حارة اليهود في مصر، وليست تل أبيب وأذكر أن زكي قد هاجر في أواخر حكم عبد الناصر ولا أدري إلى أين ؟

أتذكر كامل زهيري بضحكاته وصلاح عبد الصبور بحزنه، وكان قد تزوج من نبيلة يس ولكن العلاقة بينهما لم تستمر طويلًا؛ حيث وقع صلاح عبد

الصبور في حب سميحة غانم مذيعة التليفزيون التي كانت تتمتع بأمومة شديدة لعل صلاح عبد الصبور كان في حاجة إليها .

أتذكر مباراة الشعر بين صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وكيف كنا نسمع هذه الأشعار ونحن جالسون في غرفة كامل زهيري نأكل سندوتشات الفول التي يعدها لنا عم حسن في البوفيه.. أيضا عرفت فيه قصة حب محمود المراغي ونجاح عمر وكنا نساندهما بكل قوتنا حتى يتزوج الاثنان.

أتذكر خطوات أحمد بهاء الدين السريعة حينما يأتي من الخارج إلى مكتبه، وصوت مديحة عزت العالي، وهي تنادي لعم حسن بأعلى صوت كي يأتي لها بالقهوة لإحسان عبد القدوس.

كان المكان أشمل مما أتخيل، كان يشبه أسرة في شقة تضم الأب والأم والأولاد كنا جميعًا أولادا لهذه السيدة روزا اليوسف التي كانت تأتي أحيانا فيهز صوتها أرجاء المكان، روزا اليوسف عرفت طعم الأسرة الصحفية فقد كانت هناك إشارات لي في بعض الصحف مثل الإذاعة وآخر ساعة، ولكني لا أشعر حقًّا بانتمائي لمكان مثلما أحسست وعشت في هذا المكان الذي تخرج منه معظم رؤساء تحرير الصحف والمجلات .

في هذا المكان أيضا أصدرنا صحيفة أنا وعبد الستار الطويلة وصبري موسى كنا حريصين على أن نعبر عن الصداقة والأخوة في ذلك المكان، كما أنني رأيت هذا الشاب الذي يشبه نجوم هوليود طويل القامة دقيق الملامح كان اسمه عبد الغني أبو العينين وعرفت زوجته فيما بعد آية النمر التي كانت تعمل في مجلة الإذاعة وكانت تصمم الأزياء.

وفي هذا المكان وقعت عيناي لأول مرة على الجلسة التي كانت بين إحسان عبدالقدوس وأحمد بهاء الدين الذي كنت تواقًا لمعرفته، وهو الذي حفر لنفسه هذه المكانة فكان يكتب المقالات حتى أصبح مقال أحمد بهاء الدين جزءا أساسيا من روزا اليوسف، فأتوا به وتعاقدوا معه حتى أصبح

كاتبًا سياسيًا في روزا اليوسف، ثم أوكلت له السيدة روزا فكرة إصدار مجلة جديدة تعبر عن المجتمع واسمها صباح الخير .

الحياة دبت يا عم جمال !

قابلت في ذلك المكان الشاب الموهوب الذي يعتبر قلمه من الأقلام الساحرة في تاريخ الصحافة المصرية، واسمه صلاح حافظ وهو يختلف عن الصديق صلاح الدين حافظ الذي ابتلعه الموت بعد مرض شديد،كل هؤلاء عرفتهم في روزا اليوسف، التي لم أكن أعرف فيها مطلقًا سوى لويس جريس، وكنت أرى ذلك الطائر المتأمل في الخيال الذي لم يكن له مكتب، وهو مصطفى محمود الذي كان يكتب بوسطجي صباح الخير . وكان يأتي بنفسه حين صدرت صباح الخير عام 56 ..

عشت في هذا المكان وتجولت فيه كثيرًا كما أنني عشت أجمل قصة حب مع طالبة بكلية الفنون الجميلة واقتربت منها كثيرًا وكنت عندما أقابلها أقترض جنيهًا أو جنيهين من الرسام جمال كامل، حتى نذهب لنجلس في أحد الأماكن العامة قرابة ساعة أو ساعتين، ثم نذهب إلى بيتها وكان بحدائق القبة وهذا يكلفني تاكسي يأخذ مني أموالا كثيرة، ورفرف قلبي بالحب لأول مرة وأنا في روزا اليوسف، كنت أريد أن أتعجل الأيام لأصبح مرموقًا كنت أريد أن أبهر هذه الشابة الجميلة الفاتنة التي لو بقيت لأصبحت من أهم رسامات مصر، ولكن أهلها قيدوا موهبتها، ولم يحاولوا المحافظة عليها وأصبحت ترسم اللوحات الكبيرة وتعلقها على جدران البيت وكان الأولى بها أن تكون رسامة صحفية وتلميذة نجيبة للأستاذ جمال كامل .

وأذكر أننا حين كنا نسافر إلى الإسكندرية كان للأستاذ جمال كامل شقة هناك يسكن فيها، كنا نقول له الحياة دبت يا عم جمال، فيقول الحياة دبت يا عم مفيد .

كان المكان بالنسبة لنا بمثابة قبلة نتوجه إليها لنعرف ونتزود بالثقافة والفكر والأدب ونختار الكلمة وننتقي الأحرف.. الدار القديمة كان لها طعم وألفة، أتذكر عندما بدأت روزا اليوسف تنتقل إلى العنوان الجديد، أنني بكيت على المبنى القديم بشدة كنت كأنني أودع صديقًا حميمًا لي أو رفيقًا في الحياة، كنت أودع حبًا اشتعل في قلبي وشعرت أنه ينفصل منه رويدًا رويدًا .

في 89 أ شارع القصر العيني تم بناء دار جديدة لـ روزا اليوسف أتذكر أن أحمد بهاءالدين كان قد تركنا في هذه اللحظة، وذهب ليرأس تحرير جريدة الشعب، ثم رأس تحرير الأهرام فيما بعد، ثم سافر للكويت في زمن السادات وجاء له عرض مغر من مجلة عربية ليرأس تحريرها هناك، وقابلته حين كنت أسافر للكويت حيث كنا نلتقي في المطار أو في داخل الكويت، وكان دائمًا يهوى أن يصحبني وكان يناديني باسمي فقد كانت الأيام أعطتني كثيرًا من النجاح وقليلًا من الشهرة في بداية حياتي في روزا اليوسف الجديدة .

وقد ارتبطت بقصة حبي مع طالبة الفنون وسألتها ذات يوم ما سر حبك لي؟ أجابت : أنك تعامل المرأة بتحضر ولم تقل لي كلمة واحدة عن محاسني، كل امرأة قابلتها في ذلك الزمان ما زلت أعتبرها قبل أن تكون صديقة أو زميلة أو حبيبة أو زوجة فهي أخت؛ فأنا لم أرزق بأخت وكنت أخا أكبر لأربعة ماهر وقد رحل عام 2011، ونبيل أعطاه الله العمر، ومجدي أعطاه الله العمر، ولم تكن لنا أخت وكنت أسأل إحسان عبد القدوس الذي كان لديه ولدان محمد وأحمد عبد القدوس: الم تشتق لابنة ؟ وكنت أسأل نفسي لماذا أسأل هذا السؤال لكل من لديه أولاد ألم تشتاقوا لابنة، غير أني كنت أتحدث عن نفسي وشوقي الخاص، فقد كنت أشتاق لأخت وأعامل كل امرأة كأخت، فإذا نمت مشاعر الدفء بيننا كانت صديقة وإذا نما الدفء بين أرجائنا صار حبًا .

مكتبي الذي أحبه

حصلت على غرفة في تلك الدار الجديدة وأظن أنها الغرفة التي كان يجلس بها حسن فؤاد، وأذكر أنني جئت بثلاجة للماء البارد وأجهزة أستطيع أن أستمع من خلالها إلى فيروز، وتليفزيون أبيض وأسود، وأذكر جيدًا أنه في شارع روزا اليوسف ما زال حتى الآن يوجد تاجر موبيليا اشتريت منه طقمًا لمكتبي، وسمح بدخوله وأحببت أن يكـون مكتبـي بـروزا اليوسف متميزًا .

كنت أشعر بالسعادة عندما يقولون عني إنني المحرر الأول؛ لأنني كنت أنشر دائمًا التحقيق الأول في صباح الخير، كما أنني عشت بعض العذابات في هذا المكان لكنني كنت سعيدًا بأن لي مكتبًا وكنت أكثر سعادة حين تم إضافة تليفون مباشر لمكتبي، وصار بعض أصدقائي يعرفون الرقم، ثم بعد أن ظللت رئيسًا للتحرير بقيت في نفس موقعي حتى الآن على الرغم من أن رؤساء التحرير الذين قدموا فيما بعد كانوا حريصين أن يتركوا لي موقعي أي مكتبي حتى الآن، أتذكر كل هذا وأشعر بحنين جارف ففي هذه الغرفة زارتني آمال وجاءت حنان حينما أصبح عمرها 8 سنوات .

في هذه الغرفة جاءني النجوم عبد الحليم حافظ وعادل إمام وكل وزير أجريت معه حوارًا كان يزورني في مكتبي، وكان أهم شخصية مرتبطة بي في هذا المكان هي شخصية عم حسين عبد الجليل ساعي مكتبي الخاص، الذي كان ساعيًا لإحسان عبد القدوس ثم ساعيا لمكتب جمال كامل، ثم صار يعمل معي، وكان صعيديًا مخلصًا وجميلًا، وقد بلغت به الشيخوخة مبلغًا كبيرًا، ولكنه كان وما زال يأتي ليزورني في ذلك المكتب حتى حينما خرج على المعاش، وظل أمينًا على غرفتي ينظفها ويعتني لي بالأوراق، وكانت هناك سكرتيرة في نفس المكان تجلس بالقرب من مكتبي اسمها فايزة .

أتذكر بعض الشخصيات منهم المحررات عفاف علي وإيناس إبراهيم ومنال نورالدين كانوا القوة الضاربة في مجلة صباح الخير، عندما كنت رئيسًا للتحرير، وفيما بعد جاء جيل جديد كالذي كانت فيه كريمة كمال ودرية المطاوي، وماجدة الجندي، وأسماء أخرى استطاعت أن تصنع الرأي العام في داخل صباح الخير .. أذكر من بين هؤلاء الشابة نجلاء بدير زوجة محمود سعد التي وطنت نفسها منذ اللحظة الأولى أن تكون الصحافة بالنسبة لها خدمة لوجه الله – تعالى – وللغير فكانت تجمع التبرعات وكانت كل ما تفعله في الحياة هو خدمة المرضى، وكنت أطلق عليها الحملة (13) أي العطاء الوفير بلا حدود وبلا مقابل، في ذلك المكان كنت أسهر لساعات طويلة؛ لأن المكتب قيل لي إنه متميز إلا أنني كنت أشعر بأنه يضمني وأشعر بالدفء بين جنباته، وكان مكتبًا غير تقليدي ليس فيه تلك الأرائك الجلدية كنت سعيدا بالمكان وتسعفني الذاكرة؛ لأتذكر كل ما عشته فيه من ألم وفرحة وغدر فالحياة هي كل هذه الصفات .

حدوتة . . نادية عابد

. . " عاشت هذه الشخصية في
رأسي سنوات طويلة . . وكان
هدفي نموذجًا لامرأة مصرية معاصرة
. . جميلة وتفكر . . "

نادية عابد

كنت مبهورا بشدة بالكاتب إحسان عبد القدوس حينما كان يكتب في صباح الخير بتوقيع زوجة أحمد .. كان إحسان يكتبها بطريقة بليغة ويتقمص فيها شخصية امرأة، وفيما بعد عرفت أن أنيس منصور يكتب بنفس الصيغة بتوقيع سلفانا، وبعدها أيضا عرفت أن إبراهيم الورداني كاتب الصواريخ، وهذه هي شهرته كان له باب في الجمهورية اسمه صواريخ عرفت أنه كان يكتب بقلم امرأة هي مي الورداني.

كنت شغوفا بهذا النوع من الكتابة، ولا أدري السبب، هل لأنه ليست لي أخت ؟ ولكنني كنت مبهورا جدا بإحسان عبد القدوس،لكنني لم أكن أعرف أن هناك شخصية اسمها مي كنت أتخيلها صحفية، وكنت أعرف أنه توجد امرأة اسمها سلفانا يمكن أن تكون مصرية، أو إيطالية ويترجم لها ما تنشره، لكنني توقفت عند زوجة أحمد ولم أفهم حقيقة شعور داخلي عميق أن هذه الكتابة لرجل ماهر.

سألت نرمين القويسني سكرتيرة الكاتب إحسان عبد القدوس وهي تمت له بصلة قرابة عن من الذي يكتب باسم زوجة أحمد هل هناك زوجة تكتب في صباح الخير؟

فقالت لي همسا: ده باب الأستاذ إحسان، وأدركت أن إحسان يكتب في هذا الباب، ولا أدري لماذا أردت أن أكون مثله كما أنه من الأبواب التي تعبر عن مكنون نفسي من الداخل، ولا شك أن إحسان عبد القدوس لعب معي

دورا مهما في حياتي المهنية رغم أنني لم أعمل معه بشكل مباشر، بل كنت أعمل مع أحمد بهاء الدين، وفتحي غانم، وصلاح چاهين، ومحمود السعدني، وحسن فؤاد، ولويس جريس، وكل هؤلاء كانوا رؤساء تحرير لي في صباح الخير.

كان باب خواطر فنية في لحظة من اللحظات يقيم مصر.. و يقعدها، وكان الخاطر الذي يكتبه إحسان عبد القدوس يصبح حديثا للناس في مصر، وفيما بعد جاءت آلاف الخواطر ولعل أبرزها في صباح الخير كان باب سماعي الذي كلفني بكتابته الأستاذ صلاح چاهين. وهو الذي اختار له هذا الاسم .

وقد عشقت كتابة إحسان عبد القدوس في بابه «زوجة أحمد» وطافت في رأسي فكرة كيف أعبر بلغة امرأة، وأنا لا أعرف حياة البنات وليس لي إلا تجارب معدودة بسيطة في الحياة، وكان لابد أن أكون كاتبا كبيرا حتى أجلس وأكتب بقلم امرأة وقد سافرت في رحلة من الرحلات إلى هولندا، وقابلت رجلا دبلوماسيا مصريا في تلك الأثناء، وتناولت الغداء معه في برج روتردام العالي، وهو ميناء هولندي شهير، وقد تلقى تليفونًا في المكان نفسه باللاسلكي، فقال لي أنا ذاهب وسأعود بعد قليل، ومعك نادية وقضيت حوالي ثلاث أو أربع ساعات وأنا أتناقش مع نادية، كنت وقتها صحفيا صغيرا لكن كنت أحب النقاش والجدل جدا، فأنا الذي قال عني نزار قباني إنني ولدت لأسأل، وقالت عني سناء البيسي إن السؤال معلق على أهداب فمي .

رافقني هذا العشق للجدل منذ فجر عمري فجلست أتناقش أنا ونادية في كل الأمور.. نادية خريجة الجامعة الأمريكية في بيروت تتمتع بثقافة عالية ووسامة شديدة لا أستطيع أن أقول إنها جميلة هذا الجمال الأسطوري، ولكنها جميلة العقل والروح والذكاء وربما شعرت براحة شديدة شربت خلالها قهوة وشايًا ونسكافيه وآيس كريم طوال القعدة، على مدى أربع ساعات، وكان لابد أن يأتي الدبلوماسي المحترم لكي يأخذنا بسيارته فنحن في مكان لا نعرف كيف سنعود منه إلى أمستردام ؟

شيء .. ما

عدت إلى مصر وفي رأسي نادية، وقمت بتجربة غريبة حيث كتبت بعض الفقرات لم تكن من تأليفي على قدر ما كانت ترجمة عن الإنجليزية وأسميتها «شيء ما» ثم ذهبت بها إلى فتحي غانم وكان رئيسا للتحرير فقرأها، وكنت حريصا على أن أكتب أربعة نماذج متنوعة وكتبت التوقيع بإمضاء نادية، وبدأ الوسط الفني يتحدث عن من تكون نادية، ولا يعرف أحد من هي؟ ثم حدث أني توقفت سنة 64 عن الكتابة بالفصل، وعلى الفور طلب الأستاذ إلهام سيف النصر والد الممثلة شيرين سيف النصر أن يكتب الباب..

كان باب نادية عابد أقدم بكثير من باب سماعي، وهما اللذان يميزانني بالصحافة، أتذكر جيدا أن إلهام سيف النصر، كتب الباب على مدى ثمانية أشهر ولم يكتبها تحت اسم إلهام بل باسم نادية وكان إحساسي وقتها يمتلئ بالغضب الشديد، وشعرت ساعتها أن أحدا اغتصب نادية الفتاة التي أحبها.. شعرت كما لو كان إلهام سيف النصر دخل مطعمًا ببرج روتردام وانتزع مني نادية بشدة، ولأن الآداب المرعية لا تستدعي أن أقوم وأوجه له لكمة.. وكتمت كل الغيظ في صدري، وقال مبررا لكل الناس كيف يغلق الباب ولكن فتحي غانم كان يقول إنه ليس للفن أخلاق، ذهبت مرة أشكو له أنني أكتب الفوازير في الإذاعة فكان من المنطقي أن تنتقل الفوازير إليَّ من طاهر أبو زيد، فقال ليس في الفن أخلاق .. إنها عبارة لا أنساها أبدا!

كانت هناك علاقة شخصية تربط بين فتحي غانم وإلهام سيف النصر، هذا الرجل السياسي القديم المشترك في بعض الأحزاب؛ فقد عرفت أنه كان اشتراكيا وكان هذا محلا لدهشتي لأنه من أسرة رفيعة المقام من الناحية الأدبية والتراثية، وعدت إلى صباح الخير مرة أخرى بعد الفصل، وكان لابد أن أستعيد نادية واستعدتها بالفعل، وكنت حريصا أن أضع اسمها كاملا ولا أدري لماذا اخترت اسم عابد وصار الباب كما لو كان جديدا باسم

نادية عابد، وصممت في الفترة الأولى أن أقدم نادية عابد الفتاة المصرية الجميلة المثقفة بملامح كثيرة؛ منها أنها لا تدخن وأن جسدها هو ملكها، وأن لا تأثير لأحد عليها إلا بعقلها وأنها زوجة لأشرف السقا ولا أدري لماذا جاء هذا الاسم؛ لأن أشرف السقا أحبها وتوطدت العلاقة بينهما إلى أن تزوجها خصوصا أنه كان متزوجًا من إنجليزية لم تكن على الإطلاق تضحك على نكاته بينما كانت تضحك الزوجات المصريات، وكان أشرف السقا يشعر في كثير من الأحوال أن كل ضحكاته وسخريته وملاحظاته القوية، لا تلتفت إليها الزوجة الإنجليزية فشعر بأنه ثقيل وشعر أنه عبء عليها، ولم يكن قد أنجب منها أطفالا بعد، فما كان من الموقف إلا أن انتهى بالانفصال بين أشرف السقا وزوجته الإنجليزية، ثم أخذ أشرف السقا عقل الآنسة نادية عابد وتزوجها.

ذلك هو خيالي الذي طاف بي وقد حرصت طوال الوقت على الاحتفاظ بأشرف السقا الزوج والخلفية أنه متزوج من المرأة الإنجليزية، كنت أريد بذكاء للمصري أن يتزوج إنجليزية رغم أن هذه ليست القاعدة، فكنت أعرف أن الدكتور أحمد عكاشة قد تزوج إنجليزية وأنجبت أولاده وعاش طول العمر معها، ولم ينفصل عنها ولم يفكر في الانفصال وأنجب أولادا تربوا تربية جميلة، كان نموذج أحمد عكاشة أمامي لكي أدلل على أن نظريتي صحيحة، رغم أنه في كندا حيث كانت تعيش أسرة زوجتي هناك و كنت أعرف منهم أن الزوج المصري الذي تزوج كندية أو فرنسية أو ألمانية معذب ومرهق، ولا يعرف كيف يكون نفسه أو حياته وأن الزوجة تريد دائما أن يكون زوجها منتصرا طوال الوقت ولا يبوح بهزائمه قبل انتصاراته، كانت هذه أزمة الزوج المصري.

ها هي نادية عابد قد جعلت أشرف السقا سعيدا فأنا روجت للمصري أن يتزوج مصرية وللمصرية أن تتزوج أيضا مصريًا لأن زواج المصرية من أجنبي قد يريحها بعض الشيء لكنها ستظل في حاجة ماسة إلى هذا

الحس المصري الدافئ، كنت أهدف للإشارة إلى أن هناك حسًا مصريًا دافئًا للمصري، حين يحتضن زوجته، وكنت أقول إن الخيوط والجسور بين المصري والمصرية هي أفضل الوسائل للحياة الزوجية الصحيحة، فأنا على سبيل المثال كمفيد فوزي لا أفكر أبدا في حياتي أن أتزوج من شابة أوروبية بل إني في رحلة من الرحلات قبل أن أتزوج كنت أسافر إلى جوهانزبرج - بلد جميل جدا ورائع - كنت قابلت فتاة سمراء وتدرس هناك وأتذكر أننا جلسنا في إحدى الليالي لساعات طويلة نتحدث كنت أفكر ماذا لو أنني تزوجت مثل هذه الفتاة فقلت : لابد أن أعيش في بلدها، وتساءلت كيف تتواءم مع الحياة في مصر؟ خصوصا أن ابن أخي تزوج من شابة هولندية وأحبا بعضهما حبا فوق الوصف وأنجب ابنتين جميلتين وحصل بينهما الفراق والانفصال فهو يعيش في لندن الآن وهي تعيش في مصر مع الأولاد، وحدث أغرب من هذا في حياتي الشخصية حيث إن شيرين ابنة شقيقي ماهر - رحمه الله - تزوجت شابا إنجليزيا ونجحت التجربة بشكل هائل، فهما يعيشان في لندن وأنجبا أولادا، واستطاعت شيرين أن تكون خير زوجة لزوجها الإنجليزي الذي كان رئيسها في العمل، وأعرف أن مطار هثرو في لندن كان هو المسرح الكبير لعلاقة الحب بينهما والتعارف ثم الاستلطاف ثم الصداقة ثم الحب، هذه تجارب عشتها أيضا في أسرتي ولكن في قصة نادية عابد أريد أن أركز على المصري الذي تزوج مصرية .

من هي ..؟

وبدأت أكتب نادية عابد على مدى سنين طويلة، ربما تفوق ما كتبه أنيس منصور بتوقيع سلفانا، وما كتبه إحسان عبد القدوس بتوقيع زوجة أحمد، وما كتبه إبراهيم الورداني بتوقيع مي، وكنت أندهش لنفسي جدا عندما أجلس لأكتب باب نادية عابد؛ حيث كانت تتقمصني مشاعر المرأة؛ إذ إنني كنت أنتهي من الكتابة وأستعيد مفيد فوزي للمراجعة، كنت أندهش كيف خرجت

هذه المشاعر من داخلي إلى الحد الذي كان فيه البعض يتحدث أنه قابل نادية عابد في مكان عام، وأنه جلس وتحدث معها و بينه وبينها علاقة عاطفية، وكنت لا أعلق على كل هذا، ولكني كنت حريصا على ذلك جيدا، إلا أن الكاتبة الرائعة صافيناز كاظم في مرة من المرات كنا قد دخلنا في مناقشة علنية هي على المصور وأنا في صباح الخير، وذكرت اسم نادية عابد التي أكتبها على سبيل السخرية وكتبت مقالا أرد به على صافيناز كاظم وكان مقالا حادا ذكرت فيه أنه كان على الأب أن يؤدب صاحبة القلم، أما الأب فهو أحمد بهاء الدين الكاتب المعروف الذي كان يرأس تحرير المصور، كنت حريصا بشدة على اختفاء اسم نادية عابد، وكان معظم البشر من صباح الخير لا يعرفون من هي نادية عابد إلا أنها لها قريبة مصابة بالشلل وتسافر إليها كل أسبوع.

هكذا رسم خيالي شخصية نادية عادية جدا،بعض محرري صباح الخير بعضهم في الدائرة الصغيرة، حافظوا على السر، ولكن البعض تطوع للبوح بالحقيقة من باب المعرفة ومن باب أنه يعرف كل شيء فيقولون يا سلام على نادية عابد كتبت الأسبوع اللي فات عن المرأة المطلقة وكيف أنها مطمع لكثير من الرجال، وكيف أنها تقرأ الرغبة في عيون الرجال، وكيف أنها من البديهي أن تعلق على صدرها يافطة للإيجار، فيتطوع الزميل العزيز يقول لا مفيش نادية عابد ولا حاجة ده مفيد فوزي اللي بيكتبها، ظلت هذه العبارة سرا إلى أن خرجت من دائرة الإعلام إلى دائرة ناس كثيرة.

بعد أكثر من عشرين عاما ظللت أكتب هذا الباب إلى أن جاءت الثورة في يناير 2011 وكان أزمة بالنسبة لي أن أكتب بمشاعر امرأة كيف ترى الثورة فأدرت الأمر إلى أن الأم تعلم الأولاد ما معنى كلمة ثوار، ولماذا قاموا بثورة وما الفكرة التي تمجدها هذه الثورة وما الأعلام الحقيقية التي ترفعها هذه الثورة فوق هامات البيوت ثم ببساطة شديدة لم أكتبها أسبوعين، وطلبت أن تكون صفحتي «سماعي» هي الصفحة الأخيرة في صباح الخير وقد كنت أعتقد أن نادية عابد ممكن أن تكون شخصية درامية في مسلسل هائل.. كنت

أريد في فترة من الفترات أن أجعلها تقرر الهجرة هي وزوجها أشرف السقا، لكن المشكلة عندي كانت لماذا تهاجر امرأة عشقت تراب هذا البلد؟

وكنت أعلم يقينا أن القيم التي تروج لها نادية عابد قد انطبعت بل صبغت مشاعر الناس في مصر وفى لحظة من اللحظات كان لي حملة شهيرة اسمها «نادية عابد تعيش وحدها» قررت أن نادية عابد تعيش في شقة بمفردها وكيف حدثت المشاكل والغزل ومحاولات الاقتحام من جيرانها في العمارة بدءا من الشيخ عبد الرحمن الذي يسكن في الطابق الأخير إلى طالب الحقوق الذي يعيش هو وأخته في الشقة المجاورة، وكانت نادية عابد تريد أن تقول إنها حرة في عقلها وجسدها، كان الأزهر الشريف اتصلوا بصباح الخير وطلبوا من رئيس التحرير أن تتوقف نادية عابد عن تفاصيل الحياة وحدها في شقة، حيث إن مجتمعنا ليس مسموحًا فيه برغبة البنت أن تعيش وحدها، خصوصا إذا كانت لها أسرة وانتهى الأمر بأني أوقفت السلسلة بعد ستة أسابيع من كتابتها.

من أخطر الحملات التي قمت بها في باب نادية عابد.. حملة اسمها أين ميرفت؟ وهي العروس التي قيل إنها سقطت في حفرة عندما كانت تسير مع زوجها ثم سقطت في حفرة وابتلعتها بلاعة.. وقدمت 16تحقيقا في الإسكندرية أجريته باسم أين ميرفت! وسألت كل البشر الرجال والشيوخ وصارت قضية في المجتمع كان يتحدث عنها الناس ميرفت كانت عروسًا تمضي مع زوجها في الطريق العام قيل إن أحدًا اختطفها، قيل إنها سقطت في حفرة، قيل إن الجن اختطفها، كل هذه الأطياف والرؤى كنت أحللها بالذهاب إلى الناس في الإسكندرية على مدى هذه الأسابيع .

أريد هنا أن أقول إنني كنت أتألم لمجرد فراق نادية التي عاشت معي أكثر من 20 عاما، وأتذكر أنني قمت بتأليف ثلاثة كتب؛ الأول اسمه «للأذكياء أقول» كان محل اهتمام الناشر إسلام شلبي، عرف الشخصية وكان يتابع ما أكتب فقررت أن أجمع له مجموعة مقالات، ثم ناشر آخر طلب مني أن أجمع

مقالات «نادية عابد» تحت عنوان «وجدانيات في زمن الجفاف» وناشر ثالث قام بنشر كتاب بعنوان «هذا هو قلبي..». كل هذه الكتب عندما كانت تسافر في الخارج وأتلقى ثمنها كنت أذهب للبنك ومعي خطاب من روزا اليوسف يثبت أن نادية عابد هي الأستاذ مفيد فوزي؛ لأقبض ثمن هذه النسخ، ووُزِّعَ عدد كبير جدًّا عندما كتبت للأذكياء أقول؛ لأن بعض الناس لم تكن تقرأ صباح الخير بل يقرءون لروزا اليوسف .

وانتهى الأمر بأني كنت أتعذب حينما كنت أجعل نادية عابد تهاجر، فنادية عابد ليست المرأة التي تهاجر وليست النموذج الذي يترك مصر؛ ربما لأن ذهني كان قد ربى عند الناس شعورا أنها مصرية وربما لأن الأمر يتعلق بي أيضا خصوصا أني فكرت فيها بنفس المنهج؛ فعلى سبيل المثال طلب مني الأستاذ عماد الدين أديب في فترة من الفترات أن أسافر إلى لندن وأن أشاركه في مجلة المجلة، وأن أعيش معه هناك وأن أكون نائبا لمجلس التحرير فرفضت رغم أنه قال إن آمال تستطيع أن تعمل في البي بي سي وإن ابنتك حين تكبر تستطيع أن تدخل المدرسة الإنجليزية ونختار لك شقة هناك وفي بداية سفرك ستساعدك الدار على السكن في فندق ولكني اعتذرت؛ لأني أردت أن أعيش في بلدي وبحسابات بسيطة أدركت أنه ممكن أن تنتهي علاقة عماد الدين أديب بالدار التي يتعامل معها، وفي هذه الحالة سأعود إلى مصر وقد خسرت أرضيتي .

أمر آخر؛ كان قد طلب مني الكاتب الراحل العظيم رجاء النقاش أن أترك صباح الخير وأطير إلى الدوحة لأشاركه كنائب رئيس تحرير مع زملاء آخرين سافروا هناك، وفضلت أن أعيش في مصر بأي شكل من الأشكال فكنت أرى مصر بالنسبة لي الأمان والمكانة والقبر.

هكذا كنت أفكر تفكيرا عقلانيا واضحا، وكنت شديد الدقة في وصف مشاعر المرأة، وهي تشعر بأنها مخلوق ثان وليس مخلوقًا أول، وكنت شديد

الملاحظة؛ حيث أشعر أن الرجل يملك الصوت العالي وأن المرأة تملك الصوت المنخفض، وكيف أن المرأة كنموذج إنساني قادرة أن تتفوق على الرجل في كثير من الأحوال، وتفوق عشرات المرات ذكاء الرجل، أن شخصية نادية عابد التي تأثرت بها بنات مصر في هذه المرحلة كانت تعبر في الواقع عن رسم شخصية المرأة بدقة .

مشاعر المرأة ؟

كنت في كثير من الأوقات لا أرد على السؤال التقليدي: لماذا تكتب نادية عابد؟ وكنت أبعد هذا السؤال، حتى جاء توني خليفة في أحد البرامج وسألني: لماذا أنت في الصباح رجل وفي المساء امرأة وكيف تكتب بمشاعر امرأة؟

قلت له بالحرف الواحد: إن هذه درجة فنية في الكتابة، وليس كل كاتب يملك هذه القدرة ليكتب بمشاعر امرأة، إلا أن توني خليفة لم يفهم ذلك، وقلت له علنا على شاشة التليفزيون لو أن الذي يحاورني زميلك المحاور اللبناني نيشان، أو زاهي وهبي صاحب خليك بالبيت لو أن هذا الذي يحاورني لكان يستطيع أن يفهم كيف يكتب كاتب بقلم امرأة كل هذا العمر.

ولم أكن أعرف كيف أنهي علاقتي بنادية عابد؛ لأني دخلت معارك كثيرة على طول الزمن وعبرت بأحاسيس كثيرة وأنا الذي وضعت في أول علاقتي بباب نادية عابد عبارة أحلى الكلام وكنت أنهي المقالات .. بأحلى الكلام.

لقد نقل كثير من الكتاب أيضا عبارة «شيء ما» عنوانًا لمقالاتهم ولأبواب يكتبونها، هناك خطابات كثيرة بعضها غزل ومعظمها إعجاب أو عرض للزواج، وفي كثير من الأحوال تكون الخطابات جادة تطلب صداقة أو علاقة، وكنت أرد على هذه الخطابات يدا بيد بمعنى أنني كنت آخذ العنوان وأكتب بخط دقيق على الورقة أنني متزوجة وأن في حياتي رجلًا.

نادية عابد ومفيد

حتى هذا التوقيت لم يظهر الفيس بوك الذي هو موطن الشر وموطن الخير معًا، فكانت الحياة بسيطة إلى حد كبير وفيها كثير من الدفء، أتذكر أن أغرب خطاب تلقيته من هذا الباب هو عرض للزواج.. ظل يتردد 20 أو 30 خطابًا وكان من مهندس في السويس سنه 44 سنة، ولم يتزوج، وقال ها أنا أخيرا وجدت ضالتي في امرأة مثقفة عاقلة لا تدخن ولا تتبهرج ولا تفضل الجلوس على الشاطئ، ولا تلبس المايوه ولا تقيم حفلات في البيت واستطاعت أن تقنع زوجها الذي تزوج من إنجليزية أنها هي الحياة يعني فيما بعد، كان هذا الكلام حلم كثير من البنات.

وأتذكر أن أحد الأشخاص المهمين لا أدري من هو طلب من أحد الوزراء أن يعرفه على نادية عابد، وكانت نادية عابد تأتي إليها نفس الدعوات التي تصلني كمفيد فوزي، وكان شيئا غريبا أن تصل دعوتان. إحداهما إلى مفيد فوزي والثانية إلى نادية عابد في نفس ذات الحفل، وفي بعض الأحيان كانت أجهزة المرأة في بعض الوزارات ترسل لنادية عابد دعوات للسفر خارج مصر، وكانت تأتيني أيضا هذه الدعوات وكنت أسافر وأهمس في أذن الوزيرة أن نادية قادمة معي فكانت تقول خليني أعرفها أنا عايزة أتعرف على هذا النموذج من البنات في مصر ،أنا كنت حريصة أن بناتي يتعلمن منها، وعندما كنت أصارح بعض البشر أنني أكتب بشخصية نادية عابد كان يصاب بعضهم بالشرود، وبعضهم بالدهشة خصوصا أنهم عاشوا سنوات طويلة مع فكر نادية عابد ..أردت ككاتب أن أكون شخصية البنت التي أحلم بها والزوجة التي أريدها ..

لست أدري من أين تأتي هذه المشاعر وكيف تولد على الورق ؟ كنت حين أقرأ هذا الورق أو أقرأ صباح الخير بعد النشر، كنت أذهل كيف حدث

هذا ولماذا؟ لأني كنت أكتب مثلا أن الزوج خرج مع زوجته لزيارة بعض الأشخاص، ثم فوجئ أن هذا الرجل أو العيلة قد سافرت إلى المصيف، ثم تطلب الزوجة أن تذهب إلى أي مكان علشان تتشاف لأنها قضت وقتا طويلا في اختيار ظل الجفون ولون طلاء الأظافر وفي الاكستنشن بتاع الشعر، وفي الحاجب في أشياء كثيرة لازم تتشاف وعينين تشوفها ..!

كانت هذه الأحاسيس تثير الدهشة لكثير من الناس كيف أتوصل وأدرك عمق هذه المشاعر .. إنها خلاصة تجارب العمر بين مفيد فوزي والعنصر الآخر وهو المرأة، إنني لم أفكر في كتابة السيناريوهات للسينما وغيرها، وكان يوسف إدريس يصف ما أكتبه بأنه الشعر الحديث.

بينما كان نزار قباني يراني شاعرا تحت التمرين وكان صلاح جاهين يطلق عليَّ صحفيًا عالميًا تحت التمرين .. لم أكتب سيناريوهات رغم أن البعض يرى أنني كاتب للحوار وأجيد فن الحوار السينمائي، وقد لجأ لي الفنان الراحل عبد الحليم حافظ في إعادة صياغة بعض ما جاء في فيلم «أبي فوق الشجرة» وكتبت بالقلم الرصاص استحياء وتواضعا؛ لأنني لا أفكر إطلاقا في ذلك .. وكانت الفنانة نادية لطفي تلجأ لي فيما يسمى ببعض جمل الحوار التي من الممكن أن تأتي على لسان أبطال من نوعية خاصة، وكنت أعرف هذا وأكتبه غير أني لم أفكر في احتراف هذه المهنة فأنا أعرف أن هناك عباقرة ومتخصصين في المجال، أما أنا فقد كنت أود أن أكون محررا من الطراز الأول، وصحفيا ولم أكن أريد أن أكون في دولة السيناريو أو ما يسمى بالحوار في الدرجة الثالثة أو الرابعة.

المهم أن نادية عابد بالنسبة لي كانت مغامرة و تجربة استمرت 20 عاما، ولم أكن أتخيل أنها من الممكن أن تصل إلى هذا الحد فأنا أعتقد أن الجميع كتبوا هذا الباب لكن في صيغ قصيرة ولعلها محدودة، أما أنا فكتبتها فترات طويلة جدا ربما أكثر من أي أحد آخر، نادية عابد بالنسبة لي كنت

أراها .. خبرة حياتية ونموذجًا تكتبه للمرأة المصرية، فقد راعيت في كثير من المقالات بشكل غير مباشر كيف يكون هندامها ومكياجها، وكنت أقول إن المكياج الخفيف يزيدها احتراما، كما كنت أكتب أحيانا عن الملابس الضيقة وإذا كان هناك متحرش بالمرأة .. فهي في نفس الوقت الجاني وليس المجني عليه فقط.. وكنت أركز على هذه النقطة وأقول إن ضيق الملابس وهي تخرج من بيتها تتعمد أن تثير به الغير، وكنت أتساءل أين يمكث هذا الأب أو تلك الأم أو هذا الأخ الذي تخرج من بيته هذه الفتاة بتلك الملابس ؟

أعترف أن نادية عابد، كانت بمثابة أول فيس بوك محدود وكانت تأتيني تعليقات كثيرة جدا على ما أكتبه، وما أثيره من قضايا تأتيني من ملاحظاتي في الحياة فقد كانت الحياة؛ أمامي عريضة وفيها كثير من المشاكل كنت في واقع الأمر أفتح أذني كثيرا لكل تجربة أسمعها وأعيشها وأراها وأكون طرفا فيها أحيانا، وكانت هي مصدر إلهامي فقد كنت أرى أن الذي يمدني بهذه التجارب هم الناس أنفسهم وكثيرا ما كنت ألجأ في بعض الأحيان إلى أن أسمع تجارب صديقات وأمهات أيضا في هذا المجال وكنت أنا كصحفي أعيش هذه الأشياء سواء في مصر أو خارجها، كنت حريصا على أن تأتيني هذه الخبرات الحياتية النسائية بشكل ذكي وأجيد وأفهم ما أود أن أقوله، لم أكن ضد الحرية بالمعنى المستباح ولكن كنت مع الحرية المسئولة، كنت أرى أن التحرر الذي تأتي به البنت المصرية هو التحرر الفكري ليس التحرر بالزي أو التحرر في جانب آخر، وكنت حريصا في الوقت ذاته على أن يكون للبنت رأي وأن يحترم هذا الرأي .

كنت أندهش تماما من الذين يقولون إن تجربة الجنس تمر في البيت في خلال دقائق معدودة، وكنت أطرح بذكاء مستتر كيف أن تجربة الجنس بين رجل وامرأة أي بين زوج وزوجته تكون وقتا طويلا ، تسبقها مداعبات وتسبقها كلمات ويسبقها الحوار، وكنت أكتب كنادية عابد أن الجنس اشتهاء اجتماعي

فلا يعقل أن يحتقن الرجل الزوج بسبب كلمات طائشة قالتها الزوجة وتستقر في قلبه وعقله ووجدانه ثم تطلب في نهاية الليلة أن يكون زوجا في سريرها وهو الأمر الشرعي .

كنت أعتبر أن الرجل الذي يفعل هذا إنما هو يشبع حاجة ملحة ..الجنس لا يتم إلا بين اثنين بينهما درجة من الصفاء والنقاء، ودرجة كبيرة من الحنية ... والحنية عندي كما كنت أقول في نادية عابد أكبر من الحنان لقد كنت حريصًا على غرس هذه المفاهيم؛ لأنها لا تأتي بالوعظ ولا بالإرشاد .

وقد نشأت حنان ابنتي في بيت - كما قلت سلفًا - فيه القرآن الكريم وفيه الإنجيل، وتذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد وإن لم يكن معها شيء تعطيه كنذر فتذهب ببعض ملابسها القديمة وتعطيها لهيئة ما.. كي توزعها على الفقراء، تعلمت حنان كيف تكون قريبة من المحتاجات وهذه نقطة غرستها زوجتي الراحلة في حنان ،وقد أصبحت أيضا أبحث عن أحذيتي القديمة، التي لم أستخدمها كثيرا، وبعد شيء من التنظيف والتلميع تصبح جيدة ، وكذلك قمصاني وبدلي القديمة التي ما عادت تليق بي، أو ما عاد مقاسها يناسبني فأذهب بها عن طريق حنان في حقيبة لإحدى الكنائس فتتولى الكنيسة توزيعها.

وفي هذا الصدد أتذكر اسم امرأة من المعادي نشيطة في مجال خدمات المجتمع المدني اسمها السيدة آمال نامق، وقد تعرفت عليها في أثناء تصوير برنامجي «حديث المدينة» وهي تطالب بمقاطعة الجزارين في حملة شرسة ضد غلاء اللحوم وعندما اقتربت منها أكثر عرفت أنها تعد ملابس وأحذية وقمصانًا لبعض طلبة الجامعات المحتاجين، لهذا ذهبت إليها ذات مرة ببعض الملابس وذلك كله من وحي حنان التي علمتني ذلك، وقد صار لها ضمير حي، وإحساس كبير بالفقراء .. إن حنان في بعض الأحيان عندما تكون قد نذرت شيئا في مناسبة ما تذهب بنفسها باللحوم وتسألني عن

أسماء الفقراء، وأذهب لهن بهذا الشيء دون أن أذكر من أين جئت به لهم؛ فقد كانت لا تطلب مني أن أذكر لهن على الإطلاق أنها من حنان، وفي شهر رمضان من كل عام تأتي حنان بكيس فيه زيت وسكر وياميش من أشياء رمضان وخلافه وتسألني عن من تستطيع أن تعطيه هذا .

كل هذه الأشياء لم تتعلمها حنان من الكتب بل من نادية عابد، لم أكتب هذا ولم أسع إلى أن أناقشه؛ فهذه المسائل روحية إما أن تتواجد داخل الإنسان أو لا تتواجد، على أية حال نادية عابد هي الشخصية التي رسمتها للبنت المصرية على امتداد هذه السنوات، واستطاعت بنات كثيرات في المجتمع المصري أن يعشن شخصيتها من فرط ما تربين عليها.

صداقات العمر ..

"أنا مدين لصداقات عمري ..
بأني تجولت في بستان أعمارهم
وحدائق صباهم"

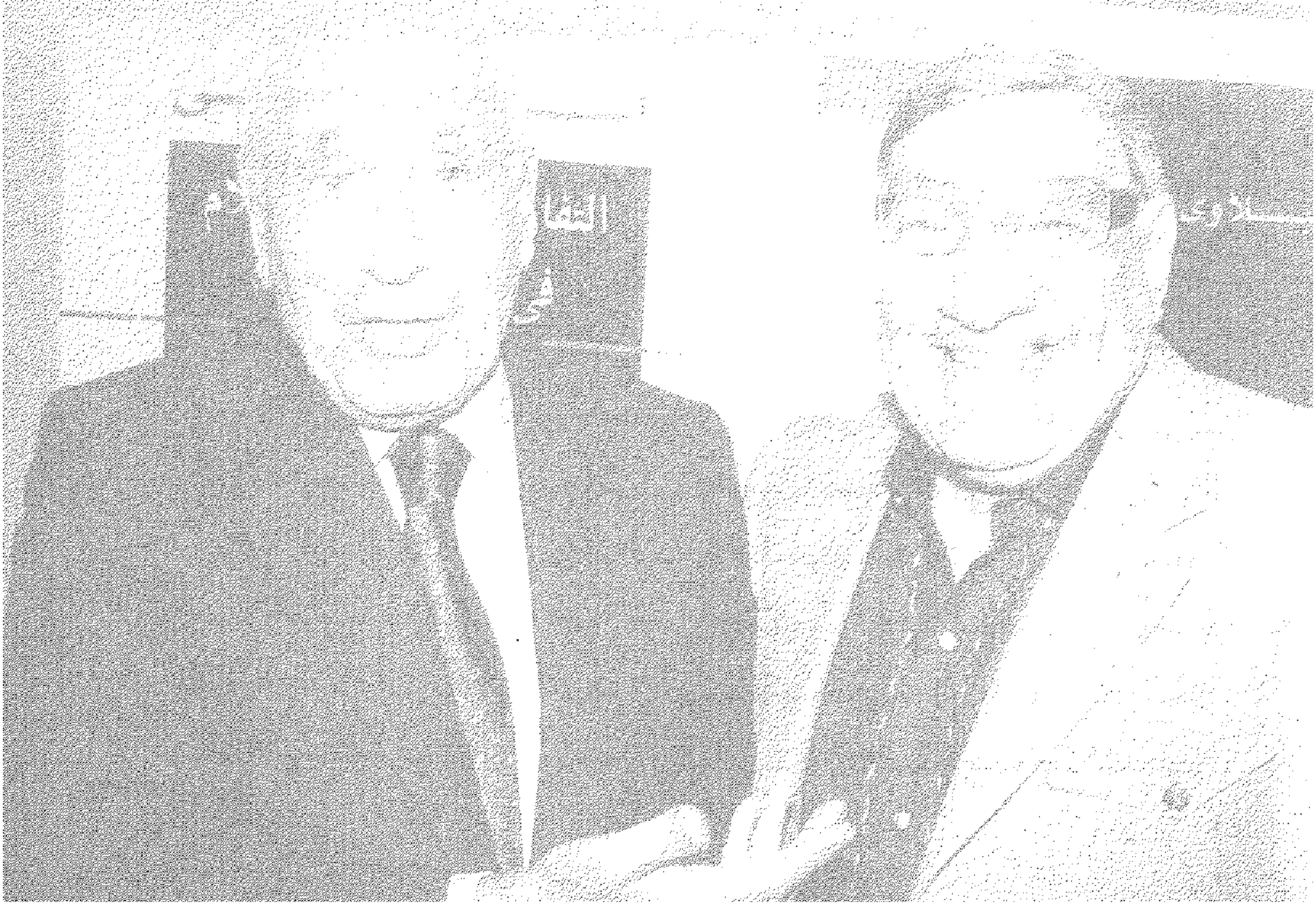

لم تكن الحياة بالنسبة لي مجرد مشوار مكرر بل سلسلة من التجارب أنجح في بعضها .. وأفشل في الآخر، ولم يشغلني النجاح عن المواصلة بإصرار، ولم يهز عزيمتي الفشل ..كنت مرنا، والمرونة مذهب مهم في الحياة وهي لا تعني الخضوع أو الاستسلام، إنما هي مرونة عقلية حتى أستطيع أن أفهم الحياة .. كان الجمود عدوى والتحجر عدوى أكبر .. وكانت حياتي بسيطة ليس فيها التواءات ولا نتوءات ولا صفقات، ولم يكن لي فيها صداقات عديدة.. إنما معارف لأن الصداقات الكثيرة تُشَتِّت.

ورغم بعض الخصام بيني وبين بعض قليل من معارفي إلا أنها لا تؤثر على هنائي الشخصي، وقد تعلمت أن قارة النفس البشرية لها أحوالها كالطقس.. مرة ربيع ومرة شتاء ومرة خريف ومرة صيف .. إن طقس الإنسان ليس ثابتا على الإطلاق ..وهذا الفهم أراحني وجعل سعادتي وشقائي يبدآن مني وينتهيان بي لقد أدركت في سنوات النضج بعضا من خفايا الحياة أهمها توقع السيئ حتى أقاوم الإحباط وفهمت أن الناس - وأنا منهم - أحوالهم تتغير مثل ثيابهم .

رؤيتي للصداقة

إن صداقات العمر تأتي من مجرد لمحة أو تعامل أو نبض بين اثنين.. لكن أجمل ما فيها هو الاستمرار.. وأتذكر أن من بين الذين أحببتهم الدكتور مصطفى الفقي، تعرفت عليه خلال عمله في رئاسة الجمهورية مديرا للمعلومات، وعرفته عن قرب ولا أدري على وجه الدقة كيف تقابلنا وكيف كانت الشرارة؛ إذ إنه من الصعب على الإنسان أن يعرف متى ولدت شرارة الصداقة سواء مع مصطفى الفقي، أو نزار قباني؟ أو الكاتبة الشاعرة سعاد

الصباح؟ .. أو الأمير بدر في السعودية نائب رئيس الحرس الوطني أو .. عبد الحليم حافظ، أو الدكتور علي السمان أو يوسف إدريس أو الموسيقار محمد عبد الوهاب .. لا أدري ؟

أبدأ بتجربتي الصادقة الأمينة مع صديقي مصطفى الفقي وأتذكر أنني تعرفت عليه وصرت فيما بعد أذهب إلى مكتبه في الرئاسة بأحد الشوارع الجانبية في مصر الجديدة، وكنت أتحدث معه بارتياح تام عني وعن عملي وأخباري الشخصية وكنت ألاحظ أن مصطفى الفقي عندما كان يحدثني بالتليفون يقول لي أهلا يا جد شريف إزيك، وهو الوحيد الذي كان دائما يذكرني بشريف، كان كل الناس يقولون لي أهلا يا أبو حنان إزي شريف لكن مصطفى الفقي كان حريصا أن يناديني باسم جد شريف.

مازلت أتذكر أنه كان يتحدث معي ببساطة ويحكي عن أفكاره وعن نظرته وهو قومي عربي من الطراز الأول، مازلت أذكر حين يدق أحد الأجراس في مكتبه ويشير بالصمت فقد كنت أدرك أن هذا التليفون من رئيس الجمهورية يأخذ منه بعض المعلومات، من بين ما أتذكره أن رئيس الجمهورية وكان صوته مسموعا لدي بالتليفون حيث كانت هناك سيول شديدة في إحدى المحافظات، وقد تكون قد أغرقت عشرات البيوت والأفدنة، وجاء المحافظ إلى القاهرة لحضور أحد الأفراح، وكانت تعليمات الرئيس أنه عندما يصل السيد المحافظ مطار القاهرة يبلغوك بوصوله.. وحينها انقل إليه أن الرئيس يطلب منك أن تغادر من الطائرة إلى المحافظة؛ لأن بها سيولا و تحتاجك هناك أهم من الفرح، قال حاضر يا فندم، وأغلق التليفون ثم حدثني ورأيت اللحظات الصعبة التي يوضع فيها مدير المعلومات.. لم يعمل مصطفى الفقي سوى مع الرئيس مبارك، والذي عمل مع جمال عبدالناصر هو سامي شرف، أما الذي عمل مع السادات فكان أشرف مروان.

الفرق بين الثلاثة في تقديري أن سامي شرف كان قوة مخيفة لا يستهان بها يرى من خلاله عبد الناصر كل شيء في البلد، أشرف مروان كانت قيمته كمسئول معلومات هو أنه مهتم بالجانب العربي أكثر من تسليط جهده على المصريين، مصطفى الفقي كان المثقف الوحيد بين كل الذين عملوا في هذا المنصب؛ لذلك لم يعش طويلا وأشهد أن رئاسة الجمهورية لم تكن تحتمل المثقفين سواء أكان مصطفى الفقي أم أسامة الباز. النقطة الأساسية هنا أن الرئيس مبارك في بداية الفترة الأولى من حياته كان ضابطا انضباطيا برتبة رئيس جمهورية، وهو يعلم أن بلدًا فيها سيول محافظها قادم ليشارك في فرح، كيف هان عليه الناس أن يتركهم؟ ولا يمكن أن يديروا معركة محافظة تتعرض لسيول في قراها عن طريق التليفون كان حضوره بذاته مسألة مهمة، وأشهد هنا للدكتور اللواء سمير فرج محافظ الأقصر الأسبق الذي كانت لديه مناسبات عائلية مهمة تنتظره في مصر أيام الخميس والجمعة إلا أن بعض المهام الشديدة في الآثار خصوصا مع الذين رفضوا إخلاء طريق الكباش جعلته يجلس وجها لوجه معهم وقد منحوهم أموالا تعويضا عن قراهم ،أشهد بهذا ولمحافظين آخرين لعبوا دورا مهما في حياة مبارك الأولى في السنوات الأولى لحكمه، ويمكن أن يقال إنه كان يلم بكل الصورة في مصر، غير أن الصورة تغيرت في عيون مبارك حين ظهر عنصر الثروة ولعله تبلور حين جاء إلى مصر عهد رجال الأعمال الذين يلعبون بالفلوس لعبا.

مصطفى الفقي صديقا

أشهد أن مصطفى الفقي نوعية من المثقفين العقلاء؛ أي إنه يملك بذكاء شديد أن يتحاور مع الآخر فهو متسع التفكير، وقد تعرفت على زوجته وابنته وهو قادر بشكل غريب على جذب الناس إليه وعلى التحاور أيضا معهم، وحاولوا إلصاق تهمة له لإخراجه من رئاسة الجمهورية، هناك من قال إنه تطوع ليأتي برقم تليفون جديد للوسي آرتين، ومن قال إنه تصرف برعونة في الجامعة

الأمريكية، كل هذا الكلام غير صحيح لكن بعض النظم عندما تريد اقتلاع أحد تدبر له مكائد، وقد تعرض مصطفى الفقي لمكائد كثيرة، و طلبت منه ذات مرة أن يكتب لي مقدمة لأحد كتبي حين أجريت حوارا مطولا مع الكاتب الكبير الصديق المحترم العملاق ذي القامة محمد حسنين هيكل، الذي قال عبارته الشهيرة أنا أسمح بنشر هذا الحوار المطول في مكانين إما عندك وأنت رئيس تحرير، وأنت الآن لست رئيسا للتحرير أو ينشر في مجلة نصف الدنيا التي ترأس تحريرها سناء البيسي، وعندما أبلغت سناء البيسي برغبة الأستاذ هيكل نشرت صفحات كاملة بصيف ساخن جدا.

محمد حسنين هيكل في أطول حوار مع مفيد فوزي عشت هذه الأشياء الساخنة مع الصحافة المصرية.. نشرت على مدى 18 حلقة، ونشر في الكتاب بعنوان هيكل الآخر، تمر الأيام وخرج مصطفى الفقي من الرئاسة فبعد أن كان الموظف رقم 2 في الدولة صار الموظف رقم 41 وذهبت أزوره في وزارة الخارجية، وحين خرجت من مكتبه سقطت على السلم وقضيت أسبوعين في الجبس .

ومازلت أتذكر عامود مصطفى أمين «فكرة» الذي قال فيه إن مصطفى الفقي سيتحول الآن بعد أن غادر مكتب المعلومات لرئيس الجمهورية إلى نكرة؛ حيث لا يدق أحد جرس التليفون له، كان هذا أشهر ما كتبه مصطفى أمين عقب خروج الفقي من منصبه.

تمضي الأيام وتتوطد صداقتي مع مصطفى الفقي في مقابلات و مواقف شخصية وقفتها معه، ومواقف عائلية وقفها معي.. حين كنت أغضب مع آمال كان يجلس معي ويقول احنا مالناش غيرهم هما المظلة بتاعتنا في الدنيا، ثم طار مصطفى الفقي ليكون سفيرنا في ڤيينا، قابلته في بيت الصديقة العزيزة الفنانة إيمان؛ حيث قالت في صبيحة اليوم التالي أنت مدعو على الغداء، وسيكون موجودا مجموعة صغيرة تضم السفير المصري مصطفى

الفقي والشخصية العالمية الدولية محمد البرادعي، وذهبت إلى الغداء في بيتها حيث تقابلنا أنا ومصطفى الفقي بأحضان دافئة ،وفي تلك الليلة قابلته بملابس كاجوال هو وزوجته السيدة السمراء الجميلة العاقلة المتزنة؛ حيث لا يتوفر هذا كثيرا لزوجات الدبلوماسيين بالذات، وظللنا نتحرك في ڤيينا المدينة الجميلة .

ومصطفى الفقي لديه ميزة جميلة فإذا جلس في مكان فإنه المتحدث الأول والأخير كان ينافس الراحل حسن فؤاد أحد الشخصيات التي لا أنساها وتملك خاصية التحدث الشديد.. كان متحدثا مهولا، وكان منافسه الأول والأخير محمود السعدني أحد الكليمة في المجتمع العربي، وكان أستاذهم ورئيسهم كامل الشناوي الذي كان إذا فتح شفتيه للكلام لا يغلقهما إلا إذا طلع الفجر، كان كامل الشناوي يخرج من حدوتة إلى قصة ومن تعليق إلى ذكرى، وهكذا كان فيس بوك متحركًا صفحات من الحياة تمتلئ خبرة إلا أن أذنيَّ كنت أستخدمهما على الوجه الأكمل بطريقة غير عادية؛ حيث كنت أصغي وأشعر أن في إصغائي فائدة ومع أني كنت أحب الكلام لكن كلماتي كانت قليلة؛ حيث إنني فهمت في علم الحوار أن الإصغاء محرض على البوح في تلك الليلة التي لا أنساها كان البعض يعرفونني فقد كنت قد ظهرت على شاشة التليفزيون وكان مصطفى الفقي سعيدًا بأن الناس تطلب التصوير معي، ومعظمهم نمساويون عاشوا في مصر ويذكرون ملامحي جيدا.

وعاد مصطفى الفقي إلى مصر وأظن أنه تبوأ مكانه في مجلس الشعب وحدثت عواصف كثيرة بسبب ازدحام دائرته، وكنت أدري أنه مهما حدث فإن مصطفى الفقي اهتم بهذا البلد أكثر من أي شخص آخر .. ذهبت إلى مكتبه بمجلس الشعب أكثر من مرة رئيسا للعلاقات الخارجية، وكنت أتوقع أن النظام سوف يمنحه رتبة وزير لهذه الخارجية، ولكن لم يحدث أن صار وزيرا، وكنت أيضا أتصور أن النظام سيمنح أسامة الباز أن يكون

وزيرا للخارجية ولا أدري لماذا لم يكن أسامة الباز وزيرا للخارجية في عصر السادات وفي عصر ما بعد السادات لا أدري ؟

ولقد استمرت علاقتي بمصطفى الفقي لفترة طويلة وممتدة، وقد أجريت معه أطول حوار على شاشة أوربت استمر حلقتين لعلهما من أهم الوثائق التي لا أنساها حيث أخرجت فيها فكر مصطفى الفقي وعقله وكيانه وكان صريحا ورائعا معي لدرجة أنني أعتز بهذا الشريط من الأوربت، ومضت الأيام وظل مصطفى الفقي صديقا ولم يحدث على الإطلاق أننا اختلفنا معا فقد كنت أقابله كلما رغبت في مقابلته، وفي بعض الأحيان كنت أشعر أن هناك في المجتمع أشياء في أفق السياسة لا أعيها جيدا، فكنت أقابله في وسط البلد حيث نجلس معًا بالساعات في عمارة بجوار سينما راديو هي مكتب لأحد أقاربه .

كنت أشعر أنه عندما يرى المشهد السياسي ويحلله كاملا إنما يكون ذلك بوعي لا مثيل له وذهنية صافية، وكانت كتبه قناديل مضيئة في حياة الفكر المصري، وأذكر وقت حادث مقتل مروة الشربيني في برلين الشرقية أنني تلقيت تليفونًا منه في الساعة السابعة والنصف صباحا حيث قرأ في الصحيفة عنوان «ألماني واحد، وليست ألمانيا، هو القاتل» وأنه لابد أن يوضع في إطار أنه ألماني واحد شريرو مجرم وأنه قادم من أصول سوفيتية و يعيش في برلين الشرقية وأنه ليس متحضرا بالكفاية وأنه مختل عقليا و قتل مروة الشربيني لأسباب تافهة حول المرجيحة فيما بعد ذهبت وحضرت المحاكمة، وصورت كل ما يتعلق بالقاتل أين يسكن ؟وأين كانت تسكن مروة الشربيني؟ وحاورت الجيران وكان تحقيقا مذهلا من الناحية التليفزيونية، وقال لي بالنص إن المقال قد يجر عليك بعض المشاكل .

ولكني قلت يا دكتور مصطفى،هذه قناعتي وأنا كتبت بعدما جمعت معلومات حول الحادث من أصدقاء في مكان الحادث، ومن ناس يعيشون

في برلين نفسها وعندي مصريون جاوروا هذا الشخص، كما جاوروا مروة الشربيني، الملامح الإنسانية في مصطفى الفقي كانت تعكس تجاوبه معي في أشياء كثيرة خاصة في حزني على آمال كانت له مواقف عظيمة وجاء إلى العزاء وله بعض المواقف الخاصة معي حيث كنت أهمس إليه ببعض أحزاني ومشاكلي الشخصية ومشاكلي في العمل، ولم يكن يحل شيئا ولكنه كان يلقي ضوء المعرفة عليه فأمتثل وأفهم وكان من لا يفهم يحزن.

الدكتور علي السمان

الشخصية الثانية في أصدقائي هو الدكتور علي السمان لا أدري كيف قابلته أول مرة؟.. لكنه زاملني مشوار الحياة تماما، وقد عاش في باريس وهو ابن طنطا الذي تربى في جمعية الإخوان المسلمين، وكان الدكتور علي السمان صديقا للأسرة وأنا متزوج من آمال وقد عاش لحظات مهمة في حياتنا وشاركنا الكثير من المناسبات.. فعندما كنت أغضب من آمال .. كان يصلح بيننا، ويقف بجوارنا وكان يحترم طاقتنا جيدا، ويرى أن آمال العمدة أفضل ما أنجبه صعيد مصر، وكان يقول عني دائما إنني أتحاور مع البشر ولكن الحوار الأكبر هو حواري مع نفسي ويرى أنني موهوب بالاتصال مع الناس، وأجيد فن الاتصال بالآخرين، ويقول إنها موهبة من الله، وكنت دائما أعجب بتفكير علي السمان وأدعي أنه واحد من القلائل الذين تربطني بهم فكر الموجة الواحدة.

لقد عرفت علي السمان مدة طويلة عندما كنا نذهب إلى باريس أنا وآمال، وكان يصر على أن نقيم في الدور الأول ببيته؛ حيث كان يقيم هو في مكان آخر، وعندما كنا نسافر إلى باريس في بداية العمر لم تكن لدينا نقودٌ وفيرة لكي نستأجر غرفة في أحد الفنادق الجيدة وكان الدكتور علي السمان له بيت في شارع خاص كانت له أرقام سرية للباب الحديدي، وهذا الرقم كنت إذا

حركته فإن الباب يفتح، وكنت أحفظ هذا الرقم عن ظهر قلب حتى إذا جئت أنا وآمال في الليل نستطيع أن ندخل البيت .

رأينا باريس لأول مرة من خلال علي السمان الذي كان على وشك أن يرتبط بالإذاعية العظيمة الجميلة صديقتي سناء منصور، وكان من المفترض أن يتزوجها؛ حيث رأت آمال حبا في سناء منصور أن تجري خطبتها في بيتنا، ولكن الأمور ظلت تطول إلى أن حدثتني آمال بالتليفون على ما أتذكر قائلة: أرجوك أن تبلغ الدكتور علي أنه هناك من يتقدم لخطبة سناء وأن على الدكتور أن يأتي فورا ليباشر الزواج.

أما خلفية علاقة سناء منصور بعلي السمان فهي ترجع عندما اختارها لتكون مذيعة بمونت كارلو، وأشهد أنها من أبرع المذيعات اللواتي ذهبن إلى فرنسا وكانت ناجحة للغاية، وعندما كانت تزور أحد البلدان العربية كانت تقام لها زفة بمجرد أن تقول أنا قادمة للأردن أنا قادمة للبنان، كانت تخاطب العالم العربي ومصر، وكنت أتابعها في كل جولاتها وبرامجها وكان صوتها مميزا جدا في إذاعة مونت كارلو، وقد وجهت لنا دعوة لإجراء حوار داخل الاستديو، فذهبنا أنا وآمال وبعد الحوار ذهبنا إلى أحد المحال العامة نتناول العشاء، وكانت من أروع وأجمل سهرات العمر.

هناك سيناريوهات سماوية حدثت وكنت شاهدًا عليها .. ففي اليوم الذي أتى فيه علي السمان إلى القاهرة كانت سناء منصور قد ارتبطت بالفعل بزوجها الدكتور نبيل أشهر أطباء العلاج الطبيعي، وكان يعالج الفرق الرياضية وهو إنسان دمث الخلق ولعل سناء ونبيل قد عاشا فترة جميلة من حياتهما حتى الآن، بينما كانت المسألة صدمة كبيرة بالنسبة للدكتور علي السمان، ولكنها إرادة الله .

فيما بعد تزوج الدكتور علي السمان من مها عبد الفتاح الصحفية المعروفة، ووقفنا في ساحة قاعة مونتوجمري بفندق مينا هاوس مجموعة لا تزيد على 40 - 30 شخصًا؛ لنحتفل بزفافهما وأتذكر أنه من الشخصيات التي حضرت هذا الفرح الصديقة المشتركة الفنانة القديرة الجميلة الدمثة العطوفة الحنونة مديحة يسري، التي يلجأ إليها كل الصديقات عندما يصبن بنوع من الصدمات العاطفية، أو الوعكات العاطفية؛ ولها خبرات حياتية جيدة وصديقة لكل الفنانين، إلا أنه قد حدث الطلاق بين الدكتور على السمان ومها عبد الفتاح وقد اندهشت .. لكنني أدركت فيما بعد أن مها عبد الفتاح نصف وزنها كبرياء وأنها لا تطيق أن يشاركها أحد أو أن تسمح لزوجها أن يقول كلمة فيها غزل أو معنى الغزل لامرأة، ومها تقول إنها غيورة لأنها تحب، وأن الذي لا يحب لا يغار، وأنها غيورة؛ لأن علي السمان يشكل في حياتها الكثير، وقد كانت العلاقة بينهما علاقة عقلين اثنين قررا في لحظة أن يهب كل منهما قلبه للآخر ويتزوجا.

أتذكر أنني سافرت ذات مرة مع الدكتور علي السمان إلى البوسنة لأرى المسلمين والهرسك والأقباط وأرى الحياة في هذه الأرض التي دارت فيها الكثير من المعارك، وكانت معنا ابنة وزير الدفاع السوري العميد طلاس الذراع الأيمن للرئيس السوري حافظ الأسد (أبو بشار)، وناهد طلاس نموذج جميل من النساء اللواتي تحركن أي مكان فقد تعرفت عليها واقتربت منها، وجلست معها على الرصيف وهي الثرية الكبيرة التي تزوجت أحد أصحاب الملايين فيما بعد جاءت ومعها أشياء كثيرة شبه معونات للناس في البوسنة والهرسك.

جلست معها على الرصيف نتحدث عن الثروة، والمرأة وهل المرأة الفقيرة تفكر في الحياة العزيزة؟ وهل يمكن للمرأة الثرية أن تقتنع بأن الثروة مجرد أموال في البنك أم أن هذه الثروة تدفعها للحياة أكثر، وعرفت

أنها قالت بعد الرحلة للدكتور علي السمان إن لمفيد فوزي أذنين تسمعان جيدا، ويعلم القارئ أن الإنسان عندما يجد من يستمع إليه فإنه يتحرك بفعل الراحة النفسية، وقد استراحت ناهد طلاس لإصغائي ولعلي السمان طريقة في الكلام .. أحفظها جيدا بل إني أقلده حين يتكلم .

عدنا بعد ذلك إلى مصر وسافرت مرة ثانية معه إلى باريس وبالتحديد جامعة السربون حيث كان هناك حوار إسلامي مسيحي يهودي، ولأول مرة أرى بعيني رأسي بعض قادة اليهود كانوا يجلسون على المنصة ومعهم الدكتور علي السمان .. راعي الحوار للأديان الثلاثة ورأيت لأول مرة ممثل الأزهر بمصر الذي جاء وكان يرتدي الجبة والقفطان وكان فيما بعد وزيرا للأوقاف هوالدكتور محمود حمدي زقزوق، ورأيت أسقف كانتربري يمثل المسيحية، ونقلت كل هذا إلى برنامج حديث المدينة، وقد استأجرت من أجله كاميرا تلتقط صورا وأجري بها حوارات وأسجل لأول مرة تعليقات هامسة أثناء الحوارات بعضها بالفرنسية وبعضها بالإنجليزية في القاعة الجميلة الكبيرة في جامعة السربون، كانت هذه أول مرة أزور السربون وأراها، وبعد انتهاء الندوة طلبت من الدكتور علي السمان أن نسير في هذه الجامعة وأرى أهم المدرجات التي تحمل أسماء المفكرين وقمت بهذه التجربة فعلا، ولكني لم أسجلها صحفيا .

لقد عشت المتعة داخل جامعة السربون وأرى البنات والأولاد والدارسين في الجامعة، واقتربت من الجالسين على الأرائك أو على الحشائش أو كل هذا لم أكن في تلك اللحظة أتأمله وإلا إذا تأملته سأفقد المتعة بأن أعيش اللحظات، تمضي الحياة وعلي السمان يظهر في البرامج عندي كمفكر؛ مما لا شك فيه أنه أكبر من كونه كاتبا صحفيا فهو مفكر وقد عاش فترة طويلة مهتما بالأديان، ولم يكتم عني بأنه يوما ما كان يعمل بالأمن القومي، هي مهمة مصرية لحماية الوطن من بعض الأشياء الغريبة، وأنه قام بعمل بطولي حين ذهب للرئيس السادات عندما عرف بعض المعلومات الخاصة من رئيس

النمسا للرئيس السادات وكانت تحذره من محاولة لاغتياله، واقترب علي السمان بشدة من الرئيس السادات حيث كان يذهب إليه في بيته بميت أبو الكوم ويجلس معه لساعات طويلة وكان صديقهما الثالث محمود جامع الذي كان مسئولا عن التوجيه العسكري في القوات المسلحة، ولعل هذا هو الذي قربني من المشير عبد الحليم أبو غزالة الذي أجريت معه أكثر من حوار، وقد أصدر علي السمان أحد كتبه عن تاريخ حياته، وأهداني نسخة منه وأشار فيه إلى بعض من أيامي معه في البوسنة والهرسك والسربون التي شهدت أول نوع من الحوار بين الأديان، وقد عاش علي السمان تجارب مرضي في فرنسا برجولة نادرة .

إيمان.. صداقة عمر

هي الفنانة الرقيقة إيمان، واسمها الحقيقي ليلى هلال ياسين وفى بداية عمري حضرت تصويرا لأحد الأفلام، واقتربت من إيمان أصافحها لأول مرة، ولا أدري السبب على الإطلاق الذي جعلها تندهش من كوني أعمل صحفيا في روزا اليوسف كي أسألها عن أخبارها، ولا أسألها عن أي شيء آخر أكثر من أنني قلت لها إنني كمتفرج أستريح جدا لملامحك المصرية السمراء، أتذكر جلجلة ضحكتها وأسنانها البيضاء وذلك الوجه الأسمر المسمسم المنمنم والحيوية الشديدة التي تدب في عروقها وهي في بدء الحياة.

ذات مرة كان التصوير في أحد شوارع القاهرة، وكأني على موعد للذهاب للتصوير وكنت مهذبا أجلس بجوار المخرج على كرسي يأتون لي به وأذكر جيدا محسن الفرجاني مدير الإنتاج الذي يعاملني باحترام وأنا في بداية عمري، ورأيت إيمان قادمة في لحظة حزن ... كنت أجلس بجوار المخرج حسين حلمي المهندس وأتحدث معه في بعض الأشياء التي تتعلق بالشخصية لست أدري من أين تأتيني الجرأة أن أتحدث عن الشخصية في رسمها وانطباعها، وكيف يجب أن تتصرف وبأي أداء وأنا ما زالت تجاربي قليلة في الحياة.

كان ينصت إلي ويحاورني ويستمع لي وقد لاحظت أن جسري للآخرين على مر العمر كان الإصغاء الحنون لهم.. كنت أصغي أكثر مما كنت أتحدث، وحينما صرت محاورا على شاشة التليفزيون صار الإصغاء مهنة أنسج منها السؤال لألقيه بين ذراعي الشخص الآخر..وسألت إيمان سؤالا من كلمة واحدة: مالك؟ والحقيقة أنه ليس من المفترض أن أقول هذا فمن الطبيعي أن أقول مدام إيمان في إيه عند حضرتك ... شكلك مش مستريح ليه؟ لكني لا أدري على وجه الدقة كيف خرجت مني هذه الكلمة .. «مالك؟» إذ إن من يقول لإنسان آخر «مالك؟» تدلل على قربه الشديد منه لدرجة أن كل الكلمات التي تسبق كلمة «مالك» محذوفة.. وإذا بها تأخذني بعيدا عن التصوير قبل أن يبدأ وتقول شوية مشاكل يا مفيد، أول مرة كانت تنطق باسمي.. لم أسألها مشاكل إيه دي.. بل أعطيتها أذني فقط فقالت أصل الدنيا كلها مشاكل، وأنا تعبانة وأخويا صلاح تعبان، وأنا مع أمي ومش عارفة الحياة حا توصلنا لحد فين يا ترى ح استمر في السينما؟ يا ترى أتوقف ..أعتزل ..؟

حينما نطقت كلمة أعتزل ..قلت لها بالحرف الواحد ستفقد السينما أهم نجومها فقد كنت أشعر أن إيمان طعم جديد، و زهرة لها أريجها في بستان السينما، شيء جديد على النجوم الحجم دقيق .. الوجه جميل.. الضحكة تذيب الصخر.. تلك كانت إيمان التي كان المقربون منها جدا يقولون لها يا ليلى، ولم أنادها بهذا الاسم إلا فيما بعد حينما تعرفت عليها واقتربت منها أكثر.

كانت إيمان تدعوني إلى الذهاب معها إلى بعض كوكتيلات السفارات، حيث إنها أدركت أنني لست على الإطلاق معها مجرد صحفي .. عادة يخشى الفنان من الصحافة لكني لا أدري كيف عندما اقتربت من بعض الفنانين تحولنا إلى شبه رفقة أصدقاء، الأمر بالنسبة لي أنني لم أكن محررا فنيا في يوم من الأيام، وأنا لا أقلد أو أتبنى أو أحاكي شخصية كاتبنا الكبير إحسان عبد القدوس الذي كانت تربطه علاقة كبيرة بالفنانين والسياسيين في آن

واحد، وقد اقتربت من إيمان حيث إنني كنت أرتدي البدلة الوحيدة التي أملكها عندي وأذهب معها إلى الكوكتيل وأتناول مشروبا دافئًا، وكنت أخفي عن أصدقائي وزملائي صلتي الشخصية بإيمان احتراما لها وحفاظا عليها وما كتبت خبرا عنها أبدا، واحترمت فكرة أن علاقتي ليست كصحفي ولكن كصديق وكان يربطني هذا النوع من الصداقة مع الفنانين فقط بالعزيزة المثقفة لبنى عبد العزيز، ربما لا أستطيع أن أقترب من صداقة فاتن حمامة أو تونا على حد الدلع لها، إلا فيما بعد حينما كبرت وصار لي مكان في شارع النجاح.

أعود إلى صديقتي إيمان التي دعتني ذات يوم لأتناول الشاي في بيتها الذي يطل على حديقة الحيوان وكانت تعيش فيه مع والدتها، وبدأت إيمان تحكي قصة حب كانت تخفيها بين جنبيها، فقد كنت قريبا منها، وكانت تعطيني رعاية بالاستماع ومصاحبتها في بعض الأماكن كنت أشعر أنها تملأ عليَّ الدنيا، وكنت فخورا بهذا الإحساس ولكنني كنت أكتمه بينما احترمت إيمان هذا الكتمان من جانبي.

كنت أتعامل مع ليلى هلال ياسين الصديقة وليست النجمة، وقد روت لي أنها عندما سافرت إلى ألمانيا لرعاية شقيقها الذي كان يعالج هناك، التقت بأحد الأشخاص الألمان، وقال لها هذا هو الكارت الشخصي لي واتصلي بي إذا لزم الأمر، كانت إيمان ذات مرة وهي تجلس بجوار سرير أخيها وتبكي لا تستطيع أن تفعل شيئا في هذه المدينة الغريبة بألمانيا وكأن هناك سيناريو إلهيًا - كما أقول - روت لي كيف أنها اتصلت بهذا الشخص، وقالت له أنا ليلى أنا في البلد وجاء على الفور واصطحبها ليتناولا العشاء، وبدأت قصة إحساس عميق بينها وبينه وجاء إلى مصر، وكنت قد عرفت من ليلى أن اسمه ماكس شلاريت، وقد كان مبهورا ومحبا للتاريخ المصري والثقافة والآثار المصرية.

على الجانب الآخر قامت ليلى معه بزيارة لكل الآثار المصرية في مصر، واقتربت منه، وحين سافرت إلى ألمانيا أخبرتني أنها تزوجت ماكس شلاريت في إحدى المقاطعات، ورأيت صور الزفاف فيما بعد وقد كنا في صباح الخير قد بدأنا سلسلة موضوعات عن رحلات خارجية وكنت أنا صاحب أول رحلة، واصطحبت معي العزيز الرسام إيهاب شاكر وسافرنا إلى ألمانيا وحينما وصلنا إلى كيل اتصلت بإيمان، وركبنا القطار من كيل إلى ميونخ وهناك نزلنا ووجدنا اثنين يقفان في المحطة ليلى وماكس شلاريت هي اصطحبت معها في السيارة السبور الصغيرة إيهاب وأنا اصطحبني ماكس وذهبنا إلى عزبة يملكها.

أقمنا عندها هناك بحقائبنا كل منا أخذ غرفة من غرف الضيوف وأقمنا ستة أيام كاملة، اقترب منها إيهاب وعرف إيمان كما أهدانا ماكس كتبًا عن التاريخ المصري من وجهة نظر ألمانية مكتوبة بالإنجليزية، وبدأت صداقتي بإيمان تتضح بشكل عريض جدًّا وفي كل مرة أسافر إلى هولندا أو فرانكفورد أو ديسلدورف كنت أتحدث إلى إيمان بالتليفون وأذهب إليها في قطار حينما تكون في ميونخ ثم تأتي إلى بيتها الذي تقيم فيه في ڤينا وهو قصر من نوع غريب قلما يرى الإنسان مثله؛ حيث يوجد في الدور الثالث متحف رائع يضم قطعا نادرة لكل ما يمكن أن يكون في الحياة من آثار، وأهمها سرير الملك فؤاد..كان زوجها قد اشتراه من أحد المزادات العالمية، وقد تعرفت على الدكتور البرادعي في بيتها أيضا وتناولت معه الغداء، وكان سفيرنا هناك هو مصطفى الفقي.

ولا تزال علاقتي مع ليلى مستمرة، وقد عاشت معي فجيعة رحيل آمال وأصرت وقتها أن تجيء إلى القاهرة وتزورني، وتربطني علاقة حب جميلة بزوجها ماكس شلاريت هذا الإنسان الفنان الذكي وكلما سافرت إلى ألمانيا.. أشعر أن جسور التفاهم العميق هي التي تحتفظ للتجربة بهذا النضج والبهاء و الطمأنينة وهذا المشوار.. ولا أزال كلما سمعت صوتها أهتف أهلا بيكي،

ولا تزال من حين لآخر تسأل عني، إنها صداقة ممتدة ودافئة ولم تعبث بها الأيام ولم تحاول أي عاصفة في حياتها أو حياتي أن تعصف بهذا النبت الجميل الرائع في أرض صداقة خضراء.

ليلى في حالة سفر دائم، وزوجها يمتلك فنادق كثيرة وهي التي تزين هذه الفنادق بديكورات جميلة، وقد اختارها شريف الشوباشي الذي كان رئيسا لمهرجان القاهرة لتكون ضيفة الشرف، وجاءت إلى القاهرة وكنت في انتظارها، واصطحبتها للمهرجان وصعدت إلى مسرح المهرجان وتمنيت لو أنها قالت كلمة للناس، وقد استقبلت بحفاوة بالغة؛ لأن الله حينما يحبب الناس في خلقه يفعل أشياء لا يمكن للإنسان أن يتخيلها أو يتصورها أو يضعها في حسابه.

قضت ليلى أياما في مصر، وقد اصطحبتها لأحد الفنادق في الدور الأربعين لترى مصر من كل جانب، وكان معي ماكس زوجها وبعض أقاربها وتكلمنا كثيرا عن أشياء ليس من بينها سيرة أسرة الأطرش .. لأنه يعرف أنها تزوجت يوما ما فؤاد الأطرش .. أتذكر أن آخر مكالمة تلقيتها من إيمان..كانت مشحونة بالكثير من الشجن الذي يعكس قلقها الكبير على مصر، بالرغم من أنها عاشت في ألمانيا سنوات طويلة، وأنجبت أولادا وبنات ولها أحفاد فإنني أستطيع القول بأن حضور مصر في رأسها أكبر من أي شيء آخر؛ يعني هي ربما تحتفل احتفالات رمزية بكل احتفالات ألمانيا، لكنها تحتفل احتفالات خاصة جدا باحتفالات مصر، وتعيش مناسبات مصرية سواء فرحًا أو قلقًا مصريًّا، وأنا لن أنسى إطلاقا أنه في يوم من الأيام اقترحت عليها أن أذهب إليها في ألمانيا وأجري معها حوارا طويلا للتليفزيون المصري، وبالفعل نفذت وكانت رقيقة وعذبة، ولما عدت مصر دعوتها للظهور على التليفزيون، وكنت أقدم برنامجا في أوربت بعنوان «مباشر مفيد فوزي» كنت أستضيف فيه الشخصيات على الهواء.

أذكر جيدا أن ليلى في بعض أزمات مصر، كانت تتصل بي الساعة السابعة صباحا يعني التاسعة بتوقيت ألمانيا وتسألني عن الأخبار، وعن ما حدث، والغريب أنها عندما تأتي إلى مصر كانت تختار الدور الأربعين في أي فندق وتتناول العشاء فيه في الأمسيات الجميلة لترى النيل.

ليلى من وجهة نظري الشخصية هي الفنانة التي استطاعت أن تعتزل الفن في عز مجدها، ولم يحدث لفنان أن أدار ظهره للفن، مثلما فعلت ليلى هلال ياسين التي ودعت الفن ولا تحب أضواء البلاتوهات، ولكنها عندما تقف أمام عدسات السينما فإنها تشعر بالحنين الدافئ للضوء.

وما زالت حتى الآن تتمتع ليلى بقوام رشيق ولم يحدث أنها زادت كيلو واحد فهي حريصة جدا على كل ما يدخل فمها، وكانت دائما تقول We are what we eat أي نحن ما يدخل فمنا، في كثير من الأحوال كانت تطلبني ليلى لتقول إنها لديها رحلة جميلة ولا تود على الإطلاق أن تسافر هذه الرحلة من أحد موانئ إيطاليا دون وجودي، وقد ذهبت وحضرت وعشت رحلة في موانئ البحر الأبيض على ظهر باخرة تحمل اسم إيمان.

وكانت باخرة ماكس شلاريت الذي من فرط حبه أرسل إلى شركة ساعات عالمية طلب منها أن تصمم خصيصا ساعة لباخرة، وعليها صورة إيمان وأعتز أن هذه الساعة أهدتها لي في إحدى زياراتي، قالت بالحرف الواحد مفيد افتح الهدية، فقلت لها شكرا لك على هذه الهدية الجميلة الثمينة، قالت لي دقق النظر فيها ،فلما دققت النظر رأيت باخرة ورأيت بالعربي إيمان وهي شركة ساعات عالمية في سويسرا، ليلى لها أولاد منهم من يتبنى أفكار والده ومغموس دائما في عالم البيزنس، لكنها تظل دائما هذه السيدة الرومانسية الرقيقة سريعة الدموع المبتسمة دائما المجاملة، التي لا يمكن أن يختلف عليها اثنان ولا أظن أنها دخلت في يوم من الأيام في خلاف مع أحد وكانت بارة بأهلها رغم الزواج المدني في ألمانيا .

ليلى عسيران

يقول الدكتور مصطفى الفقي إن شهرتي المتواضعة استطاعت أن تصل إلى عمق البلاد العربية، وإن لي بها علاقات جميلة؛ لأنها بدأت صغيرة ثم كبرت فأنا مثلا تعرفت في بداية عمري على السيدة ليلى عسيران زوجة د. أمين الحافظ، الذي كان رئيسا لوزراء لبنان، وكانت في بداية العمر تكتب بعض المقالات التي ينشرها الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الذي عرفني بها، هذه الكاتبة الشعنونة المحبة للحياة المفتونة بالكلمة، ولها قصص جميلة أشهرها عصافير الفجر، وهي صاحبة أسلوب أدبي راق، قد كنت دائما كلما ذهبت إلى بيروت أذهب إلى كورنيش المزرعة كي ألتقي بليلي عسيران وزوجها أمين الحافظ، عايشت معي أحداثا كثيرة وخصوصا عملية فصلي في أكتوبر سنة 1964 وكانت متعاطفة معي بشدة فقد اقترحت أن أسافر إلى بيروت وأعمل في إحدى المجلات غير أن السلطات الشمولية في مصر رفضت ذلك رفضا باتا ،كان أمين حافظ رئيس وزراء لبنان سياسيا جميلا، وكان كلاهما (ليلى وأمين) قد تعارفا بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ولذلك كانت مصر تسكن عقل كل منهما .. كنا شلة صغيرة تتكون من ثلاثتنا وأحمد بهاء الدين الذي لم أكن قد اقتربت منه في الفترة الأولى؛ لأني كنت مجرد محرر، وكنت عندما أراه يناديني باسمي أفرح فرحا شديدا، وكانت ليلى ترى أنني أتمتع بحس عال، وملاحظة دقيقة وكان أحمد بهاء الدين يستفسر عن بعض الأمثلة التي تحقق هذا الكلام، أما أمين حافظ فكنت أحبه بشدة؛ لأنه عقل سياسي لبناني كبير ومفكر أيضا وشديد التواضع ورغم ولعه بالسياسة إلا أنه كان مهتما بالأدب، ولعله كان القارئ الأول للأديبة ليلى عسيران، ولم أر تواضعا في الحياة مثل تواضع أمين حافظ الذي ينافس تواضع العظيم الطيب صالح، الذي تعرفت عليه في فترة من فترات حياتي، وكان جسر التواصل بيني وبينه الكاتب المحترم رجاء النقاش .

غادة السمان

أما الأديبة الكبيرة غادة السمان، فهي صديقة من نوع خاص، إنها فصيحة العرب كما يطلقون عليها، ولعلي كنت مفتونا في مقتبل عمري بأسلوبها وتعرفت عليها أنا وآمال وهي زوجة الناشر الرائع بشير الداعوق، عشناها وعاصرنا الفترة التي أنجبت فيها ابنها الذي كبر ودرس أشياء كثيرة في العالم، ومازالت غادة السمان كلما ذهبت إلى الجنوب في فرنسا تكتب ولها مواسم في الكتابة وطقوس، ولعلي أجريت معها أكثر من حوار، وقد ضمنت كتابا لها يضم كل الحوارات التي أجريتها معها تماما مثلما فعل الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل حين نشركتابه «أحاديث العاصفة» أي كل الذين حاوروه .

كل رواية أو كتاب لغادة السمان كنت أحرص على شرائه وكانت دائما تكتب لي إهداءات خاصة، وتكتب نسخة أيضا لآمال التي تعتبرها شخصية مستقلة تماما، عشنا غادة السمان عندما حدثت الحرب اللبنانية الكبيرة ورأينا عذاباتها في التنقل وعشنا هجرتها من بيروت إلى باريس.

غادة السمان انقطع عملها منذ أن رحل بشير الداعوق، ذلك الرجل الوديع الكاتب الذي نشر أول كتاب عن نادية عابد، وكان حريصا على أن تكون داره هي الدار التي تنشر كتاب نادية عابد، غادة السمان لديها بعد ذلك مشروعها الكبير، وهو منشورات غادة السمان فكل كتاب ظهر في حياة غادة تنشره، سافرنا إلى باريس والتقينا بها كثيرا وأمضينا أوقاتا حلوة معها.

وشهادتي على غادة السمان أنها فنانة حتى النخاع ملتزمة بالكلمة والحروف تجيد جيدا صياغة ما تكتب، ولديها طقوس معينة ترتبط بها ومن خبراتي الحياتية..أقول إن النجاح ليس شيئا سهل الوصول إليه بل هو خطة عميقة وخارطة طريق مهما كان الفنان فوضويا؛ لأن فوضى الكاتب هو ما

يجري فوق الورق أما غادة فالانضباط الوحيد الشديد في حياتها حين تمسك بالورقة والقلم، ولا تزال غادة السمان رغم وجود الكتابة الإلكترونية تكتب بنفسها على ورق ملون.

مازلت أذكر غادة السمان عندما فجرت موضوعا هائلا عشت تفاصيله حين نشرت خطابات جميلة ورائعة لهذا المناضل الرائع غسان كنفاني، الذي كان يرسل لها خطابات رقيقة وكانت ترد عليه، وخطابات غسان كنفاني هي قطعة من الأدب النادر التي لا مثيل لها، وقد نشرت غادة السمان هذه الخطابات في كتاب يحمل عنوان خطابات غسان كنفاني بل إنها بالغت في نشر الخطابات الخطّية بجوار الخطابات المكتوبة بعناية في الكتاب؛ مما أحدث ضجة في لبنان ثم انتقل إلى الوطن العربي، وكان السؤال ببساطة هو كيف تخرج غادة السمان أشياء المفروض أنها تندرج تحت بند الخصوصيات، وتنشرها علنا على الناس، لكن غادة السمان كان لها منطق آخر؛ حيث كانت تقول إن هذه الخطابات ليس فيها ما يشين، وأن فيها صداقة وحبًّا وفكرًا، وأنها أرادت أن تُطْلِعَ الناس على نوعية من الخطابات الراقية، وقد طرحت هذا السؤال على الأديبة الكبيرة الراحلة ليلى عسيران زوجة أمين حافظ، التي انفجرت بغضب لتقول إن ما فعلته غادة السمان هو شكل من أشكال التطاول على حياة إنسان.

هناك أديبة عربية جميلة عرفتها في مطلع عمري وقد أجريت معها حوارا أثار ضجة هائلة كبيرة حينما كنت في دمشق، وقابلت كوليت خوري وكنت مأخوذا بكتابها «أيام معه» الذي قيل إن الشاعر الكبير نزار قباني هو الذي صاغه بأسلوبه وما أذكره أنه في ذات صباح في أخبار اليوم ظهر تلخيص كامل بقلم أحمد بهاء الدين لكتاب أيام معه، وذهبت إلى دمشق وأجريت حوارا مع الأديبة الكبيرة كوليت خوري، ولكن بعض الأصدقاء الصحفيين المصريين الذين اقتربوا منها قالوا لها ارفعي قضية على مجلة صباح الخير؛ لأن الحديث فيه إساءة بالغة لك، فقد حاول الكاتب «فلان» – يقصدني – أن

يكتب عنك كغانية؛ إذ إنه يقول ورفعت كوليت ساقها اليمنى ووضعته فوق ساقها اليسرى واستقرت الساقان فأرادت أن تكون في الصورة خصلة الشعر التي كثيرا ما تحركت وأثارت، كان هذا هو ما أراد به الأصدقاء المصريون في ذلك الوقت .. إثارة حفيظتها وضايقوها فرفعت قضية وأظن أنهم كتبوا نص الاتهام، وقالوا إن هذه القضية إنما تدق «جرسًا خطيرًا» في الوحدة بين مصر وسوريا وذلك أيام الوحدة الأولى، وقد أفزعني ذلك وعرفت هذا كله فيما بعد وأدركت بخبرتي الحياتية أن المصريين في الغربة ليسوا على مستوى إنسانيٍّ جيد ويتضايقون من أي وافد جديد، وأن الأنانية تتملكهم من الداخل وأنهم إذا توددوا لشخص حاولوا السيطرة عليه، غير أن اللبنانيين وضع آخر يختلف عن الفلسطينيين، حتى النوبيون الذين قابلتهم في فرنسا يتوددون بشكل غريب، وإذا كان أحدهم قد جاء إلى فرنسا أو مدينة أجنبية من بلاده لابد أن يبحثوا له عن عمل، تلك المشاعر الجميلة الأليفة لم يعرفها المصريون، لذلك كنت أقول دائما إن الإنسان يختبر في الغربة .

تكلمت مع كوليت بالتليفون الأرضي وقلت لها ياست كوليت أنا أنطوي على احترام كبير لك، وحواري الذي نشرته هو تقليد لما كتبتِه في كتاب «أيام معه» إذ إنني مفتون بالعبارات والفكرة والسرد، وقالت لي (مفيد تعا) أي تعالى في دمشق، وقد طلبت من الأستاذ الدكتور جمال العطيفي المحامي القانوني الكبير، وكان مستشارا قانونيا لروزاليوسف، أن أسافر وأحل المشكلة بنفسي، وسافرت ونزلت من الطائرة إلى الفندق وألقيت حقيبتي ثم استقليت تاكسيا، وذهبت به إلى شارع بغداد بدمشق، وصعدت الدور الثاني لأدخل إلى بيت الأديبة الكبيرة كوليت خوري وأجد في صدر بيتها كما أتذكر صورة كبيرة للجد فارس خوري، وهو أحد المناضلين العظماء في سوريا، وطلبت تليفونيا الأستاذ عصفور المحامي الذي جاء في الحال، وقالت له اكتب على لساني إن القضية كما لو لم تكن وأن كوليت قد فهمت خطأ كلمات مفيد فوزي، وأنها تضع يدها في يده، وأنها مازالت تقرأ لصباح الخير، وقد اتصلت تليفونيا

من الفندق الذي أسكن فيه بالكاتب الكبير فتحي غانم رئيس التحرير، الذي قرأت له نص ما كتبته كوليت خوري وعرفت أنهم أرسلو هذه الرسالة إلى مكتب الدكتور عبد القادر حاتم ومكتب المشير عبد الحكيم عامر، ومكتب الرئاسة رئيس الجمهورية عبد الناصر وإلى رئيس مجلس إدارة روزا اليوسف وإلى المحامي الكبير جمال العطيفي.

قضيت في دمشق أياما، وكانت مفاجأة لي أن تأتي ليلى عسيران إلى دمشق؛ لتأخذنا في السيارة إلى بيروت لأتناول العشاء وأسهر ثم يعيدوني مرة أخرى إلى دمشق وعادوا إلى بيروت، هي رحلة الست ساعات لا أنساها لأنها ظلت محفورة في قلبي وعقلي فترة طويلة، أتذكر أن كوليت ظلت علاقتي بها طويلة حتى إني في فترة من الفترات ذهبت إليها محاورا وحاولت إقناعها بان نقدم شيئا للتليفزيون، ووافقت وكنت قد تعاقدت مع الإم بي سي في يوم من الأيام لأقدم ثلاثين شخصية في العالم العربي تسعة من مصر، وثمانية من السعودية، وبعض الشخصيات من بيروت، أذكر من سوريا كان دريد لحام وكوليت خوري وعندي هذه الشرائط مسجلة من الإم بي سي، وأذكر أن المخرج كان فلسطينيا والمشرف على الإنتاج هو المخرج السعودي الكبير محمد القزاز، وسافرت إلى لندن حيث ظللت هناك مدعوا من الإم بي سي لمدة أيام، وطلبت أن يصل وقت البرنامج إلى أربعين دقيقة بدلا من عشرين وكانت هناك إعلانات كثيرة حول البرنامج، وأذكر أن اسم البرنامج كان يدور حول هذه الشخصيات وكان يحظى بمشاهدة عالية في رمضان كل يوم كانت هناك حلقة، من الشخصيات التي لا أنساها الطيب الصالح من السودان والأديب الكبير ناصر الدين الأسد وكان وزيرا للتربية والتعليم، وقابلت في عمان ليلى شرف وزيرة الإعلام ومحمود الشريف صديقي الذي أدين له بالكثير حين قابلني بمدير الإعلام بالدوحة وانجذبنا بنوع من المغناطيسية، لا أنساها على الإطلاق واستطعت أن أنال صداقاته وظل صديقا لي حتى بعد أن أصبح وزيرا للإعلام في الأردن .

أذكر أنه عندما ذهبت لكوليت كانت في هذه المرة نائبة للبرلمان، وأن أخطر ما كانت تقوله وتتمناه أن تعود دمشق إلى دمشق الجميلة التي عرفها الناس، وليست دمشق الإسمنت حيث أصبح كل شيء في هذه المدينة إسمنتيا، ولا أزال أذكر حديقة دومر الشهيرة جدا في هذا البلد دمشق الساهرة؛ حيث كنت أذهب إلى سوق الحاميدية وأسمع أغاني دمشق، وقد تعرفت هناك على الفنانة الجميلة الراقية نضال الأشقر التي تسكن في بيت محاط بالأشجار والغابات الجميلة وعندما زرتها في بيروت أعجبت بها وبشخصيتها القوية.

نادية لطفي

في دومر الحديقة الشامية رأيت لأول مرة شابة تحمل كل البهجة والانطلاق بلا حدود جاءت من خلال حفل أضواء المدينة، وكان يقودها جلال معوض إلى دمشق هي بولا محمد مصطفى شفيق وشهرتها نادية لطفي، كانت هذه أول مرة أراها ولاحظت أنها إنسانة بسيطة ومتواضعة جدا .

وكان لابد لي أن أوضح ملاحظة في تعاملي مع النجوم فقد كنت أختلف مع الأصدقاء الذين يتكلمون في الفن، وأعترف أنني لست على الإطلاق مخبرا فنيا طوال عملي بالصحافة بل أنا متذوق للفن، وأكتب تعليقات حيادية، ولذلك ظلت علاقاتي بالنجوم عميقة، بمعنى أني عندما سمعت رواية شخصية قالها لي فنان كتمتها في صدري بدءا من العظيمة فاتن حمامة ونادية لطفي وسعاد حسني، وكل الشخصيات التي عرفتها وتقربوا مني كانت كلها أخلاقية ويحكمها معيار أخلاقي .

وعندما رويت قصة عبد الحليم حافظ والنزيف الذي يصيبه من فعل جنسي كان ذلك من منطلق مهم، وحيث إنني أومن أن الحياة الخاصة للنجوم ملك لهم، وكل إنسان له خصوصيات، وقد أوضحت أن الفنانة فاتن حمامة عندما تزوجت الدكتور محمد عبد الوهاب كانت لا تحب أن تذكر أمامه سيرة

عمر الشريف، بل إنها قاطعت إحدى الفضائيات التي حاولت أن تسجل قصة حياتها، عندما ذكرت أنها وافقت على أن تذكر حياتها الشخصية، دافعت تماما عن حق فاتن حمامة في ألا تذكر حياتها الشخصية وطوال عمري في العمل الصحفي كانت معايير اقترابي من الفنانين معايير أخلاقية ولذلك كنت أحظى بصداقاتهم وصداقاتهن .

نادية لطفي فنانة استطاع أن يفجر ينابيع فنها رمسيس نجيب الذي اكتشفها مبكرا في الحياة، وكانت هي في ريعان شبابها و جمالها كان يبهر كل من يقابلها، صحيح أنها كانت شقراء وجديدة على أشكال ونماذج الفنانين، ولكن كان هذا أساسيا لشخصيتها خفة الدم والروح المصرية، كان بعض الناس يتصورون أن نادية لطفي من أصول بولاندية، ولكن هذا غير صحيح ومازالوا يعتقدون أن اسم بولا هو اسم بولاندي، ولكن لا يعرفون أن والدها اسمه محمد مصطفى شفيق، ولم يعرف أحد أن نادية لطفي لها أحد أقاربها المعروفين جدا وهو صلاح زكي المذيع ،بولا كان أصدقاؤها المقربون جدا ينادونها بهذا الاسم، وكان أكثر هؤلاء هم سميحة أيوب وسعد الدين وهبة، وصديقتها التي رحلت بشكل مبكر عنايات الزيات التي كانت مشروعًا لأديبة من الممكن أن تنافس أهم أديبات العالم العربي، وكان أول من قرأ هذا النص هو أديبنا الكبير الراحل مصطفى محمود.

أريد أن أقول إن نادية لطفي كانت تحب أن تشجع المواهب حتى في بداية عمرها فهي وراء عنايات الزيات، صديقتها التي كانت تصر على أن ينشر هذا الكتاب وذهبت به إلى مصطفى محمود، الذي قرأ الكتاب وقرر نشر هذه القصة الكبيرة غير أننا فوجئنا أن عنايات الزيات انتحرت ولا أحد يعرف على الإطلاق أسباب الانتحار، ولكن يبدو أن الدنيا ضاقت في وجهها ..حتى أرادت أن تتخلص من الحياة، وقد بكت نادية لطفي بكاء شديدا وحادا لأنها كانت من الصديقات المقربات لديها.

نادية لطفي نموذج بشري نادر؛ فقد كرست حياتها لخدمة الآخرين فإذا سمعت عن أحد أنه مريض.. سارعت إليه وإذا سمعت عن أحد أنه مفلس.. بادرت بمساعدته، وأعترف هنا أنها وأنا مفصول من الصحافة المصرية أعطتني 164 جنيها، لكي أذهب إلى مصلحة التليفونات وأحصل على أول تليفون في حياتي، ببيتي في المنيل وكان رقمه 844219، ثم تنازلت عن الرقم، وأصبح شيئا آخر تماما؛ حيث إن هذا الرقم الذي أحفظ أرقامه كان هو الرقم الأول عندما دخل التليفون عندي في البيت ولم يكن معي نقودٌ فساهمت نادية لطفي بمبلغ العقد.

نادية لطفي عندما فصلت من العمل وقفت بجواري وقفة رجل وعندما أحببت وقفت بجواري وقفة أخت عزيزة، وعندما تزوجت كانت نادية لطفي تقدم مسرحية على مسرح الليسيه، وكانت قد طلبت مني أن آتيَ أنا وآمال.. ارتديت بدلة الزفاف و البابيون وآمال بالطرحة؛ لكي تزفنا في نهاية عرض المسرحية التي كانت بطلتها نادية لطفي مع عبدالمنعم مدبولي والمخرج حسين كمال كانت هذه لحظات نادرة في العمر.

كما حضرت نادية لطفي طقوس الزواج بالكنيسة وسهرت معنا لآخر الليل، وقد ربطت نادية لطفي علاقة وثيقة بآمال زوجتي وكانت تأتي عندنا في البيت، .كنت أدخل لأنام في الساعة الحادية عشر وتغادر بولا في الخامسة صباحا بعد أن تسهر مع آمال في أحاديث طويلة، فيها إطلالة على الفن والحياة والمستقبل وبعض المشكلات الخاصة.

نادية لطفي كانت تسكن شارع النباتات ولا تزال في جاردن سيتي وفى وقت من الأوقات كانت وحيدة؛ لأنها تزوجت من صديقي العزيز عادل البشاري الذي كان قبطانا لإحدى البواخر العربية، وكان يجوب البحار في العالم، ويأتي وقد أنجبت منه ابنها أحمد الذي نجح في العمل البنكي بالبحرين، وعاد إلى مصر، ليصبح من رجال الأعمال الشرفاء القلائل الذين يعتمدون

كل الاعتماد على أنفسهم، ولعله من الغريب أن أعرف أن بولا أصبحت لا ترى أحمد البشاري إلا قليلا، فقط انخرط أحمد البشاري في حياته، وأصبح له كيان كامل ولكنه لا ينسى أحيانا أن يطل على والدته الفنانة الكبيرة بولا.. نادية لطفي التي اشتغلت في المسرح ونجحت، وكان من أعز أصدقائها على وجه الإطلاق حسين كمال وشقيقته أميرة وكانت تربطها بهما علاقة عميقة وكذلك سعد الدين وهبة وسميحة أيوب.

عندما كانت تعمل بولا في المسرح كانت علاقتها به ثانوية وليست علاقة رئيسية بينما كانت علاقتها الأساسية بالسينما، وأدت أدوارًا كثيرة متميزة، وكان من أكثر المتحمسين لها إحسان عبد القدوس، ولا تزال في عقلي وذهني حكايات كثيرة تثبت مكانتها عندي فهي التي قالت لي عبارتها الشهيرة يوما، حينما كنت مفصولا سنظل معك حتى النفس الأخير، وكانت حريصة على أن تحضر مواقف كثيرة لنا فقد حضرت زواجنا وميلاد حنان، ومواقف كثيرة أهمها رحيل آمال العمدة.. إذ جاءت بولا وسميحة أيوب لواجبات العزاء ولا أنسى ذلك، وربما من باب الفضول كنت أسأل بولا عن حياتها الشخصية، ولكنها كانت تتكتم هذا، فقد تزوجت بعد عادل البشاري من أسرة جمال عبد الناصر، ثم تزوجت بعد ذلك مصورا لامعا في دار الهلال؛ وبولا كما أعلم امرأة مصرية، وفيها عرق تركي لعله من الأم فهي ناعمة للغاية، ولكنها إذا صرخت تصرخ بعصبية إذا استفزت أو سرقت أو حدث ما لا يمكن أن تغفره.

قد حاولت طويلا أن أكون معها بمعايير أخلاقية جميلة إذ انضم إلينا صديقي الرسام إيهاب شاكر، وصار إيهاب ومفيد وبولا ثلاثيًّا يسافر إلى الإسكندرية عندما كانت لها ڤيلا صغيرة في الإسكندرية، وكنا نبيت هناك ونضحك وتمتلئ قلوبنا بالابتسامات وبالبهجة لم يكن في حياتنا على الإطلاق أي مشاكل أو نكد أو تفكير في المستقبل كانت بولا في بداية العمر جميلة؛ لأنها كانت بلا هموم وبلا أعباء ..عندما بدأت بولا تمرض كنت في بيتها ذات مساء عندما اختل توازنها وسقطت على الأرض، وأظن أنها في نفس الليلة

أو بعدها بيوم واحد سافرت إلى سويسرا؛ لتعالج ثم جاءت بولا إلى مصر وقابلناها بالترحاب الشديد جدا، بولا عندما كنت في اليابان وعدت كانت في المطار هي والفنانة الكبيرة سميحة أيوب في استقبالنا.. هذه تفاصيل صغيرة لا أستطيع أبدا أن أنساها لأني أشعر أن بيننا صداقة كبيرة معمرة ربما في بعض الأوقات لا أراها خاصة عندما بدأت تمرض نعم لأن عندها كبرياء كبير، وكانت لا تحب أن يراها أحد في لحظات ضعفها أو مرضها، وآخر مرة رأيتها كانت في مركز الروماتيزم بالدقي، وكانت قادمة وهي تجلس فوق كرسي ولم تستطع أن تقف على قدميها كثيرًا، وكتمت دمعة لأني تذكرت بولا التي كانت تملأ الحياة بهجة وسعادة وجمالاً وضحكات وتعليقات وخفة دم منقطعة النظير.

هذه نادية لطفي التي وصفها كامل الشناوي أنه في داخلها كامرأة رجل يعرف الالتزام والانضباط والرجولة و معنى المروءة، وهي نموذج نادر؛ لأنه ما في مريض من نجوم الفن إلا وكانت بولا بجوار سريره، ومن أشهر هؤلاء الفنان الجميل جورج سيدهم حيث عاشت بولا طويلا بجواره رغم أن زوجته الطبيبة المخلصة لا تزال صابرة على مرضه الذي طال.

بولا لا تحب أن يرى أحد جروحها ولا مشاكلها وتتكتمها دائما وتصر على أن يكون هذا من حقها وحدها فلا تخرجه لأحد وربما حتى لأقرب الأقرباء إلا في حدود ضئيلة بسيطة عندما تجلس آخر الليل وحدها ويكون هناك صديقة عزيزة لديها، فكانت تسر بما كان في داخلها، وتتضمنه كل هذه الأشياء جعلت بولا لها مكانة كبيرة عندي ربما أخذ إيهاب أياما من علاقتنا، وقد تزوج إيهاب وانشغل بالحياة، أما أنا فما زلت وفيا مخلصا فيما عدا مرحلة بدأت فيها نادية لطفي تدخل حيز المرض، فباعدت بيننا الأيام إلى الحد الذي كنت أراها بين الحين والحين في فترات طويلة، وتختفي لكني كنت أتتبع دائما أخبارها .

في فترة من الفترات حدثت قطيعة بيني وبين نادية لطفي ربما لأسباب واهية وعندما طَلَبَتُ أن تكون ضيفتي في الأوربت حيث سنجري حوارًا تليفزيونيا على الهواء كنت سأسعد به كثيرًا، اعتذرت وظهرت في برنامج آخر في نفس المحطة (الأوربت) ولم أغضب لأني كنت أدرك أن نادية لطفي هي الكرامة والكبرياء، وأيضا هي النموذج البشري النادر الذي وقف مع الجميع، ولا أظن أن أحدا ينكر، ولتأذن لي في العبارة، أن رجولة نادية لطفي الفولاذية قد كانت من أحد الوجوه الهامة لنادية لطفي .. اشتراكها في الهم الفلسطيني كانت تؤازره وتقف معه، هذا من أهم ما فعلته وقوفها بجانب هذه القضايا، لم تكن بولا على الإطلاق مجرد فنانة تظهر على التليفزيون في فيلم مع محمود مرسي أو محمود ياسين من إخراج حسين كمال أو غيره، بل كانت لها مواقفها الوطنية الكبيرة التي أدت أداء رائعا، وما زال يُذْكَرُ إذا جاءت سيرة نادية لطفي، صديقتي بولا تربطني بها كما قلت تفاصيل صغيرة وأيام كثيرة أعرفها منذ أيام الوحدة المصرية مع سوريا، ولا تزال حتى الآن إذا قابلتني عانقتها ويمر أمامي شريط طويل من الذكريات النادرة فالإنسان دائما في حياته كخبرات حياتية له معارف كثيرون ولكن له صداقة قد تكون راسخة وقوية، حتى وإن اكتنفها أحيانا بعض الخلافات فتلك هي طبيعة الصداقة أنها أحيانا تمر بنفق ضيق، وأحيانا تمر بنفق مظلم، وأحيانا تخضع للعتاب وأحيانا للعقاب، ويمضي نهر الصداقة.

يوسف إدريس

من صداقات العمر التي لا أنساها وتأثرت بها جدا صداقتي بالكاتب الفذ يوسف إدريس، أول تعارفي عليه كان في جريدة الأهرام، وقد بدأت تربطني به علاقة سرعان ما تحولت إلى صداقة عائلية تربطنا بيوسف إدريس ورجاء، حيث كنا نزوره في بيته ويزورنا في بيتنا المتواضع، وكانت نسمة ابنته تأتي كثيرا مع والدتها وكانت حنان ربما في نفس العمر، وكانت كلتاهما في مدرسة

بورسعيد بالزمالك، وكنت هنا أود أن أعبر عن شيء كنت أتمناه لحنان فكانت نسمة شخصية في المدرسة وتقود الحفلات، وتقف لتخطب وكانت لها طلة واحترام، رغم أنها كانت لا تزال طفلة، قد كنت أغار من نسمة يوسف إدريس وأتمنى لحنان أن تكون مثلها لها طلة، ولكن حنان لأنها كانت وحيدة تحب الاختفاء و التواري، وتفضل أن تبقى بعيدا عن أي ضوء رغم أن حنان فيما بعد خالفت كل الطقوس، فقد أصبحت راعاها الله تحت الضوء بشدة، بينما توارت نسمة يوسف إدريس في الزواج وصار لها أطفال توأم.

وأتذكر أني أجريت حوارا مع يوسف إدريس بالتليفزيون، وكان مهما للغاية مع المخرج جميل مغازي الذي أدين له بالكثير مما وصلت إليه؛ فهو الذي اختارني عقب برنامج بسيط قلت فيه كلمات كالرصاص، وكان البرنامج لفريال صالح، ولعل من السيناريوهات السماوية أنني كنت أقدم برامجي بنفسي على الشاشة بعد هذا البرنامج الشهير الذي فيه تناولت بالنقد 8 شخصيات كانوا يجلسون معي على منضدة واحدة في حلقة الحوار الذي أجريته مع يوسف إدريس، تناول أشكالا أدبية وغير أدبية وفنية ومن أشهر ما قاله لي في تلك الحلقة يا من تتزوجين صحفيا أو كاتبا أو فنانا فإن نصف حياتك سعادة والنصف الآخر تعاسة.

وعندما سألت رجاء يوسف إدريس عن رأيها في هذا القول، قالت هذا كلام صحيح، وإن كانت التعاسة تفوق كثيرا السعادة، وقد حدث بيني وبين يوسف إدريس خلاف عميق حاد عندما طلبت منه في آخر الحلقة أن يعلق على تعبير يقول إن فلانا ربما كان عبقريًا وفنانا عظيما، ولكنه كإنسان أقل من عاديٍّ، فقد قال يوسف إدريس في لحظة غريبة، نعم هذا الكلام ينطبق عليَّ تماما، وأنهينا الحلقة غير أن يوسف إدريس عندما عاد إلى بيته راجع نفسه كيف يقول إنه عبقري ولكن كإنسان أقل من عاديٍّ فاتصل بالسيدة سامية صادق، وصاح فيها صيحات غريبة جدا، وكان ذلك بعد منتصف الليل، وقال لها أرجوك توقفي هذا البرنامج الذي سيذاع بعد غد، فقد قلت لمفيد فوزي بالحرف الواحد كذا كذا وكذا، أرجوك حذف هذا الكلام، وإلا يكون نهاية البرنامج .

وقد اتصلت بي السيدة سامية صادق وطلبت مني حذف هذا الكلام وأن ننتهي بنهاية أخرى في البرنامج، وبالفعل حذفنا هذا السؤال بإجابته، وكتبنا الإجابة التي اخترناها أن تكون هي نهاية البرنامج.. لو أن حياتك قصة قصيرة فماذا يكون عنوانها فقال يوسف إدريس إنها قصة قصيرة طالت كثيرا، وختمنا البرنامج على هذا النحو واستراح تماما يوسف إدريس الذي كان في حوار كبير بعد ذلك كان مذاعا ومنشورا صحفيا، حين نقلت إليه فكرة نوبل نجيب محفوظ، فما كان من يوسف إدريس إلا أنه انفعل انفعالا كبيرا، وقال أنا أحق من نجيب محفوظ بنوبل، وقال أيضا إن نوبل التي منحت لنجيب محفوظ إنما منحت لأسباب سياسية وقال أيضا إن الذين يشرفون على جائزة نوبل في استكهولم كانوا قد أبلغوه قبلها بأيام قليلة أنه هو الذي فاز في الاستفتاء بجائزة نوبل.

ونشر الحديث وأحدث ضجة كبيرة ونقله الأستاذ إبراهيم سعده إلى أخبار اليوم؛ حيث نشر نقلا عن صباح الخير فأحدث ضجة أكبر، وكان إبراهيم سعده قد نقل لي أيضا مقالا حديثا قد نشر في صباح الخير مع موسى صبري قبل رحيله بأيام قليلة نشر في أخبار اليوم، نقلا عن صباح الخير، وكان إبراهيم سعده يرى أن إعادة نشر حديث في مجلة أسبوعية بالطبع محدود القراءة لجمهور صباح الخير، ولكن عندما ينشر في جريدة يومية ذائعة الانتشار مثل أخبار اليوم التي كان يقرأها ما يقرب من ثلاثة أو أربعة ملايين قارئ كان ذلك هو الذي أغرى إبراهيم سعده لإعادة النشر.

وغضب مني يوسف إدريس غضبا جما عندما نشر الحديث؛ لأنه ظهرت أحاسيس في المجتمع تقول إن يوسف إدريس نصف وزنه غيرة أدبية، وقلت له الغيرة الأدبية والمنافسة مشروعة، ولم أكن في الحقيقة أريد أن يظهر هذا المعنى بتاتا.

مما لا أنساه ليوسف إدريس أنه كان قد اشترك معي في برنامج شهير اسمه «أم كلثوم عصر من الفن» كان أول برنامج لي أظهر به على شاشة التليفزيون المصري من إخراج الأستاذ جميل المغازي الذي أذكر أنه كان فنانًا ودقيقا، وفيما بعد أصبح من كلاسيكيات العمل التليفزيوني والصحافة التليفزيونية، يوسف إدريس في حواره معي على التليفزيون عن أم كلثوم عندما ذكرت له أن غيابها يكثف حضورها، قال «أوجزت حقيقة أم كلثوم في سطر واحد» لا أنسى أبدا هذه العبارة ليوسف إدريس الذي كثيرا ما كنت أراه في المنتديات فأهرع لمصافحته، وأراه قائمًا مقام الصحافة المصرية في يوم لم يكن هناك نقد ولم تكن هناك معارضة، وكان يوسف إدريس في بعض الأحوال عندما يغيب لديه ينبوع القصة.. يلجأ إلى المقال، وسألته هل عندما تغيب فكرة القصة القصيرة في رأسك يخرج المقال من بين يديك؟ قال إنني مخلص للقصة القصيرة إخلاصا بلا حدود وأحب أن أكون أمام الناس والجمهور كاتب قصة قصيرة وإنه إذا ذكرت القصة القصيرة يذكر يوسف إدريس، لكن المقال هو دفقة إحساس تخرج إلى أصابعي ثم تخرج فوق الورق .

وكنت قد سجلت مع يوسف إدريس، والسيدة رجاء يوسف إدريس في برنامج «أوافق أمتنع» الذي قدمته الإذاعية المعروفة سناء منصور، وغضبت علينا أم كلثوم من هذا الرأي غضبا شديدا، وقالت إذا كان هناك بيني وبين السيجارة عند يوسف إدريس اختيار واختلاف فإنه يختار السيجارة ويسمعني في البيت، ولا يراني أمامه على المسرح، غضبت أم كلثوم غضبا شديدا في تلك الفترة ثم تصالحا وقال لي يوسف إدريس يا أخي انت أسئلتك ظاهرها طيب وباطنها شرير، ولا أحد يعلم كيف يجيب عن السؤال وإن كان بسيطا، فقلت له أنا لم أسأل التي كانت تسأل هي السيدة سناء منصور، وأنا أكتب السؤال قال أنت أعطيت سناء منصور ألغاما لكي تفجرها هي بنعومة .

حين علمت يوما أن يوسف إدريس قد رحل إثر حادث وقوعه أو سقوطه في البيت، ولم أبك عندما مات حليم ولم أبك إلا بعد شهر أو اثنين حين مر فتحي غانم عليّ في صباح الخير، وقال لي اكتب بقى حاجة احنا منعرفهاش لعبد الحليم، فلما قلتله لعبد الحليم، قال لي آه عبد الحليم مات، هنا انفجرت في البكاء كيف أني لا أصدق أن عبد الحليم قد ذهب في رحلة اللاعودة، نفس الوضع أنا لا أذهب للسيدة رجاء، ولكن ذهبت آمال العمدة زوجتي الراحلة كي تؤدي واجب العزاء، ولأني لم أذهب ولم أوافق أن أجلس في سرادق كنت أرفض فكرة أن يوسف إدريس مات؛ لأني كنت أؤكد وأدرك إدراكا عميقا أن هذه الموهبة الفذة ستظل طويلا تشع في حياتنا لكنه القدر.

نزار قباني

ما زلت أتسلق شجرة الذاكرة وأفتش في جنباتي عن نزار قباني الذي تربطني به الكلمة ولعل صداقة الكلمة هي أعمق الصداقات على طول العمر، فكما فُتنت بفصيحة العرب غادة السمان، كنت مفتونا أيضا بصاحب المنجم الذهبي من الكلمة والتعبير نزار قباني وأجزم أنه لو سقطت ورقة في الشارع وعليها بضع كلمات بخط سيئ لأدركنا على الفور أنها كلمات الشاعر نزار قباني.

وكانت لي حكاية مع الخط فقد أدمنت كتابة الخط الرقعة، والنسخ، بالتدريب حتى إنه فيما بعد صار من الخطوط النادرة في الصحافة المصرية ويشهد على ذلك عم حسن رئيس مطبعة روزا اليوسف الذي كان يوالي نشر مقالاتي، وكان يشهد بذلك قبل روزا اليوسف عم جابر الذي كان يجمع المادة لمجلة الإذاعة والتليفزيون حين كنا نسكن في سطح الإذاعة في شارع علوي وشهد بذلك أحمد بهاء الدين حينما قال إن خط مفيد فوزي يقترب من المطبعة، وشهد به عمرو أديب في برنامج القاهرة اليوم حين قال على الهواء إنك لا تستطيع أن تفرق بين خط مفيد فوزي وحروف المطبعة.

كانت توجه لي دعوة لزيارة الموسيقار عبد الوهاب في بيته، وكنت أرى نزار قباني والسيدة بلقيس الراوي، وكان نزار يقول إن خطك جميل ورآه مرة يوسف إدريس، وقال خط العيلة كله كذلك قلت له للأسف إن خط بنتي حنان من أسوأ الخطوط، ولذلك ترسل مقالاتها إلى مجلة نصف الدنيا مكتوبة على الآلة الكاتبة، وأحيانا مكتوبة بالطريقة الإلكترونية أما إخوتي ماهر ونبيل ومجدي فخطوطهم طبيعة وعادية للغاية .. نزار قباني كان يرى في مشروعًا لشاعر صغير، ولكنه يكتب بالنسخ.. وأعترف أنني من الذين فتنوا منذ البكور في الصحافة بالكلمة الجميلة، قد قيل فيما بعد إنني أجيد نحت الكلمات، ولا أدري من أين جيء بهذا التعبير، ولكن أرى أنه ما كان مخزونًا داخلي في منجمي، إن صحت العبارة، هو بعض الكلمات التي استطعت أن أخرجها من خدرها وأحولها إلى كلمات إبحار.

إنني من القلائل الذين استخدموا كلمة بوح، وإنني عندما أكتب هذه المراحل من عمري أتذكر جيدا بعض الكلمات التي قمت بنحتها بالفعل، وصارت تخصني وربما استخدمتها في الحوارات، عندما صرت محاورا بالتليفزيون ولهذا فالأذكياء الذين قلدونني ومنهم الفنان أحمد آدم استخدم بعض الكلمات التي تأتي على لساني .

قابلت نزار قباني في بيته بدمشق مسقط رأسه، وكنت أحن إلى دمشق، وسوق الحميدية، وكما قلت من قبل إن الوحيدة التي تبنت حملة ضد دمشق الإسمنت كانت الأديبة الكبيرة كوليت خوري، وبعد هذا العمر الطويل لا أزال أفكر كيف كانت علاقة نزار قباني بالأديبة الكبيرة كوليت خوري، ولا أعرف هل تأثرت به، فكتبت كتابها الشهير «أيام معه» ربما كان هذا صحيحا، ولكن هل تريد كوليت خوري أن تقول إننا في واضح الأمر ليس لدينا هذا الحس لكي ندرك ونفهم العلاقة بين ما تكتبه كوليت خوري، وما يكتبه الصديق الشاعر نزار قباني لم أصل إلى نتيجة حتمية، وإن قيل أيامها إن نزار قباني دخل في حياة كوليت خوري.

أعتقد أن نزار قباني الذي قابلته لأول مرة في دمشق في أحد المنتديات يملك صوتا ضخما لعله هو الصوت الذي يتلو به قصائده، وكان يقول لي إن قراءة الشاعر لأشعاره هي نوع من النزيف الروحي، ما زلت أذكر هذه العبارة على مر الأيام وأتصور أن قلائل هم الذين يجيدون إلقاء أشعارهم بأنفسهم، ومنهم الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور، صلاح چاهين الذي كان يقول العامية كما لو كان راقصا للباليه، وقد عرفت بعض الشعراء منهم البياتي الكبير، والذي كان يقرأ بعضهم أشعاره، وقد عرفت من محمد عبد الوهاب أن الشاعر أحمد شوقي لم يكن مفوها ليقرأ أشعاره ... فكان يقرأها بالنيابة عنه شخص آخر، وسمعت من محمد عبد الوهاب أشعار أحمد شوقي بيه، وأشهد أن صوت عبد الوهاب الرخيم حين يقرأ الشعر صوت لا مثيل له أما أم كلثوم العظيمة فهي عندما تقرأ الشعر تختفي النبرة الأنثوية منها ويبدو لو أن رجلا هو الذي يقرأ الشعر، وقد سمعتها مرة تقرأ رباعيات الخيام فظننت أن الذي يقرأها شاعر، وليس أم كلثوم لكنها تحافظ على الرتم، والتشكيل الدقيق ولا أدري من أين أتت أم كلثوم بهذا سوى أنني أعلم أنها قرأت القرآن الكريم في شبابها، ومن يقرأ القرآن بعناية يستطيع أن يقرأ الشعر بمهارة وتشكيل؛ لأنه يعرف الإعراب الجيد، وأعرف أن كثيرين من السياسيين من أسوأ من رأيتهم يقرأون كلماتهم غير المشكلة بأسلوب غريب يرفعون المنصوب، وينصبون الفاعل، ولست أريد أن أذكر بعض الأسماء حتى القريبة مني فكثيرا ما أسمع الخطب، ولكنها للأسف تكون غائبة عن وعي ما يسمى بالإعراب، إن نزار قباني الذي قرأت له طفولة نهد في بداية حياتي تأثرت به .

وأشهد أن محمد حسنين هيكل قد تربع على عرش قلبي ثم جاء هذا الفارس الجميل بقصائده الوفيرة الوثيرة الفضية، حين أقول نزار قباني فأنا أقول الشاعر القضية، هناك شعراء يحملون قضايا، وقد حمل نزار قباني قضية المرأة وظل محاميها طوال العمر، كان يرى أن المرأة الشرقية مسجونة في محراب وخندق غريب، وكان يعلم أنها وراء الأبواب والأسوار

تمارس في الحقيقة خيالات واسعة، نصفها لا يتحقق وثلاثة أرباعها هلاوس عقلية، وأحيانا جنسية .

نزار قباني هو الذي قال لنا إن الجنس صداعنا الأبدي في الشرق، وهو الشاعر الذي حمل لواء المحاولة الأكيدة الحقيقية لإزالة الغشاوة عن العيون كان يخرج بمنشورات من الورق يحارب فيها الانحرافات الجنسية، وهؤلاء الذين بنوا هرما من الحلمات، ثم جاء النت والفيس بوك واليوتيوب والتويتر، وأشياء كثيرة حملت الغرائب، ومازلت أشهد وأقسم إن نزار قباني قد مات في الوقت الصحيح، ماذا يفعل نزار قباني الآن، وكل صفحات النت مملوءَة بكل أنواع الجنس، وما كان في إمكان نزار قباني أن يقف ضد هجمة الفيس بوك، وأظن أنه كان سوف يناله من السلفيين والإخوان المتشددين الكثير من الهجوم، يقال يا عزيزي يا نزار وأنت راقد تحت التراب إن الفيس بوك مدرسة الديمقراطية صحيح أنها مدرسة الديمقراطية العفنة؛ لأنها ديمقراطية السب والشتائم والتطاول هذه شهادتي وأشهد أن قليلًا جدا يا عزيزي نزار، وأنت راقد تحت التراب هم الذين يبهرون في المعلومات.

يا عزيزي نزار انحزت لك ولقصائدك المكتوبة لست أدري كيف لي أن أقرأ قصائدك المكتوبة على النت أو في الفيس بوك، ولو أنه كان لك موقع على الفيس بوك لشبعت ضربا تحت الحزام، لقد انقلب العالم ،ولم يبق هو العالم الذي يحب الكلمة الجميلة إلا قليلا ، وكما هاجمك في بداية العمر بعض المتشددين حين ظهر كتابك، وديوانك «طفولة نهد» سيهاجمك أضعاف هؤلاء لتكسير ضلوعك بالكلمات المنشورة الإلكترونية، نزار قباني حاورته كثيرا، وفي كل مرة كنت أحاوره كان يقول لي أحب سؤالك، وحين نشرت مرة حديثا لي معه في صباح الخير كتبت العظيمة ثناء البيسي يا عزيزي مفيد اسأل، ولا تكف عن السؤال فأنت مولود للجدل .

نزار قباني حين كان يقول لي أحب سؤالك كان يعترف لي أن بعض الصحفيين يثيرون اشمئزازه بالسؤال، ويشعرونه أن السؤال هو نصر لكني لا أحب الغزوات المفتعلة كنت أحب مع نزار قباني الصدام المتحضر الجميل، وكم بكيت في نفسي حين رأيت بعض الناس تعرف نزار جنسا فقط، وأتذكر رسالة نزار للرئيس عبد الناصر حين منعه وشعره وقصائده ودواوينه من الدخول إلى مصر، وكانت كلمات عبد الناصر الرجل العسكري صدمة وصفعة لكثير من المتخلفين الذين يكرهونة، وحين كتب نزار قباني «قتلوك يا آخر الأنبياء» كنت أعلم أن نزار يودع جمال عبد الناصر بمرثية هي من أخطر المرثيات التي يعرفها الناس في العصر الحديث بعد رحيل جمال عبد الناصر، ربما لا ينافسها إلا مقال محمد حسنين هيكل عبد الناصر ليس أسطورة، حواراتي مع الشاعر نزار قباني لا أستطيع إطلاقا أن أنساها بل إنها ترصع الحوارات التي أجريتها في حياتي.

وفي يوم من الأيام سافرنا عماد الدين أديب وفاروق إبراهيم المصور، وأنا إلى لندن لنقابل نزار قباني ونجري معه أطول قصيدة اعتراف واستقبلنا نزار في بيته بوسط المدينة، وكنت أقيم أنا وفاروق إبراهيم في فندق، بينما كان عماد الدين أديب يقيم في شقته التي احتفظ بها في لندن، وكنا نذهب ثلاثتنا إلى هناك حسب الوقت المحدد، وكان عماد الدين أديب يتدخل بسؤال أو بمداخلة، بينما كان القط المفترس بعدساته فاروق إبراهيم يلتقط صورا لا مثيل لها، وأعتز بها في تاريخ الصحافة المصورة، وقال نزار في الكتاب أشياء كثيرة وجاء باعترافات هائلة، ومازلت أتذكر صوته في الحلقة الأخيرة، حين قال لي بعيدا عن التسجيل يا مفيد إن جسمي خانني لقد كنت أكره خيانة المرأة، وهي شيء قليل بالنسبة لخيانة جسد الرجل له، هنا أيقنت ذلك الأفول الشديد الذي جرى لنزار، وأدركت حين يخون الرجلَ جسدُه، فإنه يفقد الرغبة في الحياة، وقد فقد نزار قباني رغبته في الحياة بعد رحيل بلقيس بفترة قليلة جدا، وكان يردد «ما جدوى الحياة بعد أن فقدت بلقيس؟»

كانت بلقيس قنديله الذي يضيء له الطريق وأشهد حقًّا أن السيدة بلقيس الراوي زوجة نزار قباني التي وصفها مرة بأنها نخلة من نخل العراق، طويلة كلها كبرياء.. حين ماتت في حادث غدر غريب سقطت فيه العمارة فوق رأسها في انفجار دام بكى نزار قباني كما لو لم يبك وقد كنت بجواره في بيروت حين بكى بلقيس، وكانت عيناه الحمراوان تشعان بالأسى والحزن، تماما كما رأيته يبكي حين مات ابنه الكبير توفيق، وكانت تربطني صداقة جميلة بالدكتور صباح قباني رئيس تليفزيون دمشق يوما، مازلت أذكر وجه صباح من بعيد هو ذلك الوجه الذي يبدو كالندى في الصباح، والحماس ولم يكن صباح قباني شاعرا بل كان رجلا إداريا حازما، بكى نزار قباني زوجته بلقيس، وبكى أيضا العزيز توفيق الذي كان يسكن بالقاهرة، بعد فترة طويلة استطاع نزار أن يخرج من أحزانه وجمعنا الأستاذ جميل مغازي في حوار إنساني معه بالشعر مع زميلي وصديقي فاروق شوشة، أجرى فاروق شوشة الشعر وأجريت أنا حوار الإنسان فقد خرج جميل مغازي من دائرة المخرج إلى دائرة المنتج، وأخذ يجمع الكثير من المواد؛ لكي يبيعها للدول العربية لكن الرزق يأتي من عند الله فهو يعطي في الوقت الذي لا يحسبه الإنسان، ولا يمكن أن يفكر كيف جاءه هذا الرزق وتلك نظرية أعتز بها وأؤمن بها، وأؤمن أيضا أن الله يعطي الوفير في القليل، هذا الحوار الطويل الذي أجريته في لندن مع العزيز نزار قباني كان من الممكن لصديقي عماد الدين أديب أن يكون حوارا مصورا بمعنى أنه لم يكن في حاجة سوى كاميرا تصور حوارا وهو يتكلم، لكن عماد الدين أديب لم يتنبه إلى هذا فقد كان مخلصا للصحافة كل الإخلاص، وكان يريد لمجلة كل الناس أن تكون مجلة كل بيت في مصر ولقد كان، الذي أذكره أننا بعد أن بدأنا في نشر حلقات نزار قباني غضب نزار قباني مني بشدة وقال لي : يا مفيد كيف تنشر في مجلة كل الناس؟

قلت : أنا يا أستاذ نزار لا أنشر.. المجلة هي التي تنشر .

قال لي يعني معقول إن السيدة منى سراج رئيسة التحرير بالإنابة عن عماد الدين أديب تنشر وتقول إن نزار قباني يبحث عن زوجة؟ هل هذا معقول؟ ما موقفي أمام هدباء ابنتي ؟ كيف يكون نزار قباني يبحث عن زوجة..؟ لقد ماتت بلقيس تحت التراب، و مازلت أفتقدها بجنون ولا أبحث عن زوجة ولا أبحث عن امرأة في حياتي، أريد أن أكمل مشوار حياتي في هدوء أنا يا سيدي الآن رجل أعد لكتابي خمسين عاما من الشعر، وأريد أن أكتبه حتى لا يكتبه النقاد، وأريد أن أسلخ جلدي قبل أن يسلخ جلدي النقاد.

قلت له : يا أستاذ نزار أنت موقفك غريب من النقاد، قال يا مفيد الناقد العظيم هو الذي يخرج فنا عظيما، وأنا قد أفلت من قبضة النقاد، سجل هذا معي نزار قباني قبل أن يرحل وأنه لا يجد في مصر نقادا كثيرين لهم باع في فهم الشعر، كان يرى قناصة يلقونه بالسهام الملتهبة لإحراق قلبه، ولعله ذاق الهجوم المر والنقد الشديد، وهذا ليس بغريب مادام ظهر الكاتب أو الفنان أو الشعر فوق المسرح، لقد ذاق نزار قباني الهجوم الشديد حين وقف أمام ميكروفون الإذاعة عندما طلبت منه آمال فهمي وهي رئيسة الشرق الأوسط أن يقدم مسلسلا كان هو أحد أبطاله.

أمسيات شاعر

في بعض قصائده التي هاجم بها الأثرياء العرب منعوه من دخول أحد البلدان العربية، وأشهد أمام الله أن أمسيات نزار قباني هي أجمل أمسيات عشتها لشاعر، وأشهد أن أحدا لا يمكن أن يضاهيه كشاعر، وليس له تلاميذ على الإطلاق بل هناك من يقلدونه، ولكنهم لا يعيشون كثيرا.

نزار هو أشهر الشعراء العرب ويتمتع بشعبية كبيرة، وكاريزما شخصية وقد رأيت أمسيات نزار في القاهرة بالجامعة الأمريكية، ورأيت أمسيات نزار في ناد كبير بالسودان، وكانت هناك اللفافات البيضاء على الرءوس

والجلاليب البيضاء تصفي، فأنا أعلم جيدا أن المرأة في السودان عندما تلد مثلما المرأة في تونس .. تتمنى لو أن المولود ذكرا وشاعرا، وكان نزار يقول لي يا سيدي هذه السودان 30 مليون شاعر إنها أطول قصيدة شعر من البشر كان يرى نزار قباني أن في السودان شعراء كثيرين .

وحين جاء نزار قباني إلى مصر بعد أن منعته السلطات وأجازته بعلم من الرئيس جمال عبد الناصر قابلته، وأخذنا نتذكر معًا عندما كنت أذهب إليه في بيروت وأخرج معه إلى مطعم إسباني، ونزار قباني إذا أردت أن تبحر معه فإنه يسعد بهذا المكان الذي كنت أقابله فيه في بيروت إن بيته غريب.. نصفه هدايا وقطع خاصة من عمله سفيرًا يوما ما رأيت في البيت من كل بلد زارها تحفة من الصين والأردن ومصر.. وكأن بيته متحف جميل، وعندما كنت في بيروت ذهبت إلى متحف من الشمع تحتفظ فيه لبنان برموز للشعراء والشخصيات العامة من بين هؤلاء السوري الذي عاش في لبنان كثيرا نزار قباني، وحين مات نزار وكان ذلك في صباح أحد الأيام عندما تسرب لي الخبر نزلت دمعة على خدي وظننت أن نزار قد نزل إلى القبر وأخذ معه الكلام الجميل، إنني أعلم أن هناك اثنين كان عبد الحليم حافظ يرى فيهما متعة الجمال في الكلام وهما نزار قباني شاعرا بالفصحى، ومرسي جميل عزيز شاعرا بالعامية،كنت أشعر أن نزار يحب عبد الحليم، وذات ليلة في بيت عبد الحليم كان عبد الحليم يعترض على جملة؛ إذ يقول نزار « وتحرسهم كلاب وجنود» واعترض حليم على الكلمة وحدث حوار طويل استغرق أكثر من أربعين دقيقة بين نزار وعبد الحليم في دبي، وقال عبد الحليم :يا أستاذ نزار مش معقول أبدا أغني جملة فيها وتحرسه كلاب وجنود.

فقال له :يا أستاذ عبد الحليم لابد أن تفهم جيدا أنني أنا الشاعر وأنت المغني، فأنا الذي أقول كلمات وأنت الذي تغني ولا يجب أبدا أن نتبادل المواقع، وغضب عبد الحليم وقال له : أرجوك يا أستاذ نزار أنا المغني الذي له ذوق، خد يا مفيد كمل مع الأستاذ نزار لأنه شايف إني مش المفروض أن

أعترض على كلمة، وأمسكت بالتليفون وقال لي يا أستاذ مفيد قل لصديقك هذا إن نزار لا يمكن أن يغير كلماته.

قلت له : يا أستاذ نزار أنت شاعر والشعر الذي تكتبه تستطيع أن تدونه في كتب وعبد الحليم مغن، وإذا لم يتذوق الكلمة في فمه فلن ينطق بها ملحنه، وبالتالي هو يعطى القصيدة أجمل ما فيها غناء، أضف إلى ذلك الموسيقى، والتوزيع الموسيقي، فلابد أن عبد الحليم يختار كلمات، وهو مطرب كلمات ورأي وذوق .

قاطعني نزار وقال: يا أخي إذا أردت أن تنحاز لصديقك كمغنٍ فانحز لي كشاعر قلت له: أنا أنحاز كمستمع سوف يسمع القصيدة كيف أسمع كلمة جنود وكلاب على لسان عبد الحليم؟ قال نزار في نهاية المكالمة، ويبدو أنه اقتنع بجزء من كلامي اعملو اللي انتو عايزينه، لكن يطلع عمل ممتع وجميل أعطني عبد الحليم أمسك عبد الحليم التليفون وكان صوته قد تعب من الحوار الطويل مع نزار وقال له: يا أستاذ نزار أنا أيضا أئتمنك على الكلمات التي سوف تضعها، فلست أنا بشاعر ولا مفيد شاعر، ولا ألجأ لشاعر آخر أختار منه الكلمات فمن فضلك، أعط لنفسك ثلاثة أيام أو أسبوعًا كاملًا ..

قال: سأجلس الليلة وغدا حتى تأتي الكلمات الجديدة مرادفة تماما للمعنى وتستساغ على حد تعبير صديقك في فمك وللموسيقى والتوزيع، هذه القصيدة يا حليم هي من أجمل قصائدي رسالة من تحت الماء، ووافق نزار وصمت عبد الحليم وشعر أنه دخل جولة مهمة مع نزار قباني .

السندريلا والعندليب

من الأشياء المهمة التي لا يمكن إطلاقا أن أغفلها أنه في سنة من السنوات كنت قد أصبت بجلطة الرئة وهذه الظروف لا أنساها أبدا؛ حيث شعرت بإرهاق شديد في صدري وأذكر جيدا أن آمال أعطتني كوبا من البرتقال أمسكت بيدي الكوب، وجئت لأرشف منه رشفة، ولكن الكوب وقع من

يدي ولم أستطع أن أتمالك نفسي وقمت ونحن في عز الشتاء، وفتحت النافذة ولكن الله وضع يده فوق كتفي كما كنت دائما أقول.

يتصادف أن تزورنا في هذه اللحظة التي كنت أشعر فيها بالإرهاق الشديد الفنانة الجميلة يسرا كانت قادمة إلى آمال؛ لأنها كانت تقدم برنامجًا إذاعيا أسبوعيا اسمه ساعة زمان ... ودخلت إلا أنها وجدت آمال قد تغير وجهها وسيطر عليه الغضب والحزن؛ الغضب لأنها لا تعرف ماذا تفعل .. والحزن لأنها تراني في حالة غريبة، وليست مفهومة، ودخلت يسرا غرفة مكتبي ورأتني في حالة قاسية للغاية كنت أتنفس بصعوبة شديدة، وأشعر أن الهواء لا يدخل إلى رئتي، وكنت قد فتحت كل الشبابيك، وعندما ذهبت يسرا لتغلق الشبابيك نهرتها بشدة، وقمت أيضا ووقفت في وجه الشباك وفتحت قميصي ليدخل الهواء بأي شكل من الأشكال، وعلمت يسرا أنني أعاني من شيء خطير، واتصلت بطبيب الصدر الشهير، وقالت له إن مفيد يعاني من كذا وكذا وكذا، قال لها هذه أعراض خطيرة أعطني العنوان وسآتي في الحال، وجاء الدكتور الشهير ودخل الغرفة ثم قرر نقلي إلى مستشفى النزهة.

ودخلت إلى المستشفى كل الذي أذكره أنني لم أر أمامي شيئا، وقضيت في هذه المستشفى أياما كثيرة، أعالج، وهنا كان السؤال أنا لا أدخن فكيف أشتكي من صدري، وظل هذا السؤال يتردد في ذهني وكنت أعلم أن محمد عبد المنعم كان يعمل في رئاسة الجمهورية، وجاء إلى المستشفى بتكليف رئاسي يسأل ما الذي حدث لمفيد فوزي، ومن الأمانة والإنصاف أن أذكر أنه قد تم في هذه اللحظة صدور قرار بنقلي إلى فرنسا لكي أعالج هناك.

يسبق هذا ذهابي إلى العذراء في الكنيسة حينما قلت وأنا أصلي يا رب أنا أحتاج أن أكون مع حنان واستجاب الله، واعتذرت حنان حين تقرر سفري عن الكلية في هذه السنة، وسافرت معي إلى باريس، وأتذكر أنني جلست في الكرسي الأخير من الطائرة، وجاء ليرعى عملية سفري في الطائرة .. رئيس

مجلس إدارة مصر للطيران وقتها فهيم ريان والد زميلتنا دينا ريان، وجلست وكان معي الطبيب المرافق وكان في أنفي أنابيب، وقد جلست آمال في مقدمة الطائرة ومعها حنان، وقيل لأحد الجالسين في الطائرة إن مفيد فوزي في آخر الطائرة، وإنه مسافر للعلاج ويبدو أنه يشكو من صدره شكوى مُرّة، وقام هذا الرجل من مقعده وجاء إليّ وهو يقول لي سوف تجتاز التجربة .. فكن قويا .. أنت قوي.

حاولت وسط العذاب والألم أن أتبين من هذا الرجل فاكتشفت أنه الكبير في المقام والفكر الدكتور ثروت عكاشة الذي عاد إلى مقعده، ولكن أراد أن يراني ويقويني ويشد عزيمتي، في ذلك الوقت حين نزلت في المطار قابلنا الدكتور علي السمان، كان شعوري بالسفر وأنا مريض وفي الغربة أنني أحتاج إلى من يفتت هذه الغربة فكان صديقي الدكتور علي السمان الذي استقبلنا بسيارته وذهبنا إلى المستشفى، وكان اسمها بالفرنسية مستشفى الله، ودخلت إلى غرفة العمليات وجاء الدكتور روشمار طبيب الصدر الفرنسي العالمي المعروف، وكان العاملون هناك يودون الاطمئنان عليّ وأدركت أن الدكتور روشمار بعد أن أجرى التحليلات همس في أذن الدكتور علي الذي نقل على الفور الأحداث إلى آمال رغم أنها تعرف الفرنسية، وتتحدث بها، وعرفت من الدكتور أنني مصاب بجلطة في الرئة انتقلت من قدمي إلى الصدر، وكانت أول عملية تقام لي هي البذل أي إخراج الماء من ظهري، وقضيت 21 يوما في المستشفى أتذكر من بين الذين جاءوا لزيارتي في المستشفى الأستاذ يوسف فرانسيس الرسام المعروف وزوجته الرقيقة منى سراج، جاءا إليّ وجلسا جواري، واتصل بي كثيرون؛ ليطمأنوا وعلى رأسهم سمو الأمير الراحل فيصل بن فهد صديقي بالسعودية، كان أميرا للشباب وكان المسئول عن جهاز الشباب وعندما يأتي إلى مصر نجتمع حوله مجموعة صغيرة نتحدث معه .

وبالمناسبة فإن الأمير فيصل هو الذي طلب يوما مساعدة الفنانة الكبيرة سعاد حسني ولكن سعاد حسني رفضت، وقالت بالحرف الواحد اللي تساعدني بلدي، ولكن بلدها ظلت تساعدها فترة ثم عندما جاء الدكتور عاطف عبيد منع المساعدة عنها، وكان الذي بدأ المساعدة الأولى الدكتور كمال الجنزوري، ولا أدري لماذا انقطعت المساعدة عنها، وكان من الممكن أن يكون داخل قلب أي رجل أعمال في تلك اللحظة نوع من الرحمة ويرسل الفلوس لسعاد حسني ولكن قيل إن سعاد استنفدت الفلوس في العلاج، وبالتالي كان موقفها صعبا في الغربة .

أتذكر أن الدكتور علي السمان عاش معي التجربة وكان يأتي كل يوم إلى المستشفى، وينقل لي ما يقوله الدكتور روشمار، وقد ظلت آمال وحنان يجيئان يوميا في الثامنة؛ حيث إنهما كانتا تقيمان في فندق بالقرب من المستشفى، كان قد أعده الدكتور علي السمان لإقامتهما، وعشت التجربة وبعد أن امتثلت تقريبا للشفاء، قال الدكتور روشمار للدكتور السمان لابد أن يذهب مفيد إلى مكان قريب فيه هواء نقي شديد، وأتذكر أن آمال قد عبرت عن هذا بوصف شديد الدقة، قالت مفيد محتاج إلى غابة أكسجين .

كان الكاتب محمد حسنين هيكل الذي أدين له بالكثير قد اتصل عدة مرات بآمال ليسألها عن أخباري، كان رقيقا جدا أن يسأل عني وسط أشغاله، وقد طلبت آمال من محمد حسنين هيكل أن يرشح لها مكانا أذهب إليه قريبا من باريس، وقد اقترح هيكل أن أذهب إلى مكان اسمه باربيزون، وهو غابة بالفعل من الأكسجين تبعد 50 كيلو عن العاصمة باريس، وذهبت أنا وآمال وحنان بسيارة الدكتور علي السمان إلى باربيزون ولا أفعل شيئا في هذه الأيام سوى أنني كنت أتحرك في الغابة أذهب وأجيء على مهل شديد للغاية، وأستريح وأنام لأن الجلطة كانت حادة .

باربيزون هي قرية صغيرة أهم ما فيها الأشجار والغابات غير المعقولة والخضرة.. يخرج الإنسان من الفندق أو يفتح النافذة فيرى الخضرة في كل مكان أتذكر أنني في تلك الأوقات كنت أفكر ماذا أفعل؛ لأني كنت أكثر الأيام التي قضيتها في مستشفى النزهة كان يأتي إليّ الصديق عادل إمام وزوجته وكثيرون .. كانت وجوههم أمامي وأتذكر منهم الإذاعية التليفزيونية الكبيرة ملك إسماعيل، ووجه الصديقة راندا التي عندما هبطت في الأسانسير في المستشفى ولم تكن قد استوعبت ما يجري بكت، وقد سألها الرسام رمسيس لماذا تبكي ؟ فقالت مفيد حالته صعبة .

وقد قال بعض الأطباء في تلك اللحظة هناك إن حالتي ميئوس منها، وكانت يسرا تحاول أن تتبسط مع آمال وتجعلها تتغلب على مشاعر اليأس التي بدت فيها.. كنت أشعر أيضا بالصديق مجدي العمروسي وهو جالس في الغرفة تنساب دموعه، ويقول لي أنت اللي باقي لنا، أذكر الصديق لبيب معوض وهو جالس مطرق الرأس في الغرفة.. كما أذكر عادل إمام الذي كان يحاول أن يستخرج ابتسامة مني وأتذكره عندما قال لآمال شاخطا البسي حاجة منورة بلاش الغامق ده، وقد دخلت آمال الغرفة وارتدت شيئا فاتح اللون بناء على فكرته .

تذكرت هذه الأشياء كلها وأنا في الباربيزون .. أستنشق الهواء النقي الجميل أيامًا وعدت إلى باريس، وهناك قيل لنا لابد من قضاء 10 أيام أخرى حتى أستطيع أن أركب طائرة، وأنزل، أيامها أذكر أنني كنت رئيسا لتحرير صباح الخير، وكنت أخرج كل صباح إلى شارع الشانزليزيه، ولا أفعل شيئًا سوى مشاهدة المارة، وكنت أحب تناول إفطاري في أحد مقاهي باريس ومعي آمال وحنان أتذكر أنني كنت أنظر يميني ويساري، وفي تلك الأثناء التي كنت أخرج فيها من تجربة المرض، قابلت سعاد حسني وأجريت معها الحوار الشهير فقد كان معي جهاز للتسجيل .

جلست مع سعاد حتى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا في فندق يملكه مغربي في الشانزلزيه، وقريب من المكان الذي نقيم فيه وهو الحديث الذي اعترفت فيه سعاد بزواجها من عبد الحليم حافظ.. لم أندهش أو أظهر أي انطباع على ملامح وجهي؛ لأنها إذا لاحظت على وجهي علامات الدهشة لقالت بالحرف الواحد امسح الكلام ده .

وللأسف حدث حريق في بيتي التهم أشياء كثيرة في غرفة مكتبي ونومي؛ حيث كنت أحتفظ بالشرائط في غرفة نومي وكان الحريق الذي التهم أشياء غالية ومهمة، واتصل بي الصديق الدكتور مصطفى الفقي من النمسا، ليطئمن، وقال لي اللي يجي في الريش بقشيش، واتصل بي في الصباح بعد قراءة الخبر سمير سرحان، وكذلك صديقي الدكتور فوزي فهمي؛ ليعرف أخباري واتصلت بي بوسي زوجة نور الشريف؛ لتعرف ماذا حدث لكن عادل إمام لم يتصل بي طوال فترة طويلة، كنت وحدي أجلس على باب البيت أثناء ترميمه من جديد، وغضبت جدا من عادل إمام، ولكني صافحته حين أدركت أن الحياة لا تستدعي الغضب الطويل، كان الحريق سببه ماس كهربائي؛ لأن الأحمال لابد أن تكون ثلاثة فاز في بيت فيه أكثر من جهاز تكييف، وكانت الكهرباء عندي .. اثنين فاز، من هنا حدث الحريق وتم تصحيح لحمولة الكهرباء بعد ذلك .

وقد ظهرت في التليفزيون وكان صوتي مبحوحا بشدة، واضطررت بمعونة أصدقاء أن أذهب إلى دكتور أنف وأذن وحنجرة كبير أختبر صوتي وقال إنني أشكو من شيء ما في الأحبال الصوتية، ولو لم تكن معروفا لابد أن تجري لك العملية في الخارج، واقترح اسم طبيب كبير فرنسي في ليون المدينة الفرنسية، التي تبعد عن باريس بمقدار ساعة.

وقد سافرنا إلى باريس أنا وآمال وحنان، وسبقنا إلى ليون الدكتور على السمان إلى المستشفى حيث شهد عملية التخدير، ثم العملية بالمنظار؛ حيث

ظهر أن لدي حويصلة على الأحبال الصوتية هي التي جعلت صوتي هكذا مبحوحا، وقد رأيت في عيون آمال الأسى الشديد رغم أنني أجريت العملية، وأغلقت فمي وظللت أتناول الطعام شربا بماصة .

لا أنسى على الإطلاق تلك النظرة الحزينة في عيون آمال، ولم أكن أدري ما معناها، وكنت أتعامل معهم بالطباشير ..كنت أكتب أنني أريد أن أذهب للسينما .. أنا زهقان.. لم أكن أستطيع أن أعبر عن نفسي إلا بالكتابة، وكانوا على قدر كبير من فهم عذابات إنسان لا يمكن أن يعبر عن نفسه إلا عن طريق الكتابة بالطباشير .

بعد مرور 10 أيام عرفت سر الأسى الذي كان يكسو عين آمال، وقد لاحظت ذات ليلة أن آمال في السرير المقابل لي كانت تبكي بأنين مكتوم ليلة اليوم العاشر، وفي صباح اليوم العاشر ذهبنا إلى المستشفى ونزعت اللفافة الموضوعة على فمي وكانوا ينتظرون ماذا سأنطق به كانوا يخشون تغير الأصوات وأذكر أنني قلت بالإنجليزية: «يا دكتور أنا أشكر كل شيء فعلته». وابتسمت آمال ابتسامة واحتضنا بعضنا لأن صوتي كان غائبا عنهم 10 أيام ولكن المشكلة الأكبر هي أن آمال كانت قلقة .. حتى تبدد قلقها تماما حين عرفت أن الحويصلة كانت مطمئنة أي آمنة ولا شبهة شيء خبيث في التحليلات .

سعاد الصباح

كان الدكتور سمير سرحان قد أصابه المرض الخبيث، وكان يقاوم المرض ببسالة لكن المرض كان أقوى منه .. في تلك الفترة التي يصاب بها الإنسان بمثل هذا المرض.. لاحظت من خلال العلاقات الإنسانية التي أعرفها أن الإنسان يعدو شفافًا إلى أقصى الدرجات؛ حيث يقول الصدق ويكون شفافًا جدًا وكان سمير سرحان كذلك .. لم يأت بكلمة حين كان هناك

احتفالات بذكرى مرور سنين على نشأة فكرة القراءة للجميع، وقد عمل على نشأة مؤسسة هذا الكتاب وفعل ما لا يمكن لأحد أن يفعله في سبيل نجاح هذا المشروع، وكان يقول ليلوش «إذا تذكرت شيئًا تحكيه وأنت تتكلم فلا تتوقف امش في هذا النهر الذي جذبتك إليه الفكرة.».. من هنا أتحدث عن سمير سرحان الذي دعاني ذات مساء لأن أسمع سعاد الصباح، وكنت مفتونا بأسلوبها وأشعارها،إنها الفصيحة الشاعرة الكبيرة المثقفة التي تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية .

بين الشعر والسياسة

دعتني يومًا ما الدكتورة عميدة كلية السياسة والاقتصاد لحضور حفل بمناسبة خريجات هذه الكلية، وكان من بينهن سعاد الصباح التي ألقت شعرًا جميلًا، لكنني حزنت لأن الشباب الذي كان يسمعها لم يفهم المقاطع التي تختارها؛ لتقف لحظة ثم تكمل القصيدة.. قاطعوها بالتصفيق الممزوج بالصياح، وربما أنهت سعاد هذه القصيدة قبل أن تنتهي، وما زلت أذكر هذه القصة وقد قلت الملاحظة للدكتورة العميدة فقالت ربما لم يستمع طلاب الاقتصاد للشعر، وربما ليس من اهتمامهم الشعر، فلا يعرفون أين يقف الشاعر وأين يكمل.. لكن السيدة سعاد خرجت من الحفل سعيدة؛ لأنها تذكرت كل زملائها وزميلاتها وعشرة مقاعد الدراسة .

سعاد الصباح وهي تلقي بأشعارها حصان جامح يقطع البراري بالحوافر، ويذيب الصمت الذي يمكن أن يواجهه، تقف بين الآلاف بكل جرأة وتقول كويتية .. و قصائدها مشبعة بالحب والحنين والأشواق.. كانت عندما تكتب لي إهداء لديوان جديد تقول .. إلى الصديق الصديق مفيد فوزي .. قابلت سعاد الصباح ونزار قباني في بغداد أيام ما كانت بغداد عاصمة الثقافة وكان هناك شيء مهم اسمه المربد، وهو عبارة عن احتفالية عراقية رائعة بالثقافة والمثقفين والكتب.. جاءت إليه من كل مكان شخصيات عامة وذهبت

كصحفي، ولسعادتي أن أجد من بين هؤلاء أصدقائي سعاد الصباح ونزار قباني، قد جلست معهما على مائدة الغداء ها أنذا أجلس وعلى يميني كنز من الشعر وعلى يساري كنز آخر من الشعر.. جلست أسمع النقاش بين شاعرين أحدهما رجل والآخر امرأة .. كنت أسمع رأي سعاد الصباح في أشعار نزار، وهو يدافع عن المرأة، وما زلت أذكر حتى الآن رغم مرور السنين أن سعاد الصباح كانت تقول لنزار: إنك تدافع عن امرأة معينة ربما كانت مخملية ربما كانت حنونة لكنها ليست قوية الشخصية؛ لأن المرأة قوية الشخصية تستطيع أن تأخذ حقها من الرجل، وتستطيع أن يكون لها كبرياؤها وأن لا يلمس جسدها إلا من تريد، وألا تفرط في العقد بأية حبة إلا لمن شاءت.. لم تتكلم بعصبية إنما بإيمان غريب دفاعًا عن المرأة .. هل كانت سعاد الصباح تتحدث عن نفسها ؟

كانت سعاد الصباح وهي تتكلم مع نزار قباني ..تشعر بالندية رغم أنها من فرط رقتها البالغة كانت تقول إن نزار أستاذي، ولكن في رأيي الشخصي أن سعاد قد تأثرت بفنية نزار قباني إنها كشاعرة يربطها نوع من التوأمة في الروح بين نزار وسعاد .. في أحيان كثيرة كنت أذهب إلى سعاد في الكويت خصوصًا عندما تتوقف عن الشدو .. يحدث بيني وبينها تليفون يا دكتورة لماذا تتوقفين عن الشدو؟

فتقول: أنا لا أتوقف لكني في حالة حمل للشعر، أدرك أن سعاد تكتب شعرا جديدا، الغريب في الأمر أنني حينما ذهبت للكويت وجلست مع سعاد الصباح أجريت حوارًا استغرق أياما كاملة عبر الصباح والمساء، حتى أصبح 20 حلقة نشرتها في مجلة كل الناس واستأذنت الأستاذ عماد أديب لكي أقدم أيضا كتابا كاملا عن سعاد الصباح تروي فيه كل شيء، وهو من الكتب التي أعتز بها وللأسف الشديد فإن الفيس بوك عندما يبحث أحد عمن يقدمني خصوصًا في البرامج التليفزيونية يقول إن لي كتابًا اسمه (الأسماء اللامعة)، أجريت فيه حوارات والحقيقة أن هذا ليس بصحيح على الإطلاق، وسأصحح

ما جاء بالفيس بوك من المعلومات التي نشرت عني، فأنا لي كتب كثيرة منها «هؤلاء عرفتهم»، «جواز سفر إنسان»، «حوارات مع ممثلين»، «وحوارات مع فنانين»، «بطرس غالي»، «صديقي الموعود بالعذاب» كل هذه الكتب أخرجتها لكن المعلومات التي نشرت عني على الفيس بوك لم تكن صحيحة خصوصًا في هذا المضمار ولم يذكر أحد مشواري الطويل في التليفزيون، ولعل كتابي هذا يجعل من يقرأه يعرف حقيقة من أنا وماذا فعلت؟ ومشواري وأنا أتسلق شجرة الذاكرة .

عبد الوهاب ..الإنسان

مما لا شك فيه أن صداقتي بالموسيقار محمد عبد الوهاب يمكن أن تكون من مسافة خاصة .. فقد كان له أصدقاء من أقربهم الدكتور مصطفى محمود الذي كان ينقل له كل التأملات التي يعيشها ، ويشرح له بشتى الطرق العلم المبسط وكان محمد عبد الوهاب يستمع منه إلى وجهات نظر كثيرة في العلم والحياة ..

أما صديقه الثاني فهو الكاتب الصحفي موسى صبري وكان يستمع منه لشئون السياسة ويمده بالمعلومات الخبرية عن البلد وأحواله، وماذا فيها وتياراتها وكان يحلل له أشياء كثيرة ربما كان هذا تمامًا كما كان أنيس منصور لأنور السادات؛حيث كان أنيس منصور كتابًا حيًّا متنقلًا يتكلم ويصغي للسادات في كل الأمور خصوصًا الأمور الفلسفية ..

ومحمد عبد الوهاب كان يسمع مني أحيانا كلمات كثيرة خلال نقاشي معه، فكان يقول لي عبارته الشهيرة لو أني أحمل مسجلًا لمشيت خلفك ربما تنطق بكلمات لا تعرف أن تعيدها مرة أخرى، قلت له مرة أنا أكره التوازن المختل، وتوقف عند التوازن المختل كثيرًا.. فقلت له مرة إن ما بيني وبينك هو نوع من البوح، وتوقف عند كلمة بوح وقال لي إنها في الأدب قليلة الاستخدام .

وعبد الوهاب يمثل لي الأنانية المفرطة المشروعة، وقد كنت دائمًا أقول عن حسين كمال إنه الغرور المشروع.. أما عبد الوهاب فأنا أجزم أنه الأنانية المفرطة المشروعة ولا شك أن كل فنان في نهاية الأمر يحمل قدرًا من الأنانية .. مثلا عندما أجري حوارا مع عبد الوهاب ثم أدلف إلى نقطة عبد الحليم حافظ لأسأله: ما قيمة العندليب في حياتك؟ فيرد بصوت رخيم هذه نقطة أخرى تحتاج لموضوع آخر تحتاج لبرنامج آخر، لكن هذا المولد هو مولد محمد عبد الوهاب الآن، قلت له مرة دعنا نبحر في قلبك وسط صدرك وعقلك، فقال الإبحار بأي المجاديف ستحاورني ؟ قلت له: بمجدافين الصبر والفضول .

وكان يبتسم ويعلق على ما يسمعه.. محمد عبد الوهاب هو الأذن التي تتذوق بشدة مثلما يتذوق إنسان الطعام، ويستمتع به، فإن محمد عبد الوهاب أيضا يستمع جيدًا للكلام ويعتز به ويشعر دائمًا أنه يتذوقه بسعادة، وأرجو هنا أن أتوقف عندما أذكر أن محمد عبد الوهاب عندما كان يجلس للغذاء يأكل جيدًا لكن الصفة الغالبة عليه أنه يمضغ الطعام على مهل شديد للغاية. وله عاداته أنه لا يتكلم في الصباح قبل ساعة أو ساعتين، وكل مواعيده يحددها بعد قيامه من النوم، و أنه لا ينام على الإطلاق قبل أن يرى فيلمًا كوميديًا ولا يشعر بسعادة قبل أن يرى فصلًا أو فصلين من مسرحية لفؤاد المهندس، ويجلس مع زوجته نهلة القدسي وفي نفس الوقت ذهنه شارد وكان شروده يسمى بالفواصل أو الخواطر الموسيقية، وكان ينادي الرجل الذي يكتب النوتة الموسيقية فيأتي في الحال، إذا كان جالسا مع أحد ويكتب الخواطر الموسيقية؛ حيث كان لعبد الوهاب غرفة خاصة صغيرة وضيقة لا تتحمل إلا العود فقط كان يجلس فيها بعيدًا عن كل الناس ليكتب خواطره الموسيقية، وأشهد أني دخلتها مرة وحين أجريت معه الحوار الطويل الموسيقار وأنا .. رفض دخول الكاميرا في هذا المكان وقال لي بالحرف الواحد هذا محراب محمد عبد الوهاب، ولا أحب أن يراه أحد.

مطرب الملوك

محمد عبد الوهاب هو كتلة من الذكاء، وأردت أن أعرف يومًا كيف استفاد من أحمد شوقي بيه الشاعر الكبير؟ فقال لي بالإصغاء سمعته كثيرًا، ولم أحاول أن أقطع حبل تفكيره.. تعلمت من محمد عبد الوهاب كيف يصغي الإنسان للمفكر العاقل؟ ولا يقطع حبل أفكاره أو تأملاته.. محمد عبد الوهاب من القدرات النادرة في الحياة .. وقد قال لمطربة ما أظن أنها لطيفة بخري صوتك يا لطيفة .. جملة لا يمكن أن تخطر على بال أحد هو الذي كان يختار كلمات أغانيه وكان من أحب كتّاب الأغاني إليه هو المرحوم حسين السيد، صاحب أغنية «مش أنا اللي أشكي ولا أنا اللي أبكي» معنى هذا أن محمد عبد الوهاب كان يعيش حياة الأمراء، وهو الذي قال لي إن الفقر لا ينجب فنانًا ولكن حياة الجاه تنجب فنانًا.

وعندما قلت له إن الفقر والمعاناة قد تفتح المسام، قال أبدًا إنها تغلق المسام، هو محمد عبد الوهاب الذي تربى مع شوقي بيه، وهو الذي عرف حياة القصور، وكان يطلق عليه في بداية حياته الفنية مطرب الملوك.. لكنه حين وقف على قدميه أدرك تمامًا وبشكل جيد أن المغني والمطرب هو مغني كل الناس، ولا عليه إطلاقًا أن يدخل عالم السياسة بل عليه أن يكون مطربا لكل الأحزاب وكل السياسيين.. وإن كنت أعتقد في سؤال شخصي أن محمد عبد الوهاب كان منحازا للوفد، و يحب القمم فهو الذي عرف فاتن حمامة وراقية إبراهيم وتوفيق الحكيم .

كان محمد عبد الوهاب حريصًا على أن يظهر في أحسن حالاته، وقد ذهب مرة كلٌ من محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ إلى جمال عبد الناصر؛ لكي يقدما شكوى من الضرائب، فلما ذهب قال له إيه يا أستاذ خير فتلعثم عبد الوهاب من هذه القامة الكبيرة، فقال له عبد الحليم إيه يا أستاذ ما تقول، قال له قول انت يا عبد الحليم أنت تقدر تلخص الموضوع

للرئيس، وبدأ عبد الحليم حافظ يتكلم ويحكي المسألة وبعث الرئيس جمال عبد الناصر لسكرتير مكتبه سامي شرف؛ لكي يأخذ نص شكوى عبد الحليم عن الفنانين من الضرائب .. عبد الوهاب هو الذي بحث عن صوت عبد الحليم حافظ وعندما ذهب إليه غنى عددا كبيرا من أغنياته، ولما طلب عبد الوهاب من عبد الحليم أن يغني «جفنه علم الغزل» غنى عبد الحليم كما لم يسمعها عبد الوهاب، فشتمه عبد الوهاب على سبيل الدعابة، وخرج عبد الحليم، وقال له جليل البنداري الناقد الكبير إن عبد الوهاب عندما يشتم أحدا فليس معناه الإهانة أو إلصاق الشتيمة بك بل معناها أنك نجحت في الامتحان أمامه..

أما العلاقة بين عبد الوهاب وأم كلثوم فهي معقدة وغير مفهومة فعبد الوهاب يتكلم كثيرًا عن أم كلثوم في برامجي أو برامج آخرين، لكن أم كلثوم لم تتكلم عن أحد سوى أم كلثوم.. لقد حاولت أن آخذ كلمة من أم كلثوم عن رياض السنباطي، وفي الحقيقة أنه هو الذي أعطاها كل الوهج والضوء، ولا يمكن لأحد أن ينكر تأثير رياض السنباطي وموسيقاه على كوكب الشرق .. هنا أقول إن محمد عبد الوهاب كان يغار غيرة غير معلنة من رياض السنباطي، لأنه كان يعلم أن السنباطي هو الآلة الشرقية العذبة التي تربت عليها أم كلثوم حتى صارت متسنبطة؛ ولذلك عبد الوهاب كان حريصًا في أغنية «إنت عمري» أن يخرج أم كلثوم من المحراب السنباطي تمامًا وقد نجح .

لم يكن يتصور أحد أنها تصل لهذا الحد من الجمال والروعة بل إنها كانت قنبلة في تلك الأيام، لأن أم كلثوم خرجت عن طبيعتها السنباطية، وعبد الوهاب أيضا يعرف من يصادق وليس متاحًا لأحد أن يدخل بيت عبد الوهاب، أذكر أنه في يوم من الأيام كان يشعر بالقلق من عبد الحليم .. حين قال النقاد الكبار إن عبد الحليم نجح في زمن عبد الوهاب.. خصوصًا أن عبد الحليم جاء في نهاية عهد مطربين منهم عادل مأمون ومحمد أمين وأحمد سامي وسعد عبد الوهاب، كل هؤلاء حاولوا تقليد عبد الوهاب، ولكن

أشهد أن عبد الوهاب كان يقول عن عبد الحليم في السر إنه نبرة عربية جديدة.. ولذلك ذهل عبد الوهاب عندما رأى بعينيه عبد الحليم يتعلم مع الموجي وكمال الطويل و بليغ حمدي، وحينما بدأت أم كلثوم تتعامل مع بليغ حمدي كان عبد الوهاب ينتظر بشدة هذا العمل الذي يقدمه بليغ.

محمد عبد الوهاب كان غيرة فنية تسير على قدمين.. ورغبة جامحة في النجاح حتى إنه في يوم من الأيام لحّن لحنًا راقصًا لنجوى فؤاد، وكانت من أشهر راقصات مصر، وكان لها لمعان ووهج.

كانت السيدة نهلة القدسي زوجة محمد عبد الوهاب تفهمه جيدًا وتعرف متى يشرد وتدرك أنه يفكر في خواطره الموسيقية، فلا تقترب منه وكان محمد عبد الوهاب يقول عنها إن نصف وزنها ذكاء.. فهي تعرف متى تقترب وتدرك جيدًا أي الأحاديث أحب إليه وصيغ الكلمات .. فكانت بالنسبة له المحبة الولهانة المخلصة زوجة قمة الغناء التي تم الطلاق بينها وبين الشاعر الأردني الكبير عبد المنعم الرفاعي الذي حاورته في عمان، وأتذكر جيدًا أنني حين كنت أحاور محمد عبد الوهاب قال : إن نهلة بنت أصول.. وكانت متزوجة من شاعر وسياسي كبير هو عبد المنعم الرفاعي.. لهذا الحد كان يعترف محمد عبد الوهاب أن الزوج السابق لزوجته قيمة شعرية وأيضا سياسية ويقول عنها إنها أجمل هدية له من السماء .

محمد عبد الوهاب كانت تربطه علاقة جيدة بالإذاعيين والإذاعيات وبعض الكتاب في الصحف، وعندما أقول «كتاب» لا أقصد النقاد أو الكتاب الصغار، بل كان صديقًا لكامل الشناوي، وكانت علاقته بجليل البنداري رائعة وكان يعرف أن جليل البنداري لسانه طويل، وكان هو وكامل الشناوي يتفقان على أن يسميا جليل البنداري بجليل الأدب .

أذكر أن عبد الوهاب كان معجبًا بنزار لكنه لم يغن له إلا عندما لحن قصيدة «أيظن» للمطربة نجاة، التي تقول فيها «حتى فساتيني التي أهملتها

فرحت به رقصت على قدميه» غناها عبد الوهاب بنفسه وكذلك غنتها نجاة، وأظن أن عبد الحليم غناها .. كان عبد الوهاب مع نجاة يسمع منها الكلمات أولًا ثم يقول لها : يا نجاة اسقي الحروف إحساس، ومعنى هذا أن بعض الذين يقدمون الكاريكاتير أو يقلدونني في التليفزيون يندهشون عندما أضغط على الكلمات، عندما أقول، «أنا أسألك عن موقفك» بهذه الطريقة من دقة الكلمات باللغة العربية الفصحى في هذا الزمن بعد أن داسها الذين جاءوا في الثمانينيات والتسعينيات، المهم أنني أسقي الحروف إحساسا.

كان عبد الوهاب يقول: يا نجاة اسقي الحروف إحساس، وعندما سألت نجاة .. عن معنى هذه العبارة أجابت إن عبد الوهاب غنى الأغنية، وكان يريد أن يقول إن كل كلمة وكل حرف في الأغنية، لابد أن ينال إحساسا عميقا من الفن حتى يصل إلى الناس، وأنا أظن أنني أنا شخصيًا قد استفدت بالفعل من عبد الوهاب حين قال «اسقي الحروف إحساس»، فأنا عندما أقول مقدماتي في التليفزيون أو أطرح أسئلتي على الشاشة أو أشرح شيئًا للناس أحاول دائمًا ألا يكون مبتورًا، فأنا لا أخطف الكلام، ولا أبتره، ولعل إيقاعي الموسيقي في أن أكتب قبل أن أتكلم هو الغالب عندي.

آخر مرة رأيت فيها عبد الوهاب كنت أعلم أنه يسير في بيته مسافة 4 – 5 كيلو أي أكثر من نصف ساعة، وذات مرة تعثر في سجادة وسقط على الأرض ..وتقريبًا كانت هذه بداية النهاية.. عبد الوهاب كان موجودا في عصر عبد الحليم، و عشاق عبد الحليم هم الذين تربوا على صوت عبد الوهاب و كان عبد الحليم ظاهرة حقًا ليس لها مثيل من قبل، فقد غيّر تمامًا إيقاع الموسيقى.. وكل الأغاني التي لحنها عبد الوهاب لعبد الحليم نجحت نجاحًا باهرًا ؛ لذلك تصادق كلاهما صداقة لا مثيل لها حتى إنهما كانا يشتمان بعضهما بهزار، وفي أغنية «من غير ليه» أذكر أن هناك شريطًا به شتائم على سبيل الهزار لا يمكن أن تذاع ولكن بعض الشخصيات يفخر بأن لديه هذا الشريط، ولكنها شتائم .. لم تكن خناقات ولم تكن معارك بل كانت

دعابات خفيفة تم تسجيلها، وكان عبد الحليم يحتفظ بهذا الشريط تحت وسادته أثناء تحفيظه أغنية «من غير ليه» وكان يحفظها تحت وسادة سريره أثناء المرض في لندن، وعندما مات كان أول تليفون طلبت فيه السيدة نهلة القدسي الذين رافقوا عبد الحليم الاحتفاظ بالشريط وعدم التفريط فيه، وعندما جاءوا إلى القاهرة سلموا لها الشريط ووضعته السيدة نهلة القدسي في خزانة شخصية، هذه الخزانة تضم هذا الشريط وبعض الشرائط الأخرى التي فكر عبد الوهاب في غنائها ولم يغنها..

فيروز .. صديقة عمري

هي صاحبة هذا الصوت الذي يأتي من الأفق ومن هامات البيوت و سنابل القمح وزغاريد النساء ومن ضحكات الأطفال ومن أماكن كثيرة في العالم، هذا الصوت الذي وقعت في غرامه أول ما رأيتها وجهًا لوجه، كنت قد استمعت إلى أغانيها القديمة في عمان الأردن، تلك المدينة الجميلة المتحضرة ذات البيوت المنخفضة واللون الأبيض يكحلها.. كنت أسمع صوتها عندما أصحو في الصباح؛ حيث يقدمون ساعة كاملة مع فيروز من السابعة حتى الثامنة، وهذه الساعة تشحن مشاعري بأحاسيس متدفقة .. فيروز تسمع في الصباح وأم كلثوم في المساء، وأشهد أن أسمهان لو عاشت فإنها كانت ستدخل في منافسة مع أم كلثوم، وكسبت؛ لأن أسمهان صوت نادر، ومختلف تمامًا عن كل الأصوات منذ أن غنى سيد درويش وصالح عبد الحي في زمن الغناء العربي الجميل.

هذه أسمهان الجميلة المرأة القوية التي عشقها وأحبها الكثير من الرجال كانت ملتاعة من الداخل، وكانت تغني من أحشائها ولكني لا أقارن أحدًا بفيروز التي كنت أسمع أغانيها في الصباح، وأنا أحلق ذقني، وأثناء إفطاري، وكذلك وأنا أستعد للنزول، لقد وقعت في هوى فيروز في فترة مبكرة من حياتي، وكانت تسكن رأسي تمامًا وحين كنت في الإذاعة طلبت من رئيس

الإذاعة وكان صديقا لي قلت له: إنني أرجو أن تسجل لي شريطا لفيروز القديم قال لي لفيروز أم لأم كلثوم قلت له فيروز القديم، أنا عندي شرائط لأم كلثوم القديم.. قال لي هل تجاهر بصوتك بنفسك بقلمك عن حبك لفيروز أكثر من حبك لأم كلثوم؟

قلت له : أجاهر .

قال : وما النتيجة ؟

قلت : إن النتيجة قرصت ودني قرصة شديدة .

قال لي أبو مهند محمد الخطيب رئيس إذاعة عمان الذي صار وزيرًا للإعلام فيما بعد: هل كانت قرصة شديدة ؟

قلت : نعم قرصة شديدة أدت إلى إجهاض برنامج تليفزيوني لي .

سجل أبو مهند شريط فيروز، وكنت أديره بكثرة، وأسمعه بلا ملل حتى جاء صيف إحدى السنوات حيث كنت أزور لبنان وكان معي الفنان رسام الكاريكاتير المشهور جورج البهجوري، وأتذكر أننا كنا معًا في زيارة للأستاذ وليد أبو ظهر صاحب مجلة الوطن العربي، وقد تعرفنا على شقيقه الأستاذ هشام أبو ظهر الذي صمم أن يصطحبنا في رحلة قال بالحرف الواحد الأستاذ مفيد سيهتف بها، وستعيش في ذاكرته فترة طويلة فقلت له هل تقصد زيارة حريصة؟ وحريصة هي كنيسة العذراء التي تتوج أحد جبال لبنان، فقال طبعًا حريصة على العين والرأس ده شيء سماوي، لكن في الطريق إلى حريصة سوف نذهب لنزور صديقة عمرك التي تسمعها ولم ترها فيروز صرخنا، وكانت فيروز تسكن في حي أنطلياس في الجبل .

ذهبنا أنا وجورج البهجوري إلى فيروز بصحبة هشام أبو ظهر، وكانت تلك أول مرة أقابل فيروز وجهًا لوجه كما تخيلتها تمامًا امرأة دمها خفيف للغاية، مظهرها غير مخبرها لبقة ذكية، لديها القدرة على أن تلتقط النكتة

بذكاء، وتقول رأيها باختصار؛ فهي مثلًا ترى المطربات الجديدات، وتقول إنها ترى الكليبات على الشاشة ..إبهار فقط بس وين الغنى كلمتين اتنين تلخص فيهم رأيها في الكليبات الجديدة التي أتقنتها مطربات لبنان .

كان هذا هو حقيقة الأمر عندما ذهبت لأرى فيروز وأجلس معها وأشعر بدفئها ولمساتها الجميلة، أمضينا ثلاث ساعات حين قال جورج البهجوري صدفة، وبغير ترتيب حين قال لماذا لا نسمع صوت الست فيروز، فاجأتنا فيروز برأي غريب ربما يكون لدى أحد المطربين ولكن السيدة فايزة أحمد عندما تطلب منها أن تغني كانت تغني في الحال، وحينما كانت تقول إنها مرهقة تدير شريطًا وتجلس معنا وتسمع الشريط، وقد تتمايل فايزة أحمد مع الشريط لكن فيروز، قالت ما بحب أسمع صوتي، فيروز شخصية نادرة وغريبة وحين تقف فيروز على المسرح تتجه لها كل العيون، وقبل عيون الناس تصغي الآذان لفيروز وخرجنا من عندها وفي رأسي صوتها العادي البسيط صوت له شخصية أنا لا أفهم جيدًا في الأصوات وفن الغناء، لكن فيروز لديها ثقة ما في حنجرتها تغني منها.

مرت الأيام وقد تعرفت تمامًا على فيروز، ومن حين لآخر كنت أحدثها تليفونيًا ثم حدث أن ذهبنا أنا وآمال العمدة إلى عمان الأردن حيث كنا مدعوين إلى مهرجان جرش الذي كان ينال مساحة واسعة من الاهتمام في العاصمة الأردنية، وكانت تغني فيروز في هذه الفترة، أتذكر جيدًا لحظة نادرة في العمر حينما كنت أدخل ببطاقتي من باب الدخول العام إلى المسرح الذي كانت تغني عليه فيروز، حيث حدث ضغط هائل علينا، وضغط مقابل فأصبحنا بين ضغطين، الذين يدفعوننا للأمام، والذين يجبروننا على المشي للخلف، ولولا أنني وآمال وقفنا بقوة وبحزم وبإصرار شديد على أن نتوازن ونحمي حنان ونقف على جانب الطريق حتى يخف هؤلاء لسقطنا وكانوا قد سقطوا فوقنا، وكان من الممكن أن تكون هذه هي النهاية.. تلك لحظة نادرة وخطيرة وكلما أتذكرها أرتجف، لكن الله ستر، وبعد قليل دخلنا وجلسنا في

مكان لابد أن يكون هو المكان المختار لنا، فليست المسألة صف أول أو صف عاشر، حتى لو جلسنا في الصف مائة يكفي أننا نصغي بآذاننا لصوت فيروز، لكن الحضور في تلك الليلة كان رهيبًا؛ لأن نصف الوطن العربي متيم بفيروز، وتمر الأيام وكنت قد سجلت مع فيروز حديثًا صحفيًا ونشرته في مجلة صباح الخير وسجلت آمال حوارًا معها لإذاعة القاهرة .

وقد جاءت فيروز لتغني في مصر تحت سفح الهرم، وكنت قد عقدت العزم على أن أقدم أنا وزميلي جميل المغازي برنامجا عن فيروز، واتصل المنتج المسئول عن هذا البرنامج وأتى بفيروز إلى مصر واستطلع رأيها عني كمحاور، فقالت إنه إذا كان مفيد فوزي فأنا أوافق.. سعدت بهذا وذهبت أنا وجميل المغازي إلى فندق ميناهاوس في الهرم وجلسنا على مائدة ضمت فيروز وبعض المقربين لها وصديقاتها ولم أستمتع في حياتي بقدر استمتاعي بخفة دم قفشة الضحك الذكية التي تتمتع بها هذه المطربة العظيمة فيروز.

إنني أتذكر جيدًا أن فيروز قالت إنها مستعدة للتحاور.. المهم أن جميل المغازي المخرج سجل كل ما تقوله فيروز ونحن على مائدة العشاء، وحينما جاء المنتج ليقنع فيروز أن تتكلم قالت: إنها تريد أن تتكلم في الاستوديو لكنها هذه المرة كانت مشغولة بحيث لا تستطيع أن تتكلم وتفتح قلبها وهي مؤكدة لمفيدة فوزي أنها لا تمانع بتاتًا أن تكون ضيفته.. ولم أكن سعيدًا بتلك النتيجة فقد كنت حريصًا على أن أكون أول مذيع يحاور فيروز تليفزيونيًا في الوطن العربي، أي أن تجلس أمامي فيروز وأبدأ بالحديث معها، وقد قرأت عن فيروز كل ما كتب وقرأت كتابًا يحمل اسمها وكنت سعيدًا بالحوار وأشتاق لتحقيقه لكن الظروف لم تعطني الفرصة أن أستمع وأشاهد، فكان لابد لي أن أقبل اعتذار فيروز بكل أمانة، عدنا وبعد ذلك حدث أن كنا في لبنان مرة أخرى أنا وابنتي حنان بعد رحيل آمال، وتحدثت لها وطلبت منها أن تتيح الفرصة لنا بالحديث وذهبنا وجلسنا وأتذكر جيدًا أننا لاحظنا أنها كانت مرهقة .. قالت بتعملوا إيه بتروحوا فين بتيجوا منين بدكم أخدمكم

في إيه أساعدكم في إيه؟ وشكرناها جدًا وأدركت أنها جاءت مرهقة من رحلة بأمريكا لكنها قبلت أن تقابلنا، وتمضي الأيام، وبدأت أسمع أن الورثة بدأوا في أخذ موقف من فيروز ومنعها من الشدو، وسافرت لبيروت لكنني لم أشترك في هذه المظاهرة، لكنني حاولت قدر جهدي أن أتكلم في البرنامج الذي دعيت له، وقلت إن صوت فيروز ليس موظفًا في الرحبانية، وإن صوت فيروز ينبغي أن يصرخ في البرية، وعلمت السيدة فيروز بهذا واطمأنت حينما قلت لها إن صوتها سوف يخرج يوما ما، من أهم الأشياء، التي لا أنساها أبدا موقف فيروز الأم من زياد ابنها، قالت إن زياد يقول إنه ما من مسرحية إلا لابد وأن أكون موجودة بالصف الأول لأراها، وتمنى زياد أن أكون موجودة في كل الليالي، لأن الناس حين تعلم أني موجودة في الحفلات تأتي والعدسات تراقبني وأنا أصفق لزياد رحباني على المسرح، أتذكر أن السيدة هالة سرحان في برنامجها «يا هلا» استدعت ذات مرة واحدًا من أقارب فيروز، قال إنه يقوم بتلحين أغنيتين واحدة لنانسي عجرم والثانية لهيفاء وهبي، وقد التزمت الصمت نصف دقيقة لا أتكلم، ولما سألتني هالة سرحان عن عدم الكلام ؟

قلت : لقد وقفت حدادًا على الرجل الذي يعطي فيروز فنها وشدوها، ثم انتقل إلى بزنس الست نانسي عجرم وهيفاء وهبي، الغريب أني وجدت في السيدة هالة سرحان بعضا من توني خليفة، فقد التقطت كلمة الست وقالت لي عرفت إزاي إنها ست؟ لقد قلت السيدة نانسي عجرم من باب التبجيل، أم السخرية؟ قلت لها: أنا لم أكشف عليها ولكن من باب التبجيل والاحترام .

قامت الدنيا ولم تقعد في العالم العربي بسبب هذه الجملة التي قلتها في حضرة عضو من الرحبانية العظام، وتناقلت الصحف هذه الهيافة، وظلت تقول ماذا يريد مفيد فوزي من سب نانسي عجرم؟ وماذا يبغي من ذلك؟ ولم أكن أقصد شيئًا مريبًا على الإطلاق .

لقد أدركت أن عقول بعض الناس هي المريضة، وأن الإنسان عندما يقول كل كلمة تكون بحساب وربما أذكر أن في هذه الليلة التي قام فيها الحوار، وأثار فيها هذه الضجة في العالم العربي وفي المجلات الفنية، أدركت أنه ينبغي أن أكف كثيرًا ليس قليلًا عن تلقائية آرائي التي أقولها علنًا.

الغناء المتحضر

هذه هي فيروز التي بسببها وبسبب ما نشرته في مجلة صباح الخير تذكرة الدخول في المسرح في الحمراء التي كتبت تحتها عبارة هذه تذكرة الدخول لعالم الفرح والأمل والجمال فيروز، وكان عنوان الموضوع «الست فيروز حبيتك بالصيف حبيتك بالشتا حبيتك بكل الفصول»، وعندما قرأت أم كلثوم هذا الموضوع صبت عليَّ جام غضبها الكلثومي وكانت - رحمها الله- أعظم صوت مصري غنى في الوجود، علمت فيروز بما جرى ولم تعلق، ولم تقل كلمة واحدة وأصبح الموقف واضحًا .

تلك هي المطربة الرائعة فيروز التي بدأ الإعجاب بها صباح أحد الأيام في العاصمة الأردنية عمان، وامتدت العلاقة حتى رأيتها في المسرح عندما وقفت تغني فيروز في إحدى مسرحياتها، فعلت شيئًا لا يمكن أن يصدر من إنسان؛ ففي قلب الغناء وفي عز شدوها كانت تغني أغنية من عز النوم، فإذا بي أختل في مقعدي ووقفت في قلب الصالة وقطعت غناءها وخاطبتها وقلت لها: «إيه الغناء المتحضر ده» ! كانت تجلس بجواري الفنانة سميرة أحمد وزوجها فابتعدت سميرة أحمد وأطلت بوجهها بعيدًا عني، كأنها ليست معي بينما أقف خلف بعض الناس من أصحاب الياقات البيضاء وذهل الناس كيف يجرؤ هذا الشخص الذي هو أنا، ولم أكن معروفًا في تلك الفترة، وصار التساؤل من هو الذي يقف ويقول إيه الغناء المتحضر ده، وكانت لحظة غريبة ومريبة غير أن فيروز ابتسمت لي واستمرت في الغناء واستمرت الفرقة وحييت فيروز وحيتني وقالت للفرقة Go ahead، وجلست وكانت تلك لحظة نادرة في

عمري؛ إذ خرجت في هذه اللحظة من داخلي مبهورًا مخمورًا بالصوت الذي سمعته وهي تغني من عز النوم إحدى أغاني فيروز في مسرحية المحطة .

لبيب معوض

بدأت صداقتي مع لبيب معوض منذ فترة طويلة حين كان يزورني أنا وآمال في البيت، وأذكر أنه كان مشتركًا معنا في أيام كثيرة عشناها، كان هو السند القانوني لكل ما حدث في عمرنا بداية من كتابة عقد الشقة إلى كل شيء في حياتنا، فنحن لم نلجأ إلا للأستاذ لبيب معوض لدرايته بالقانون بشدة ومهاراته؛ حيث إنه من قلائل القانونيين المحترمين ذوي الهيبة والسمعة في مصر .

وإذا ذكر القانون لابد أن أذكر اسم لبيب معوض ورجائي عطية وبهاء أبو شقة وأحمد الخواجة، وكلها أسماء عرفتها في عمري وأقدر مواقفهم معي ومجاملتهم الشديدة ورقتهم في معاملتي، خاصة الأستاذ الدكتور رجائي عطية، أما لبيب معوض فكان دائمًا معي يحذرني في الكتابة من التعرض لأشياء تضعني تحت طائلة القانون، أو الوقوع في سقطات يمكن أن تصل بي إلى المحكمة، وأحيانا كنت أرفع سماعة التليفون لأسأله ما رأيك في هذا؟ فكان يقول رأيه ولا أجادله، وأفهم أنه السند القانوني ولا يحبذ شيئًا بعينه.

اتصلت به ذات ليلة.. لأقول إنه تم رفع قضية على عبد الحليم حافظ كان موقفه كبيرًا فقد ذهبنا معه للمحكمة، و كانت هذه أبلغ آيات الصداقة وفي كل برنامج بدأت فيه العمل كنت ألجأ إليه لأسأله ماذا أطلب وكيف أوقع العقد؟ وكان يعطيني النصح والإرشاد القانوني حتى إنني أكاد أقول إن الحياة بدون لبيب معوض تعطيني إحساسًا بأن الإنسان يكون عاريًا من القانون، وأذكر أنني عندما كنت في باريس كنت أذهب إليه في الميرديان إتوال .

صداقاتي تدخل دائما في ذاكرتي وتتمدد وتعيش في قلبي ..أتذكر كامل الشناوي وهو يقول إن صدري مقبرة لبعض الأصدقاء فقد غدر بكامل الشناوي الكثيرون، وكان يردد أن هذا الصدر هو المقبرة التي تسكن داخلها الصداقات، أشعر دائما في صداقاتي أنني لا أعيش اللحظة، بمعنى أنهم يتقابلون ثم يفترقون وكأن شيئًا لم يحدث .. براءة الأطفال في أعينهم، أما أنا فمن أقابله أحرص كثيرًا على مبادلته المودة، وارتبطت ببعض الصداقات على مدار العمر قد تكون ليست عميقة المغزى لكنها ظلت قابعة في صدري، فكلما جاءت مناسبة أنا أحب التواصل إذا كان صديق قد غدر بي مرة فأبرر له هذا الغدر، إذا كانت له مصالح وإذا غدر بي دون سبب فإن انتقام الله عندي أكبر .

حزب أعداء النجاح

لم أحاول طوال حياتي على الإطلاق أن أنتقم من أحد، أو ألحق الأذى بأحد الذين يكرهونني يومًا بل أطلقت عليهم لفظ حزب أعداء النجاح، وقصة هذا الحزب بسيطة.. وليست كبيرة، فقد كنت ألاحظ دائمًا في المجتمع في الفترات العمرية بين 45 – 55 سنة عبر هذه السنوات العشر في متوسط العمر كنت ألاحظ أن هناك ترصدًا للناجحين في مصر، فإذا نجح شخص ضرب في مكتبه فإذا لم ينجحوا ضرب في بيته، وإذا لم ينجحوا ضربوه في حياته الشخصية، فإذا لم ينجحوا ضربوه في مقتل (في رجولته) مثلًا عرفت أيضا بعض البشر الذين يكيدون للآخرين كيدًا انتهازيًا رهيبًا وعرفت بعض النساء اللواتي يشعرن أن هناك من يترصدهن لمهارتهن في العمل، فضربن في موقعة الشرف وهذه الموقعة في حياتنا كمصريين تسقط الإنسان و أشياء كثيرة معه .

رأيت أيضا مؤامرات تدبر في الخلفية لنجاح فنانة أو كاتب أو رئيس تحرير، أو كما يقولون بلغة الكمبيوتر للتقليل من نجاح إنسان أو كفاءته رأيت

عملية (mini mizing) .. رأيت حجب المنارة عن الناس ذوي الحظوة من أصحاب المناصب الشخصية، فإذا نقلوا المعلومات عن هؤلاء نقلوها محرفة أو قللوا من شأن الشخص، وربما عشت بنفسي أن أسمع أن فلانًا أحد المهرة الحقيقيين في حرفته، فإذا بي أرى من ينقل أمامي للوزير، أنه فشل ثلاث مرات في هذه التجربة، فيفقد عند الوزير الفرصة والكيان ..رأيت أيضا من يريد أن يسفك بدماء شخص آخر .

عشت أيضا تجربة مهمة في صباح الخير عندما ثار 6 أو 7 من شباب صباح الخير؛ لأني لا أعقد اجتماعات، وكادوا يعصفون بي وأدركت أن بالخارج من يثير صدورهم نحو إيماني ببعض الناجحين في مجلة صباح الخير، ولما جلست مع مجموعة صباح الخير الكاملة حوالي 60 شخصًا في قاعة الاجتماعات خرجت من المعركة منتصرًا.

وقلت إنني لا أعقد اجتماعات كثيرة؛ حيث إن كثيرًا من المحررين يعملون في مكاتب صحفية عربية، وأنا أحاول أن أحافظ على قيمة صباح الخير، وأنا أقول مثلًا إن محررة قالت لي بالتليفون إن أحد الأشخاص له قيمة علمية واسمه: أحمد زويل، فقلت لها : أجري حوارًا، وكان حوار ماجدة الجندي مع أحمد زويل هو أول حوار ينشر له في الصحافة المصرية وماجدة الجندي هي زوجة الأديب الكبير زميل رحلة العمر جمال الغيطاني، عشت هذا بنفسي كما عشت تكسير مجاديف الناس .. عشت ما يسمى بتكسير عظام لبعض الناجحين، عشت النجاح وهو يوصف بالفشل، وأدركت جيدًا أن هؤلاء هم عراة في الموهبة .

في إحدى الليالي كنت جالسا أفكر لا أدري أين بالضبط خرجت من فمي عبارة أن في مصر حزبًا يضاف إلى كل الأحزاب المصرية اسمه حزب أعداء النجاح، ليس له استمارة وليس له لجنة أحزاب تجيزه، لكنه موجود في كل صحيفة ومجلة وإذاعة وتليفزيون ومصنع ومعمل وصيدلية؛ حيث إن هذا الحزب من عراة الموهبة والحاقدين على النجاح، من هنا كان اسم حزب أعداء النجاح الذي انتشر جدًا في مصر في التسعينيات .

وما بعد أعوام 2000، و 2005، و 2008 انتشر بشدة حزب أعداء النجاح من قاعدة أعداء النجاح والحاقدين؛ مما جعلني أؤمن بأن الغرب ليسوا بالصورة التي يتواجدون عليها في الغرب، أو في العالم العربي وعلى الأخص مصر كنت أقول دائمًا إن النجاح هو ثمرة لجهد طويل، وإن القمة تتسع للمئات والمئات، وقلت إن محاولتي في العمل هي محاولة مرهقة لي، وقلت إنني في النهاية أعمل ليس لكي أحقق أرباحًا في الحياة، فأنا من المؤمنين أن الله يبعث في القليل البركة فيكون كثيرًا، وفي بعض الأحيان لا أنتبه لحزب أعداء النجاح فأنا أراهم (صراصير آدمية) تسير على قدمين تحاول أن تعبث بنجاح أي إنسان وتشوه نجاحًا لإنسان، وعندما اكتشفت أنه يطالبني أن أنظر إلى السماء وأطلب أن تتصرف السماء بالنيابة عني، فلست أرد على الأذى بالأذى، هكذا تعلمت في المسيحية، وهكذا تعلمت في البيت، وهكذا كنت وسأظل حتى اللحظات الأخيرة في العمر .

كتبي ومعاركي ..

كان أول مخطوط يدخل بيتي ككتاب يحمل اسم نادية عابد وليس مفيد فوزي .. وهو باب نادية عابد الذي جمعته في كتاب ..أردت بهذا أن أرسم صورة للمجتمع وكيف أن البعض حاول أن ينال من سمعتها إلا أنني اخترت وسط هؤلاء رجلًا وزوجته وابنه الوحيد رامي كما أتصور، وأتذكر، وكيف أن هؤلاء كانوا يتبادلون التحية وكيف أن الولد كان في الثالثة والعشرين من عمره، وكيف إذا رأى نادية أي الشخصية التي رسمتها كان يخفي عينيه ويصعد السلم؛ إذ لم يكن هناك أسانسير في العمارة، حيث كنت أرسم شخصية الشيخ الذي كان ينزل في أوقات غريبة ويدق الباب فإذا قالت من ؟ قال لها أنا الشيخ فلان افتحي يا بنيتي.. كانت ترفض تمامًا، هذا إذا اتصل أحد برجال الأزهر أو برئيس التحرير الراحل فتحي غانم، وطلب منه أن تتوقف نادية عابد عن الكتابة وأن تبدأ في مواضيع ليس بها حساسية، وقد

توقف الباب ثلاثة أسابيع ثم عدت من جديد أكتب، وكانت هناك صعوبة في الكتابة، ثم عدت من جديد أكتب؛ حيث طلب مني إسلام شلبي أن أختار عنوانًا فقلت إن هذه الكلمات في باب نادية عابد لا تصلح أن تكون إلا للأذكياء فقط، فقال خليها للأذكياء، وقد أقول إن هذا الكتاب نفد خلال أيام قليلة فما كنت أحسب أن هناك قارئًا مواظبًا شديدًا جدًّا لباب نادية عابد؛ خصوصًا أنه نفد في المنطقة العربية أكثر من توزيعه في مصر وقد ظهر الكتاب، وتمر الأيام ويحدث أنني بدأت في إعداد بعض الحوارات التي أجريتها وكان الناشر في هذه المرة هو المعلم محمد مدبولي أشهر ناشر مصري يرتدي جلبابًا، وأذكر أنني تقاضيت عن هذا الكتاب (أسماء لامعة) 150 جنيهًا وهو مبلغ شديد التفاهة، ولكنني كنت سعيدًا أنني أخذت هذا المبلغ لأن اسمي ظهر على غلاف الكتاب وطوال رحلتي في التعامل مع الناشرين لا أفكر في كلمة النسبة وهي تعني نسبة الغلاف؛ ذلك لأنني أريد دائمًا في تعاملاتي أن أتقاضى حقي فقط في التأليف، وليس لي على الإطلاق أي حق في نسبة أو غيرها، فلست أعرف كيف أقيس مبيعات من الكتب وليست لي دراسة بعالم النشر وما فيه من عجائب وغرائب مريبة.

ظهر الكتاب الذي قفز فجأة ولا أدري كيف إلى الفيس بوك وأصبح هو الذي أعرف به وفي حقيقة الأمر هو أول كتاب ويضم حوارات متواضعة لشخصيات عامة مثل لويس عوض،كمال الطويل، عبد الحليم حافظ، صالح سليم، وقد حاولت أن أقدمها في صورة حوارات في صباح الخير وقمت بجمعها وأصبحت كتابًا بعد ذلك.

كتاب بطرس غالي

أصبحت قصة الدكتور بطرس بطرس غالي مثيرة، حينما سافرت إليه في نيويورك لأحاوره عن دوره ونشاطه وكيانه، وكيف أنه وقف في وجه أمريكا حتى عزلته عن منصبه ولم ترشحه من جديد، وعدت متحمسًا وكتبت كتاب

«الغالي بطرس غالي» ولكنني تلقيت درسًا مهمًا هو أنني إذا أعطيت أحدًا مهمة إنجاز الكتاب فلابد أن أكون بجواره في المطبعة يومًا وراء يوم، ولا أتركه لأحد فلقد تلقيت خطابًا من سيدة فاضلة في نيويورك وقع في يدها هذا الكتاب وإذا بها تخرج لي 61 خطأ ما بين خطأ لفظي لغوي وخطأ في المعلومات وخطأ في ترتيب الأحداث، وخطأ في التاريخ، وقد أرسلت للسيدة الفاضلة خطابًا أشكرها كل الشكر وقلت لها لقد تعلمت تمامًا كيف أحتضن مولودي حتى يظهر للناس، ولعل هذه التجربة قد استطعت أن أتحاشاها تمامًا في كتاباتي التي ظهرت فيما بعد في دور النشر المختلفة. أما هذه السيدة التي أرسلت لي هذه التفاصيل والبيانات بعد قراءة مفصلة للكتاب فكانت هي مديرة مكتب الدكتور بطرس غالي في أثناء تواجده سكرتيرًا عامًّا للأمم المتحدة وهي السيدة فايزة أبو النجا التي صارت فيما بعد وزيرة للتعاون الدولي، وكان هناك إجماع على كفاءتها ومهارتها وهي متزوجة من سفير، ولم أحاول أن أعيد كتاب بطرس غالي في ثوبه الجديد، بعد أن ترك بطرس غالي كل شيء متعلقًا بهذا الأمر، ثم أتذكر جيدًا أن الدكتور سيد أبو النجا وكان رئيسا لدار المعارف، طلب مني في وقت مبكر أن أجمع له 24 تحقيقًا تم نشرها في مجلة صباح الخير تحت عنوان: كندا حلم المهاجرين؛ حيث إنه في بداية الأعوام 1969، 1970، 1971، كان الشباب يقصد كندا ليبدأ حياته الجديدة هناك، وقد أعجب السيد أبو النجا الذي ما زلت أذكر أنه حينما زرته بمكتبه بدار المعارف، لم أجد ورقة واحدة على مكتبه حتى إنني من فرط استفزازي سألته ألا تعمل يا دكتور سيد ؟ فقال بلى أعمل قلت : كيف تدير هذا المكان ؟ قال: أديره باقتدار .. قلت له : ألا توجد ورقة واحدة على مكتبك ؟ قال لي: أنت تقدم في الإذاعة مع السيدة نادية صالح برنامجًا بعنوان «من مكتبة فلان» تعالى أنت ونادية صالح لكي تقدم مكتبتي، وسوف أشرح لك فكرة مهمة عمن هو المدير النموذجي ومدى خطأ المدير وحدوده، وشرح بقوله إن المدير الصح هو الذي يشعرك بأنه منتج وذلك الذي ليس على

مكتبه ورقة، أما ذلك الذي تتكدس على مكتبه مئات الملفات والأوراق فليس هو المقصود.. إن مسئولياتي نفسها تتوزع، ومن هنا فالملفات موزعة على بعض زملائي ولا يبقى أمامي سوى التفكير في تطوير دار المعارف و الكتاب.. إن كتاب «كندا حلم المهاجرين» سوف توضع عليه صورة فوتوغرافية، وليس رسمًا تقليديًا في سلسلة اقرأ، وبالتالي سوف تمسك بنفسك الكتاب وتفتخر أنه أحد الكتب المهمة في حياتك.. سجل تجربتك في كندا، وبالفعل تم طبع هذا الكتاب بكمية أكثر من المعتاد في سلسلة اقرأ التي أظن أن كل مواطن في مصر بدأ يشكل مكتبته وفكره الخاص ورؤيته من خلال سلسلة اقرأ، وأنا شخصيًا احتفظت ببعض الكتب من سلسلة اقرأ حين أردت قراءة كتاب دسم بمبلغ زهيد .

وظهر كتابي وسعدت بما قدمه لي السيد أبو النجا وهو عميد الناشرين، والرجل الذي تلتصق باسمه سمعة دار المعارف التي أمدت الكثيرين بروافد الفكر والفن والأدب .

وتمضي الأيام ثم أقوم بمجموعة رحلات بين الشرق والغرب، مرة في اليابان وأخرى في الهند وثالثة في هونج كونج، ورابعة في لبنان، ثم الأردن، ثم ألمانيا، وبعدها في إنجلترا ثم فرنسا ثم إيطاليا، وكل هذه الرحلات استطاع أحد الناشرين وهو مدبولي أن يجمعها في كتاب، وطلب مني جواز سفري كي يضعه على الغلاف، ويظهر الكتاب تحت اسم «جواز سفر إنسان» لقد كنت أتمنى أن يكون عندي في مكتبتي في البيت مجموعة نسخ لهذه الكتب، وقد جئت ذات مرة إلى دار المعارف بعد أن تناوب عليها كثيرون، وطلبت الكتاب فقالوا لي في المخزن، وانتظرته ولم أجده.

وتمضي الأيام بعد «جواز سفر إنسان» الذي جمعت فيه جولاتي المنشورة في صباح الخير، ثم بدأت أكتب نوعية من الحوارات مهمة جدًا بعد أن أصبح لي اسم ودخلت عالم التليفزيون، وجمعت هذه الحوارات وكان الناشر

هذه المرة دار أخبار اليوم ؛ حيث طلبت مني أن أقسّم الشخصيات الأدبية والفنية في مجموعة والسياسية في مجموعة أخرى وجمعت هذه المادة في كتابين يحملان عنوان (حاورت هؤلاء) جزء أول وثان، وظهر الكتاب من دار أخبار اليوم، وكان لامعًا مثقولًا جميلًا فرحت به بشدة؛ لأنه كان يقدم حواراتي بمستوى غريب، وأشهد أن كثيرًا من شباب الصحفيين الذين أحبوا الصحافة كانوا يتخذون منه مثالًا لكيفية إجراء حوار .

سعاد ..ونزار

التقيت بالعزيز عماد أديب الذي اقترح عليَّ السفر إلى لندن أنا وفاروق إبراهيم؛ لكي نقابل نزار قباني وسافرنا لندن وكنت يقظًا جدًّا ولا أنام الليل، وأعددت ما يقرب من مائة سؤال كما لو كنت قد أعددت العدة لكي أنفذ إلى أعماق نزار قباني الذي يملك مناجم من ذهب من الكلمات، وكنت أنطوي على إعجاب غريب به وفي بعض الأحيان كنت أقرأ قصائده، وكنت أتساءل كيف يمكن أن يكتب إنسان بهذه السلاسة وأعترف أنني من الذين أدمنوا قراءة نثر نزار قباني الذي ينافس شعره، وكان سمير سرحان قد اهتم بهذا النشر وطلب مني أن أعد هذه الصفحات لكي يكون هناك كتاب يحمل اسم نزار قباني بحواراته، وقال سمير إن الكتاب يحفظ الحوارات من الضياع والصدأ و النسيان، وكان دومًا يردد ليس كل الناس يقرءون المجلة التي تكتب فيها حوارك، ولكن كل الناس ترى الحوار الذي تجريه على شاشة التليفزيون ثم ترى الحوارات التي تجمعها في الكتب كي تحفظها من الضياع .

وظهر كتاب (نزار قباني أطول قصيدة اعتراف) وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة كل الناس، وكان هذا هو رجاء عماد أديب فقط الذي فرح بصدور كتاب عن نزار قباني يضم مجموعة حوارات نشرت في مجلة كل الناس .

وتمضي الأيام ووسط فرحة عماد أديب بما قدمته مع نزار اقترحت هذه

المرة أن أسافر إلى الكويت متوجهًا إلى سعاد الصباح، وسافرت وقابلتها وكان معي فاروق إبراهيم، وقد كنت أقول له دائمًا إن أعظم ما في المصور أن ينتشل اللحظة، ومعنى كلمة نشل اللحظة هي الصورة، وجلسنا في الفندق، وأشهد أن عماد أديب وإدارة مجلة كل الناس كانت هي التي تتفق على هذه الإقامة، وذهبت لسعاد الصباح وسجلت معها بالكاسيت الذي أسجل فيه الآن مشوار عمري وسيرة حياتي، وكان فاروق إبراهيم مثل النمر الذي يحاصر غزالًا شاردًا في الصحراء ويجري وراءه بكاميرا وكانت سعاد الصباح كريمة جدًا في الحوار وقد أخطأت في شيء ما حينما بدأت أعد العدة، حيث اخترت سمير سرحان لإصدار كتاب يضم كل مقالاتي وحواراتي مع سعاد الصباح.

كنت أعلم أن لها كتابا يضم مجموعة قصائد تحت عنوان (فتافيت امرأة) ووجدت في العنوان مادة جاذبة قوية فأردت أن يكون في العنوان (فتافيت شاعرة) غير أن سعاد الصباح داعبتني بعتاب قائلة: أنا لا أرضى أن تكون حواراتك معي مجرد فتافيت لشاعرة فقد كنت بكامل كياني أتحدث معك، وأفتح قلبي لصديق، حين أوقع على أحد كتبي له أقول إلى مفيد الصديق الصديق، وخجلت من رأيها ووضعنا عنوانًا آخر وافقت عليه سعاد وطبعت كتابي (مع سعاد الصباح في أطول حوار) .

حوارات الأهرام

ذهبت للأستاذ محمد حسنين هيكل لأقدم حوارا على صفحة واحدة في الأهرام، وكان إبراهيم نافع قد عرف مني أنني أملك أن أذهب إلى هتلر طنطاوي رئيس الرقابة الإدارية في ذلك الوقت، وأجري معه حوارًا فلما سمع مني هذا قال: هات الحوار وتعالى يوم الأربعاء، وذهبت لإبراهيم نافع وسلمته الحوار مع رئيس الرقابة الإدارية ومعه صورتي، ونشر يوم السبت وقد اعتاد الأستاذ عزت السعدني أن يكتب في مقال يوم السبت تحقيق السبت، وحدثت

في الأهرام حركة غريبة وغير مفهومة، وكالمعتاد في الوسط الصحفي والفني أثيرت الشائعات، وقيل إن مفيد فوزي يسعى ليكون رئيسًا لتحقيقات الأهرام، وفي واقع الأمر لم يكن عندي أي نية سوى أن أنشر هذا الحوار في الأهرام؛ لأنه سوف يتمتع بقاعدة عريضة من القراء أكثر من نشره في مجلة صباح الخير وسافرت بعد شهور قليلة إلى ڤيينا لقضاء بعض الوقت والتقيت بالفنانة إيمان التي تقيم في النمسا، وقابلت العزيز مصطفى الفقي الذي تربطني به صداقة ومودة وقد دعاني لحضور حفلة موسيقية لأحد الموسيقيين الكبار يقدم مقطوعة نادرة من موسيقى عاشت في وجدان الناس وأذهانهم.

وجلست معه ثم همست في أذنه أليس هذا الرجل الذي يجلس بعد زوجتك هو سكرتير عام الأمم المتحدة الذي جاء بعده بطرس غالي قال: نعم، قلت هل أستطيع أن أجري معه حوارًا عن تجربته في كواليس الأمم المتحدة؟ قال: باقي دقائق ونخرج للاستراحة وخرجنا للاستراحة فعلًا وقدمني مصطفى الفقي برجولة إلى سكرتير عام الأمم المتحدة (كورت فالدهايم)، وقال إن فلانا يحاور المسئولين الكبار وإنه يود إجراء حوار معك تتكلم فيه بالألمانية، وسأرسل معه مترجمًا من السفارة ينقل له الأمر بالعربية.

قال : متى؟ رد : غدًا.

وذهبت في الثانية عشرة ومضيت في الحوار حتى الرابعة والنصف بعد الظهر، وجاءوا لنا بسندوتشات لانشون ألمانية أكلناها واستمعت بها جدًا، وكان المترجم يترجم كل ما يقوله سكرتير عام الأمم المتحدة وخرجت، واتصل بي في الفندق مصطفى الفقي وقلت له أجرينا الحوار قال لي: سأرسل لك الشريط والتفريغ في الحقيبة الدبلوماسية، وسوف تتصل بك مصلحة الاستعلامات وتجيء لك بالحوار، وجاء الحوار وكتبت مقدمته وتحدثت مع العزيز إبراهيم نافع، وقلت له معي حوار مع سكرتير عام الأمم المتحدة السابق، وقال إن هذه الفترة هي أهم فترة بالنسبة له؛ لأنه أصدر كتابًا عن

تجربته وأظن أنه على موعد مع الرئيس لم يتحدد بعد، وذهبت بالمقال يوم الأربعاء، وإذا بالموضوع ينشر بالصفحة الثالثة بالأهرام وهي الصفحة التي تنشر بها الموضوعات ذات الأهمية وقد غضب مني صديقي مصطفى عبد الله مدير مكتب الأهرام في النمسا؛ لأنني أخفيت عنه أنني قمت بإجراء هذا الحوار، وقال: إن هذا معناه أنني نائم، قلت له لا أريد أن أكون حريصًا معك في التنافس الصحفي، أنت تختار الصيد ثم تصطاد لنفسك، واقتنع مصطفى عبد الله الذي ما زال صديقًا، وما زلت أحترمه وبيته دائمًا يرحب بي عندما أطير إلى ڤيينا .

لا يجب أن أنسى الناشر محمد مدبولي الذي لعب دورًا مهمًّا في حياتي عندما طلب مني كتابي عن عبد الحليم حافظ، وفرحت؛ لأنني كنت أريد أن أكتب كتابًا عن عبد الحليم ولم يكن عقب وفاته مباشرةً، ولكن بعدها بسنوات وكان الكتاب باسم (صديقي الموعود بالعذاب) وظهر الكتاب وكنت سعيدًا جدًّا به، وأتذكر أن مديرة روزا اليوسف السيدة سعاد رضا كانت يقظة جدًّا كلما جاءت ذكرى عبد الحليم حافظ أصرت على إعادة طبع الكتاب في روزا اليوسف وطبعت منه عدة نسخ مع تعديلات في الأغلفة أيضا، وقلت إن عبد الحليم قام بمهمة سرية دبلوماسية كانت عبارة عن أوراق مهمة ترسل من القاهرة من الخارجية إلى سفراء في العالم العربي، دون أن تمر هذه المعلومات عن طريق الحقيبة الدبلوماسية؛ مما يدل على مدى الثقة الشديدة في عبد الحليم حافظ الذي تابعت بشدة وجوده، إذ كان حريصًا على ظهور الكتاب، وأنا شخصيًا كنت مستمتعًا به جدًّا، وتمنيت لو كان حيًا ورأى هذه الصفحات، في كتاب «صديقي الموعود بالعذاب» .

تمضي الأيام وأجمع مقالات كنت قد نشرتها في الأهرام وخشيت عليها من الضياع، وذهبت بها إلى العزيز أحمد مجاهد رئيس هيئة قصور الثقافة ولديه مطبعة ودار كبيرة للنشر، وقدمت أعمالا كثيرة وكتبًا بأثمان زهيدة للغاية، ودارت بيني وبين الدكتور مجاهد مناقشة حادة حول سعر الكتاب،

وقال لي إننا نطبع ونتكلف أوراقًا ونبيع الكتاب بأسعار زهيدة حتى يتمكن الشباب من أن يقرءوك، وثق تمامًا أن المثقفين يعرفونك جيدًا، لكنني أريد أن تصل كتب قصور الثقافة إلى أكبر عدد ممكن من الشباب، وكان من المهم جدًّا أن أحافظ على حروفي من الضياع، والصدأ على حد قول الدكتور سمير سرحان، وكنت أعلم أن سعر الكتاب الزهيد جدًّا في مصر لا يوجد له مجال لسبب بسيط جدًّا أن الناس قد اعتادت على شراء الكتب الثمينة، ولا يعقل أن يحاول الناس شراء كتاب لأنه زهيد الثمن، فقد تعودوا أن يقبلوا على كتاب غالي الثمن ظنًّا منهم أن هذا غالي القيمة، وأتذكر مواقف عشتها أن الدكتور عبد القادر حاتم صاحب مشروع كتاب كل ساعة؛ حيث إنه في فترة الثورة الأولى كان سعر الكتاب ثلاثة جنيهات، وجنيهين فقط، وكانت أسعار الكتاب تنافس الكتب المعروضة في سوق الأزبكية الذي كان أكبر سعر لكتاب فيه يصل إلى 50 قرشًا وربما جنيهًا كاملًا .

وقد ظهر الكتاب بعد جهد كبير ومراجعة، وكنت قد استفدت كثيرًا من درس السيدة فايزة أبو النجا، حين أرسلت لي يومًا ملاحظتها على كتاب (الغالي بطرس غالي) وقد قابلت الدكتور بطرس غالي في إحدى دعوات علي السمان، في بيته فسألني هل قرأت ملاحظات فايزة أبو النجا قلت له قرأتها واستفدت منها، فقال لي لماذا لا تصحح هذا في الكتاب؟ ولم أرد؛ لأني لم أكن أستطيع أن أظهر مرة أخرى للقارئ لتصحيح ما ورد مني خصوصًا إذا كان لغويًا ولم يمر على مصحح أو بعض المعلومات أو التواريخ ولم تمر على مراجع.

مرت الأيام، وأتذكر جيدًا أن صديقي وزميلي الأستاذ محمد عبد النور كان قد أسس شركة نشر، وقد طلب مني أن أجمع مجموعة من مقالات نادية عابد؛ لأنشرها في كتاب وبالفعل لم نختلف وطرحت كتابًا عند محمد عبد النور، وأظن أن شركة النشر لم تستمر طويلًا ولا أدري ما السبب في ذلك، فلست فضوليًّا في معرفة ما وراء الكواليس.. وبالفعل كان ذلك بالنسبة لي طبيعيًّا فقد كان عنوان الكتاب كما أذكر جيدًا هو «وجدانيات في زمن

الجفاف» وظهر هذا الكتاب عن نادية عابد، وكان آخر كتاب قدمته للناس هو (كلام مفيد) الذي كتب عنه الأستاذ إبراهيم سعدة كتابة جميلة، وكتبت الذكية مها عبد الفتاح مقالة بكلمة ياه .. إعجابا، وكتب عنه الصديق بالوفد محمد أمين وحين تناول مقالًا محددًا هو «من يعرف موبايل الرئيس».. وكنت أقول في هذا المقال من يعرف موبايل الرئيس لأروي له أحزان بلده؟ من يعرف موبايل الرئيس فأقول له ماذا يجري في الخفاء من رجال الأعمال وغيرهم؟ من يعرف موبايل الرئيس لكي أبلغه عما يحدث من تزوير وتزييف في إرادة الناس؟ قد يغضب مني الرئيس ولعله ينبغي أن لا أكون من المشاركين في التعتيم، هكذا كتب الأستاذ محمد أمين، وأضاف من عنده لو كنت أعلم موبايل الرئيس لقلت وقلت وقلت ولكنه شد الخيط من فكرة من يعرف موبايل الرئيس .

ها أنذا الآن أستعد للكتاب الذي لم تنشر حلقة واحدة منه في أي مجلة أو صحيفة، وللدقة في أي مطبوعة، وربما بعض ما قلت قد تناثر في الصحف، أو تناثر في أحاديثي الكثيرة في الإذاعة والتليفزيون، فأنا والحمد لله أعتز بأنني واحد من الذين يصغى لهم لما لديه من خبرات حياتية، وبما لديه من معلومات تاريخية وربما من أجواء عاشها وحده بما لديه من أفكار معينة نضجت في رأسه، كل هذه الأسباب جعلتني واحدًا من الذين تحب القنوات استضافتهم .

كنت قد ذهبت للأستاذ هيكل من أجل إجراء حوار معه ينشر في الأهرام وأقدمه للأستاذ إبراهيم نافع الذي سوف ينشره مثل حواري مع رئيس الرقابة الإدارية، وفي هذه الحالة أكون قد حققت انفرادًا بالنشر، غير أن الحوار طال وطال وانتقل بين القاهرة ولندن والساحل الشمالي وبيت الأستاذ هيكل في العزبة القريبة من الريف، وقد طالت المقالات وقمت بتفريغها وقررت نشرها.

ولكنني أتذكر جيدًا أنني وجهت للأستاذ قبل أن ينتهي النشر أسئلة حول

مصر عبر تجربة عبد الناصر، وكانت أسئلة من النوع الثقيل وكنت أحلم بإجابة عنها، ولعل في هذا الجزء كنت على وشك أن أقول إنني انطلقت من هيكل الإنسان إلى هيكل السياسي غير أنه أرسل لي خطابًا نشرته في كتابي (هيكل الآخر) يقول ما معناه إن هذه الأسئلة تحتاج لوقت أطول ونوع من التريث والاتزان حتى لا يجري الأمر كنوع من الخلاف والمعارك الوهمية، فأنا أعترف لك أنك كنت واحدًا من أقدر المحاورين في مصر، وهذا الاعتراف يجعلني أطلب منك أن نرجئ الحديث في هذا الموضوع والأسئلة التي طرحتها إلى وقت آخر أكون أكثر استعدادًا لهيكل السياسي .

وقد أخذت بعضًا من رسالته ونشرتها على ظهر الغلاف وقلت إن هذا خطاب من هيكل أريد أن أتذكر أن هذا التصرف قمت به أيضا مع الكتاب عن عبد الحليم حافظ، وقد كتب لي يوسف إدريس خطابًا قال فيه كنت أتصور أن العلاقة بين عبد الحليم حافظ ومفيد فوزي علاقة عادية علاقة مغن بصحفي، ولكنني اكتشفت أن الأمر أكبر من هذا بكثير، وأنها علاقة حب شديدة لمن لا يعرف .

أنا . . . والسياسة

"لم أكن مهتمًا بالسياسة بالمعنى الفلسفي الذي يعني اللعب على كل الأوتار . .
لكنني عبرت طول عمري عما أحسه وكتبت ما أعتقده وقدمت على الشاشة ما أراه، وبالتالي لم أندم على ما كتبته . . لكنني ندمت على أيام عشتها ولا أعلم ما يدور في الكواليس ! !"

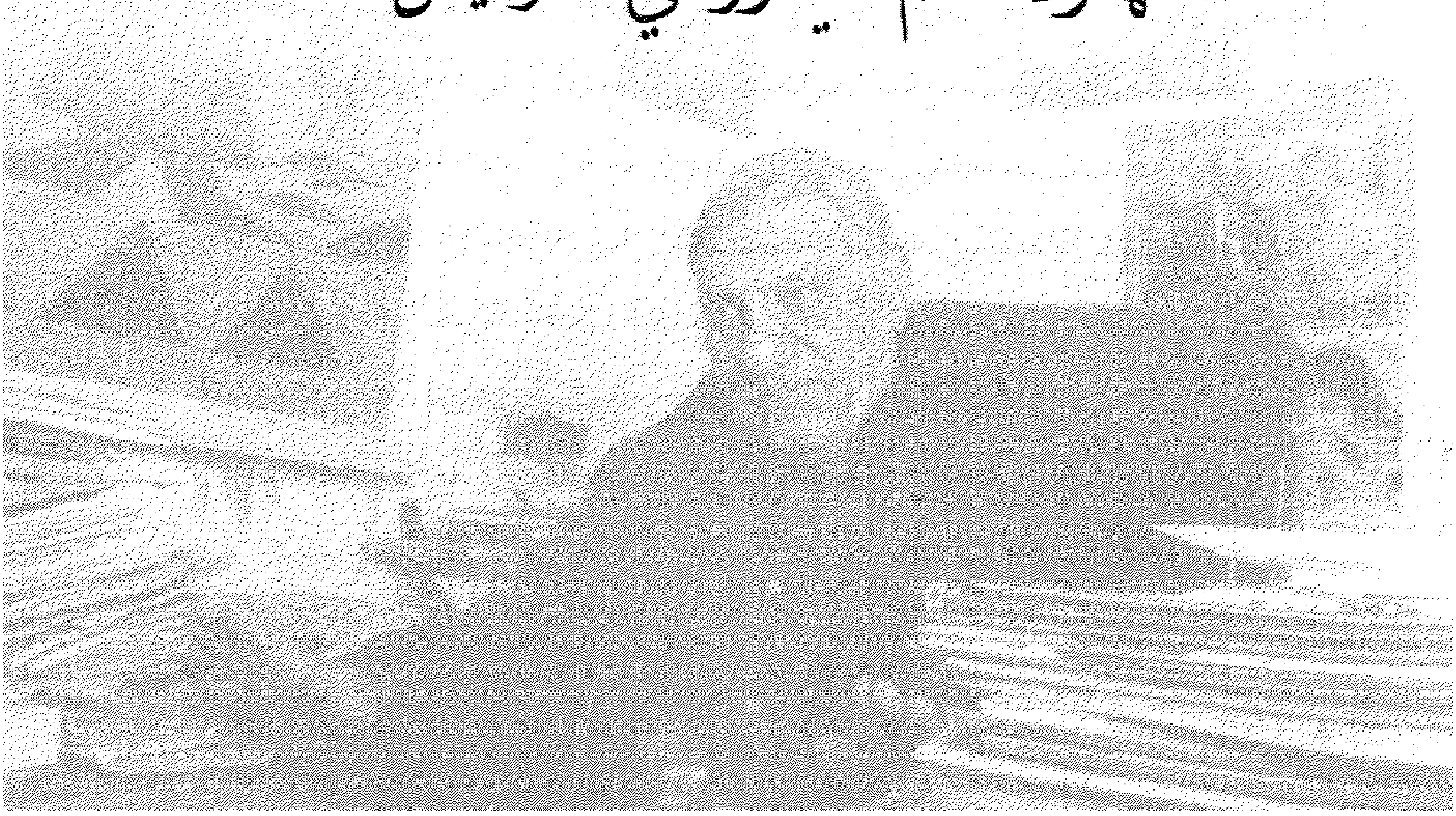

منذ فجر شبابي كان لديّ اهتمام غريب بشيء اسمه السياسة .. يتلخص في الرغبة في معرفة أخبار البلد، وعندما كبرت لست أدري لماذا أصبحت ميالًا للأدب والفن والفكر وقضايا المجتمع وأحوال الناس أكثر من السياسة الخالصة المتجسدة في التصريحات والخطب الرنانة وآراء الساسة .

وعندما كبرت والتحقت بالجامعة كان إحساسي بالسياسة عامًا وليس خاصًا، وأذكر أنني لم أشترك في أي عمل حزبي إلا أنني كنت مشدودًا لأحمد حسين؛ لأنه كتب ذات يوم في صحيفته عنوانًا هو « هؤلاء رعاياك يا مولاي» وكان الكلام موجهًا لقصر عابدين حيث الملك فاروق وأتذكر أن الصور كانت بليغة وشديدة الفظاعة، وأذكر أنه حدث هجوم على مقر هذا المكان الذي يتواجد فيه أحمد حسين من الشرطة، وأن البوليس المصري جمع أعدادا من هذه الجريدة من الشارع وكل متعهدي بيع الصحف؛ لأن العنوان لا يزال ساكنًا في الذاكرة منذ عشرات السنين وحتى الآن .

أذكر أيضا اجتماعًا لفؤاد سراج الدين رأيته يقف بالشرفة يتحدث للجموع، وكنت أحاول الاستماع لما يقوله لكنني لا أستطيع أن أقول إن اهتمامي كان كبيرًا إلا أنه تناثرت أمامي عبارة أن السياسة هي أحط المهن، وسمعته من الكاتب محمود السعدني حينما دخلت أكثر إلى عالم الصحافة، وأتذكر أن السياسة جاءت من كلمة بولوتيكا أي السياسة باللغة الإيطالية وفي مصر نستخدمها كمعنى عن أشياء غير منسقة وغير حقيقية، وفيها كذب كبير ولا تعرف الشفافية، وأنها محاولة للبهلوانية، ومن هنا نصف حياتنا كمصريين بكلمة بولوتيكا وبالتالي لم أكن مهتمًا على الإطلاق بشغل البولوتيكا في حياتي.

أشهد أنني لم أقترب من أي منظمات خاصة في زمن جمال عبد الناصر، ولم أذهب أبدًا لشباب التحرير الذي كان يديره السفير الراحل وحيد رمضان الذي صار سفيرًا بأمر عبد الناصر، وخرج من لعبة السياسة ولم أحاول أن أقترب من منظمة الشباب التي كان يديرها رجل المخابرات أحمد كامل ثم مفيد شهاب فيما بعد، لم أقترب من منظمة الشباب لماذا ؟ لحادث صغير جدًا أذكر أنني قد استدعيت لمنظمة الشباب من السيد أحمد كامل حيث سألني: أين سلسلة مفاتيحك ؟ فقدمتها له: فقال لي غريبة السلسلة دي منين ؟

قلت له : دي فضة وهدية، قال لي: فضة مش دهب؟ قلت: لا مش دهب، قال لي المعلومة اللي عندي بتقول ان عندك سلسلة مفاتيح دهب، قلت له: يا افندم إيه القيمة ان عندي سلسلة مفاتيح دهب أو سلسلة مفاتيح فضة تفيد بإيه ؟.

قال لي : احنا بنختبر الولاد بتوعنا، ومن هنا عرفت أن هناك عيونا داخل مجلة روزا اليوسف، أنا لا أعرفها لكنها ترصد أشياء كثيرة لديّ أنا وغيري، وأنها تقدم تقارير منها أن مفيد فوزي يمسك بسلسلة مفاتيح ذهب في يده معلومة شديدة التفاهة، جعلتني أشعر أن هذا الهيكل الكبير « منظمة شباب ناصر 52 » كانت تجمع معلومات غريبة عن الناس، ولم أشترك في هذه المنظمة، وكان الشك قد تسلل داخلي وكنت أنظر لزملائي في روزا اليوسف وصباح الخير أحاول أن أفهم من ينظر لي، ويقدم التقارير، هذا يختلف عن عين أمن الدولة التي لها فرسان داخل المؤسسة يبحثون ويقولون ويقدمون التقارير داخل المؤسسة للرؤساء، إذن نحن أمام عيون من أمن الدولة وعيون من المخابرات وعيون من منظمة الشباب وعلمت أن العين الثالثة هي الجحيم بذاته .

التنظيم الطليعي

مرت الأيام وعلمت أن هناك شيئًا آخر اسمه «التنظيم الطليعي»، ومعناه مجموعة من المخلصين جدًّا يقدمون الولاء الشديد لعبد الناصر، كما كانوا أيضا يقدمون التقارير عما يجري في حياتنا، كنت أشعر بالخوف وكرهت السياسة وأن يكون هناك فقط حزب بمعنى التحرير، لم يكن الإنسان يستطيع أن يكون حرًّا حتى في التقاط الأنفاس، كانت تحصى عليه وهذه شهادتي الموضوعية دون نفاق لأحد على الإطلاق، ولست بالمناسبة أشهد على زمن عبد الناصر؛ لأنني فصلت في هذا الزمن الذي كان يحوي كوارث عديدة منها : حرب اليمن وما جرى علينا من فظاعتها؛ مثل انسحاب الجيش وتعرضنا لعذابات مهينة للعسكرية المصرية عام 1967، ومنها النكسة التي قال الأستاذ هيكل إنها نكسة وليست هزيمة، ولكنها كانت في واقع الأمر هزيمة عسكرية واجتماعية بكل المقاييس، ولعل التعبير الراقي الذي قاله أحمد بهاء الدين كان يعبر تمامًا عن الحقيقة، وهي أن الخلاف بيننا وبين إسرائيل هو خلاف حضاري، ولذلك حصلت به النكسة التي كانت وصمة العار علينا.

جاء في حياة مصر الحزب الوطني، وأشهد أنني عشت هذه الانتخابات التي تعتبر تزويرًا، ولأول مرة أفهم في حياتي معنى كلمة تزييف إرادة شعب، ومن هنا لم أكن مهتمًا بالسياسة بالمعنى الفلسفي لكلمة سياسة؛ لأن السياسة ..فن .

والسياسة عندي أن يقول إنسان نقاطًا ثم يتراجع، وهي نقطة ضعف الخصم، والسياسة عندي هي اللعب على كل الأوتار، وأحاول أن أفهم جيدًا كيف استطاع أحمد عز رجل الحزب الوطني وأمانة التنظيم أن يلعب لعبته في الانتخابات عام 2010؟

لقد سيطر فيها تمامًا على الحزب الوطني وأخرج الإخوان المسلمين نهائيًا على الرغم من أن الإخوان المسلمين كتلة منظمة، وهاجس الدين في مصر يعتبر هاجسًا مهمًا، وعندما يقول أحد إن فلان ده بتاع ربنا، فالناس سوف تقبل عليه؛ لأن الشعب المصري شعب متدين . كيف استطاع أحمد عز أن يقدم هذا المجلس المنزوع منه المعارضة وكأن المعارضة تافهة ؟

ولعل هذا كان أول مسمار يهز نعش مبارك الذي أودى به واستطاع الشباب في 25 يناير 2011 إسقاط النظام والرئيس قبل إسقاط الدولة، ولم أجد شيئًا على الإطلاق يمكن أن أقوله غير أنني فيما بعد ثورة 25 يناير خرجت مع الشعب بجانب أطيافه السياسية كافة، ولم أعد أسمع مطلقًا عن نشاط الصوفيين سوى مجرد نقاشات حول الحجاب وهل هو ضرورة أم عرف هل هو واجب هل هو فرض ؟

لم أكن أسمع سوى نقاشات أيضا عن النقاب وكيف أن الجامعة رفضت أيضا دخول المنقبات، وخاصة بعد أن ثبت أن بعضهن لسن نساء بل رجال، ودخلن في قضايا آداب وبعضهن تسلل إلى المولات للسرقة.. كل هذا يدور في الخفاء، ولكن بعد ثورة يناير خرجت كل هذه الأطياف من الشقوق، وباركها الجيش وسمح لها بالحركة وكان أبرز ما حدث هو عندما خرج من السجون شخصيات غريبة منها: عبود الزمر الذي استضافته شاشات التليفزيونات والقنوات الفضائية، وهو القاتل وكأننا نحتفل بقاتل ولم يبق إلا أن نحتفل بقاتل ريا وسكينة !

بين الثورتين ..!

هذا شيء غريب جدًا في حياتنا في ثورة 25 يناير 2011، قابلتها بدهشة وذهول ولم أكن أدري على الإطلاق قوة الشباب على ساحة الفيس بوك التي أوصلتهم لمثل هذه التجمعات الغفيرة والكتل العددية الضخمة التي أستطيع أن أقول إنها هبة شبابية تجمع حولها الشعب، لكن للأسف لم تكن لها قيادة

واحدة، البعض يبرر أن هذا أفضل والبعض يقول إنه من الأفضل أن تكون بلا قيادة والبعض يقول إن عدم وجود قيادة هو الذي جعلها تشتعل وأنا أقول بعدما عشت ثورة 23 يوليو1952، إن وجود قيادة لثورة يوليو منحها عند الناس قوة، فهناك قوة في البداية عندما جاء محمد نجيب (أول رئيس للجمهورية يجلس على كرسي الرئاسة في مصر) ثم ظهر جمال عبد الناصر الرجل الثاني وأمسك بكل الخيوط، كانت هناك قيادة تدير وتجلس على دفة المركب، لكن ثورة يناير سقطت في شيء اسمه كمين الائتلافات فأصبح هناك حوالي 136 ائتلافًا، وهناك منسق ومتحدث رسمي لها وفي النهاية هذه الائتلافات توجد بينها، وبين بعضها اختلافات .. بل أيضا توجد اختلافات بين صفوف الائتلاف الواحد من الداخل، ورأيت الثورة تضيع أمامي حيث خرج الناس في ميدان التحرير يهتفون هتافات دينية، ويظهر علم السعودية لأول مرة ويعتلي أفكارهم الدينية ويعتلي المنصات ناس لا يؤمون البشر فقط للصلاة في الميدان، لكنهم يعلنون عن أفكارهم الدينية المتطرفة، وما عاد الثوار الحقيقيون الأنقياء في الميدان، ولم أعد أسمع أصواتهم ولم تكن هناك قوة فكرية واحدة، وصار عدد النشطاء في مصر يساوي عدد شعر الرأس، من هنا كنت أنظر دائمًا للسياسة بشيء من الريبة؛ لأنني أعلم جيدًا أن هناك أموالًا طائلة تم إنفاقها في الشارع بعد ثورة 25 يناير، وأعلم أن جمعيات قد تلقت أموالًا طائلة طبقًا لأجندات، وعندما رأيت الفوضى تعم كل الأرجاء بلغ بي الحزن مداه، وفاض بي الكيل وجلست أنظر للثورة جلسة تقييم حاد: هل كنا في حاجة إلى هذه الثورة؟

الإجابة: نعم كنا في حاجة أن نعلم قيمة الديمقراطية والإنصاف والعدالة.

أشهد أن محو تاريخ مبارك لم يكن إنصافًا ..فنحن نمحو التصرفات ونضعها في مربعها الحقيقي ولكننا بجرة قلم ألغينا كل ما فعله مبارك، والحق أقول إن مسلسل نهب ثروة مصر، وأنا أتكلم في الربع الأخير من عام 2011 ولا تزال القضايا تنظر، ولا أعرف هل سوف تتم تبرئة هؤلاء أو إدانتهم ؟

ولكني أعلم أن هناك اهتمامًا شديدًا برأي الشارع في هذه القضايا، والقضاء في مصر هو أهم ركن نلجأ إليه، ونثق فيه ونرتاح إليه ؛ لذلك فإنني أرى أن أي عبث أو هجوم عليه هو في الواقع أننا نريد أن ندمر الشيء الوحيد الباقي في حياتنا ..

غريب ومريب أمر السياسة في حياتنا لقد ظل رأسي يدوي بالأسئلة، ومشكلتي في التساؤل المستمر أنني كنت أتمنى أن أرتاح ولا أتعذب ولا أصاب بالسكر، لكنني دائمًا أتساءل فوق الورق وعلى الشاشة، البعض يقولون أنت تلامس القضايا وأنا أقول أنا لا ألامسها ولكني أشرحها بأدب، البعض يرى أن طريقتي مهذبة لا تصلح لهذا الزمن، وما كان هذا صحيحًا .

البعض يرى أن البرنامج التليفزيوني الذي أقدمه يلامس القضايا ؛ حيث أتعمق إلى آبار القضايا ولا ينافس برنامجي إلا برنامج آمال فهمي « على الناصية»؛ لأننا عشنا في جيل متقارب جدًّا، ولكنني لست أدري ما الذي يجري في الخفاء من صفقات تدوي وتطاردني الأسئلة وتحيرني، وأظل لا أفهم إلى أين تتجه مراكبنا وعلى أي الشواطئ ترسو؟ وما هو الهدف لما يجري من فوضى في هذا البلد وهل هي فوضى مفتعلة، ويشترك فيها بلطجية من النظام السابق، وهل من المفروض أن تظل مصر في حالة فوضى؛ لكي يبرر للنظام السابق أي شيء؟ وهل هناك أموال نهبت سوف تعود؟ لم أعثر على إنسان واحد يبصرني.. لم أجد مخلوقًا واحدًا يفهم؛ لأن الذي يفهم لا يحزن وما زلت أكره السياسة وسأظل أكرهها ما حييت.

رؤيتي .. للفتنة

إنني أشعر بالخجل الكبير عندما أقول بأن هناك عنصرين للأمة؛ لأن حقيقة الأمر أنه نسيج واحد ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن أفرق بين مسلم ومسيحي، فقد تربيت منذ طفولتي على أن أكون في بيوت يظللها

السماحة .. تربيت على حب شهر رمضان وصوت مدفع الإفطار، وعلى فكر الإسلام وجوهره الحقيقي من الداخل وسماحته ومظهره، كنت أذهب إلى الموالد وأشترك في غناء التواشيح وأدرك أنني مصري قبل أي شيء آخر .

أما ثقافة الفتنة نفسها فهي شيء وارد علينا الآن .. إنها رؤيتي وشهادتي على زمن طويل عشته تلميذا وصبيا وطالبا في الجامعة، وعلى باب حياتي العملية ثم دخولي الصحافة وقضائي شوطا طويلا ، لم يكن واردا على الإطلاق؛ حيث إنه عندما أصبح التعليم رديئا صارت الفتنة متأججة، ومن هنا أشعر أن هذه الفتنة تم تصديرها إلينا وليست طبيعة المصريين بأي حال؛ لأنه لا يعقل أن يتغير شعب عبر عشر سنين وبالتالي فإن الفتنة اشتدت في زماننا هذا؛ لأننا سمعنا لأول مرة وأعترف بجهلي؛ لأنني لم أسمع طول عمري عن شيء اسمه السلفيون، ولم أفهم السلفية ولا أعلم من أين خرجت من الشقوق ؟

يقولون إن السلفي مسلم عاقل، أو سلفي عاقل، أو متشدد، أو صوفي، أو صوفي متأسلم، وإسلام سياسي، وسياسي متأسلم، كل هذه الأشياء جعلتني أحزن، وتسقط دمعة لم أكن أمنعها على مصر .

في زمن عبد الناصر .. كان (الإخوان المسلمين) تحت سيطرة جمال عبد الناصر، كذلك في عصر الرئيس السوري السابق حافظ الأسد كانوا تحت السيطرة، وفي عهد الرئيس السادات لم يعد (الإخوان المسلمين) تحت السيطرة، وقد قلت من قبل إن الإخوان المسلمين وعبد الناصر كانوا أصدقاء، بل الإخوان كانوا قد دخلوا الوجدان السياسي ثم غدروا به .. أما في زمن السادات فالله وحده يغفر له هو والراحل عثمان أحمد عثمان الذي أقنع السادات بأن ضرب الشيوعيين، لم يأت إلا بالإخوان .. وكان الإخوان في الزمن الأول قطة صارت نمرا فيما بعد .

وحين يظهر السلفيون بهذا الشكل الذي يتكلمون عنه فمعنى هذا أن هناك تصديرا لهذه الأفكار..ربما تصدير عربي .. أو أجنبي .. فالمصري

الذي يعرف ربنا يعرفه دون هذه الطقوس .. المصري يعرف الله دون أن يكون الإسلام هو الحل .. المصري يعرف الله دون أن يعرف أن السلفيين يقدمون له النصائح وهؤلاء خرجوا علينا منذ أن خرج عبود الزمر واحتفلت به الفضائيات؛ مما يؤكد أننا بلا تعليم حقيقي ونتلقى كل شيء يأتي من الغرب وإنني أشعر بالأسف .. عندما أقول (من الغرب) لأني لا أعرف كيف قفز هؤلاء من الثورة .. إنني أريد أن أقدم في هذه اللحظة نعيا لشباب الثورة (6 إبريل)، و(كلنا خالد سعيد) والائتلافات، إنهم في حالة غياب والسلفيون وآخرون في حالة حضور.

هذه شهادتي وأنا أراقب بنفسي المشهد السياسي الحزين .. وأتساءل هل ذقت نار أنك قبطي وتعرضت للاضطهاد ؟ الإجابة عن السؤال: لا، أنا بالتحديد لم أذق هذا لكنني ذقته من قبل حين خرجت على النت دعاوي من إسلام أون لاين .. تقول إنني شتمت الداعية المحترم عمرو خالد ولقبته براسبوتين، وأشهد وكما اتفق معي عمرو خالد بأنني لم أقل كلمة ولو في السر، أو داخل بيتي وفي نفس الوقت فإنني أعتز بعمرو خالد الذي قال أمام الملأ أنا داعية إصلاحي، وليس داعية ديني، وقد كتبت من قبل في أحد كتبي عدة أفكار منها:

1- لا استقواء بالخارج من جانب الأقباط .

2- لا تدخل مطلقا فيما يسمى بتدخل أوروبي أو غيره .

3- نحن لسنا أقلية، فأسوأ الكلمات في حياتنا السياسية هي كلمة أقلية.. نحن أغلبية بالمسلمين، والمسلمون أغلبية بنا، ومن هنا فأنا كمفيد فوزي سعد أعبر عن ذاتي وأدرك أنني عشت زمانا في مصر كاملا بالسماحة، وأريد أن أقول إنني عشت بعض الفتن السخيفة الواهية المحزنة الفاجعة في الصعيد حين يحدث خلافات بين تاجر مواشي مسلم وآخر قبطي فتنطلق الرصاصات داخل الصعيد وتكتب الصحافة إنها فتنة طائفية! أو عندما يحب

مسلم مسيحية أو مسلمة تحب مسيحيا فتنطلق الصحافة وتقول إنها فتنة طائفية ! إن ألمانيا بها 3 مليون نازي لهم أفكارهم ويعيشون في سلام ..

لماذا يا شباب الثورة لا تذهبون إلى حديقة الحرية المواجهة للأوبرا، وترفعون الشعارات وتقيمون المنصات، وتقولون كل شيء .. فحديقة الحرية اسمها يشير بالفكرة والناس تقول فيها ما تشاء وما تريد دونما عذابات ...

المشهد في رأيي بعد الثورة كأن الثورة قد قامت لإخراج البلطجية من جحورهم، وكأنها قد قامت لإخراج المساجين من محابسهم، وكأن الثورة قامت لترفع بشكل بشع سقف الطلبات والإلحاحات والأطماع! إنني أعرف جيدا أن الثورة كان هدفها الأول إسقاط نظام، ولكن ما جرى كان إسقاطا للدولة وهيبة الدولة .. إنني أسجل شهادتي هذه في أواخر نوفمبر 2011 وأشعر بقلق بالغ مما قد تصل إليه الأمور فلا هيبة لدولة، ولا صوت لقُوَى ولا حكومة تستطيع أن تحل أمورًا وإنما هي تسيير أمور، وأعتقد أن الأقلام لا تزال في جيوب الوزراء فلا يقدم أحد على مجرد شيء .

أسجل هنا أن أهم شيء قد حدث في حياة المصريين هو إلغاء التوقيت الصيفي.. فمصر عاشت بلا رئيس فما الموقف بالنسبة للأداء العسكري؟ ما زلت أرى أن هذا المجلس العسكري هو الضمان الكامل للحماية لملايين المصريين الذين يعيشون على هذا الوادي، ولو كان المجلس العسكري قد اختفى وعاد للثكنات فهذه كبرى المصائب ولهذا كنت فيما أتصور شجاعا جدا عندما طلبت من المجلس العسكري البقاء، وعدم الذهاب إلى الثكنات قبل أن تستقر أمور البلد .. الأجندة الخارجية أو الأجندة الداخلية أو طواحين الهواء الغامضة التي أقول إنها تدور لكي تقحم البلد في فوضى عارمة هي ضرب الشرطة وانكسارها، ولا يمكن أن يكون انكسار الأمن في مصر من داخل مصر فقط، بل إن له أبعادا مترامية رهيبة وأنا أسمع عن أرقام مبالغ فلكية تم إنفاقها في جمعيات مدنية، ومنها لبشر وهيئات كل هذه المعلومات

عند المجلس العسكري والمخابرات المصرية، ولكن السؤال لماذا لا تعلن هذه المعلومات، إنها قد تجرف البلد إلى مصائب أكثر؛ لذلك فإن ترشيح رجل عسكري سوف يحظى بالقبول، وقلت إنني أرشح الرجل العسكري لكي يكون هو الحاكم الشاكم لهذا البلد، ويقول بعض الأصدقاء هل نعود إلى العسكرية مرة أخرى؟ قلت ولو لمدة عامين اثنين حتى ترسو الأمور على الشاطئ .. بسلام .

هل هناك وزير واحد يفكر في لحظة مستقبلية؟ الإجابة: لا ..!

الثورة دوران للأمام ودوران للخلف، وهذه الحالة يسمونها دوران للخلف، ومقاومة الثورة في حالة دوران للخلف لاختطافها.

وسألوني بماذا تصف الذين انقلبوا على نظام مبارك ؟ وكانوا ينتمون له من قبل ؟

إنها سنة الدنيا بالنسبة لأصحاب المصالح، وما زلت أرى أن مبارك قد أخطأ، وأنه كان رئيسا واعدا لمدة عشر سنوات، وأنه لم يستطع أن يشكم بيته وأنه بعد فراق حفيده انفصل تماما عن مصر، ولم يعد إلا الصورة الرسمية والشبه رسمية وفي الفترات الأخيرة انسرق مبارك عن البلد .. كبلد ! أعتقد أن السن والمستشارين وحجب الحقيقة والإعلام المزيف هو السبب أقول هذا وأسجله في كتاب وليس صحيفة يومية أو أسبوعية .

أما لحظة تنحي مبارك فكانت ضرورية لأنه لو لم يتخل .. لصار حريق مصر أكبر وليس حريق القاهرة. وهذا التخلي أنقذ مصر من كوارث لا حدود لها .. وكان عاقلا قياسًا بما حدث في العالم العربي، فهو لم يهرب مثلما حدث مع بن علي في تونس، ولم يقتل بالطريقة البشعة مثل القذافي، ولم يفعل مثل بشار في سوريا، ولم يواجه مثلما حدث مع عبد الله صالح في اليمن .. وأنقذ مبارك نفسه بالتخلي، وقد قام عمر سليمان بدور بالغ الصعوبة في إقناع مبارك بفكرة التخلي التي كان يقاومها بشكل رهيب .

أما محاكمة مبارك فقد تابعتها بكثير من الحزن الشديد؛ لأن الأمر هو إنكسار إنسان، وكان الشعب لابد أن يرى هذه المحاكمة، وعندما قال القاضي محمد حسني السيد إبراهيم مبارك ورد بقوله : موجود يا فندم، شعرت بأنه يعبر عن مأساة إغريقية رهيبة فإن ابنه وزوجته وراء ما جرى، إنها لحظة درامية نادرة في حياة شعب .. كان بإمكانه أن يهرب ويسمى الرئيس الهارب وليس الرئيس المخلوع ..

إننا وجهنا إهانات لرئيس حكمنا ثلاثين عاما، وهذه الإهانات ربما لا نشعر بها الآن ولكن سوف يسجلها التاريخ أن الشعب المصري أهان رئيسه، ما المانع أن يحاكم بلا إهانات ؟!

لقد تحولت مصر في لحظة إلى ميدان التحرير، وميدان مصطفى محمود، ودوران شبرا، وميدان روكسي في مصر الجديدة، هل هذا هو الحراك السياسي ؟ إنني أرى أنه أكبر جروح مصر على الإطلاق .

إنني أسجل هذا الكلام في نوفمبر 2011 كنت أشعر أن هناك قطاع طرق، وسكان عمارتي الذين اجتمعوا لكي يضعوا أبوابا حديدية على أبواب الشقق .. وتساءلت هل الثورة تعني الخوف والرعب ؟

لم أتخيل أن تقام مظاهرة من شبرا تحمل فيها الصلبان والأناجيل ويسقط منها قتلى يصلى عليهم في الكنيسة ؟ هل الثورة هي أن يخرج الوزراء من الأبواب الخلفية للوزارات..؟ لم أتخيل أن قبطيا يذهب ليكون محافظا، فيقطعون السكة الحديد بين القاهرة وقنا ويرفضون أن يكون هذا الرجل محافظا؟

ويتردد السؤال على مسامعي هل أنت نادم على شيء كتبته وتريد أن تعتذر عنه ؟ أقول: لا؛ لأن الاعتذار فضيلة متحضرة، ولكني عبرت طول عمري عما أحسه وكتبت ما أعتقده وقدمت على الشاشة ما أراه وبالتالي لم أندم على ما كتبته .. لكنني ندمت على أيام عشتها ولا أعلم ما يدور في الكواليس !

إن أقسى ما عشته هو مسلسل نهب الثروات وكانوا عتاة في السلب والنهب أنا رجل بيتوتي، صحيح أنني كنت أعمل بالصحافة والتليفزيون، ولكنني كنت بعيدا تماما عن الصفقات المشبوهة وكانت معرفتي بها ضئيلة للغاية، ويوم أن قيل إن هناك صفقة مشبوهة في أسوان ذهبت لأحقق فيها بالصورة ولم تذع في التليفزيون، كذلك مصنع أجريوم في دمياط الذي له أثر سلبي على البيئة لم يذع أيضا، وأنا أشعر بعذاب شديد حين أحقق موضوعا ولا يذاع إنني أتظاهر فوق الورق وعلى الشاشة وليس في ميدان التحرير.

أتمنى أن أرى البلد يوما ما في حالة نضارة، وأميل إلى الإصلاح الحقيقي للثورة، لقد كنت قريبا من الدولة بقلمي وفكري، ومن العمل العام بجهدي وهذه هي كلمتي المهنية وشهادتي.

بعض من معاركي

"تلك هي جهودي

في وجه سهام حزب

أعداء النجاح"

المعركة..الأولى

من المهم أن أسجل فصلًا عن أولى المعارك التي عشتها وكانت مع صديق أعرفه أيام كان يصدر جريدة الجامعة، وكان طالبًا يكبرنا وله اهتمامات بالصحافة وله أسلوب جميل واسمه ضياء الدين بيبرس، وكانت أشد المعارك السخيفة في يوم ما حينما انطلقت إشاعة، ولم تكن في الواقع إشاعة خالصة بل كانت حقيقة مغلفة بإشاعة فقد أشيع بمجلة الكواكب أنني قادم كرئيس تحرير !

وكان الذي عرض هذه الفكرة الأستاذ منصور حسن وزير الإعلام الأسبق، قال إنه يريد أن تكون مجلة الكواكب مجلة فكرية اجتماعية فنية، وليس العكس، وقد سمع منه هذه المعلومة الأستاذ حسن إمام عمر الذي كان رئيسًا لتحرير مجلة الكواكب، وتربطه بمنصور حسن علاقة وثيقة فذهب حسن إمام عمر، وقال إن فلانا (يقصدني) قادم لرئاسة تحرير المجلة، فما كان من ضياء الدين بيبرس إلا أن أطلق مدافعه الثقيلة نحوي وحتى لا يكون هناك إحساس بأن هذه المدافع موجهة لشخصي الضعيف، أراد أن يجمعنا نحن الثلاثة الأستاذ كمال الملاخ والأستاذ نبيل عصمت وأنا، وكتب عنا الأستاذ نبيل عصمت في باب «أبو نضارة» في الأخبار، وأنا كنت أقدم باب «سماعي»، والأستاذ كمال الملاخ يقدم باب «بلا عنوان» في الأهرام، كتب بيبرس يقول إننا نحول هذه الأبواب في الصحافة إلى شقق مفروشة للعرب، كان الوصف سخيفًا، والمعنى أسخف، فلم نكن على الإطلاق نهتم بهذا الشأن أبدًا،

وزميلاي كمال الملاخ ونبيل عصمت من أنبل من عمل بالصحافة المصرية بلا شك،لكن ضياء الدين بيبرس حاول أن يوقف تقدمي نحو مجلة الكواكب، ولم أكن بالفعل طامعًا في أن أكون رئيسًا لتحرير مجلة الكواكب؛ لأنني مؤمن أن رئاسة تحرير المجلة يجب أن تأتي من داخلها وليس من الخارج، وأنه حين يأتي رئيس التحرير من خارج المؤسسة يضرب بسهام طائشة لا حدود لها وأنا كنت أريد أن أكون صحفيًا متميزًا، ولم أكن أسعى أبدًا لرئاسة تحرير صباح الخير، ولكن الأيام أتت بما لم أكن أتوقعه وتم اختياري لرئاسة تحرير مجلة صباح الخير، وليس الكواكب وتوقفت حملات ضياء الدين بيبرس الذي كان في أوائل أيامه لدخول المستشفى؛ حيث كان يعاني من حالة وهن وضعف شديدين، وقد قمت بزيارته مرة لست شامتًا ولكن لأن ضياء الدين بيبرس كان قد سمح لي يومًا أن أكتب في جريدة الجامعة بضعة سطور أسبوعية، وأنا من الذين يحملون كثيرًا فكرة الوفاء لأشخاص مهما كان قليلًا وما زلت أذكر كلمة ضياء الدين بيبرس، وهو على سرير المرض إذ قال لي: إن الشتيمة في الصحافة لا تلصق بل ربما تصيب المشتوم ولا تلتصق به في الحياة ولكنها تضايقه، ولذلك الشتائم في الصحافة هي فقاعات هواء تفرج عن مزاجات الكاتب ولكنها لا تؤدي إلى شيء كبير. لكنني حاولت أن أقنع نفسي بهذا الكلام، إلى أن جاء يوم رحيل ضياء الدين بيبرس.

أذكر أنني اختلفت مع ضياء الدين بيبرس وأنني عندما اقتربت من رئاسة تحرير مجلة الكواكب التي كان يكتب فيها أحد الأبواب، وبدأ حملته المسعورة ضدي ولكني لم أحاول أن أقنعه بالعدول عن هذه المحاولات، فهناك في الصحافة محاولات تسعد فاعلها بينما تستعدي شعور الآخرين، وبالطبع كان المفروض أو الهدف هو إبعادي عن رئاسة التحرير؛ لأنه كان هناك من يرى من داخل مجلة الكواكب من يصلح لرئاسة التحرير غير أن مجلة الكواكب تولت رئاسة تحريرها بعد ذلك السيدة حسن شاه، ولم تكن على الإطلاق من

داخل الدار ثم الأستاذ محمود سعد الذي كان محررًا في مجلة صباح الخير، وكان يكتب أسبوعيًّا بها، وعاش فترة في رئاسة تحرير الكواكب ثم استقال إثر عمله في التليفزيون.

المعركة الثانية

كانت مع الداعية الإسلامي .. عمرو خالد حيث إنني فوجئت على النت بشيء مفتعل على موقع إسلامي هو .. إسلام أون لاين، ودهشت منه جدًّا ولم تكن لي علاقة بالنت ولا كنت قد اقتربت منه أبدًا، ولم أهتم به فما زالت حتى الآن الجريدة الورقية محلا لاهتمامي، وما زلت أتعامل مع الورق بالقلم، وما زلت سعيدا بهذه العلاقة سواء بالجريدة الورقية أو الورق والقلم، ولكنني فوجئت باتهام لي بأنني أصف الأستاذ عمرو خالد بأنه راسبوتين ولا أدري من أين جاءوا بهذه المعلومة، فأنا لا أعرفه معرفة شخصية يقينية وربما لا أسمعه؛ لأنني ببساطة لا أهتم بكثير من القضايا، ولم أكن أسمع عمرو خالد على الإطلاق على شاشة (ART) المهم أصابني الذهول من هذا الاتهام ووجدت الناس قد اقتنعت بما قاله عمرو خالد أو بما قاله زبائنه .

والحقيقة أن عمرو خالد لم يقل كلامًا يضايقني بل إن بعض الناس في بعض المجلات أداروا حملات قاسية للنيل مني؛ لأنني أصف الداعية الكبير بكلام غريب بعيد عن قاموسي، ولكنها ساحة النت المغرقة في الباطل وليست ساحة فكر .

وظهر الأستاذ عمرو خالد في بعض المحطات وكالعادة كان السؤال : ما رأيك في أوصاف مفيد فوزي لك؟ وقد تدخلت بنفسي بمداخلات صوتية أشرح للأستاذ عمرو خالد أنني لم أقل هذا الوصف حتى في جلسات خاصة لكي يسجلها شخص، وبالتالي لم أكتبها في حياتي وتحديته أن يثبت لي إن

كانت هناك كلمات بنفس المعنى وأتذكر أن أصدقاء لي فتشوا جيدًا في كل ما كتبت، وقال الأستاذ عماد الدين أديب لقد حاولت أن أذهب بعيدًا في كل ما سطرته بنفسك على أن أجد هذا الوصف فلم أعثر عليه، ثم حدث أن جاءت لي الأستاذة هالة سرحان وكانت تقدم برنامجًا على قناة دريم، وكانت تشعر أن المجتمع بدأ ينظر لي نظرات غضب وخشيت من هذا العداء، ودار حوار مهم بيني وبينها ودخل في النقاش بعض الأصوات البعض يقف معي بقوة، والبعض يوجه لي السباب، وآخرون يتساءلون هل عندكم الدليل على ما قاله مفيد ؟ وبدأت عمليات بحث عن الأستاذ عمرو خالد حتى تم العثور عليه في لندن، وأشهد أن الأستاذ أحمد بهجت صاحب قناة دريم قال لهالة سرحان لابد أن يأتي عمرو خالد عبر الهاتف لكي ننهي هذه المشكلة بشكل حاسم، وجاء عمرو خالد وجرى بيني وبينه حوار كالآتي :

هل قرأت حرفًا يحمل توقيعي يثبت بأنك راسبوتين ؟ قال : لا.

سألني : هل قلت عني يا أستاذ مفيد أنني أسعى لتجييش الشباب ؟

قلت: نعم.

قال : ما هدفك من هذا التفكير؟

قلت : رأيتك وشاهدت خلفك جموعًا غفيرة من الشباب وأردت أن أفهم إلى أي اتجاه تأخذ الشباب هل هو اتجاه ديني أرفضه؟ هل هو اتجاه اجتماعي أؤيدك وأقف بجانبك فيه ؟

قال : من أين أتيت بأنه اتجاه ديني ؟ قلت: لأنك حينما تجلس مع الشباب لا تتحدث عن المجتمع، بينما تتحدث عن الدين، وظللنا نتجادل أنا وعمرو خالد على الهواء مباشرة بحضور هالة سرحان وانتهت الكلمات بعبارة صافي يا لبن حليب يا قشطة .

وقد رأى جميع الناس هذه القضية وبدأ البعض يظهر لي العداء الذي استنبطت منه شعبية عمرو خالد، وذات مرة كنت في بيروت أسجل برنامجًا

مع الصديق نيشان وهو من المحاورين الذين أعتز بهم بشدة، كما أعتز أيضا بزاهي وهبي الشاعر المذيع اللبق القادم من بيروت، وإذا بأحدهم يجلس خلفي يدق على كتفي دقات مهذبة .. التفت إلى الوراء فإذا به الداعية الكبير عمرو خالد، تعانقنا ورأى الناس هذا المشهد والبعض التقط صورًا؛ لأنهم كانوا يعلمون أن بيني وبين عمرو خالد معركة أظن أنها أثيرت بافتعال شديد مع قبطي مشهور لجس نبض المجتمع، واتفقنا في يوم من الأيام أن نلتقي وعندما جاءت ثورة يناير رأيت عمرو خالد بنفسه يقدم برنامجًا على القناة الثانية، ثم لم أعد أراه الآن.. ما بيني وبين عمرو خالد محبة من على البعد وأشعر أنه اتجه اتجاهًا إصلاحيًا، وهذا شيء جميل ولم تعد هناك معركة على الإطلاق .

سندريلا والعندليب

واحدة من المعارك النفسية هي قصة زواج سعاد حسني : أعتقد أنه امتلأت بها وسائل الإعلام حتى إنه كلما ذهبت إلى مكان سألني أحدهم عن حقيقة هذا الزواج، والحق أقول إنني التقيت بسعاد حسني في باريس، وكنت أقضي فترة النقاهة بعد جلطة الرئة وأذكر جيدًا أنني التقيت بها في فندق..
سألتها : ماتيجي نتكلم مع بعض .. قالت: يا ريت. قلت لها : متى ؟

قالت : غدًا الساعة 12 فقلت لزوجتي الراحلة آمال أنا سوف أنزل الساعة 11 لمقابلة سعاد حسني مشيًا؛ لأني كنت أسكن في فندق ميريديان اتوال، ووصلت إلى هناك وقابلتها وجرى الحوار كله في بهو الفندق، أتذكر أنني بدأت الحديث معها وتكلمنا كثيرًا وكان كل هدفي أن أخرج بحوار عن سعاد حسني بعد لحظة الانكسار التي حدثت لها من فيلم الترسو، وبدأت أتكلم وأتحدث عن الشخصيات في حوار عادي للغاية، حتى جئت عند نقطة قلت لها:

أليس غريبًا أن فيلم البنات والصيف تظهر فيه زيزي البدراوي حبيبة لعبد الحليم بينما تكون سعاد حسني شقيقته..؟ فجأة قالت سعاد حسني بثقة شديدة: أحسن .

فسألتها بإلحاح أحسن إزاي ؟ قالت لي : من الأفضل لي أن أكون شقيقته عن أن أكون حبيبته كان سؤالي : إيه الحكمة؟ قالت : لأ مفيش حكمة ولا حاجة لكن هو اللي يعرف عبد الحليم يبقى أخته مش حبيبته، قلت لها: إيه المشكلة؟ قالت: الحبيبة تكون مكلفة عن شقيقته، .. وقالت لي: آه أصل أنا عشت تجربة مع عبد الحليم خمس سنين في « الدرا» ففتحت وداني أكتر «بمعنى إيه في الدرا»؟

قالت : في السر .. قلت لها: جواز؟

قالت لي: اه، قلت لها: مع ليمو ؟ قالت: آه يا خويا مع ليمو صاحبك، فقلت لها :ويعني أنكم مكنتوش تتقابلوا ؟ قالت كان بيفوت علي وأنا بفوت عليه في وقت بعيد عن الأشرار!

سألتها : مين هم الأشرار ؟

قالت : أصحابه .. قلت لها: مسمياهم الأشرار؟

روت سعاد حسني كيف هي وعبد الحليم قررا الزواج السري بورقة نسخة منها مع عبد الحليم، ونسخة مع سعاد وكيف أن اثنين هما اللذان وقعا على العقد وهما السيدة نجاة والأستاذ محمد شبانة شقيق عبد الحليم قلت لها كده جه في لحظة من اللحظات، وقلت له: يا حليم لازم نعلن الجواز فقال: لأ، قالت له: ليه ؟ قال لها: لأن فني قبل حياتي الخاصة، قالت له كده أنا كمان أنا عايزة فني، وادوس على حياتي الخاصة، قال لها : وهو كذلك .

وخرجت سعاد حسني من حياته، وغضبت غضبًا شديدًا رهيبًا أدى إلى أنها جاءت إلى بيتي وكان أبي وأمي لا يزالان على قيد الحياة، وقضت ثلاثة أيام كاملة ولم تتناول شيئًا ولم تسمح لأحد أن يتحدث معها، ولم أدر ما سبب الحزن المكتوم في عينيها، قالت لي : فاكر عندما جئت البيت عندك ووالدتك

كانت بتحاول تدخل لي الشوربة وبعدين تلاقي الشوربة زي ما هي تسقع وأنا نايمة في غرفتك، وأنا كنت أنام في غرفة نطلق عليها غرفة الجلوس وقلت لها: ولماذا جرى هذا؟

قالت لي: اسأل صاحبك .. بعد هذا الخلاف ظل عبد الحليم يبحث عنها فترة طويلة جدًّا وإنني قررت أن أكتب هذا الخبر، وكان يسأل عنها كل البشر، وظهرت سعاد حسني فيما بعد ولكن العلاقة كانت قد انتهت، ولم يعد هناك شيء على الإطلاق أو أي خيط لمحاولة العودة مرة أخرى، وأشهد أن عبد الحليم في تلك اللحظات لم يكن قد همس لي بالخبر الذي كنت أعلمه، وكان دائم الحرص على زيارة سعاد، وفي مرة من المرات كان عنيفًا معها حين قال لها إن طقم الكنب الموجود في الصالون ينبغي تغييره؛ لأنه لا يتناسب أبدًا مع فنانة في حجمك يا سوسو، ولكن سوسو كانت مشغولة بلعب الورق وكان هذا هو طريق النهاية فيما بعد .

عدت إلى القاهرة وفرغت الشرائط، وكنت وقتها رئيسًا لتحرير صباح الخير واستدعيت الأستاذ عبد العال الرسام، وقلت له من فضلك ارسم تصور لسعاد زوجة لعبد الحليم وظهر غلاف عليه صورة للعروسة سعاد حسني والعريس عبد الحليم حافظ، وبدأت الحرب والمعركة من الأستاذ مجدي العمروسي .. سعاد عاشت كل هذه التفاصيل أثناء النشر وقد أرسل الأستاذ مجدي العمروسي، خطابًا طويلًا للأستاذ عماد الدين أديب لنشره في جريدة «العالم اليوم»، أو «سيدتي»، أو «كل الناس»، التي يصدرها عماد الدين أديب ويرأس تحريرها بهدف القول بأن الحديث مفبرك .

ولكن يعز على نفسي أن سعاد حسني كانت تقرأ كل ما يوجه إليَّ من اتهامات، وتصمت ولا تتكلم وكنت أقول دومًا لكل من يهاجمني في هذه المعركة إنه بإمكان سعاد حسني أن تتقدم للنيابة باتهام ضدي خصوصًا

أنها متزوجة من الأستاذ ماهر عواد كاتب السيناريو وأن هذا الادعاء لسعاد حسني يعرضني للمساءلة القانونية.

بعض الناس كانوا يعلمون الحقيقة منهم لبيب معوض المحامي وكمال الطويل ووجدي الحكيم، لكن الأستاذ عصام بصيلة كان حريصًا من حين لآخر على أن يقول لنا أبرز لنا الشريط لكي نتأكد، والحقيقة أن الشريط التهمته النيران التي التهمت بيتي ذات صباح وجلسنا أنا وآمال في فندق، وفترة جلسنا عند حنان في بيتها، حتى يعاد بناء الغرف التي احترقت، وكان هذا الشريط من بين شرائط كثيرة احترقت في هذا الحريق .

بعض الصحفيين كتب في هذا الموضوع يعتبره غير صحيح، وزادت الشائعات ورأيت الأستاذ لويس جريس يجلس في أحد برامج التليفزيون يجيب عن سؤال ما رأيك فيما كتبه مفيد فوزي عن سعاد حسني؟ فقال لما أتى الموضوع لم أصدقه، وفي الحقيقة إن لويس جريس لم يكن رئيسًا للتحرير، فقد كنت أنا رئيسًا لتحرير صباح الخير، بعد لويس جريس ونشرت الموضوع وأنا رئيس تحرير، ولكن ما قاله لويس كان ترديدًا لما قيل في ذلك الوقت، إن شقيقة سعاد حسني أقرت بأن هذا حقيقي بل إن شقيق سعاد أقر بذلك أيضا، وهو شقيق نجاة من الأب قال لي في التليفون إنه يعلم جيدًا قصة زواج سعاد من عبدالحليم، وكانت تثق فيه فكان يقول لها اثبتي وربنا لن يتخلى عنك وخليكي لفنك، وطالما هذه القصة انتهت انتي اللي يسيبك سيبيه وبعض أسرة عبد الحليم منهم محمد شبانة، كان يعلم بالحقيقة ولكن السيدة علية شقيقته كانت تنكر أن حليم تزوج من سعاد، والغريب أن سعاد كانت تلتزم الصمت، وأنا وسط هذه المعركة التي لم أكن أعتبرها معركة على الإطلاق إلا أنني لم أذهب لسعاد بقصد أن أفتش في أرجائها عن عبد الحليم، بالعكس عندما عدت وكتبت الحلقات كانت تطلبني في التليفون وتقول : أرجوك أن تضيف كلام حلو عن كمال الطويل، وصلاح جاهين وأن تحذف من كلامي عن نجاة كذا وكذا .

وهكذا كان الحال بيني وبين سعاد حسني الساكنة في 18 شارع يحيى إبراهيم بالزمالك، وكنت أنشر، والغريب أن سعاد عندما كان الحوار يجري، لم ترد أبدًا على أحد فقد كانت تجري بطريقة الفنانين كلامًا يجمع بين الحقيقة والخيال، لم تجرؤ أن تقدمني للنيابة؛ لأنه كان معي الشرائط وكنت أحتاط جيدًا، بأن أحتفظ بها في مكان أمين، ولكن النار التي شبت أكلتها هي وملابسي وكتبي وفي أواخر أيام مجدي العمروسي، قابلته في محل خرستو في الهرم، ولم أكد ألمحه حتى ذهبت إليه معانقًا، وكان قد وصل إلى حالة من الضعف الرهيب فقال لي: سامحني دي كانت شقاوة بس صاحبك كان مخبي علينا كلنا، فقلت له: ومخبي علي أنا كمان فقال لي : وهو ده اللي أنا فهمته. قلت له أكن أعرف الحقيقة لولا إن سعاد روتها لي .

بعد هذا تقريبًا لم يستطع مجدي العمروسي أن يدلي برأيه مرة أخرى في أي أحاديث صحفية، لكن كل الصحفيين اتهموني بفبركة الموضوع، وما كنت في حاجة للفبركة على الإطلاق .. وظلوا في حالة صمت؛ لأن شقيقة سعاد كانت تعرف وكذلك شقيقها ونجاة نفسها فيما عدا شقيقها الذي اقتحمت صمته، وذهبت إليه في شارع الهرم وسجلت معه في حديث المدينة تجربة سعاد حسني مع عبد الحليم ولا يزال حتى الآن أصداء زلزال خبر زواج سعاد وعبد الحليم، مطروحًا في الصحافة معي ومع غيري، ولا تزال هناك في الآونة الأخيرة حكاية مذكراتها التي أدت بها لطريق الموت .

وكنت أقدم شهادتي لكن سعاد لا تستطيع أن تمسك بقلم وتكتب سطرين اثنين، فهي تكتب اسمها ولا شيء آخر، وهي موهوبة بشكل منقطع النظير، ولكنها ليست مثقفة، لذلك لا أظن أنها كتبت مذكرات، وإلا وقعت هذه المذكرات في أيدي أحد، أنا عندما أنظر لأهم جهة تحقيق في العالم وهي اسكوتلاند يارد التي أغلقت الملف، لا أظن أن وزارة الإعلام في مصر طلبت من اسكوتلاند يارد أي البوليس الإنجليزي أن يقدم إقراره وتقاريره للمحكمة

التي قيدت الأمر ضد مجهول واعتبرته انتحارًا أو شيئًا من هذا القبيل وهذه المعركة كانت نفسية في الواقع، وقد كان في خيالي أن أحذف كل ما يتعلق بزواجها من عبد الحليم وأعود إلى بر السلامة، ولكن حينما سمعت ما قالته رأيت أنني أمام صيد ثمين؛ لأن الناس تعاطفت بجنون مع حب سعاد وعبدالحليم بل إن سعاد وعبد الحليم كانا أسطورة عاطفية تعيش داخل ناس كثيرة، وهذه هي المعركة التي دخلتها في قضية سعاد حسني وزواجها من العندليب .

حوارات . . ما بعد الثورة

"هذه آراء فرضتها أجواء ثورة
الشباب وليست الهيكل النهائي
لمعتقداتي"

الحوار الأول :

كنت أتلصص على المسحراتي ..

انت تلميذ فين يا ولد؟

في مدرسة بني سويف الثانوية.

وما الذي جاء بك إلى هنا؟

قررت أن أراك..

لماذا؟

معجب بك.

الذي يسأل هنا، هو الفنان الراحل محمود المليجي، والذي يجيب هو الطالب - وقتها- مفيد فوزي. أما المكان فكان على مقهى في شارع عماد الدين، إنها جرأة مفيد فوزي الذي قرر بعد أن قدم أوراقه في كلية الآداب أن يبحث عن هذا الفنان العبقري، ويتجاذب معه أطراف الحديث وكان له ما أراد. وكأن «الاقتحام» و«الجرأة» و«المغامرة» التي تعد من مفردات الكاتب والإعلامي مفيد فوزي، راسخة بداخله من أيام الطفولة والصبا.

ذهبت إليه حتى أعيد معه ذكرياته عن رمضان في تلك المحافظة البسيطة - بني سويف - فوجدته يمسك في يده عدة صور مازالت حاضرة في ذهنه «المسحراتي»، الذي كان يتلصص عليه من وراء باب و«المدفعجي» الذي كان يريد أن يراه، وصانع «الكنافة» الذي يصنع دائرة تشبه الحياة.

بعد أن جلست في غرفة مكتبه وجدته يبرز مقالا عنوانه «أبي فوق الشجرة»، لابنته الكاتبة حنان مفيد، وبعد دقائق سألته عن باب الحديد

الجديد الذي وضع على باب العمارة التي يسكن فيها، وبالمناسبة نفس الباب وجدته على عمارة الروائي خيري شلبي فقال: حتى أشعر بالأمان، خاصة ونحن في مرحلة غاب فيها الأمن والأمان لكنني لم أسأله عن مقال حنان فربما الشجرة التي تقصدها هي شجرة الحياة، لكاتب وإعلامي يعشق الحياة، وإلى نص الحوار:

● إذا ما عاد الكاتب مفيد فوزي بالذاكرة إلى الوراء ليتذكر طفولته في رمضان فماذا يتذكر؟

- كل ما أذكره في طفولتي عن رمضان أنني كنت أترصد المسحراتي وكنت أسهر بالليل حتى أراه وعمري وقتها 12 سنة.

● وكيف كنت ترصد حركته؟

- من وراء الباب أفتح الباب قليلا بفتحة صغيرة حتى لا تحدث صوتا، وكان هدفي من فتح الباب هو أن أنزل، وأواجهه وأسلم عليه، وكنت أحتفظ بأكياس ملبس ونفسي أعطيه ملبس.

● اشمعنى الملبس؟

- معرفش إنما كان يثير بداخلي الدهشة، في زمن لم تكن الدهشة فيه قد هاجرت من قلبي بالعكس كانت الدهشة مستقرة في صدري وقلبي، فطفولتي وقتها كانت تدعوني لهذا الفضول وقد مر رمضان واثنان وثلاثة وكنت أتابع وأرصد المسحراتي، وقبل أن يضرب على «طبلته» كان النعاس يداهمني فأنام وكنت أحلم أني أراه.

● في الحلم؟

- نعم.. في الحلم وكنت أرى ملامحه، بالنسبة لي عبارة عن رجل يرتدي ملابس «مزركشة»، ولا أدري لماذا جاء المسحراتي في الحلم على هذه الصورة، غير أني أدركت فيما بعد أنني أحترف مهنة المسحراتي.

● **كيف؟**

- هو على «الطبلة» وأنا بـ«الحرف» وإن طبلتي التي تدق هي الكلمة. أيضا حدث لي في رمضان شيء لأول مرة، حين نُبِّهتُ ألا أكثر من أكل السكر، وأنا كنت قد وقعت في غرام ما يسمى بـ«الكنافة»، وأنت تعلم أنني أصبت بالسكر وأنا أتعامل معه بالأنسولين، إذن أنا وقعت في غرام «الكنافة».

● **رغم السكر؟**

- رغم كل شيء وقعت في غرامها لدرجة أنني كنت أذهب للفرجة على هذه الحركة الذكية لرجل، وهو يصنع الكنافة، وأندهش من أنه يصنعها بمهارة شديدة جدا وكيف يرسم الدوائر وكانت تستوقفني الدوائر.

● **لماذا؟**

- ربما للحركة الفنية فيها، ولعل هذا الأمر جعلني فيما بعد أنتبه إلى ما يسمى بفكرة «الدائرة»، ما هذا التَّماس الموجود فيها وأين نقطة الارتكاز؟ وهل هذه الدائرة هي الحياة؟ وهل ما خارج الدائرة هو الكون، وهل نحن نعيش على هذه الأرض في هذه الدائرة وما هذه «المنعرجات» الغريبة؟

● **كل هذا في شكل «الكنافة»؟**

- آه.. وكل هذا فيما بعد استوعبته لكن في تلك الأيام الأولى، كانت المهارة لدى صانع «الكنافة»، هي محطة دهشتي الأولى وكان هذا الرجل الذي يصنعها يوازي فيما بعد الرجل الذي قابلته في الجمالية؟

● **ومن هو هذا الرجل؟**

- صانع «فانوس» رمضان؛ لأن الفانوس أيضا استوقفني وعندما ذهبت أعمل تحقيقا تليفزيونيا....

● **كمحاور؟**

- نعم.. وكان ذلك في رمضان ووجدت حالة من الدهشة تحيط بي.. ما هذا الفانوس؟ وكيف هي ألوانه؟ وكيف يخرج للأطفال؟ وأثناء حديثي مع هذا الصانع «تهت» منه لثوانٍ ثم عدت إلى طفولتي.

● **بالمناسبة أين كانت طفولتك؟**

- في محافظة بني سويف في شارع يسمى الرياض، وفي نهايته ميدان يسمي «ميدان حارث» أحد الميادين المهمة في تلك المحافظة البسيطة، وكنت أرى كيف يصنع الفانوس؟ وكنت أجلس أتفرج ثم أعود للمنزل وفي مخيلتي صور مهارة الرجل الذي يصنع الفوانيس وقد كنت أعمل مجلة - في طفولتي - أنا كاتبها وقارئها وهي عبارة عن كراسة أقطعها على جزءين.

● **هل كان لها اسم؟**

- نعم.. كان اسمها «مجلة شمس الفكر» وكنت أعرضها على رجل اسمه «يوائيم جبريال» المحامي، وكان يسكن في المدينة، وكنت أزوره في مكتبته.. بالمناسبة كان هذا الرجل عضو اللجنة التي وضعت دستور 23.

● **وماذا كنت تكتب في هذه المجلة؟**

- كنت أكتب تجربتي مع الفوانيس وكانت كتابة - وقتها - بشكل ساذج جدا، وكان عندما يقرأها يقول لي: دعك من المكتوب.. احكِ لي، ولأول مرة أكتشف كيف أن الحكي عندي - أحيانا - مهم.

● **وهل أفادك هذا الاكتشاف فيما بعد؟**

- نعم.. عندما أصبحت كاتبا وجدت الصورة دخلت من حيث لا أعلم؛ خاصة وأنا من أوائل الناس الذين أدخلوا التحقيق التليفزيوني وجعلوا الناس يتعاطونه مثل الدراما، وكذلك الصورة دخلت معي في برنامجي التليفزيوني ومن قبله في الصحافة.

● **هذا الاكتشاف كان للمحامي «يوائيم جبريال» أليس كذلك؟**

- نعم.. أتذكره وهو يقول لي «دعك من المكتوب احك لي».. ولعله كان يريد أن يقيس لديّ القدرة على فن التخيل، وتذكر أن التخيل هو المادة الخام للكاتب وبدون تخيل أنت لا تستطيع القفز إلى المجهول، والكتابة في حقيقة الأمر، ما هي إلا مغامرة فوق الورق، هذا التخيل المبكر، أخذني أيضا في رمضان إلى الرغبة في رؤية لحظة انطلاق «مدفع» الإفطار.

● **وما الذي منعك من اكتشاف تلك اللحظة؟**

- لأني كنت طفلا صغيرا، وكان الرجل الذي يطلق المدفع في آخر المدينة وكان نفسي أن أراه وهو يقول: «مدفع رمضان.. اضرب».

● **وماذا كنت تريد أن ترى فيه؟**

- تعاريج رقبته، وهو يقول: «اضرب» كنت أريد أن ألتقط لحظة هذه الحماسة، إذن بائع الكنافة وصانع الفوانيس وضارب المدفع، جذبوني في فجر العمر لرمضان.صور أدخلتني عالم التخيل؛ لأنه لم تكن هناك في الطفولة أشياء تخلق التخيل لديّ، فلم أكن رياضيا إنما كنت أسمع أن في بني سويف حاجة جميلة اسمها حمدي رضوان.

● **ومن هو حمدي رضوان؟**

- هو لاعب كرة في بني سويف وذات مرة ذهبت إلى مقهى حتى أراه وهو جالس، وتندهش أكثر عندما أقول لك إنني كررت هذه العملية عندما ذهبت إلى مقهى «ريتش» في شارع عماد الدين؛ حتى أرى محمود المليجي وهو جالس على المقهى.

● **ولماذا؟**

- محمود المليجي جذبني لأنه كان رجلا طيب القلب جدا.

● **وهل رأيته على المقهى وقتها؟**

- طبعا.. وتجاذبنا أطراف الحديث.

● **ماذا قلت له وماذا قال لك؟**

- يومها قال لي: أنت تلميذ فين؟ قلت: في مدرسة بني سويف الثانوية وانتقلت إلى القاهرة في كلية الآداب، قال: ما الذي جاء بك إلى هنا؟ قلت: انت! لأنني معجب بك! قال: إشمعنى؟ قلت: لأنني رأيت لك فيلم «عدو المجتمع» قال: آه، وقبل أن يكمل قلت مع الفنانة عقيلة راتب.. رد: ما الذي عجبك فيه؟ قلت: المشهد الذي ظهرت فيه وهم يصوبون عليك الرصاص وقلت: أبو داود مايخفش من الرصاص، ارم اللعبة اللي في إيدك، وأخذت بالي من انك ركزت عينيك في عينيها فألقت بالمسدس، فقال: ما الذي أعجبك في هذا المشهد؟ قلت: قوتك، قال: بس أنا غلبان جدا.. أنا بره التمثيل لم أمسك مسدسا، قلت: لكن هذا جانب غريب في حياتك فقال: إنت صحفي يا ولد؟

● **اكتشفك - كصحفي - محمود المليجي؟**

- تقدر تقول كده وأنا استفدت من مفردات الحياة حولي.. ولذلك أنا أرى أن طفولتي كانت غنية بالصور وفقيرة جدا باللعب.

● **لماذا؟**

- لأنني لم أعرف اللعب في حياتي ووالدي لم يأت لي بلعبة في حياتي، ولا عمر أحد أهداني لعبة، ولا خالي الذي كان يأتي من القاهرة، جاء ومعه لعبة لهذا الطفل الصغير.

● **حرمانك من اللعب و«اللعبة» وأنت طفل ماذا فعل؟**

- حرمني من جزئية الحنان؛ لأن اللعبة هي مصدر للحنان بدليل أنني فيما بعد عندما سافرت اليابان - كصحفي - ومعي الرسام «رجائي» الذي

ذهب معي ورفض العودة وتندهش أنني عندما ذهبت في طوكيو إلى مصنع لعب أطفال رأيت قطار «لعبة» نسيت رجائي ونفسي لدرجة أني عدت للفندق في العاشرة مساء لأنني فقدت الطريق.

● **وكيف عدت للفندق؟**

- عن طريق السفارة وسألت أنا «نازل» فين؟

فقال: في فندق كذا.. وأرسلوا معي من أوصلني للفندق؛ لذلك تستطيع أن تقول إنني عشت الطفولة فيما بعد، وحتى هذه اللحظة إذا ما دخلت مكتبا فيه «طيارة» تجدني - دون أن أشعر - أمسك أجنحتها وكأنني أمسك جزءا من طفولتي، وأنا صنعت أسئلة كثيرة من طفولتي وظلت مختزلة بداخلي حتى الكبر.

● **بمعنى؟**

- بمعنى أن هذه الأسئلة كانت مخزونة في صدري، وفي لحظة ما تنفستها على سبيل المثال أنا في بداية العمر، عرفت فتاة وأحببتها من طرف واحد وظللت أحبها حتى استقلت قطار الساعة الخامسة من بني سويف، وأنا واقف ويظل السؤال في رأسي إلى أن أسأله للراحل العظيم نزار قباني حب امرأة من طرف واحد.. ما هو؟ فقال: حافز للكتابة، وسألت العبقري يوسف إدريس نفس السؤال فقال: «نفحة هواء لا أمل فيها» فقلت: يبدو أنك يا أستاذ لا تحترم سهري وجهدي فقال: لا يكتمل إلا إذا كان له طرف آخر، ثم قال: السالب عندما يقابل سالبا لا قيمة له لكنه يصبح معادلة إذا عانق الموجب.

● **إذن طفولتك وصباك - كما يقال - لم يذهب هدرا؟**

- بالضبط.. حرماني من اللعب واللعبة في الطفولة لم يؤثر عليّ بشيء سيئ إنما قد يكون ترك في صدري الدهشة مازالت ساكنة.

● نعود من الدهشة إلى الواقع على باب العمارة التي تسكن فيها والعمارة التي يسكن فيها الروائي خيري شلبي باب من الحديد جديد ما السبب؟

– الأمن.. عندما ينفلت الأمن ويموت الاستقرار وتصبح البلطجة منهجا، فلابد أن تتحفظ وتضع على العمارة التي تسكن فيها بابا من الحديد، وهذا الذي حدث في عمارة خيري شلبي شيء طبيعي، وقد فعله مائة من أصدقائي من الشخصيات العامة، وأعتبره شيئا طبيعيا.

● وهل قامت الثورة لتسجن الناس وراء أبواب من الحديد؟

– بالطبع لا.. لكن أنا لا أستطيع أن أسير في الشارع، ولقد وقف زوج ابنتي وحفيدي مع اللجان الشعبية لحماية المنازل والسيارات من التكسير.

● وإلى ماذا يرمز الباب الحديدي الذي بدأت الناس - أو أغلبها - تضعه على منازلها؟

– رمزه أنك فقط تريد أن تنام آمنا، أنا أفتقد الأمن، الزمن مصطلح «رسمي» إنما أفتقد الأمان، والأمان أنك تنام في بيتك وأنت آمن، ولقد توقفت عند جملة للدكتور يحيى الرخاوي قال فيها: أخشى أن نحن إلى زمن كان فيه الأمن رغم القهر، وهذه عبارة في غاية الخطورة، ومازلنا نراهم وهم يلقون القبض على بلطجية بصورة غير طبيعية، ثم دخل علينا ناس من الخارج ثم رأينا الحوادث وكأنها جزء من طبيعة المجتمع، لكن التحول الديمقراطي في بلد، يفرض حالة من اختلال المعايير وسوف يعرف في يوم ما كيف أن الأطفال فيما بعد قد أصيبوا بالفزع لذلك نحن لسنا إنسانيين بالمرة، لكن مما لا شك فيه أن باب خيري شلبي وباب مفيد فوزي تم على اجتماع مجلس إدارة العمارة.

● وهم الذين أخذوا القرار بالباب الحديد؟

– بالطبع.

● **طيب اجتماع مجلس إدارة الدولة متى يتم؟**

- لا أدري إلا أن الذي حدث أنه أسقط نظاما وأسقطت دولة وعبر حاجز الخوف، وكذلك حاجز الاحترام، وهيبة الدولة سقطت وأظن أن الدولة ستعود عندما يكون لدينا رئيس وبرلمان إنما اليوم نحن نعيش بنصف حكم.

● **كيف؟**

- لأن المجلس العسكري قائم بمهام رئيس الجمهورية، والوزارة لا تحسم شيئا، ودولاب الحياة متوقف، وأحيانا مجمع التحرير، ولن تجد مستثمرا يأتي في هذه الظروف.

● **والحل؟**

- في انتظام الحياة والعمل.. عندما يحدث ذلك ستكتشف أنك أمام دولة إنما الآن أنت لست أمام دولة.

● **عندما يأتي الرئيس والبرلمان أليس من الوارد أن تخرج وتطالب بإسقاطه سواء رئيسا أو برلمانا؟**

- هذا هو الخطر الحقيقي، أخطر شيء أن يستمر منطق المظاهرة ويسري في عمر الدولة إلى أمد الآمدين، لكن أظن أن الديمقراطية ليست بهذه الصورة، وأمامنا العالم لا أحد يذهب للبيت الأبيض أو أمام قصر الملكة في لندن، مادامت الانتخابات قالت كلمتها فعلى الجميع الالتزام، والالتزام يصنع دولة وما دون ذلك تصبح فوضى.

«نشر بصحيفة الوفد يوم الأربعاء

10 أغسطس 2011»

الحوار الثاني :

● مفيد فوزي يسأل حسني مبارك: لماذا لم تشكم بيتك؟!

أجرى 4 لقاءات تليفزيونية، و3 أحاديث صحفية مع مبارك، و9 حوارات تليفزيونية مع 3 وزراء داخلية، و4 حوارات مع 3 رؤساء وزراء، وكان ضيفا دائما على طائرة الرئيس السابق، وأتيح له ما لم يتح لغيره بشهادته كل ذلك، كان الحصاد الإعلامي لمفيد فوزي. والذي أكد أنه لا يستطيع أن ينفي صلته بالنظام السابق.. ولا يعنيه أن يحسبه أحد على هذا النظام، ولكنه كان «يخدم مصر». بل يؤكد أنه كان رأس الحربة لثورة يناير. .تعالوا نتابع الحوار التالي:

● في البداية سمعنا أن هناك قرارا صدر بإيقاف برنامجك حديث المدينة.. فماذا عن ذلك؟

- برنامجي لن يتم إيقافه مطلقا؛ فأنا سوف أقدم حديث المدينة بعد العيد وهذا عيب في الإعلام الآن، وهو أنه يقول أي شيء، فهذا البرنامج الآن عمره 12 عاما وسوف يستمر لسنوات أخرى.

● ولكن هناك من فرح عندما سمع بأن البرنامج تم إيقافه، ومن قال إننا سنستريح من الاستفزاز، وإن مفيد فوزي انتهى بانتهاء البرنامج.. فما ردك على ذلك؟

- لن أفترض شيئا لم يحدث فأقول لهم أنا موجود.

● ولكن هل ترى أن هذا البرنامج له مكانة بعد الثورة التي حدثت؟

- حديث المدينة عبارة عن تحقيق تليفزيوني أسبوعي، وأول برنامج في مصر من هذه النوعية ولن يتغير وسيبقى.

● لو أن هناك تحقيقا تريد أن تقوم به الآن فماذا سيحدث؟

- سهرة في طرة أتمنى أن أقضيها بين الزنزانات ليس للتشفي، ولكن

لتقرير واقع وتسجيل ندم .

● **بعيدا عن البرنامج.. ما ردك على من يحسبك على النظام السابق وأنك جزء منه ويجب أن تبتعد؟**

- لا يعنيني كل هذا الكلام على الإطلاق، ولا أهتم به فما أؤكده أنني دائما ما أخدم مصر وأستطيع أن أقول إن مهنيتي حماها الله.

● **وهل تتبرأ من لقب «محاور الرئيس» وتنفي صلتك بالنظام؟**

- ولماذا أتبرأ أو أنفي؟ وكيف أقول إني ليس لي صلة بالنظام، وأنا عملت أربعة لقاءات إعلامية، وثلاثة أحاديث صحفية مع مبارك، وتسعة أحاديث مع وزراء داخلية وأربعة مع رؤساء وزراء، وبالرغم من كل ذلك فأنا أخدم المهنية مادمت لم أعتد على شبر من أرض هذا الوطن، وردا على أي كلام يقال عني فأستطيع أن أقول إن أي إعلامي في مصر كان يحلم بإشارة، وأنا رجل مهذب ولا أريد أن أقول أسماء 26 شخصا كانوا يتمنون الحوار مع مبارك، ولكن زلزال الثورة أطاح بكل هذا.

● **ولكن ألا ترى أنك بذلك كنت مميزا عند السلطة؟**

- ما أريد أن أقوله أني بجانب الحوارات السبعة مع مبارك كنت دائما في طائرته فجلست معه مرات كثيرة، وتستطيعون أن تقولوا إني رأيت مبارك 100 مرة، وما أتيح لي لم يتح لغيري.

● **وما السر في ذلك؟**

- تاريخي هو السر فأنا ابن ماسبيرو الأول، والذي حمل التليفزيون وهو على (سقالة) فبالتأكيد لي مصداقيتي، كما أن عمري في المجتمع المصري 54 سنة، وبالرغم من العمر الذي قضيته في الشارع المصري فلم أفكر في أنهم سوف يقومون بثورة، ولكن الفيس بوك فاجأني وبالأخص شباب الثورة الذين قدموا أعظم شيء.

● ألا ترى أنه من الغريب أن تكون إعلاميا من النظام السابق، وتتحدث عن الثورة ونجاحها ألا تعتبر ذلك تحولا يضعك ضمن المتحولين؟

– يجب أن نعلم أن هؤلاء الشباب لم يتحركوا إلا بعد ما قمت أنا وجيلي بشحن عقول كل شباب الثورة فكنا رأس الحربة التي قادت الثورة، ولا يوجد مثقف مصري واحد ولا فنان لم يكن متمردا بداية من أحمد بهاء الدين، ومصطفى محمود، ويوسف إدريس، وعبد الرحمن الشرقاوي، فكل هذه الأجيال مرورا بالصف الثاني والثالث في الصحافة المصرية كانوا رأس الحربة، فأنا في برنامج حديث المدينة كنت أقدم حلقات مخيفة والناس كانت في حالة استغراب مما أقدمه، وتتساءل كيف يظهر هذا ولكن كان يظهر ولكنه كان (ولا بيهش ولا بينش) مع أحد.

● هل عندما جلست مع مبارك وحبيب العادلي شعرت. ولو للحظة. أن مصيرهما سيكون ما حدث؟

– عمري ما تخيلت أن مبارك يمكن أن يصل إلى هذا المصير، ولكن إرادة الله أقوى، أما حبيب العادلي فتخيلت أنه من الممكن أن يخرج من الوزارة بتهمة التقصير، ولكن لم أتصور مصيره الآن وهو في السجن.

● هل أنت مع العفو عن مبارك؟

– العفو عند المقدرة، فالمحكمة تصدر قرارها والشعب يرى ما يراه.

● لو جاءتك الفرصة لتحاور مبارك الآن فماذا تقول له؟

– إذا وافق المجلس العسكري على ذلك فسوف أذهب فورا لعمل هذا الحوار المهم، وسيكون السؤال الأول: لماذا سمحت لبيتك أن يتحكم فيك، ولماذا لم تستطع أن (تشكم) هذا البيت وتصبح سي السيد؟

● وماذا لو كان الحوار مع حبيب العادلي؟

– سوف أسأله: لماذا لم تحقق عن طريق جهاتك الأمنية في كل التقارير، وتقدمها لرئيس الدولة لتكون الصورة واضحة تماما، وكيف يا رجل أن

مجموعة من حماس دخلوا السجون وأخذوا سجينا وبعدها بساعات ظهروا في غزة، فكيف تركت الحبل على الغارب؟

● **وماذا تقول لجمال مبارك؟**

- أقول له يا رجل لقد فعلت بالبلد أفظع ما فعلت، وقد جنيت ثمار سوء عملك.

● **وماذا عن علاء مبارك؟**

- أنا لا أعرفه، وهو بعيد تماما عن السياسة، وعلاقته كانت بالبيزنس فقط، ويجب أن يحاسب على ما قام به في ذلك الأمر من أخطاء، وحتى الآن أقول له (الأستاذ علاء مبارك) لأن المحكمة لم تدنه وحين يدان سوف أغير ذلك.

● **لو تحدثنا عن الإعلام المصري بعد الثورة فكيف تراه؟**

- الإعلام المصري في واقع الأمر ليس في عافيته فهو يحرض أحيانا، ويسند اتهامات لم تثبت بعد، وأنا حين أتكلم عن الشخصيات العامة التي هي رهن التحقيق لم أقل عن شخص ما شيئا واحدا، فكنت عفيفا في الكلام؛ لأن المحكمة لم تصدر بعد أحكامها القاطعة فأمام القاضي أشياء كثيرة منها قراءة الأوراق كاملة، وسماع شهادة أكثر من ألف شاهد كما طلب محامي مبارك، ولكن الإعلام بعد الثورة يحرض والصحافة تعتمد على حواديت الإثارة؛ لكي تبيع ومحطات التليفزيون تريد أن تحصل على جزء من تورتة الإعلام.

● **ولكن ما هي الحلول لذلك؟**

- لا توجد حاجة اسمها الحلول، ولكن فيه حاجة اسمها إن المجلس العسكري الذي نريد منه حقا أن يحمي هذه الثورة، هو القادر على تغيير اتجاهات الرياح، لعل أول بادرة مهمة هي أنه جعل ميدان التحرير سالكا للمرور، وبالتالي أيضا أعطى محلات ميدان التحرير حرية التعامل بعد أن

فقدوا تماما حرية العمل والحياة، وهناك مدينة اسمها شرم الشيخ لعل بعض الإشراق يعود إليها، وربما يحدث بها انتعاش اقتصادي بعد أن أمرت المحكمة بأن يودع مبارك في المستشفى العالمي، فالحل في الإصلاح، في يد المجلس العسكري.

● هل أنت مع وجود وزارة للإعلام أم مع إلغائها؟

- سواء أكان هناك وزارة للإعلام من عدمها، فالمهم أن يكون هناك إعلام بجد فلا وجود الوزارة مهم ولا عدم وجودها مهم.

● وما رأيك في برامج التوك شو الآن؟

- برامج طيبة، ولكن قبل الثورة كانت أفضل مائة مرة؛ لأنه كان هناك موضوع للهجوم والإثارة؛ فعلى سبيل المثال: عمرو أديب في القاهرة اليوم كان يهاجم ولا يهادن وكان أقوى صوت في مصر يهاجم النظام، عكس الآن، والآن الفضائيات مختلفة والشباب لا يفضل ذلك ولا يحب الحساب ولا العتاب.

● الشعب الآن منقسم في الآراء إلى ميادين فهناك ميدان التحرير، وروكسي، ومصطفى محمود، والعباسية. فإلى أي ميدان تنضم؟

- لا طبعا كل هذه انقسامات سوف تغربل، والتاريخ كفيل بأن يفعل ذلك وأرى أنه من المفروض، أن يهدأ ميدان التحرير، وأتصور أن أمهات الشهداء لابد أن تفرح، وأعتقد أن الاعتصامات والمظاهرات لم يعد لها مكان من الإعراب، وذلك بعد المحاكمة التاريخية التي حدثت والتي من المفترض أن ترضي شعب مصر وأسر الشهداء، وكان من الممكن أن تتأخر تلك المحاكمات، ولكن ميدان التحرير عجل بها، أما من سيعتصم بعد ذلك فهم أصحاب المطالب الفئوية.

● وما رأيك في الحكومة الآن بعد التعديلات الوزارية وتسريع المحاكمة؟

- الحكومة (نغشة) وطيبة ولكن لم تمسك قلما لتقرر شيئا حتى الآن، وسيظل الوزير يراقب الصورة وعيناه على الميدان، وهذا يسبب ارتباكا في البلد و(لعبكة) في قولون البلد، وفيه طبطبة وهذه الجملة قلتها يوم 1 فبراير، والآن أقولها مرة أخرى؛ لأن الطبطبة مازالت موجودة.

● لو تحدثنا عن مرشحي الرئاسة. فبمن اقتنعت من المرشحين حتى الآن؟

- لم يقنعني أحد، ولكن أستطيع أن أقول إن عمرو موسى رجل دولة، ومصر تحتاج إلى رجل مثله أو إلى رجل مثل الفريق أحمد شفيق، ولو حكم سيرى منه الناس الجانب الآخر غير الكاجوال لو رشح نفسه، ولكني أميل إلى حكم عسكري لمدة عامين، وهذا سيكون أفضل لمصر فالمجلس العسكري عندما قال نطهر ميدان التحرير انتهى الأمر في لحظة.

● هل أنت متفائل أم متشائم بالنسبة لمستقبل مصر؟

- أنا (متفاشم) فلا متفائل ولا متشائم، ولا أعرف (حسب الريح هايودينا فين).

نشر بمجلة الشباب بالأهرام

الحوار الثالث..

لم أكن أتصور أن النظام يسقط في 18 يوما، في ظل وجود كل عقول رجال لجنة السياسات.. والحزب الوطني!.

الرئيس السابق كان ضد التوريث لولا زوجته والرجل المعجزة!

نظرا لأنني أعتمد كثيرا في حواراتي على مجريات الأحداث التي نعيشها في التو واللحظة.. هنا أبدأ رحلتي معك بسؤالك عن المحاكمة التاريخية للرئيس السابق. وأقول ما رأيك في هذه المحاكمة؟!

رأيي أن الشعب أراد هذه المحاكمة. رأيي أن مبارك يدفع ثمن غيبوبة شديدة عاشها طوال العشر سنوات الأخيرة.. رأيي أن هذه المحاكمة تعكس ببساطة شديدة أن المستشارين قد ضللوا رئيس الدولة، وأن إعلام الدولة لم يكن دقيقا في نقله الأحداث، وأن الحزب الوطني لم يعطه بصدق صورة الناس في الشارع، ورأيي أيضا أن مبارك حزين لما حدث له. لإحساسه بأنه قد خرج من التاريخ، وأنا شخصيا قد شعرت بغصة. لأنني بني آدم.

- **إذن أنت قد حزنت؟!**

نعم.. لقد شعرت بغصة.. وهو لفظ أكثر دقة للتعبير عن الحزن.. لأنه يعبر عن شيء لم تكن تتوقعه أبدا.. خصوصا.. عندما نادى عليه القاضي الفاضل، فقال: أفندم.

- **وماذا كان يعني ذلك بالنسبة لك؟!**

لا تقل لي معناها إيه.. إنها لحظة في التاريخ كله ستظل راقدة في وجدان المصريين؛ لأنه في لحظة من اللحظات نجد رئيس الدولة المحبوس يرد على قضاء مصر. عندما نادى عليه محمد حسني السيد مبارك.. أفندم.

«مقاطعا» على فكرة هناك الآلاف غيرك من الذين دمعت عيناهم في هذه اللحظة. فما معني ذلك؟! عايز اقولك إذا لم نجد أن فريقا كبيرا من

المصريين قد أصابه الحزن.. على طول فلن نكون مصريين، ولا نصبح الشعب المصري.. نصبح أي شعب آخر.. وإذا الشعب المصري لم يشعر بحزن، وهو يرى رئيسه فوق سرير المرض في لحظة ذل، فإنه لن ينجح في المستقبل. ولن يستطيع الثوار أن يديروا مثل هذا الشعب.

أخشى الجحود

● **ولماذا؟!**

لأنني أخشى على الثوار أن يصيبهم جحود الناس في الشارع، خصوصا أن هذا الشعب قد أخرج من داخله خلال مرحلة التحول بعد الثورة أسوأ ما فيه.

● **وماذا تقصد بذلك؟!**

أقصد البلطجة. فإنه شيء ليس له مثيل.

● **ومن المسئول عن هذه الظواهر التي بدأت تطفو على سطح المجتمع بعد الثورة؟!**

كانت مقموعة.. رغم أنها كانت موجودة من قبل، ولكنها كانت مقموعة!

● **وما مستقبل هذه الظواهر التي تفجرت بعد الثورة؟!**

بعد التحول الديمقراطي سوف تتم غربلتها ونعود إلى شاطئ الأمان.. ولكن بعد حين طويل!

محاكمة الوزير

● **عندما ننتقل بالحديث إلى الزاوية الثانية من زوايا هذه المحاكمة أو الضلع الثاني منها وأقصد بها محاكمة حبيب العادلي. أسألك ماذا تمثل لك؟**

حبيب العادلي وزير داخلية يحسب له أن جفف منابع الإرهاب في يوم من الأيام، ويحسب له أنه أوقف المحظورة «الإخوان المسلمين» إلى حد..

ويحسب له كذلك أنه قفل الباب في وجه فوضى ما كنت أتخيل حجمها أو خطورتها في الشارع المصري.. ولكن حبيب العادلي أيضا كوزير داخلية.. تم تضليله! فالوزير ليس كل شيء.. وأنا في حقيقة الأمر مذهول من موقف رجل فاضل يحاكم الآن، ولا أستطيع أن أقول عنه كلمة واحدة واسمه حسن عبد الرحمن.

وهنا أتساءل.. كيف لمدير مباحث أمن الدولة ألا يعطي صورة كاملة لما يجري في الخفاء؟

وكيف لا يستطيع أن يقتحم مكتب حبيب العادلي كي يبلغه أن حريق المحلة الكبرى الذي وقع قبل أشهر من الثورة إنما هو بروفة العصيان المدني القادم! وكيف لا يتمكن من أن ينقل لوزيره أن حركة «6 أبريل» ليست حركة صبيانية، وأن حركة «كلنا خالد سعيد» شيء مهم وله كيان. ودعني أتساءل من جديد وأقول: كيف ياربي سفه أو قلل هذه الأحداث رغم خطورتها، ونقل إلى وزير الداخلية معلومات ربما قليلة عن هذا الذي لم يحدث.. التقصير العفوي.

● **وهل تتصور أن ذلك لم يكن مقصودا؟!**

لا يمكن أن يكون مقصودا.

● **وهل هذا التقصير تم عفويا؟!**

أنا أعتقد أن شيئا من الفلكلور المصري.

والذي نسميه «بالعنتظة» أو التعالي على الأشياء.

● **معنى ذلك أنك تتصور أن الأمن هو المسئول عن سقوط النظام السابق.. وهل هذا صحيح؟!**

أنا أعتقد أنه دخلت في المعادلة أشياء كثيرة من الخارج.

من الخارج؟!

طبعا. لأنه هل من المعقول أن يتم فتح السجون جميعا في وقت واحد.. وكذلك الإقدام على حرق كل أقسام الشرطة. وكذلك المحاكم التي احترقت بها القضايا؟!

● وهل تم ذلك باتفاق مسبق؟!

لقد لعبت فيه أصابع خارجية بالإضافة إلى الإخوان. هؤلاء وأولئك كانوا يخططون لذلك من قبل وبالتالي وانتهم الفرصة ؛ لأن الإخوان جماعة منظمة، ولديهم بيان يتم تنفيذه في كل مكان من أسوان إلى الإسكندرية.

● وهل يعني ذلك أنك لم تفاجأ بسقوط النظام السابق بهذه السرعة؟!

نعم فوجئت.. بلا جدال.. وفوجئت ليه؟.. لأنني اكتشفت أن هناك حالة هشاشة، وبالتالي لم أكن أتخيل أنه في 18 يوما يسقط نظام ثابت وكامل.. هذا الأمر فكرني فورا بالست ساعات في زمن عبد الناصر التي ضاع بعدها جزء كبير من أرض مصر.

● وهل ترى أن النظام السابق نفسه فوجئ بهذا الانهيار السريع؟!

لأ. دا مش فوجئ وبس، دا حصل له درجة ذهول، ويمكن عينيه خرجت من تجويف وجهه!! وذلك من أثر هذا الذهول، وهذا معناه أنه لم يكن يتخيل هذه النهاية السريعة. إنه لم يتصور في لحظة من اللحظات أن هناك شيئا يمكن أن يحدث بهذا المعنى. الحزب الضخم، وعقول رجال أمانة السياسات، كل ذلك سقط.

بوادر السقوط

دعني أسألك بصفتك كنت قريبا من النظام السابق.. هل كانت هناك بوادر لهذا السقوط.. وهذا الانهيار؟!

حرق مدينة المحلة الكبرى.. أنا ذهبت هناك كمحاور كي أحقق في الحادثة، وما رأيته من إلقاء النار على الكاوتش.. كان بحق بروفة عصيان مدني كبير.

● **وهل لم يلتفت إلى ذلك النظام السابق؟!**

أبدا.. وحجّمتها عن النظام صديقتي الوزيرة عائشة عبد الهادي. لقد حاولت أن تلم الموضوع كما يقولون بجدعنتها المصرية، وعلاقتها بالعمال، لقد استطاعت إنهاء هذه المشكلة عندما أرسلها نظيف إلى هناك؛ لأنها كانت امرأة جدعة. وبرضه عمال رجالة في الوقت نفسه؛ لأنهم في الأول والآخر مصريون.. ولكن كما رأيتها بعيني كانت بروفة لعصيان مدني ينتظر مصر.. أضف إلى ذلك حركة 6 أبريل، وتأتي في النهاية اجتماعات الفيس بوك التي جرت في غيبة الأمن المصري، حيث استطاع فرسان الفيس بوك أن يلتقوا بذكاء خارق وبطرق خرافية لكي يجتمعوا؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يجتمعوا في الشوارع، وإلا تعرضوا للقانون وأيضا هذه نقطة جوهرية تتعلق بنا كجيل، كنا قد شحنا المجتمع المصري بأشياء كثيرة، وليس صحيحا ما قاله الدكتور فاروق الباز من أن جيلنا قد تخاذل. إنها لحظة عاطفية آدمية عند فاروق الباز حين قال.. للشباب: أنتم نجحتم فيما نحن فشلنا فيه. لقد كان فاروق الباز طول عمره خارج مصر. فماذا يفعل؟ ورجل له وزنه العلمي وذهبت هناك إلى أمريكا من أجل أن أحاوره. وعايز أقولك إن كل الكتاب في مصر وبلا تفرقة كانت لهم بصمة في هذه الثورة، لقد كنا جميعا كجيل رأس الحربة في هذه الثورة.

● **وأين كانت أصواتكم في ظل النظام السابق؟!**

كانت أصواتنا تخرج في مقالات، وفي برامج تليفزيونية كانت تحذف. وأنا واحد من الناس سجلت عدة برامج مثلا عن مشكلة «أجريوم» ولم تتم إذاعتها! وآخر عن جزيرة آمون، لم يذع.. ولما أذيع تم حذف ما فيه من الأسماء التي ارتكبت المصائب.. النظام السابق كان يسمع ولا يتحرك!

● ولماذا؟!

كان نوعا من التعالي.. ولو أنك أخذت ما كنت أكتبه أيضا في أخبار اليوم تحت عنوان «شيء في صدري»، وفي مقالي بالأهرام.. كنت أشير فيما أكتب إلى فكرة الإصلاح والتغيير.. وبالتالي لم أكن أفكر في ثورة. كنت فقط أستخدم قلمي للتنبيه ودعني أقول لك بكل تواضع إنني كنت مسحراتي الحرف في يده طبلة الكلمة.

● معنى ذلك.. أنك تؤيد ما قيل عن مبارك إنه لم يكن يستمع إلا لصوته فقط؟ أم ماذا؟!

● لقد كان الرئيس السابق أكثر من هذا!.. لقد كانوا دائما يحرصون ألا ينكدوا عليه. بمعنى..؟!

بمعنى أن الذي يذهب لمقابلته ممن كانوا حوله. لا يقول له شيئًا يزعجه.. أو تقدر تقول يضحك في وجهه!!

ولهذا لم يكن يعرف ماذا يدور، ثم افترسته مشكلة بيته. حين دخل في قضية التوريث!

التوريث المفروض

● إذن التوريث كقضية.. هل فرض عليه؟!

نعم.. لأنه لم يكن يتمنى أن يحدث هذا الموضوع، وكان يخشى على ابنه من قوة الإخوان.

● ولماذا رأينا الرئيس السابق يستجيب لضغط زوجته في مسألة التوريث؟!

حين يكبر الرجل في السن في بعض الأحيان، تصبح الاستجابة بيولوجية!.. أو بمعنى أدق إنه عايز يريح دماغه، رغم أنني أجزم بأن مبارك لم يكن يريد لابنه جمال المصير ده أبدا. ولكن ظهور الرجل المعجزة أحمد

عز قدم له التوريث.. حين قدم مجلس شعب خاليا من المعارضة. وبالتزوير.. وأجزم أن هذه الانتخابات الأخيرة بالتحديد كانت مسمارا في نعش النظام.. ولو أن مبارك انتهز فرصة تعاطف الناس معه يوم رحيل حفيده لبدأ لحظة التغيير.. وكذلك لو أنه استفاد من حادث نجاته في إثيوبيا بتعيين نائب له أو نائبين أحدهما رجل عسكري لبدأ التغيير.

● **وماذا في تصورك ما كان عليه حينذاك؟!**

كان من الممكن أن يعلن عن حل مجلس الشعب الذي جاء على أثر مراوغات أحمد عز، وكان من الممكن أيضا أن يعلن عن اختيار نائبين أحدهما مدني وآخر عسكري. والعبد لله الذي يجلس أمامك – ويشهد على ذلك أحد الرجال الذين رحلوا عن عالمنا، وهو الكاتب الصحفي الكبير الأستاذ سعيد سنبل – حينما وقفت أقول له في أحد اجتماعاته مع رجال الإعلام، وكان يجلس خلفي في هذا الاجتماع الأديب جمال الغيطاني. حيث قلت بالحرف الواحد: لماذا لا تختر نائبا لك في هذا البلد فربما في يوم من الأيام نندم وربما لا نعرف السيناريوهات القادمة.. عندئذ.. تحدث إليَّ قائلا: ما المشكلة؟!

قلت له: إنك تخشى ازدواجية الولاء، عندئذ ضغط على قدمي الراحل سعيد سنبل، ولما خرجت سألني جمال الغيطاني: وكيف لك أن تقول ذلك؟!

سيدي الفاضل إن الشباب الثوار الأنقياء وفرسان الفيس بوك، لا يعلمون هذا التاريخ. إنهم فقط أسرى الفيس بوك ولا يقرأون.

أخاف على الثورة:

● **إذن أنت تخاف على ثورة 25 يناير؟!**

من المؤكد.

● **ولماذا؟!**

أخاف لأنه لا عودة لعقارب الساعة إلى الوراء.

● **وماذا عن رؤيتك للمستقبل؟!**

غامض وضباب.. ولا أملك أن أعرف تفاصيله والادعاء بأنني إذا قلت إنني أعرف ملامحه.. وعندما أسمع شعارات «إسلامية.. إسلامية» أخشى جدا.. وإن عندنا 831 ائتلاف شباب.. وأنا مذهول من عددهم. ومفروس أيضا. هذه الائتلافات جميعها من الواجب أن تتحول إلى ائتلاف واحد من أجل أن يقولوا: إننا قمنا بالثورة من أجل أن تكون مصر مدنية، وفي نفس الوقت لابد للأحزاب المصرية أن تضع يدها في أيديهم من أجل أن تكون مصر دولة مدنية، وكذلك هؤلاء الذين يقدمون أنفسهم كرؤساء جمهورية في المستقبل عليهم كذلك أن يقولوا: نحن نريد دولة مدنية.

● **وهل نعتبر ذلك ملامح لخريطة طريق تراها صالحة لمستقبل مصر؟!**

نعم.. أنا أرسم خريطة طريق بتواضع شديد، حتى لا يحدث تقسيم لهذا البلد. ولا تحدث هجرة لأهله، وحتى يستكين الأقباط - وأنا منهم مصري - في أمان.. وحتى يعود الأمان النفسي وتعرف اللحى أحجامها الحقيقية!

المفاجأة كبيرة

● **نعود من جديد لحديث الثورة ونسألك.. وهل فوجئت بالثورة؟!**

من المؤكد.. ولكن كانت هناك ملامح بعد حريق المحلة الكبرى يا سيدي.. هذا الحادث الخطير.. كان أكبر مما صوره الإعلام. وكما قلت لك أنا أعتبره بروفة هذه الثورة، وطبعا بخلاف ما كان يحدث من اعتصامات أمام مجلس الوزراء. لقد كانت أحداث المحلة بالفعل هي بروفة حقيقية لمصر التي تسقط!

● **وهل شاركت في هذه الثورة؟!**

أنا لم أشارك في الثورة، وليس كل من لم يشارك في الميدان يبقي چيفارا.. وبالتالي لم أحصل على جنسية ميدان التحرير.

● **هل يمكن لك أن تحدثنا عن بعض ملامح شخصية الرئيس السابق؟!**

ما جدوى الكلام.. وقد قال: أفندم وهو راقد على سرير المرض. سيدي ما جدوى الكلام. وما جدوى الحديث عن ملامح حياته وإنسانياته. ومواقفه المتعددة لدى كثير من الناس في مصر. ولكنني أتوقف عند عبارة قالها الملك عبد الله لسمير رضوان وزير المالية السابق يا أخ سمير: ما في شيء واحد عمله مبارك؟!. ما في شيء واحد تخدم مبارك من أجله؟ وبشكل مجمل أقولك.. إن مبارك أصاب وأخطأ.

● **وما رأيك فيما أذيع ويذاع عن كم الفساد الذي أصبحنا نسمع عنه كثيرا بعد سقوط النظام؟!**

الناس في بلدنا غلابة.. وهم يسمعون الإعلام الذي يردد المبالغ الكبيرة المهربة في الخارج.. فيصحون على أحلام هي أحلام يقظة! وثانيا: أنا مذهول لكمّ الأجهزة الرقابية التي كانت تعمل داخل النظام السابع. وكم هذا الفساد.

غياب الرقابة

● **وهل كنت ترى أن هذه الأجهزة الرقابية لا تقوم بدورها المطلوب؟!**

لقد كانت هذه الأجهزة ترسل فعلا تقاريرها وكل ما لديها، سواء داخل الرقابة الإدارية أو في الجهاز المركزي للمحاسبات، إلى موقع الضرورة. ثم لا شيء!

ومن المسئول؟!

أعتقد أن رئيس الدولة هو الذي يحرك الأمور، وربما لم تصل إليه مثل هذه التقارير، وربما لعب المحيطون به هذا الدور. سيدي دعني أقول لك بصراحة مبارك جعلوه ديكتاتورا! هؤلاء الذين كانوا من حوله، ومع ذلك فإن مبارك ليس بهذا السوء المطلق. وإنني حزين لأنه في الفترة الأخيرة لم يكن في وعيه وربما حدث ذلك له بعد رحيل حفيده. وأيضا أشعر بأن مجموعة ممن كانوا حوله والتي تتكون من جمال مبارك وأحمد عز وبعض الوزراء من رجال الأعمال استأثروا بالحكم في مصر في الفترة الأخيرة. وذلك بعد ما نجحوا في وضع حواجز قوية بين مبارك وبين الشعب وربما أحمد نظيف كان على علم بذلك، ولو أنني أشك في ذلك.

في تصورك.. ألم يكن الرئيس السابق على علم بطائفة السوء من الذين كانوا حوله؟!

ربما قد عرف ذلك.

● **ومتى حدث ذلك؟!**

في الفترة الأخيرة التي لم يعد فيها الفساد عند الركب فقط، بل وزاد حتى وصل إلى الأعناق، وبالتالي ما كان في استطاعته أن يوقف كل ذلك، وتقدر تقول هنا إنه استيقظ بعد فوات الأوان.. وكان بإمكانه وبالتحديد أن يحل مجلس الشعب المشبوه ويوقف التوريث ويعلن أن من يريد ترشيح نفسه نائبا لرئيس الجمهورية فليتقدم.

● **ولماذا تراه لم يأخذ هذه الخطوة المهمة؟!**

عندما يجلس رجل فوق كرسي السلطة ثلاثين عاما، يحدث ما قاله بالحرف الواحد.. سأظل حتى الرمق الأخير! لقد قال بالحرف: سوف أظل رئيسا حتى الرمق الأخير.. وقد تسبب ذلك في إرباكنا.. وأخذنا نتساءل..

هل سيظل رئيسا طوال الحياة.. أم أن ابنه جمال سوف يدخل المعادلة!! كما أخذنا أيضا نقول: من المسئول عن هذا التناقض.. وفي تصوري أن مبارك كان بالفعل يريد أن يظل على مقعد الحكم حتى الوفاة ومن هنا أقول لك: إن خطوة تزوير انتخابات مجلس الشعب الأخيرة وهي تلك التورتة التي قدمها أحمد عز.. كانت توحي بأن جمال هو القادم.

بيت مبارك:

● وماذا عن سوزان مبارك.. ولماذا كانت تلقي بكل ثقلها من أجل أن يحكم ابنها جمال؟!

أنا مصري صعيدي.. وبالتالي لا أحب الاقتراب من الحديث عن سوزان مبارك، أما حينما أتكلم عنها أقول: إن بيت مبارك كان يريد التوريث! ومن الأمانة والإنصاف والعدالة التي قامت من أجلها الثورة، فإن هذه السيدة قدمت لهذا البلد بعض الإنجازات، وعلى فكرة.. في أحد البرامج التي أذيعت قريبا سألني المذيع: وهل صفوت الشريف كان ضالعا في قضية سعاد حسني.. قلت له: بالحرف الواحد: ماذا كان يهمه في ذلك.. لقد كان رجلا قويا جدا، وثاني رجل في الدولة.. ولا مبرر على الإطلاق لكي يقوم بذلك! وبعد البرنامج كتب أحد النقاد أ. مفيد فوزي يدافع عن صفوت الشريف.. وهذه مهزلة بكل المقاييس، وحين نعود لحديث سوزان مبارك أقولك إن قضيتها هي كانت الدفع بجمال مبارك إلى كرسي الحكم، ولكن الرئيس كان يريد أن يجلس على الكرسي حتى الرمق الأخير.

غليان.. غليان

● وهل ذلك يعني أنه كانت هناك خلافات داخل منزل الرئيس السابق بهذا الخصوص؟

كان هناك غليان داخل القصر الرئاسي!! ودعني أقول لك إنني واحد من الناس من الذين أرسلوا إلى مبارك في السنوات الأخيرة 4 خطابات بخط يدي.. وقد حملها إليه سكرتير الرئيس.

● **وماذا قلت في هذه الخطابات؟!**

قلت له يا ريس أعطني فرصة لكي نتحاور مثلما تحاورنا من قبل، وكانت هذه المحاورات ونسا للبيت المصري.. وطلبت في هذه الخطابات أيضا أن يعطيني فرصة كي أطرح ما بداخلي من أشياء كثيرة.. وأهمها أن البلد يغلي الآن!

● **وما تاريخ هذه الخطابات؟**

من حوالي 18 شهرا أي قبل الثورة بعدة أشهر.

● **وماذا عن ردود أفعاله؟!**

لا شيء!!

● **وهل صلت إليه؟!**

نعم وصلت إليه وقرأها.. ولم يفعل شيئا.. وهذا يعني كما قلت لك من قبل إنه في السنوات الأخيرة بدا متحجرا إلى أقصى الدرجات.. وما أسماه الأستاذ هيكل كانت عنده دكتوراه في العند! ذلك لأن البقاء الطويل على الكرسي مدمر، ويجعل تلافيف العقل تؤمن بأحادية الرأي.

● **دعني أسألك بهذه المناسبة- وهل هذه الصفة التي كان عليها مبارك في أيامه الأخيرة**

● **فرصة لرجال الأعمال كي يظهروا نفوذهم أكثر؟**

أقول لك.. ن.ع.م.. وأيضا شيء آخر.. أنه كان هناك مناخ ساهم على ذلك.. وكلنا في المقابل عميان باقتدار.. حدث ذلك رغم أصوات المعارضة ورجال الصحافة من الذين حذروا مبارك.. ولكنه لم يكن يتخيل أن هناك عصيانا مدنيا يصحو في الصباح فيجده!

نشر بصحيفة الأخبار

الحوار الرابع

المسئولون و الوزراء السابقون كانوا مصابين بالطرش

مفيد فوزي قامة من قامات إعلام النظام السابق .. من منا لا يعرفه .. من منا لم يشاهده، ويستمع إليه وهو يحاور النظام الذي كان هو شاهدا على عصره في برنامجه حديث المدينة .. حتى إنه حاور رأس النظام .. الرئيس المخلوع حسني مبارك 4 مرات خلال فترة توليه حكم البلاد .. انتقد الكثير، ومدح الكثير.. وما بين النقد والمدح ظل ساكنا قابعا ما بين أفكاره عما سلف.. وما هو آت ولكن «أهل كايرو» توجهت إليه، وأقنعته بأن يخرج عن صمته الذي التزمه طوال فترة الثورة.. فأفضى إلينا بما يجول بخاطره.. بكل ما هو مكتوم في حلقه..بكل آرائه التي لم يستطع أن يخرجها للعلن من قبل .. ففتح لنا قلبه، وأعترف أنه شخصيا عانى من النظام السابق وأجاب عن تساؤلات أهل كايرو .

● هل كنت تتوقع أن يوم 25 يناير سيتحول إلى بداية انتفاضة وثورة شعب وعاصفة من العنف والبطش ؟

لم أكن أتوقع أبدا ما حدث، فقد توقعت أن يوم 25 يناير بداية رغبة عميقة حقيقية في الإصلاح فقط .. لكنها تحولت إلى ثورة شعبية، وليس صحيحا أن اسمها ثورة شباب اسمها الحقيقي ثورة شعب رأس الحربة فيها أو المحرك كان الشباب .

● ألم تكن هناك إنذارات عديدة بقدوم مثل هذه الثورة يوما ما ؟

لم أكتب فيما سبق عن احتمال حدوث هذه الثورة، وكل الحقائق التي كشفت على صفحات الجرائد والقنوات الإعلامية كل هذا مهد لتفجير هذه الثورة الشعبية .

● ماذا كنت تريد أن يتغير في مصر ؟

كنت أكره مجلس الشعب بمرتبة « القرف» .. لا يوجد بلد في العالم فيها مجلس الشعب بهذا التستيف.. ولم يكن لدي أي حل في أن يكون لدينا معارضة من داخل النظام .. بمعنى أدق إن مجلس الشعب لم يكن فيه معارضة، وبالتالي افتقد إلى ركن من أركان الديمقراطية .. ولو مجلس الشعب القادم جاء بمثل هذه الصورة يبقى أنيل .

● هل مصر ستتحول لدولة علمانية لا سيادة لدين فيها ؟

أتمنى أن يكون هناك شكل من أشكال العلمانية بلا مرجعية دينية، وهذا يعني أن أكون مع إلغاء المادة (2) من الدستور المصري .

● ما تعليقك على أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة يؤكد عدم المساس بالمادة (2)؟

إذا كانت القوات المسلحة ترى ذلك فبالتأكيد هي ترى المصلحة العليا للبلاد .

● هل نحن بالفعل دولة مدنية أم هو مجرد مسمى ؟

لو لم نكن دولة مدنية .. ما استطعت أنت أبدا الخروج للشارع بشعرك « ح يتقص لدرجة الحلاقة ح تبقى قرعة ! ولا حتى لبس المحجبات ح يبقى متناسق الألوان» .

●هل كان المحرك الرئيسي لثورة الشعب كراهيتهم لجهاز الشرطة ؟

أقولها بكل صراحة ستظل الكراهية بين الشعب والشرطة أبد الدهر؛ لأن وزارة الداخلية أحد الوزارات المكروهة في مصر منذ زمن بعيد، الناس تكره السلطة وهناك مثل بالعامية يقول « إذا كان دراعك شرطة .. اقطعه »

● هناك حالة من التيه السياسي في البلاد الآن .. ماذا نفعل نحن الشباب للخروج من تلك الدائرة ؟

التظاهر من أجل قيم عليا .. من أجل مجتمع علماني .. من أجل تعليم متحضر .. من أجل عدم التمييز بين أفراد الشعب .. بمعنى أنه إذا توافرت فرصة عمل فحصل عليها شاب لمجرد أنه من مجموعة أنصار خالد سعيد فهذه هي «الكوسة الثورية» وهذا أحط الأشياء.

● كيف نعيد الثقة بين المسئولين وأبناء الشعب ؟

« هو في حد أنا أقدر أكلمه كثوار ميدان التحرير» ! أحلم أن يشكلوا حزبا يتحدث باسمهم.

● لماذا وصلنا لحالة الشتات السياسي والاقتصادي حتى فيما قبل الثورة ؟

بسبب سلسلة أخطاء كثيرة من حكومات تعاقبت، لم تخل يوما من الأيام من الآراء الرهيبة في وجه النظام، ولكن المشكلة أنها كانت مصابة «بالطناش» .

● أجريت العديد من اللقاءات التليفزيونية مع الرئيس المخلوع، هل تعتقد أن رأي وصوت رجل الشارع كان يصله ؟

بالماضي كان يصله كل شيء .. إلى أن تدخلت عدة شخصيات وأبعدت وحجبت عنه كل ما يدور حوله ..خاصة في آخر عشر سنوات من حكمه وفي كثير من الأحيان كانت المعلومات التي تصله خاطئة ..

● تردد مؤخرا أن السبب الرئيسي في ما وصلت إليه مصر الآن هي السيدة سوزان مبارك ونجلها جمال ما تعليقك ؟

أنا لست مع الأحكام العامة المرسلة ولكن إذا لم تكن هناك سيدة مثل سوزان مبارك ساندت المرأة .. لم تستطيعي يوما ما إجراء مثل هذا الحوار ولا كنت أنا أستقبلك من أصله ..!

● هل النظام السابق لم يكن له مميزات تذكر .. أم أنه نظام محاط بالمساوئ من كل جوانبه ؟

اسألوا أهاليكم ..

لكن الإجابة جاءت أكثر إيضاحا من حنان مفيد فوزي ..تحليلي الشخصي للأحداث أنه خلال الخمسة عشر عاما الأخيرة أرادت سوزان مبارك أن تورث «ابنها أباه بالحيا»؛ وذلك لأنها مدينة لابنها بحياتها؛ لأنه أنقذها من الموت عندما تبرع لها بجزء من النخاع مما حرمه من الإنجاب .. فطفلته الأولى طفلة أنابيب .. ولذلك هي مدينة له بحياتها مما جعلها تريد رد الجميل له، لكن لم يكن من المنطقي أن التعويض جاء على حساب الشعب والبلد .

وتردد مؤخرا أن سيناريو الانفلات الأمني الذي تم خلال أحداث 25 يناير كان مخططا ومدبرا ليتم قبل انتخابات الرئاسة، وبالتالي يصبح البديل والمهدي المنتظر لأمن البلاد هو جمال مبارك .

● هل سيظل الخطاب الإعلامي بعد ثورة 25 يناير كما كان في عهد مبارك.. خاصة بعد فقدان الشعب الثقة في التليفزيون المصري ؟

كانت بداية تغطية الأحداث ضعيفة والنهاية ناضجة .. أما فيما يخص بعض الفضائيات فبعضها بدايتها تحريضية ونهايتها عادلة .. ولكن الخطاب الإعلامي قبل أحداث يناير كان يتلخص في كلمة واحدة « مبارك» .. وما بعد الثورة ..ثورة على كل شيء، وأتمنى أن تصبح مصر دولة برلمانية لا يمتلك فيها الرئيس كل الأدوات والسلطات.

● هل يحتاج الشعب المصري نفسه للتغيير ؟

بالطبع نعم لا بد أن تتغير بعض القيم مثل الجحود وقلة الأصل .

● هل ما حدث مع الرئيس السابق هو جحود وقلة أصل ؟

إنها إهانة بالطبع .. فلقد دعت كل الأديان سواء أكان الدين الإسلامي أم المسيحي.. إلى إكرام وتوقير وإجلال الكبير .. وبالتالي أنا ضد أن يخرج رئيس بلادنا من مكانه مهانا..

● لماذا لم تخرج المؤسسة الدينية (الإسلامية و المسيحية) في مصر لتوضيح موقفها من الثورة ؟

لا يصح أن تصطدم المؤسسة الدينية بالمواطنين.. فالأزهر والكنيسة رموز لها قيمتها وجلالها.. هذه الثورة انضمت لها كل فئات الشعب بأوجاعهم.. وليس صحيحا أن أغلبهم خرج لتغيير النظام والدستور بل على العكس خرج للتعبير عن مواجع أصابتهم من هذا النظام .. فالأوجاع الفئوية مصيبة حركت الشعب المصري .

واستكملت حنان مفيد فوزي قائلة :

هنا لابد أن يتم فصل الدين عن السياسة؛ لأن خلط الأوراق ليس لصالح البلد.

● هل يمكن أن يثور الأقباط في مصر ؟

أنا أرفض السؤال لأنه من الأسئلة التي تثير الفتن .

● وما رأيك في كل من : البرادعي ؟

لا يعرف مصر.

● وائل غنيم ؟

نجم الفيس بوك فقط .

● عمرو موسي ؟

شخصية اعتبارية جيدة لا نحكم عليه بما آلت إليه جامعة الدول العربية .

● الكيان الإخواني ودوره في الثورة ؟

سيئ .

فاروق حسني ؟

وزير قدم للبلد كثيرا وإنكار هذا « قلة أصل» وإذا كان هناك فساد فالأمر في يد عبدالمجيد محمود . .

● أحمد عز ؟

أساء لمصر تماما .

● حبيب العادلي ؟

وزير داخلية استطاع أن يحمي البلد من الإرهاب لسنوات .

● هل ترجح أن للنظام السابق يدًا فيما حدث لكنيسة القديسين ؟

كلام مرسل .

● بحكم كونك صحفيا حاورت مسئولين ووزراء، هل كانت تصلهم المشاكل الحقيقية للشعب ؟

كانوا مصابين بالطرش .

● وماذا تطلب من الوزراء الجدد ؟

فتح الآذان بالكامل؛ فلو أن مصر كانت قد أصغت لأنين الشباب منذ زمن طويل ما كان سيحدث كل هذا، وكان الإصلاح سار في مساره الطبيعي .

● كيف تردد أن وزير الداخلية لابد أن يكون رجلا قويا وحبيب العادلي رجل قوي؟ هل القوة تكمن في العنف تجاه المواطنين ؟

عندما أقول إن حبيب العادلي رجل قوي «يُهَابُ».. فالمشكلة الآن من هو الكبير الذي «يُهَابُ» .

● من ترشحه رئيسا لمصر ؟

أنا أميل إلى عمرو موسي؛ لأنه يعرف دولاب البلد؛ لأنه كان وزيرا .. إنما لميدان التحرير رأي آخر .

● هل سيظل مفيد فوزي على موقفه الدائم يسبح ضد التيار ؟

إن التكوين الفكري والذهني لديَّ ثابت، والدليل أنني أرى أن العيب الكبير الآن هو الطبطبة على شباب 25 يناير .. غيري من الممكن أن يقول إن شباب يناير ضمائر حية وبهم نقاء وصفاء، هذا هو النفاق .

● ما رأيك في القوائم السوداء، وقوائم العار التي صنفت الفنانين والمثقفين والإعلاميين في مصر ؟

لو كانت هذه الثورة تبشر بديمقراطية محترمة .. فمن باب أولى أن نترك كل فرد يعبر عن رأيه وبناء عليه لا يحق لأحد أن يضع سماح أنور في قائمة العار، وكذلك لا يحق أن نضع خالد يوسف في قائمة البطولة ..

● ما الذي يقف حائلا أمام تنفيذ كل أهداف ثورة 25 يناير ؟

أولا : الفوضى. ثانيا : لا يوجد لها قيادة حكيمة، ولا بد أن نترك مساحة للحكومة لتنفيذ طلباتنا وأهداف الثورة، وكل ما أخشاه الانتخابات الرئاسية المقبلة « ح تبقى طحن».

وتقول حنان مفيد فوزي

إذا ظل كل فرد يتظاهر من أجل فرد بعينه يتسلم السلطة فسيبتعد الموضوع عن الديمقراطية تماما؛ ليتحول الناس والحياة في مصر إلى غابة تسود فيها المصالح الشخصية، هناك من يضع صورة جمال عبد الناصر الآن، ويغفل (الوكسة) التي تسبب فيها فنحن في ثورة 1952 أجبرنا الملك على الخروج من مصر واستبدلنا به 12 ملكا نهبوا مصر؛ فهذا كان من تبعات الثورة مما يدل على أن الثورات لم تكن طاهرة وبراقة كما يظن البعض.

● ما هو دور كل مفكر في مصر الآن ؟

تجيب حنان مفيد فوزي عن هذا الكلام :

لابد أن يكون لنا جميعا دور في إصلاح البلد في الفترة القادمة، وكل من منبره فعليّ كصحفية أن يكون سلاحي للإصلاح هو قلمي .. لأن الأقلام الشريفة ستكشف ما لم تستطع أقلامهم كشفه سابقا .

● هل عدوى الثورات التي طالت العديد من الدول العربية قد تخلق وحدة حقيقية ؟

إنها الفوضى الخلاقة كما قالتها كونداليزا رايس .

تم نشر الحوار بمجلة أهل كايرو

الحوار الخامس

الأقباط لن يتركوا البلد بعد فوز مرسي.

وصول الرئيس الجديد.. إعلان عن وفاة الحكم العسكري.

الحوار مع مفيد فوزي هذه المرة ليس باعتباره كاتبا وصحفيا وإعلاميا شهيرا ولكن باعتباره مواطنا مصريا قبطيا عايش 4 فترات من فترات الحكم في مصر فهو شاهد على العصر الملكي وعلى حكم الرئيس جمال عبد الناصر، وحكم الرئيس السادات ثم حكم مبارك.. وخاصة بالنسبة لوضع الأقباط علي مدار تلك الفترات.. ما هي أكثر الفترات اطمئنانا أو قلقا أو حرجا عاشها الأقباط وأيهم ينطبق على وضعهم بعد فوز الدكتور محمد مرسي برئاسة الجمهورية الثانية لمصر، خاصة أنه قد ترددت وانتشرت بين الناس شائعات تفيد بأن هناك اندفاعا منهم للهجرة خارج وطنهم الأم مصر، فإلى أي مدى صحة تلك الشائعات.. وكيف يقيم تجربة الأقباط في المشاركة السياسية كما تطرق الحوار لنتيجة الانتخابات الرئاسية وعن الجمعية التأسيسية واحترام أحكام القضاء وعن تقييمه للأداء الإعلامي ورؤيته لمستقبل الصحف القومية.

باعتبارك شاهدا على فترات كثيرة من تاريخ بلدنا ما هي أكثر فترات الحكم اطمئنانا للأقباط؟

اسمح لي أن أستنكر السؤال؛ لأن من غير المقبول لدي أن أتحاور كقبطي فهذا التصنيف (قبطي ومسلم) في رأيي يضر كثيرا بمصر.

ولكن هذا التصنيف قد فرض علينا بالفعل والواقع يؤكده ولا ينفيه؟.. فما رأيك؟!

إذا كان قد فرض فقد يكون ذلك في حالة الانتخابات عفوا (الانتخابات الرئاسية) حيث كان أبرز سمة لها هو التصويت الطائفي، ونحن كمصريين قد (انقسمنا) بالفعل وما أستطيع أن أقوله إن في زمن عبد الناصر أقباط مصر لم يحدث لهم أي شيء يخل بهدوئهم، وفي زمن السادات فقد أسلم أذنه لعثمان أحمد عثمان - رحمه الله - حينما قال له (يا ريس تقدر تربي الشيوعيين بالإخوان) وقد عشت بنفسي وفي لحظة من لحظات عمري في بيت سيد مرعي وهو يقول له (يا عثمان بيه الجماعة الشيوعيين ليسوا بهذا الحجم الخطير ولا ينبغي أن سيادة الرئيس يفكر في الإخوان، ولا يستطيع أحد أن يعرف من القادم؟ هل نسيت يا عثمان بيه ما فعلوه في عبد الناصر في مارس (1954) وبالتالي بدأت (الزاوية الحمراء) وكان هناك في أسيوط المحافظ السيد عثمان إسماعيل كان هناك (محافظ الفتنة) أما في زمن مبارك فقد عاشت الكنائس التي حدث بها مفرقعات وعرفنا الكنائس التي يضرب فيها الناس بالرصاص مثلما حدث في قنا (الكموني) ومن حكم عليه بالإعدام.. فالأقباط طول العمر في حالة توجس وليسوا على الإطلاق في حالة أمان.

ولقد جاء هذا الزمن ليكون التربص أكبر فقد بدأت إشارات عميقة منذ حادث (قنا) حين ذهب المحافظ الجديد (عماد شحاتة)، وتصدى له السلفيون وقاموا بقطع الطريق ما بين مصر وما بين أسوان هذا القطع لم يستطع (د. عصام شرف) وكان رئيسا للوزراء أن يكون قويا.. حاسما.. باترا.. فاستجاب لهم وبدأت من هذه اللحظة حوادث قطع الطرق.. كمنهج في حياتنا.. وكان هذا الحادث الذي لم يستطع فيه عصام شرف أن يكون قويا.. وبالتالي انتهى الأمر ولم يعد هناك احترام لشيء كما حدث نوع من (النخخان) في البلد كلها.. وقبلها بفترة قطعوا أذن شخص.

لقد قيل وقتها عن حادث قطع الأذن (وهي بالمناسبة ليست من الحدود) هذا تقليد يتبعه أهل المنطقة عقابًا للمنحرفين بغض النظر عن كونه مسلما أم مسيحيا؟

لا أصدق.. وهاهو د. محمد مرسي رئيس جمهورية مصر العربية، أؤكد لك أنني لم أصدقه بادئ ذي بدء حتى أرى الكلام تحول إلى سلوك.

غادروا الكنبة

أود معرفة تقييمك للمشاركة السياسية للأقباط بعد عزوف طويل عنها؟

الأقباط غادروا (الكنبة) وسوف يتحولون في الفترة القادمة إلى تيار ليبرالي قوي جدا، بالمشاركة مع المسلمين وسوف يسعون بجنون للدولة المدنية.. والآلية لذلك ليست بالضرورة بالقول بأن (الميدان موجود) فهي شعارات استهلكت وما أتمناه أن يصبح هذا التيار الليبرالي قويا جدا إلى الدرجة التي يخشى فيها منهم.

هل تنتظر تحقيق هذا الأمل في ظل رئاسة د. محمد مرسي للجمهورية؟

السؤال الأخطر هو: هل سيحكمنا الرئيس أم رئيس الرئيس.. عموما الشعب المصري لم يعد يعرف لعبة الثلاث ورقات، لقد اختفت تلك اللعبة وأصبح الشارع المصري خطيرا جدا، والإيجابية الوحيدة التي فعلتها ثورة 25 يناير أنها فتحت عيون الناس، وصارت السياسة على ألسنة كل البشر بدءا من سائق التوك توك - الذي يغازله الرئيس الجديد - إلى أعلى درجات البشر.

رأس حـــربة

لقد كان لك حلم صرحت به من قبل وهو أن يدمن جمهور الكرة القراءة، وها هي الثورة قد أثبتت أن ذلك الجمهور لديه من الوعي والثقافة والوطنية ما جعل الألتراس رأس حربة الثورة كما يقولون، فما رأيك؟

الألتراس بالنسبة لي كان مفاجأة حقيقية وأخطر إيجابية للثورة ليست المليونيات؛ لأن فيها قليلا من السياسة وكثيرا من الهرج والتنطيط، ولكن الثورة فتحت عيوننا على شيء جديد في حياة مصر.. ولكن على أية حال فإن مجيء د. محمد مرسي رئيسا للجمهورية قد أعلن وفاة النظام العسكري الذي حكم مصر منذ 60 عاما.

هل هناك اندفاع نحو الهجرة من أقباط مصر بعد مجيء د. مرسي مرشح الإخوان المسلمين للحكم كما يتردد في بعض أجهزة الإعلام؟

هذا ليس صحيحا فأقباط مصر لم يندفعوا لهجرة بلدهم .. وهي ليست ظاهرة وهي كلام يتردد في شائعات، ولكن أي إنسان حينما يسافر إلى الخارج يكون لديه أقرباء يعيشون هناك، ولكن لا تصل إلى الهجرة فهذا كلام غير دقيق وشائعات من يقوم بترويجها له مصلحة في ذلك.. وأنا أؤكد لك أن المسيحيين الآن أكثر قوة عما كانوا بخروجهم وتفاعلهم ومشاركتهم السياسية في أمور البلد.

هل كان للبابا شنودة يد في عزوف الأقباط عن مشاركتهم في الحياة السياسية؟ بمعنى آخر هل كان بمثابة (الفرملة) للأقباط خاصة الشباب منهم والذين شارك بفاعلية في الثورة؟

نعم.. البابا شنودة وصل بحكمته الشديدة إلى مستوى عال من الصبر والرقي الذي ألجم به مسيحيي مصر؛ ولذلك أنا في حالة تربص ومراقبة لما يحدث ولما سوف يفعله رئيس الجمهورية الجديد وأرى أن الخطوة الأولى على الأقل تكون بعودة المحافظ فورا ضمن دائرة المحافظين.

لاحظت من كلامك أنك تستخدم كلمة المسيحيين مرة، والأقباط مرة أخرى، فبالمناسبة هل أنت ممن لا يفضلون إطلاق اسم (النصارى) على الأقباط. رغم أنه لفظ قرآني يدلل على أنهم أكثر مودة وقربا للمسلمين؟ وأن فيهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون؟

لا غضاضة من استخدام لفظ نصراني، بالعكس ما يؤكد ذلك ما سمعته من هتافات عندما سافرت إلى ألمانيا فقد كان المسلمون يهتفون قائلين (يا نصراني يا نصراني الرسول عليك وصاني) فمن الذي يكره ذلك؟ ولكن هذا اللفظ تم استخدامه أحيانا بشكل غير كريم، وللأسف من أشخاص على درجة من التعليم كان يصدر من البعض تعبير (هذا نصراني عظمة زرقاء)..

لقد أمضيت فترة طويلة في الصحافة ولا يعلم أحد ما هي هويتي الدينية فاسمي لم يكن (بطرس) أو (حنا) وأقول لم يعرف أحد لأن ذلك كان هو السلوك الطبيعي جدا، فلم يهتم أحد بالسؤال عن هويتي الدينية.. لقد عاشت ابنتي حنان وتربت في منزل به كتابان كبيران جنبا إلى جنب يتصدران (الصالون) الأول أهداه البابا شنودة لوالدتها وعليه إمضاؤه، والثاني هو المصحف الشريف كاملا إهداء من فضيلة الشيخ الشعراوي حينما قابلته لعمل حديث تم نشره على مدى ثلاثة أعداد من مجلة صباح الخير التي كنت رئيسا لتحريرها.. وكان هذا سلوكا طبيعيا نسمع الآذان والتكبيرات بخشوع ونقضي ليالي رمضان مع بعضنا البعض متزاورين متحابين .. لكن في زماننا هذا الآن فقد رفض السلفيون الوقوف حدادا على البابا شنودة بمجلس الشعب فوقفت أنا حدادا على سلوكهم في أحد برامج (التوك شو) استنكارا.

مطلب من الرئيس

هل كنت تتوقع أن يكون د. محمد مرسي هو الرئيس القادم لمصر؟ وما أهم مطلب تنتظره منه؟

لم يطف بذهني مطلقا ولا بخيالي أبدا أن د. محمد مرسي سوف يكون رئيسا للجمهورية، وكنت أتمنى أن أرى مصر الخضار على يد الفريق أحمد شفيق الذي أعتبره من أذكى الناس الذين قابلتهم في حياتي.. فقد كان

بإمكانه أن يحول هذا البلد إلى خضار ولا يستنسخ ولو (فتفوتة) من النظام السابق.

لكنه كان مصرا على أن مبارك هو مثله الأعلى إلى جانب تصريحه الذي أدلى به في أحد البرامج والذي أكد فيه أن (العباسية) بروفة لمن يخرج للتحرير ويطالب بإسقاط شفيق، كما حدث لمبارك فهل هذا نوع من الذكاء خاصة وهو مازال في حملته الانتخابية؟

إنه رجل عسكري وبالمناسبة هو لم يخرج بيانا بذلك، ولكنه تعبير ما كان يجب أن يخرج منه خاصة في لعبة الانتخابات، وأما عن خروج الشعب لميدان التحرير والمطالبة بإسقاط الحاكم إذا انحرف فأقول.. لقد انتهى الأمر ولن يستطيع هذا الشعب أن يمنعه أحد فقد عبر حاجز الخوف، ولكن أخشى ما أخشاه في الفترة القادمة هو تكميم الأفواه. وما أطلبه من الرئيس محمد مرسي ألا يجعل الفكر السلفي المتشدد له السطوة علينا وأنتظر مصير الهوية المصرية وشكل الحكومة القادمة.

الثورة في العيون

كنت ترى أن العشوائيات والبطالة هما وجع في قلب مصر، فهل كنت تتوقع أن تكون الثورة هي ثورتهم؟

لو لم يقم الشباب بثورتهم لكانت قد حدثت ثورة للجياع وهذا الكلام مؤكد؛ لأنني كنت أتجول بالكاميرات في هذه الأماكن وأنزل للبدروم لأرى بلاوي لم أستطع إظهارها على شاشة التليفزيون، لقد كنت أسجل معهم قرأت في العيون بحكم عملي إصرارا على شيء ما؛ بدليل أن هذه الثورة خرج بعدها كم من الاحتجاجات التي خرج فيها الناس تطالب بالحياة في وقفات احتجاجية لا حدود لها.

إضافة إلى ذلك أن هناك من الناس من حركهم الطمع.. (عاوزين أكثر) بدعوى أنه إن لم يأخذ حقه الآن فلن يأخذه في وقت آخر.. كما كان يقول دائما أنور السادات (من لم يغتن أو يعمل قرشا في زمني فلن يعمل ذلك طوال عمره).

هل كان الانفتاح بداية للمأساة التي عاشها الشعب المصري مما أدى إلى خروجه بثورة؟

طبعا.. لا يمكن إطلاقا أن أنكر أن أنور السادات قيمته الحقيقية في نصر أكتوبر العظيم بعدما أدخلنا عبدالناصر في عصر العار (في النكسة) بسبب عاطفته وقلبه الحنين (لعبدالحكيم عامر)، ومن المؤكد كانت فيه حاجات عظيمة مثل (السد العالي).. لكن بشاعة عدم مشروعية (حرب اليمن).. وذهاب المشير عامر لسوريا.. لعمل وحدة ورقية (بين مصر وسوريا)، ولم نكن نعرف طبيعة البشر بالشام نحن هنا (موظفون) لكن هم هناك (تجار) وهذا لا يمشي مع ذاك لا يوجد شيء اسمه طباعة بالكربون أو (ثورة بالكربون) هذه أشياء حدثت في حياتنا، ومن هنا فأنا أتربص وأراقب ما سيفعله الرئيس الجديد.

هل لديك مخاوف من الرئيس الجديد خصوصا بعد التأكيد منه على مدنية الدولة، وانفصاله عن تنظيم الإخوان المسلمين وأنه رئيس لكل المصريين؟

أنا في موقف المراقبة وأقول ذلك لأني أرى رئيسا ولكنه يتبع تنظيما دوليا وتنظيما أمميا أيضا، وعمري ما شاهدت بلدا (غير مصر) تفرح هذا الفرح لفوز رئيس دولة أخرى.. مثلا حماس سعدت.. سعادة الأرض كلها.. وفي قطر (سعادة الدنيا) أفهم أن تكون هذه الفرحة فرحة مصرية، أنا في رأيي أنها فرحة مصرية منقوصة.. لأنه ليس كل الشعب في مصر يريدون د. محمد مرسي من كان يريده بالتحديد هم الـ١٣ مليونا الذين منحوا أصواتهم له.

هزمته المناظرة

من الواضح أن صوتك للفريق شفيق.. ولكن لو كان خارج السباق الرئاسي فلمن كان سيذهب صوتك؟

أنا لست من المنادين بأنه إذا ما كانش شفيق يبقى حمدين صباحي.. إنما الرجل الذي هزمته المناظرة وكان يمكن أن يكون رئيسا لمصر.. هو عمرو موسى.

لقد سعدنا بوجود مناظرات في مصر، وتمنينا أن تكون تلك المناظرات تجرى بين كل المرشحين كما يحدث في العالم المتقدم.. فهل تعتبر أن المناظرات شيء سلبي؟

لا ولكن.. لم يأت الوقت بعد!! لأننا كشعب نحكم بالنظرة نحن شعب عاطفي.. لم ينضج بعد.. فمثلا لما عمرو موسى يقف وهو يتكلم وقفة معينة.. يقولوا.. (إيه الألاطة دي).. لما يقوله أبو الفتوح (حتعمل إيه مع إسرائيل) الناس تقول (إيه الشرشحة دي) الشعب المصري شعب لم ينضج نعم ولكنه (حويط).. مثل الفلاح المصري حويط.. ممكن يأخذ نقودًا وأرزًا وشعيرًا.. وينتخب شخصا آخر.. وإذا لم تعجبه نظرة (مجرد نظرة) من الشخص يتم الحكم عليه فورا!! أحكامنا سريعة.

ما الانطباع الذي خرجت به عن الانتخابات الأخيرة؟

حزن مفاجئ في الجولة الأولى للأصوات التي حصل عليها عمرو موسى وهو أول من بدأ حملته الانتخابية في مصر.. والمفارقة أن د. محمد مرسي جاء في آخر وقت وتقدم بطريقة غريبة.. لقد تقدم كاحتياطي بدلا من المهندس خيرت الشاطر الذي كان متمسكا بجنون، وكانت ممكن الإعادة تكون بين خيرت الشاطر وعمر سليمان.

ثم دق مفيد فوزي على الترابيزة بقوة بما، وكأنه يريد أن يصل فكره إليَّ بالإشارة!!

لدينا بعد انتخاب الرئيس أزمات منها أزمة الجمعية التأسيسية للدستور فما رأيك في ذلك؟

أول ما أتذكر الجمعية التأسيسية.. أضحك.. لماذا؟ لأنها صارت مثل سمك القرش الذي يخرج على الشاطئ!! أم هي فزورة لا أدري!! ومن أسوأ ما خلفته الثورة عدم الاتفاق على وجهة نظر واحدة وعدم الاتفاق على شخص.. وإذا رجعنا لما قاله د. فاروق الباز عن الثورة، قال إن جيلنا لم ينجح مثل ما نجح الثوار.. وهذا ما قاله بعد الثورة بحوالي 25 يوما، ولكن منذ إسبوعين فقط.

إن الاتفاق مع شخص واحد من الثوار حول رأي واحد من رابع المستحيلات للعناد غير المعقول.. فقد أصبح عدد الائتلافات يزيد على الـ 182 ائتلافا، ولم تعد لها منهجية ولم يعد لها مجرد قيادة.. وهذا الفرق بين ما عايشت في ثورة يوليو فقد كان لها منهجية وكان لها قائدها الأول (محمد نجيب) ثم خرج عبد الناصر من الثورة وأبعد محمد نجيب لطول العمر، وأرسل ثروت عكاشة سفيرا لإحدى الدول وغيره.. ثم تولى القيادة لكن في النهاية كانت ثورة لها أهداف.. الثورة اندلعت في يوليو وفي 9 سبتمبر كان هناك (الإصلاح الزراعي) ومحاكم ثورية يرأسها بغدادي.

هناك ائتلافات اخترقت الثورة ولكنها في الحقيقة كانت بفعل الثورة المضادة.. لإضعاف قوة الثوار وتشتيتهم فهل هذا صحيح؟!

ما حدث في يوم 25 يناير للتاريخ كانت (هبة شبابية).

لكن الشعب المصري (مسك في ديلها)

اسم الله عليك.. تعبيرك دقيق (مسك في ديلها) الشعب في يوم 25 و 26 و 27.. نعم كل هذا شباب الثورة وفي يوم 28 يناير كان هناك (منصة للإخوان)!!

هل تقصد أن الإخوان المسلمين انضموا للثورة مؤخرا كما يقول البعض؟

يكفي أن أقول (طلعوا على المنصة)!!

كيف تنظر للأزهر كمرجعية دينية؟

أنظر إلى الأزهر كمرجعية دينية بقداسة تماثل قداسة البطريركية وكل مسيحيي مصر يؤمنون بأن مرجعية الأزهر إنما هي تمثل الوسطية الحقيقية والمعتدلة في الإسلام؛ ولذلك فأنا أفكر في مصير شيخ الأزهر الآن هل سوف يكون بالانتخاب لكي يأتوا بمن يستطيعون أن يأمروه؟ وكذلك مصير المفتي إذا جاء بالانتخاب هل يحلل فتاواهم؟! إنها سوف تكون مصيبة المصائب.

ألست معي في أن التعيين في وضعنا الحالي يكون أخطر بكثير؟؟ وهل ترى أن مرجعية الأزهر مهددة الآن؟

فعلا عندك حق فمثلا ممن الممكن تعيين الشيخ فلان الفلاني السلفي مفتيا للجمهورية، أو يتم تعيين الشيخ العلاني شيخا للأزهر!!.. أما عن تهديد المرجعية الدينية للأزهر فبالطبع أشعر أنها مهددة.. والدليل ما حدث في وثيقة العهد.. إن من أحد عيوب الثورة اهتزاز المؤسسات الدينية سواء أكانت مسيحية أم إسلامية.

وقد نكون بالثورة عبرنا حاجز الخوف ولكن عبرنا أيضا حاجز الاحترام.. وتأثير ذلك على الأجيال القادمة، أن ما يحدث بالمدارس الآن من تطاول على المدرسين.. أو ما نسمعه من الأطفال ومقولة (يسقط حكم العسكر) خطير لأن هؤلاء أطفال ونشء وهذا في النهاية جيش البلد. وقواتها المسلحة!! ومن يتهم حكم العسكر بالديكتاتورية أقول لا ديكتاتورية أفظع من الفاشية الدينية وهي أخطر من العسكر 100 مرة، ديكتاتورية العسكر ممكن تقويمها أما الفاشية الدينية فهي تسري في الوجدان وتسيطر سيطرة غير عادية تنتشر وتنتفش وتحول الحياة إلى سواد.

هل لك موقف من المادة الثانية في الدستور؟ وهل أنت مع بقائها في الدستور الجديد؟

أنا مع بقاء المادة الثانية في الدستور الجديد.. ونعم دين الدولة الرسمي هو الإسلام.. طبعا ولكن أن يتسلل الدين إلى السياسية فهذه خسارة مصر الحقيقية، وكنت أحلم دائما أن يتم نقل الدين لقلب الساسة ولتصرفاتهم ولسلوكياتهم وذلك للحد من مطامعهم ويقلل من شهوتهم.. لكن أن يسري الدين في السياسة هذه هي المصيبة الكبرى!!

حرية الإبداع

ما الذي أثار قلقك في خطاب الرئيس؟

حرية الإبداع.. لم تأت على لسان د. مرسي في خطابه.. وجاء على لسان الدكتور مرسي سائقي (التوك توك).. لم يذكر حرية الإبداع المفروض أنه لم يترك أحدا بدءا من سواق الميكروباص إلى سواق التوك توك على فكرة في لحظة من اللحظات كانت مصر كارهة بشدة للتوك توك.

لكن اتضح أننا أتينا به من الهند؛ لأنه رخيص السعر ولكنه هو سر المصايب في الحوادث بالبلد، أرجو من الدكتور مرسي تكريس وقته لحماية الطرق من سطوة التوك توك.

حب حرية الإعلام يا دكتور أهم من اهتمامك بسائقي (التوك توك).

بماذا تقيّم حكومة الجنزوري في المرحلة الانتقالية؟

الجنزوري أنا أقول كلمة واحدة فقط شكرا ياريتك كنت أنت اللي معانا من بعد الثورة مباشرة مش مهم أن تكون الميدان.. إنما احنا عشنا قبل الجنزوري زمنا مهدرا في الطاقة والبشرية والاقتصاد وبداية التدني الذي كان بداية عصر قطع الطرق.. وسيذكر التاريخ أن عصر السيد عصام شرف

مرتبط بقطع الطرق. أما إذا كنت تريدين الدخول إلى أوردتي وشراييني.. السلاح اللي دخل مصر والذي أتى عبر الأنفاق ومن ليبيا ومن تحت السلم فلمن هذا السلاح؟! لا أعرف!! ولذلك وزير الداخلية القادم أعتقد أنه صاحب أهم مهمة في مصر، بشرط أن يعمل لمصر وليس للإخوان فلا ينتقم من أمن الدولة الذين ظلوا يطاردون الإخوان زمنا طويلا.

وزارة الإعلام ضرورة

هل ترى ضرورة لوزارة الإعلام في مصر؟ وما رأيك في شكل الملكية بالنسبة للصحف القومية؟

في العالم الثالث وجود وزارة للإعلام ضرورة.. ولا يوجد مثيل لها في العالم المتقدم.. أقول ضرورة لأنه لابد أن يكون هناك من يستطيع أن يضبط الإيقاع في البلد قيما وأخلاقا.. هذا شيء خطير وأرى أنها أولوية تسبق الأشياء الأخرى أما عن ملكية الصحف فسوف تظل الصحف مملوكة للدولة.

هناك صحافة خاصة، ولكن الصحافة القومية ستظل صحافة دولة وهي دخلت في تحد كبير مع الصحافة الخاصة.

نشر في صحيفة الأخبار

يوم 2 يوليو 2012

كلمات . . . محفورة في القلب

"أعطي صوتي لزعيمي المرشح

عن دائرة الشارع المصري . .

مفيد فوزي"

أبي فوق الشجرة

بقلم :حنان مفيد فوزي

في زمن هتكوا فيه عذرية المحبة، وأعلنوا فيه عن وفاة الوحدة بعدما تاجروا بقدسية الأديان، واستباحوا عرض الأوطان، فشيعت جنازة الأمن والأمان والسلام في دنيا الأقنعة المستهلكة على الهواء، والضمائر المستعارة في السراء والضراء، والخطوات المكبلة بالعثرات، والخطابات مقطوعة الوصلات، والثوابت الخاضعة للمتغيرات ..

في بلد ناسه فئران تجارب لكل عابر سبيل، واعتصاماته تحتج فضائيًا، وإعلانه برامج، وإعلامه مسابقات، وبضائعه صيني، ودواؤه مغشوش، ومياهه صرفية، وصرفه غير صحي، وخضاره مسموم، وفاكهته محقونة، ورغم ذلك أصواته مشتراة ببطانية صوف العسكري، مع أن نتائج انتخاباته مدونة سلفًا .

في جيل تعصف فيه مباراة كرة قدم بمستقبل شعبين عربيين، وتتوسع فيه استوديوهات التحاليل أكثر من معامله الكيميائية، وتبلغ ميزانية إنتاج مسلسلاته ما يفوق إنتاج مصانع ألبانه وأقطانه ومواد بنائه، وحين تتقزم الكيانات الحقة، تختلط الأوراق والأنساب والأعراف، فينقلب الهرم الاجتماعي ليصبح، عفوًا، أبو الليف أشهر من أبو الهول في طريق تضاربت فيه المعاني، فصارت الشجاعة تهورًا، والنقاء غفلة، والوداعة جبنًا، والسماحة ضعفًا، والحوارُ فذلكةً ، والتفاهم ضربًا من الخيال على القفا، حيث الود الحنون بأجر، والعناق الحميم بأظافر ، والفهلوة نجاح، والبجاحة جرأة ، والنصب شطارة ، والفيل فـ المنديل، وتحت القبة شيخ، وفوق المذبح كاهن .

في واقع معجون بالعنف والعقم والعبث، يتساوى فيه العاطل بالباطل بالحابل بالنابل بأبو رجل مسلوخة.. يقف أبي فوق الشجرة بكلامه المفيد، أحدث إصداراته الأدبية صبارًا صلبًا مستنيرًا متحرشًا بالأمل، متسلحًا بالإيمان، منتميًا لتراب هذا البلد، يضخ الكلمات في عروق المعاني، هي ثمرات من الطرب اللغوي الأصيل، بحروفها يبث الحقائق التي تنحاز لقضايا الغلابة والمهمشين وهم السواد الأعظم لهذه الأمة، عبر هذا الكتاب، إضافة إلى نوافذه الأسبوعية، في أهرام السبت، وعالم يوم الاثنين، وصباح خير الثلاثاء، و24 ساعة الخميس، وحديث المدينة الجمعة، وحده بغير مراسلين، إنه المراسل والمحاور معًا لعلامات استفهامه الباحثة عن الجدية في الإيضاح، والتبصير في النصيحة والنضج في الرأي، ومحاربة جموع التسيب والتساهل والتراخي لقطع ألسنة الشامتين، وبنبرة راصدة تخلو من السعال المسعور ينفذ إلى عمق الداء لا مقيدًا بوثنية الماضي، ولا مأخوذًا بفتنة المستقبل، وإنما حاضر في الحاضر كحكماء الهند الذين يلتحفون بكنوز الروح في الداخل لتعديل وتعمير الحياة في الخارج، ولماذا يا ترى يسبح في خليج المخاطر بقلم ملتاع، ويجوب الشوارع والحواري والأزقة نزولًا إلى البدرومات بكاميرات ثكلى، بحثًا وتحقيقًا بنفس طويل مسكون بالفضول يعتصر من حرقة الصيف وينتفض من صقيع الشتاء، ويستنشق أتربة وأدخنة برحابة صدر تخلو من الامتعاض؟! الإجابة : لأنه يحلم بإذابة دهون مصر المتراكمة على شرايينها بعمر أكثر استقرارًا وأقل وحشية، يعدم فيه حزب أعداء النجاح في ميدان عام، ويقل فيه نشاط الدعاة؛ ليصبح الاعتدال في المسيحية يقابل الوسطية في الإسلام، وتزداد فيه ميزانية البحث العلمي الذي يضرب التخلف في مقتل ويحقننا بالموضوعية، وتختفي العنوسة والخلع والاختناقات المرورية وتدني الأجور وغلاء الأسعار والقتل العمد والخطأ والسرقة بالإكراه والرشوة المعفاة من الضرائب والتزوير بالحبر السري، وأورام المرض، وأمراض الفقر وفقر الفكر، وفكر الجهل،

والتلوث والضوضاء، والقبح بكل صوره وأنواعه، ومازال يحلم ويسبح ويجوب بروح العفرتة، كما وصفه ذات مقال الكاتب أحمد بهاء الدين، بنور الشغف الذي يضيء ظلمة العقول، كما صنفه ذات حوار الكاتب محمد حسنين هيكل، يتزين بالمصداقية ويتعطر بالحماس، ممشوقًا متجاوزًا حدود الزمان والمكان بالسؤال.. « فالسؤال عنده استفزاز نبيل لانتزاع الحقيقة، ابتزاز مشروع لمن يملك المعلومة، فعل علني فاضح في طريق الرأي العام، محاولة لهز الواقع الراكد وإخراجه من حذر الجمود، فلو كتمنا السؤال نكون مثل من كتم الشهادة». هذا نص كلامه السيمفوني الذي يحث على الوعي ويؤكد أن المواجهة خير إراحة للصدور، أما التعتيم فيحرض على العصيان الجماعي؛ ليقتلع اليابس والأخضر، ومن هنا استحق لقب المحاور الألفا الذي حفت أقدامه حتى انتقلت حروف اسمه من بنط 10 أسود إلى أكليشيه على صدر ما يكتب، ولم يعرف طريقه إلى الشاشات قبل 12 سنة قضاها في الإعداد، كان فيها الفكرة والمضمون والمعلومة لطابور من الإعلاميين شب على يده، ومرت على قلبه محن زادته تشبثًا بالكيان، وطالته الألسنة في محاولة للفتك به ولم يتأثر، وشاهد الأقزام يعتلون المواقع والطفيليات تجتاح المساحات فتحصن بكرامته في خندق الكبرياء، وصار الانفلات هو لغة العصر، ليكتب مستنكرًا ببلاغة.. ملعونة الكلمة التي تبرئ الحكومة مما اقترفت يداها، وتنافق النظام على حساب الشارع، وملعونة الكلمة التي تهز إيماننا بجناحي الدولة - الأمن والقضاء - وملعونة الكلمة التي تفتح جرحًا طائفيًا في جسد الوطن وتشكك في مقدسات هي جزء من تراثنا باسم حرية التعبير، وملعونة الكلمة المبشرة بسراب أو المحرضة على إحباط أو الملتوية أو المفككة أو المفخخة، فالجرأة ليست هي الإبحار المتدني في الجنس، ولا الفج في الدين ولا الهمجي في السياسة، الكلمة الحقة هي التي جاء ذكرها في الحديث الشريف «الكلمة الطيبة صدقة» وذكرت في الإنجيل «الكلام اللين يصرف الغضب»، ومن صدقات الكلمات اللينة، أعطي صوتي لزعيمي المرشح عن

دائرة الشارع المصري.. مفيد فوزي.

أكتب اليوم لمن علمني حرفًا وأسلوبًا وأداءً وإحساسًا، وزرع في طريقي شجيرات التعبير فصرت له ابنة عاشقة، متيمة مخلصة لميثاق شرف حبه واحترامه وتقديره، إنه الحزب الحاكم لقلبي والقيمة المثلى في ذهني ودستوري في الحياة، إنه قنديلي في العتمة ودليلي في الغربة وصديقي الصديق، الذي سأبعث له برسالة علنية لتطبع آلاف المرات اعتزازا به، وأقول : يا أغلى الناس لا تبعثر حزمة أعصابك على ذوات الهشاشة والعضال، بل حافظ على مناعتك النفسية والبدنية بالطعام والصلاة والحب، ففي قربك للخالق الكريم ملاذ يقيك شر المخلوقات، فاستجمع أحزانك وتغلب.. استنهض أحلامك، وصوب وأشرق في نهاري كل صباح ليدوم الحق والخير والجمال ..

أبـوها ..

بقلم: سليمان جودة

لا يزال إذا كتب، فإنه يكتب، وكأنه يشكل أول جملة في حياته، مع أنه كاتب محترف يتذوق جمال العبارة في أذنيه وعلى لسانه، قبل أن يجرؤ على أن يخرج بها إلى الناس !

ولا يزال إذا ظهر على أي شاشة، فإنه يفعل ذلك، وكأن هذه هي المرة الأولى التي يواجه فيها كاميرا في تاريخه، مع أنه متمرس على هذا العمل، ومع أنه يعرف إذا أطل من فوق الشاشة كيف «يسرق» كاميراتها، ويستحوذ على انتباه المشاهدين !

ولا يزال إذا انتقد فإنه ينتقد الأوضاع لا الأشخاص .. ينتقد الموضوع لا الأفراد، وإذا كان لابد من انتقاد الأفراد أو الأشخاص، فإنه ينتقدهم دون تجريح ودون شتائم ودون إهانات من أي نوع !

كان رئيسا لتحرير مجلة حكومية لسنوات، ومع ذلك فإنه في تلك السنوات لم يكن حكوميا ولا كان حكوميا بعدها، أو حتى قبلها، وإنما هو في كل مرة يريد أن يكون ملتزما بقضايا بلده كما يراها وكما يرى حلولها، ولو شاء أن يكون حكوميا لتفوق على كل هؤلاء الحكوميين الذين يسيئون إلى الحكومة أكثر مما يضيفون إليها، والذين يعرفون بينهم وبين أنفسهم أن الناس لا يصدقونهم مهما قالوا ومهما كتبوا !

ولو أنك لاحظته وهو يعمل سواء أكان ممسكا بالقلم على الورق أم الميكرفون على الشاشة فلن يفوتك قطعا أنه يدرك جيدا أن كل عمل له «أصول» يجب أن تراعى في كل لحظة، وإلا فإن العمل يفقد معناه، ويفقد قيمته، ويفقد رسالته الواجبة ويدرك الرجل كذلك، وهو مع قلمه أو ميكرفونه، أن كل مهنة لها قواعد ولها مبادئ، ولا يجوز تحت أي ظرف التخلي عنها

أو حتى التساهل فيها .. وإلا صارت المهنة أي مهنة شيئا آخر لا علاقة له بالأصل الذي يجب ألا يغيب عن أعيننا !

سوف يعجبك فيه يقينا أنه أحرص الناس على أن يكون دقيقا في كلامه، وفي عمله وهي دقة من فرط حرصه عليها تكاد تصل معه إلى حد الحساسية التي لا تقبل أن يتوقف العمل عند مرحلة التمام، وإنما يسعى به إلى مرحلة الكمال لله وحده .. ولكن هذا هو الرجل .. وهذه هي رغبته التي لا تنطفئ !

في رمضان الماضي سأله زميلنا وائل الإبراشي عما إذا كانت لديه نصيحة للذين يعملون في الإعلام، فأمسك بورقة وقلم بسرعة، وكتب كلمة واحدة ثم رفعها أمام المشاهدين على قناة دريم .. وكانت الكلمة : مصر! أما الرجل فهو « مفيد فوزي » وأما مناسبة هذا الكلام فهي مقالة لابنته حنان في المصري اليوم صباح الاثنين بعنوان أبي فوق الشجرة !

فيس بوك . . حياتي

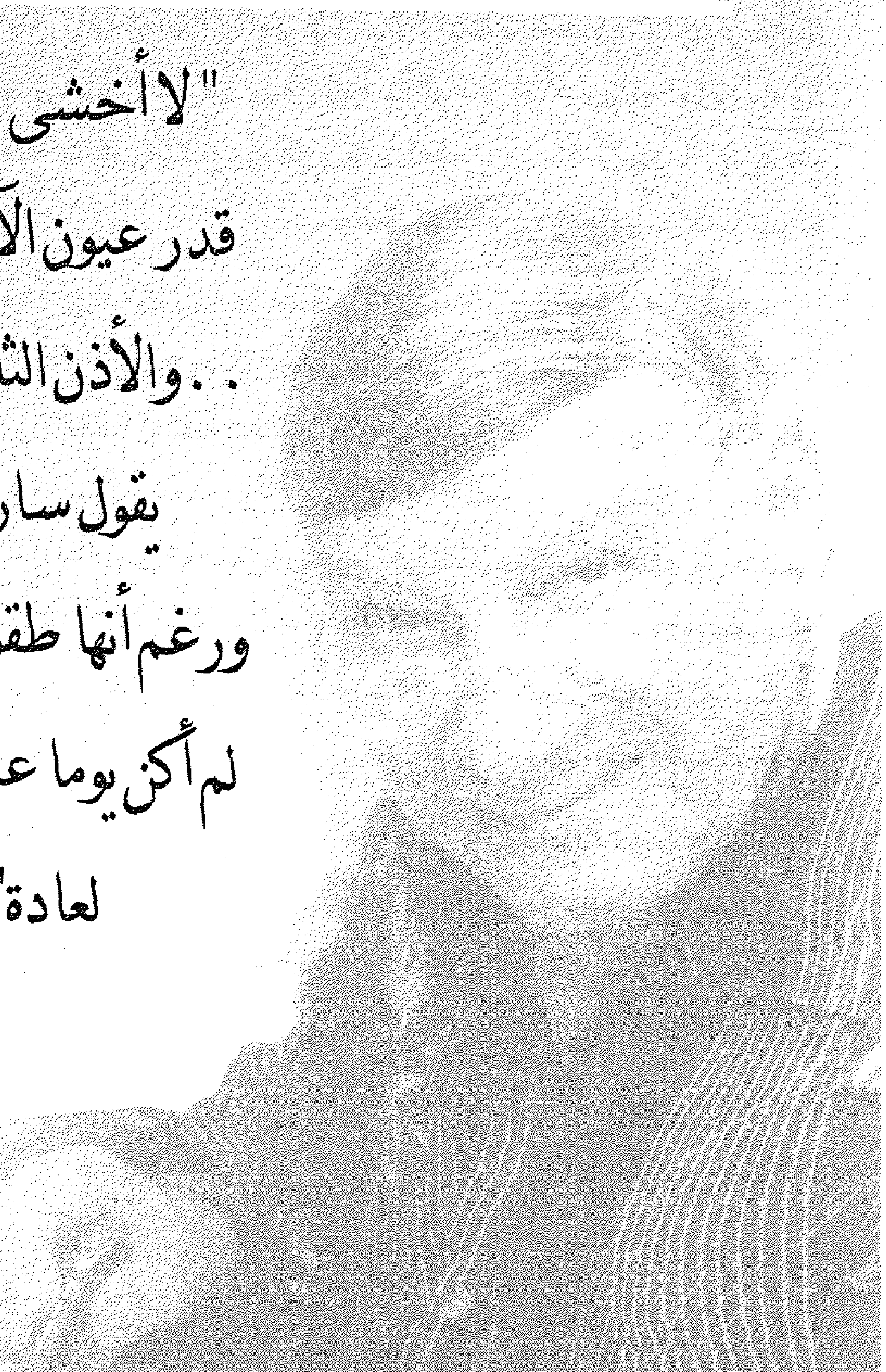

"لا أخشى شيئًا
قدر عيون الآخرين
والأذن الثالثة كما . .
يقول سارتر
ورغم أنها طقوس . .
لم أكن يوما عبدا . .
لعادة"

يعتبر النظام من أهم الطقوس في حياتي .. تعلمت من أمي في بداية حياتي وأيام الصبا والشباب .. أنه لابد أن أكون مرتبا جدا وأذكر أنني في سن العاشرة أو الثانية عشرة كنت أرتب الكتب والكراسات الخاصة بي، وكذلك المحبرة لها مكان؛ لأننا كنا نكتب بقلم حبر ولابد أن يغمس في المحبرة، وأذكر أن المحبرة ذات يوم سقطت على ملابسي؛ لأنني كنت أضعها في مكان قريب للملابس وليس في مكانها الطبيعي .

تعلمت أيضا أن أرتب ملابسي قبل النوم بمعنى أن أجهز ما سوف أرتديه باكرا، وذلك منذ أيام المدرسة كنت أجهز القميص والجاكيت والبنطلون، ولم أرتد بنطلونا قصيرا في المدرسة، بل كنت أرتدي البنطلون الطويل وهذا الأسلوب رافقني طوال رحلة العمر حتى الآن؛ بمعنى أنني بعد الانتهاء من مقابلة، أو عندما أفرغ من الكتابة أبدأ في ترتيب ملابس اليوم التالي، وأختار القميص والبنطلون والجاكيت وكذلك الحذاء، فإذا كانت ملابسي من اللون البني أختار حذاء بنيا، وإذا كانت ملابسي سوداء أختار حذاء أسود وغالبا أقوم بتلميعه بنفسي .

وفي الصيف أفضل اختيار الحذاء الخفيف بلا جوارب وفكرة الأحذية عندي لها تراكمات قديمة تعود لطفولتي؛ حيث إنني كنت محروما من وجود أكثر من حذاء، وكان عندي حذاء واحد فقط لونه أسود ويأتي عم حسن بطاطا، ويأخذ رقم مقاس الحذاء على الأرض ودوما يكون الحذاء برباط، ويرجع عم حسن بطاطا بعد شهرين حيث يكون قد انتهى من تفصيل الحذاء وأفرح جدا به .

بدأت المتاعب في حياتي عندما كنت ألعب كرة وضاعت مني فردة حذاء، وعاقبني والدي وتم تقييدي بالسرير، وجاء عم حسن بطاطا ليأخذ مقاسي ويجهز لي حذاء جديدا، وكان أبي قد اشترى لي حذاء آخر من محل في بني سويف اسمه عبد العزيز، وهو حذاء متواضع بالقياس لأحذية عم حسن بطاطا .

لم أعرف الحذاء الذي هو بدون رباط إلا عندما كبرت وأصبح معي نقود أشتري بها ما أشاء، وأختار أحذيتي بنفسي وكذلك ماركاتها .. وكنت أقف في سفرياتي أمام المحلات لأختار بعناية شديدة حذاء له ميزتان الأولى أن يكون عريضا من الأمام؟ وذلك لأنني منذ إصابتي بمرض السكر أختار أحذية واسعة؛ لأن الأطباء يحذرون مريض السكر من ارتداء الأحذية الضيقة حتى لا تزيد من متاعب السكر، أما الميزة الثانية فهي أن يكون اختياري للحذاء مريحا، وله نعل كاوتشوك من أسفل كي يساعدني على الحركة، ولا يقودني للسقوط، ولهذا أدقق في اختيار الحذاء الذي ألبسه والمبلغ الذي أضعه في حذائي لسلامتي وليس للشياكة، أيضا عرفت معلومة من طبيب أن مريض السكر عندما تشتد عليه المضاعفات من الممكن أن يؤدي ذلك إلى بتر القدمين، وقد أصبت بمرض السكر في ليلة 15 أكتوبر عام 1964، وحدث ذلك عندما ذهبت إلى بيت عبد الحليم حافظ وطلبت كوب ماء وشربته، ثم طلبت مرة ثانية فشربته، ثم جاء لي بزجاجة مياه فشربتها، وداعبني عبد الرحيم بقوله هو حضرتك يا أستاذ مفيد أكلت فسيخ؟ قلت له: لأ، وقلت له عاوز ميه، فأحضر لي زجاجة فشربتها، وكنت محرجا في طلب زجاجة رابعة فدخلت الحمام، وفتحت صنبور المياه وضممت يديَّ وكأنها كوب، وشربت كثيرا، ولما استيقظ عبد الحليم من نومه سأل عبد الرحيم مين بره؟ قال له الأستاذ مفيد فأذرفت الدمع وحكيت له الحكاية، وحكى له عبد الرحيم موضوع شرب المياه وسأله حليم شربهم؟ فأجابه عبد الرحيم أيوة شربهم!

اصطحبني عبد الحليم وذهبنا في نفس الليلة لمقابلة الدكتور ياسين عبد الغفار الذي أجرى لي تحليلا للسكر، ثبت فيه أنني أصبت بالسكر، ثم نصح

الدكتور ياسين بضرورة ذهابي إلى الدكتور فايز صليب، وفعلا ذهبت إليه وأجرى تحاليل جديدة، وقال لي بالحرف الواحد: آسف يا أستاذ مفيد إنك تبدأ حياتك مريض سكر بالأنسولين مباشرة، ذهلت؛ لأن أي مريض سكر يمر في العلاج بمرحلة الأقراص ثم الأنسولين، أما أن يكون العلاج من البداية بالأنسولين فذلك غريب عليَّ، وقد عشت لحظات قاسية؛ لأنني لم أكن أعرف كيف أعطي الحقنة لنفسي ثلاث مرات في اليوم، وطلب مني د إبراهيم بدران تخصيص ممرضة لإعطائي الحقنة ثلاث مرات في اليوم قبل الإفطار، وقبل الغداء، وقبل العشاء، وظللت على هذه الحالة لسنوات ولم أستطع تناول أي وجبة دون أخذ الحقنة، وهذه هي عذابات مريض السكر، ثم سافرت إلى الأردن لحضور مهرجان جرش، وطلبت من إدارة الفندق طبيبًا يعطيني حقنة الأنسولين، ولما نزلت وقابلته اكتشفت أنه قارئ لي منذ أن كان طالبا في كلية الطب، ففرحت جدا به وعلمني كيف أتقن أخذ حقنة الأنسولين، وهذه هي حكايتي مع الأطباء ومرض السكر وآخرهم الأستاذ الدكتور محسن سامي .

عشق الورق والقلم

عندما كنت أسافر للخارج أختار من أي مكتبة بعضا من الأقلام الفلوماستر؛ لأنني مولع بالأقلام بشدة وأحب اقتناء الأقلام الفلوماستر كما أنني أشتري الأدوية من الصيدليات وفي نهاية الرحلة أذهب إلى محلات معينة أختار منها بعض الكتب ذات الطابع الإنساني، التي تحوي تراجم المشاهير وبعض اسطوانات الموسيقى، التي تضم عزفا على البيانو، بالإضافة إلى أنني أقتني أي أغنية جديدة تشدو بها شفتا العظيمة فيروز، وهذا النظام أتبعه منذ فجر حياتي ويلازمني حتى الآن .

على مكتبي يوجد ورق للكتابة أبيض ومجموعة من الأقلام يتوسطها القلم المصحح؛ حيث أقوم بتصحيح ما أكتبه مباشرة وفي الحال .. فأنا مازلت مخلصا للورق والقلم، ولم أحاول بأي شكل من الأشكال إرسال مقالاتي

بالإيميل أبدا .. إنني أشعر أن ملامسة القلم للورق يعطيني لذة كبرى وفسحة للتفكير والتأمل وإطلاق العنان للخيال، وإرسال الكلمات واستقبالها من فوق فروع الخيال، والآفاق؛ كي تسقط على سن القلم الذي أكتب به وتولد تماما فوق الصفحات.

ما زلت أحتفظ أيضا بسكرتيرتي وهي أجندتي .. وفي كل عام قبل نهاية شهر ديسمبر أذهب إلى إحدى المكتبات لأشتري أجندة خاصة بالمكتب تقريبا هي التي تدير حياتي؛ فأنا أحدد تماما كل التزامات اليوم بكتابته والتزامات الأيام الأخرى حتى لا يفلت مني أي شيء، وفي بعض الأحيان أكتب في صدر الصفحة للتذكرة فقط، وعندما عشت وحيدا بعد رحيل آمال.. كنت أكتب موعد تسديد فاتورة الكهرباء، والتليفونات، ومخاطبة البنك والاتصال بشقيقي.. كل هذه التفاصيل الصغيرة، كان من الممكن أن أجريها على أي وسيلة إلكترونية ولكنني لم ألجأ لذلك؛ لأن تكويني النفسي تربى على احترام الورق والقلم، وقد اشتريت مؤخرا آي باد، وهو مجرد وسيلة للحصول على معلومات وهكذا المواعيد كلها أكتبها بشكل دقيق على الأجندة، ومن الغريب أنني أحتفظ بالأجندات كاملة لكل سنة، ومازلت أحتفظ بعدد هائل من الأجندات لم أفرط فيها، وغالبا أسجل كل أرقام التليفونات التي استخدمتها على مدار العام، وقد تعلمت مؤخرا كيف أسجل هذه الأرقام على الموبايل .

الانضباط في المواعيد

من الأشياء الدقيقة في حياتي مواعيد الغذاء، تعلمت أن تكون محددة.. أعترف أن السكر كمرض لابد أن أتعايش معه، وأن أكون مطيعا لأن التحدي مع مرض السكر شيء خطير ومخيف؛ لأنه يضرب الجسد في مناطق كثيرة ومن هنا تعلمت الانضباط في المواعيد كما تعلمته من اثنين، هما الأول أحمد بهاء الدين، الذي كان يذهب للمجلة في السابعة والنصف صباحا، ويغادر في الثالثة.. يقرأ الصحف ويشرب فنجان قهوته، ويخطط في المجلة

واكتشفت سرا ربما لا يعرفه أحد عنه، وهو أنه كان مولعا برسم صفحات المجلة، ويذهب بها إلى حسن فؤاد، ليدير العملية الفنية لصفحات مجلة صباح الخير .

أما الثاني فهو الأستاذ هيكل .. إنه الانضباط ذاته .. وقد عرفته في الأستاذ محمد حسنين هيكل الذي يجلس بكامل ملابسه حتى الآن في الثامنة صباح كل يوم، يقرأ الصحف ويستمع لموسيقى هادئة بجواره، ويشرب فنجان قهوته الصباحية ثم لا يقابل أحدا قبل العاشرة والنصف صباحا، وفي تلك الفترة كان يتعرف على أخبار العالم، ويرد على الخطابات ويكلف السكرتيرة بأن تفعل أشياء كثيرة لدور النشر والصحافة العالمية .

كل هذه الأشياء تعلمتها من رجال عظام قدموا نجاحا كبيرا في الحياة بفضل الانضباط في المواعيد، تعلمت أن أذهب مبكرا قبل موعدي حتى يأتي الموعد، وأنا حين أستخدم سيارة وسائقًا ليس من باب الشياكة أو الوجاهة؛ لأنني تعرضت لحادث عندما ذهبت مع صلاح عبد الصبور، ليخطب فتاة سورية بالمهندسين، ذهبنا معه أنا وعدلي فهيم، وفي إحدى التقاطعات فاجأتنا سيارة مسرعة، واصطدمت بسيارتنا فخرج صلاح سالما وخرج عدلي فهيم من الباب مصابا بخدوش؛ أما أنا فلم يستطيعوا إخراجي إلا بعد أن كسروا الباب وأصبت بكسر في الترقوة، ومكثت في مستشفى بعابدين خمسة عشر يوما، زارني خلالها إحسان عبد القدوس ونرمين القويسني، ومديحة عزت، ولبنى عبد العزيز، وجلست مرفوع الذراع؛ لأن كسر الترقوة كان بجوار الرقبة ومنذ ذلك الموقف وأنا كرهت قيادة السيارة، والجلوس بجوار السائق لكنني الآن أجلس بجوار السائق ولا أجلس في الخلف، واستعنت بالسائق والحقيقة أن التعامل .. يحتاج إلى ذكاء وضوابط .

ملابسي ..عادات نفسية

أريد أن أقول إن من أحد طقوسي المهمة في السفر الحرص على أن تكون حقيبتي ممتلئة بالملابس فأنا أحب تغيير الملابس، ولا أحتمل أن أظل بالملبس الواحد لفترة طويلة؛ ولي أصدقاء في السفر يتعاملون بالجينز طوال رحلة تتكون من 7 أو 8 أيام .. إلا أنني عندما أغير ملابسي أشعر كأنني أغير نفسي؛ حيث لا يعقل بأي حال من الأحوال أن أستمر على ارتداء ملبس واحد طوال الوقت .

من طقوسي التي أحبها فكرة تذوق الجمال.. أتذكر أنني عندما سألت بطرس غالي عن الجمال قال بطريقته : أحب المرأة الجميلة وكررها بالفرنسية، وعندما كنا نجلس فوجئت بفتاة نحيفة تسير بخطوات منتظمة وكان ذلك بمبنى الأمم المتحدة قلت له أنا أحب النحافة، والأناقة في المرأة.

قال لي : وأنا أحب الجمال في المرأة .

قلت له : ولنفترض أنها بلهاء.

قال لي :لا يهم ..المهم أنها جميلة .

ومن هنا أعتقد أن أجمل نساء العالم في بيروت العربية وروما الإيطالية، ولكن المرأة الألمانية ليست أنيقة ولا جميلة، وليس لديها مؤهلات الرشاقة .. إنها كم من اللحم ومعه لهجة الأوامر، حتى الأغنية الألمانية كنت ألاحظ أن بها لهجة أوامر، واللهجة العاطفية الألمانية بها لهجة أوامر .. أيضا ولكن اللهجة الإيطالية لهجة حب، والمناقشات بين الرجل والمرأة كلها حب والأغنية الإيطالية أغنية حب، والأناقة لا تقتصر فقط على النساء بل إن الرجل الإيطالي رجل أنيق أيضا.

أريد أن أتوقف عند نقطة مهمة في السفر؛ حيث إنه دائما في السفر يشعر الإنسان أن في بيته شيئا قد نسيه، فأنا تعلمت حين أسافر أن أغلق كل ماله علاقة

بالكهرباء وأغلق بنفسي البوتاجاز، وأنزع فيشات الكهرباء حتى أسافر، وأنا مطمئن وأحمل طمأنينة داخلية بداخلي .

ولكن من الطقوس التي تدور في نفسي أنني شديد القلق، وهو يلعب دوره في رأسي وقلبي، ومن أسوأ ما يُبتلى به الإنسان هو السيناريوهات السيئة عندما أركب الطائرة أفكر في. ماذا لو سقطت الطائرة؟ وعندما أركب القطار أو أركب المترو في أوروبا أفكر في: ماذا لو خرج عن القضبان ؟

أفكر ماذا لو حدث ونزل أحد أصدقائي إلى البحر وأخذته موجة بعيدة، عندما كنت في الغردقة كنت أتحاشى النزول ليس فقط في البحر وإنما في (البيسين) الخاص بالفندق، وأتساءل ماذا لو زحف سمك قرش للفندق وأتى إلى حمام السباحة، وتكوم في الجانب ثم نهش أي إنسان.. هناك سيناريوهات سيئة دائما في رأسي وحين أصلي، أطلب من الله أن يبصرني بما أقابله في الحياة، وترحل هذه السيناريوهات لكنها قابعة عندي ولا أدري أسبابها ..وقد سألت أكثر من طبيب نفسي ولم أصل إلى إجابة شافية .

وعندما كنت أتحدث عن السيناريوهات السيئة في جلسة مع أصدقائي فوجئت بالعزيزة الكاتبة فريدة الشوباشي، تتحدث في نفس الموضوع، وتقول إن ابنها حينما يكون بعيدا عنها تفكر في السوء، قبل أن تفكر في الخير .. تفكر أن شيئا - لا قدر الله - سوف يحدث له إذا ركب قطارا، فوجئت في هذا بمن يشاركني الرأي أعتقد أن الأمر ليس له علاقة بالمهنة؛ لأنني كنت أعرف مهندسا للسيارات يفكر بنفس الأسلوب .. فهو يفكر في الشيء السيئ قبل الشيء الجميل، وهو يعمل مهندسا في إحدى شركات السيارات، يقول لي: وأنا أقوم بتصليح سيارة أتصور أنها سوف تسقط فوق رأسي، ولم أعرف سببا لذلك تماما مثل الصداع النصفي الذي يصيب بعض الناس ولا يعرفون أسبابه الخفية .

الخلافات الزوجية

من طقوس عمري أنني أميل في حالة الخلافات الزوجية إلى الجانب الإيجابي، ولا أميل إلى تحميل صدر أحد الزوجين من الآخر، إذا كنت صديقا أو قريبا، وحينما كانت تأتيني حنان ابنتي في السبع سنوات الأولى من زواجها؛ حيث تحدث عملية التكييف بين شخصيتين الزوج والزوجة كنت أميل إلى فكرة التصالح، ونبذ الخلافات ونفس الشيء مع آمال حينما كنا نختلف كنت أبتلع بعض الأشياء الخطأ التي كانت خطأ في الأسلوب والتصرف، وأشعر أن هذه الأشياء ربما تمت تحت الضغوط النفسية، خاصة الكلمات التي كانت تنطلق من امرأة غاضبة كما عشت ذلك في حياتي .. فتنطلق الكلمات كأنها رصاص تدخل وتعبر البيت وتستقر في النفس من الداخل كل هذه الأشياء خصوصا فيما يتعلق بالغضب الشديد عند المرأة ..

كنت أقول باسما إذا أردت أن تعرف معدن امرأة فأغضبها؛ فهي في الغضب تخرج كل ما لديها، لكنني كنت أميل دائما إلى طريقة تفكير مسيحية، ولا أعرف لماذا ظل في داخلي هذا النهج المسيحي، وأقول المسيحي لأنه ينزع دائما إلى السلام، وأقول إنني أكره الدخول في العداء بل أكرهه في حد ذاته، وأشعر أنه عتمة وظلام وأنه نزوع إلى حالة الحرب وحالة اللاسلم واللابهجة وحالة الفوضى .

مقاهي الشانزليزيه

أشعر دائما أن الزهور من أهم الأشياء التي أحبها في حياتي، وكذلك العطر والسماء الصافية، وكلها أشياء تجعلني في جانب متفتح من الشعور بالذات، ولذلك فالورود الخضراء الفسيحة تريح العين جدا، وبعض الأماكن مثل هولندا مثلا أشعر فيها بالراحة من فرط الخضرة، وفي ألمانيا رأيت أكبر خضرة في العالم، وفي باريس أحببت الغابات الفرنسية؛ حيث إن

الخضرة فيها لا حدود لها .. وأكره الصخب بشدة، وأكاد أهرب من أي مكان صاخب، ولا أحب الموسيقى الهستيرية الممزوجة بالدخان المتصاعد من أي مكان، وعندما أذهب لمقهى لا أجلس في الداخل، بل أختار الجلوس خارج المقهى، ولهذا تأخذني بشدة مقاهي الشانزليزيه الحي الشهير الذي يتوسط فرنسا وباريس بالذات؛ لأن الكافيين الموجود بالقهوة يقتل بهجتي .

من طقوسي أيضا النوم ساعة الظهيرة، فهو أكبر مكافأة لي حتى لو كان ساعة واحدة وقيمة نوم الظهيرة بالنسبة لي كأنه يفصلني عن أحداث يوم مضى .. الغريب أنني أشعر عندما أستيقظ من النوم كأنني مقبل على يوم جديد .

أتناول القهوة منزوعة الكافيين ولا أحب المثلجات، وأفضل الشيكولاته السوداء؛ فقد عرفت أنها تساعد على شيء من الانتعاش ورحيل الإحباط، فأنا من النوع الذي لا يشرب الشاي إلا مرتين؛ مرة في الصباح ومرة في الساعة الخامسة بعد الظهر.

إنني لا أفتح تليفوني إلا بعد العاشرة والنصف صباحا، أما تليفون البيت فلمن يعرفه يستطيع أن يحدثني، أما الموبايل فهو يأتيني بتليفونات من شتى الدنيا بما فيها مصر، ومعظم الذين يتصلون بي من أصحاب الشكاوى منذ أن أصبحت مسئولا عن حديث المدينة، وأصاب بالدهشة؛ لأن يعرف هذا الكم من الناس تليفوناتي في قرى لم أسمع عنها من قبل.

أحب بيتي جدا

من طقوسي الخاصة في زيارات الأصدقاء أنني لا أومن أبدا بمنطق المفاجأة في زيارة صديق لي إلا في عملي؛ ففي بعض الأحيان أزور بعض أصدقائي في عملهم كنوع من المفاجأة، ولكنني لست مع الزيارات المفاجئة في البيت .. لأنه لا أحد يعلم كيف أمضي وقتي في بيتي .. خاصة أن البيت

هو.. قلعة الإنسان الخاصة .. إلا أنني ألاحظ أن بعض الناس من باب العشم يزورك حيث لا وقت للزيارة، وأنا من النوع الذي يهتم جدا بتحديد الموعد بالضبط ويوم الزيارة؛ حيث إنه من مبادئي عدم اقتحام أحد في بيته أو اقتحام أحد بتليفون بعد منتصف الليل ما لم يكن صديقا من النوع الذي أعرفه، أنا أحافظ جيدا على مشاعر الناس وأطلب منهم المحافظة مثلي، وأحترم الناس جيدا وأطالبهم بهذا الاحترام، في المقابل .. أنا من الناس الذين يعاتبون وأدرك أن العتاب بحجم الحب، وإذا لم يف العتاب مكانته عندي فأنا أستبعد هذا الصديق من حياتي، وبعض المقربين يقولون إذا قفشت من حد عليه العوض؛ أي إنني لا أحب أن أراه أو أسمعه أو أطيق سيرته أو حتى أفكر في العودة إليه، وغالبا ما تكون هناك أسباب ما لخيانته أو غدره أو بلادته، والبلادة كانت في المرتبة الأولى؛ لأن بلادة إنسان معناها أنه ليس على موجة الذبذبات التي أرسلها من عندي، وهي موجة الأحاسيس أي الإحساس بإنسان آخر.

علاقة صداقة ..

علاقتي بحنان ابنتي .. لأنها أكثر إنسان مخلص أعتز بوجهة نظره، وأشعر أنها حينما تخاطبني فإننا نكون في حالة ننسى فيها الأب والابنة، وتعاملني على موجة الصداقة الحقة في كل الآراء .

قلت ذات مرة إن الصديق الحق هو الذي يبكي بعيون الآخرين، فحنان عندما تقول لي وجهة نظر أنا أسلم لها أنها تقولها لي من باب ليس فقط البنوة، ولكنها من باب الإيمان بأنها تدخل تحت بند التبصير؛ أي الإضافة إليَّ وأنا بطبيعتي قابل لأن أستمع إلى الآخرين.

وقد علمني برنامج حديث المدينة كيف أصغي إلى الناس، وقد يراني الكثيرون على الشاشة مخالفا تماما عن كل ما أحكيه عن طفولتي ومراهقتي وحياتي وطقوسي، وقد أبدو أمام الناس جامدا متحجرا، والحقيقة أنها ليست

شيئا من التحجر أو الجمود؛ حيث إنني حينما أقف أمام الكاميرا على شاشة التليفزيون لأقدم شخصية عامة فإن ذلك نمط من الجدية التي أحببتها في الشعب الألماني، وأحلم دائما بهذه الجدية لشعبي في مصر خاصة فيما يتعلق بمواجهة الحياة وإمكانيات نموهم وتطورهم.

الجدية وأشياء أخرى

أنا لست الإنسان الذي يظهر على الشاشة ليبتسم .. بل إن طراز الجدية، يحكمني؛ لأن الشاشة هي العمل.. أما الحياة الخاصة فأنا أبتسم في حياتي الطبيعية مثل كل إنسان.

إنني ألجا إلى المعلومات وأحب أن أكون مسلحا بها، ولكني أيضا لا أتخلى عن الجدية في تعاملاتي مع الناس .. إنني أتعامل مع حفيدي وأناقشه مثلما أناقش رجلًا وأتعامل مع طفلة شابة كما لو كانت أنثى كاملة النضوج، ويربطني بالشباب فكرة الشعور بأنني أخ أكثر من أب، وأنني صديق أكثر منها عمًّا، ومعظم من ينادونني خصوصا زوج ابنتي ينادونني بأونكل مفيد، وأغلب من في المهنة ينادونني الأستاذ، وبعض أصدقائي، وأغلبهم في المهنة ينادونني باسم عمنا، وفي تقديم البرامج، يرى بعض مقدمي البرامج من الشباب أنني أحتل مكان الريادة؛ بسبب تجربتي العريضة على شاشة التليفزيون التي تمتد إلى حوالي 40 عاما.

إنني أثق في جيل الشباب، ولكنني أتحفظ على عدم الانضباط في المواعيد، وعدم الاعتذار عند الخطأ .. فالبعض يرى أن الاعتذار خطيئة بينما أراه من أجمل الميزات والخصال في الإنسان المتحضر .. إنني لم أضع يوما قدما فوق قدم في حضرة محمد حسنين هيكل، أو فتحي غانم، أو أحمد بهاء الدين، وأنا من جيل يدرك جيدا أن الاحترام واجب .

الشموع والألوان والضوء

من بين الطقوس التي أحرص عليها في حياتي حبي للألوان .. وقد اشتقت كثيرا لأن أكون مثل كل الألوان، فأنا أحب الشموع؛ لأنها دليل التضحية، وأحب الورد؛ لأنه يتجول بي في بستان الجمال، وأحترم كثيرا في حياتي 2 «ط».. طيار وطبيب .. الأول يتحمل مسئولية أرواح بين السماء والأرض، والثاني يتحمل مسئولية أرواح بشر على السرير. وأذكر عبارة قالها الدكتور أحمد عكاشة « إذا تم ترويضك صغيرا.. عشت طويلا» وهي تعني أن ترويض النفس على عادات وطقوس تستمر مع الإنسان طول عمره .

تعلمت من كمال الطويل أن أستخدم البرفانات، وقد شممت رائحة جميلة من كمال الطويل وقلت له إيه الرائحة الجميلة دي .. فقال يا مفيد اسمها برفان، ومن يومها اعتدت شراء البرفانات بأسعار غالية، وخاصة عندما سافرت ألمانيا لأول مرة أحضرت معي برفانات، ربما تفيدني في الحياة .. البرفان عطر والعطر يغير نفسيتي، ومن هنا أحببت العطر في بدء العمر ولا يزال يلازمني وأنا أحب الياسمين بجنون، وعندما تزوجت كنت أحيط بيتنا بحديقة حرصت أن يكون بها ياسمين؛ لأن العطر شيء مهم في حياتي.

الضوء أيضا من الأشياء المهمة في حياتي، فأنا أفضل ألا أجلس تحت الضوء المباشر.. الضوء عندي دائما يصعد إلى أعلى في السقف، ولكنه لا يكون مباشرا، ولا أحب النجف غالي الثمن بل أستخدم أي نجفة عادية.. أما بالنسبة للألوان فقد كنت أرتدي ما أشاء، ولم يكن هناك شيء على الإطلاق من التمازج في ألوان ما ألبسه، وعندما تزوجت آمال استفدت من ذوقها كثيرا كانت تقول لي لابد أن تكون ملابسك مكونة من لونين فقط .. فإذا ارتديت قميصا أسود لابد أن يكون البنطلون أسود، والجاكيت لونًا آخر هذه القاعدة الذهبية في اختيار الألوان هي التي حكمتني طوال العمر، وأنا مدين

لها بذلك، ولا أجد غضاضة في الاعتراف بذلك مطلقا، وعندما رحلت آمال أصبحت أختار ملابسي وفقا لهذه القاعدة، وأصبحت أشعر وأنا أدخل البيوت عبر الشاشة أنه لابد من اختيار ملابسي بشكل جيد وغير فاقع .

أذكر ذات مرة وأنا أحاور الأديب يوسف إدريس على شاطئ النيل أنني كنت أرتدي سويتر جميل، ولكنه ليس للتليفزيون، وكنت أستمع لرؤيته في الحياة والأدب وعقب الدكتور أحمد شفيق الجراح الكبير على ملابسي، وقال لي إن الألوان الزاهية في السويتر تشتت انتباهي عن كلام يوسف إدريس، كنت أفضل أن يكون سادة، ومنذ ذلك الموقف تعلمت التدقيق في اختيار ما أرتديه في حواراتي للتليفزيون .

السفر .. والوطن

أعترف أنني استفدت من كل ملاحظة أو نصيحة قيلت لي في حياتي .. إن طقوس عمري هي التي صنعتني وأنا أستمع للرأي وأستوعبه جيدا، وأتعامل معه بمرونة وقد اكتسبت هذه المرونة في سن الخمسين .. المرونة هي الرقي في وجهات النظر، وأدركت أن أي خلاف بين اثنين قد يستنبط رأيا ثالثا أكثر حكمة ووعيا .

أعشق السفر إلى الخارج وعندما أسافر، أخلع نفسي من الأرض المحلية.. أشتاق لمصر وأنا في الطائرة؛ لأنني أعلم أن مصر هي الأمل والمصير والحب، ولم تهتز مشاعري بشدة إلا عندما كنت أحاور محمد حسنين هيكل يوم أن قال لي عبارة لا تزال تتردد على مسامعي .. لا قبر لي خارج مصر ...!

هذه العبارة قالها هيكل، وعندما ذهبنا لندفن آمال العمدة في مصر الجديدة المكان الذي أحبته وكانت تعيش فيه فترة طويلة، نصحني أحد الأصدقاء بأن أختار مكانا لقبري واخترته فوق آمال أي إن المقبرة عبارة عن أدوار وعندما

أذهب لأزور آمال أنظر إلى مكان قبري الذي أحفظ رقمه جيدا، وأقول نحن في الدنيا مجرد ترانزيت نأتي ونقوم بدور نعمر فيه الحياة ثم نمضي.

كنت أذكر موقفا لي في الحياة وهو كراهيتي لأشياء كثيرة منها الألفاظ النابية أكرهها في الصحافة والتليفزيون والنقاش العادي في الحياة، وقد نصحني أحد الأطباء النفسيين أنني حينما أغتاظ من أحد لا أكبت مشاعري كثيرا، وقال لي اشتم وأخرج من قلبك البخار المكتوم لكي تستريح، والحق أقول إنني حينما تزداد همومي وعذاباتي في الحياة فإنني ألقي بنفسي في أحضان صوت فيروز، فتأخذ البخار المكتوم من فوق صدري وتحولني إلى إنسان عادي، وفي هذه الحالة أشتاق إلى رائحة العطر فهذا يذيب أحزاني ويفتت ضغوطي.

من طقوس عمري أنني أتعامل بشياكة مع المرأة.. أما لماذا؟ فلأن الله لم يرزقني بأخت ولا أعرف العلاقة بين الأشقاء والشقيقات أبدا ؛ فإخوتي كلهم رجال وأي حب دخل قلبي تحول إلى صداقة، وفي بعض الأحيان يمكن أن تربطني بالمرأة التي أعرفها فكرة الأخت؛ لأني لم أجرب على الإطلاق التعامل بين الأخ وشقيقته، ومن هنا يجيء التحضر والشعور أنني لم أنتقم في عمري من امرأة عرفتها؛ لأنها في النهاية شقيقة لي بعد أن جف نبع الحب هذه الطقوس في الواقع لا ترهقني؛ لأنها مكونات حقيقية داخلي تربت معي وكبرت ودخلت إلى عمودي الفقري، وعشت بها كثيرا؛ ولذلك لا أجد على الإطلاق أنها محل للإرهاق.

من الممكن أن يطرح السؤال نفسه عن شيء من الجنون في حياتي.. أقول نعم؛ لأنني لست جادا بطريقة تجعلني متجهما أنا أعشق الضحك وأحب مخالطة الأذكياء وصداقة الأذكياء متعة شديدة .. المفارقة عندهم تتم بذكاء والضحك أيضا يتسم بذكاء.

أما الأغبياء.. فقد كنت في بداية العمر أشعر بالضيق منهم إلا أنني تفهمت فيما بعد أن الغباء صفة عند بعض البشر، وعليَّ أن أتعاطف معها، ولكنني أقلل من حجم التعامل معهم؛ لأن الغباء مادة كاوية تكوي صاحبها وتكوي الآخرين .. الغباء أشبه بقنبلة تنفجر في صاحبها قبل أن تنفجر في الآخرين .

يوم مولدي ..أيها الشقي

من الأشياء المهمة أنني دائما في عيد ميلادي الذي يوافق 19 يونيو، تأتيني التأملات أتذكر قصيدة كامل الشناوي «عدت يا يوم مولدي عدت أيها الشقي»، أقول إن يوم ميلادي ليس عيدا لميلادي، فكيف يعتبر الإنسان مرور عام من العمر عيدا؟ هكذا كان يقول محمد عبد الوهاب .

لكن يوم ميلادي أشعر بنسمة شجن لا أعرف مصدرها، ولكنها تأتي وتهز أوراق شجرة العمر .. أنا من أسرة لم تعرف أعياد الميلاد الفاخرة، فقد كان أبي يقول لي يوم ميلادي اعقل لأنك كبرت، وأجزم أنني كنت طفلا جادا وعاقلا .

وعندما تزوجت آمال العمدة كانت تصر على عمل احتفال صاخب، وكنت أستعجل دائما نهاية السهرة، ولم أكن أفرح بالهدايا التقليدية في هذه المناسبة بعض الناس يعدون ترتيبات أعياد الميلاد قبل وقت طويل أما أنا فأنتظر قدومه على رصيف الحياة، وعندما يصل أعانقه لا أكثر.. أحيانا تصلني دعوات لأعياد ميلاد أصدقاء وكنت ألبي بعضها حسب عمق العلاقة، وأحرص على الذهاب ومعي هدية رمزية، وقد تعودت يوم ميلادي أن أستقبل هدايا من أقلام فاخرة كفيلة بأن تكون جزءا من مكتبي، على الرغم من أنني أكتب بالأقلام الفلوماستر، وهي أقلام رخيصة الثمن وأعشقها .

لست مدينا لأحد ..

إنني لا أرتدي الملابس الرسمية إلا في المناسبات الرسمية فقط وأفضل الكاجوال حتى إنني كنت أسافر في رحلات الرئاسة بالملابس الكاجوال، وخاصة الملابس الجلدية، وقد فرضت أسلوبي الكاجوال على بعض الوزراء، حين كنت أقوم بمحاورتهم.. أنا لا أتحمس كثيرا لرابطة العنق وأشعر أنها تخنقني، وأحب في نجيب محفوظ تحرره طوال العمر منها .

من عاداتي النفسية في كل مقال أرسله بالفاكس لصحيفة أن أعاود إرساله مرة أخرى، وأسأل .. هل وصل أم لا ؟.. إن ذلك جزء من طقوسي في الدقة الشديدة والوسوسة.

وقبل سفري أعد حقيبتي قبل موعد السفر بخمسة أيام وأضع في اللحظات الأخيرة قبل الذهاب للمطار (حقن وأدوية السكر) تعلمت أن الحياة ليست فوضى، وأنها حلقات من النظام وإلا كانت عبئا وعبثا.

لا أحب الديون المالية ولست مدينا لأحد ..ولكني أدين لكثيرين بتلك الديون المعنوية .

أكره الزحام والصخب والنور العالي، وأفضل الأباجورات غير المباشرة.

لم أعرف ساعة اليد إلا وأنا تلميذ في نهاية الثانوي ؛ ولذلك عشقت اقتناء الساعات .

من الألوان المحببة لي : البني والكحلي أي الغوامق .

تليفون ابنتي حنان الصباحي يلون يومي كله وإذا غاب .. قلقت .

لا أتفاءل أو أتشاءم لأسباب، وأومن أنها حالات نفسية ليس إلا .

شفائي من كل أمراض الحياة عند ضباط الجوازات في المطارات: السفر.

أناقة المرأة قبل ذهنها تلفت نظري، وقد أصرف النظر تماما بسبب طباعها .

الخوف من الغد ظل ملازما لي طيلة حياتي .

أنا مدين لهؤلاء

أجمل الفضائل الغائبة عند بعض الناس هي الامتنان أي الاعتراف بفضل الآخرين عليك لأن إنكار أو تجاهل هذا الفضل هو الجحود بعينه، والناس تصف الجحود بأنه قلة أصل، وأحيانا تعتبر الجاحد مريضا نفسيا في داخله (خربشات) الزمن ومرارة العقوق، ومن فرط ما أرى من حوادث جحود تمر أمامي تثير الاشمئزاز قررت أن أدعم قيمة الامتنان بمقال هو أقرب إلى سيرة ذاتية مرصعة بأسماء، بعضها رحل عن عالمنا وبعضها رحل عن كرسي السلطة، وبعضها مازال حيا بيننا .

نعم : أنا مدين لهؤلاء : لأمي التي كانت تشعر بما في صدري للبوح فوق الورق، وكانت تنقذني من بطش أبي الذي كان يحارب فكرة رغبتي في الصحافة. للأستاذ يواقيم غبريال المحامي ببني سويف وعضو اللجنة الدستورية الذي وجهني لمكتبة البلدية لأدمن عادة القراءة.

مدين لكتاب محمد حسنين هيكل (إيران فوق بركان) الذي اشتريته من سور الأزبكية وغير مجرى حياتي وجعلني أتشبث بالكتابة كحلم وأدعو الأقدار لتساندني .

مدين لكامل الشناوي الذي احتضن موهبتي ونبهني أن في عبارتي جرسا موسيقيا .

مدين للناقد جليل البنداري الذي اصطحبني معه لنجوم ذلك الأوان وتفتحت مسامي أمام عالم ساحر !

مدين للمفكر سلامة موسى الذي جعلني أقرأ كتبه وأتذوق طعم العبارة القصيرة مكثفة المعاني ودق على باب رأسي لأفتحه لكل التيارات، أغربلها قبل أن تستقر في وجداني .

مدين للفنان حسن فؤاد الذي أخذني من يدي، وقدمني لأحمد بهاء الدين الذي سمح لي بتحرير باب خبري، كان يكتبه بتوقيع مخبر صحفي ثم نشر اسمي على الباب بعنوان (من مفكرتي) .

مدين للروائي فتحي غانم الذي اكتشف قدرتي على الحوار الصحفي وهو يرأس صباح الخير .

مدين لمحمود السعدني – الثعلب الطيب الكبير – برغم السخرية اللاذعة لمواقفه الإنسانية مني، وأنا مفصول بأمر من النظام الشمولي عام 1964 .

مدين لعبد الحليم حافظ الذي اصطحبني صبيحة يوم الفصل لصلاح نصر – البعبع وقتئذ ومدير المخابرات – ليقول له : «لو كان مفيد فوزي يتآمر على مصر أو يكتب منشورا ضد الرئيس فهو يفعل ذلك في بيتي» فقد كان عبد الحليم – الصديق – رجلا في المواقف .

مدين للراحل موسى صبري الذي طلب مني – وأنا مفصول – أن أكتب حوارات في مجلة الجيل التي كان يرأسها مع أصدقائي من الفنانين بشرط ألا أوقعها باسمي وكان قصده (علشان قلمك ما يصديش) .

مدين لمصطفى أمين الذي منحني جائزة الصحافة التليفزيونية لبرنامج حديث المدينة وكانت الجائزة حافزا على استمراري في الشارع، أرصد ظواهره وأقيس بالعدسات نبضه .

مدين للسيدة سامية صادق التي نقلتني من محطة الإعداد التليفزيوني إلى مقدمي البرامج باعتبار أن أفضل من يقدم برنامجا هو من أعده، وجسّد الحلم المخرج جميل مغازي .

مدين حقا لآمال العمدة رفيقة مشواري، التي تحملت بحب وصلابة غيابي عن البيت لدواعي السفر أو العمل أو التصوير، وكانت حارسة مرمى البيت بكبرياء امرأة صعيدية .

مدين لآمال فهمي التي منحتني الفرصة لأكتب فوازير رمضان قرابة عشر سنوات، فوازير نثرية بعد رحيل بيرم التونسي .

مدين لمديحة نجيب التي من خلال رئاستها لإذاعة الشرق الأوسط يوما ما خرج صوتي لأول مرة للمستمعين، حين قدمت (خواطري على الهوا) ، وتحملت المتاعب من بعض ما قلته بجرأة في الإذاعة .

مدين للإعلامي طاهر أبو زيد نموذج المحاور الفذ الذي كان مثلي الأعلى .

مدين للدكتور زويل العالم المصري، الذي علمتني تجربة نجاحه العالمي وهو يتسلم جائزة نوبل في الكيمياء من ملك السويد في استكهولم .. أن أستبدل كلمة (الحظ) في الحياة .. بالجهد المضني والعيون الساهرة والعقول المهمومة بالإنسانية .

مدين لعالم الاجتماع الراحل د. سيد عويس، الذي تعلمت منه أن حرب أعداء النجاح بمزيد من النجاح .

حوار لم ينشر

كيف رأيت الانتخابات الرئاسية يونية 2012؟

- معارك لتكسير العظام أو الديمقراطية في أشرس وجوهها .

كيف رصدت تجربة الإعلام في هذه المرحلة ؟

- تحريضات أجندات، تجنيدات، إشاعات، تكليفات وينقصها الضمير .

لماذا كنت تراهن على أحمد شفيق؟

- لأنه إذا نجح كرئيس لمصر يبقى 4 سنوات، ويسلم الدفة لشباب الثورة عبر حزب يحمل اسمهم، ولكن غير شفيق سوف يحجب عن الثوار الأنقياء الحلم لمائة سنة .

كيف رأيت الفضائيات الخاصة؟

- بعض ما يظهر على شاشتها بؤرة للفتن .

هل أنقذت حكومة الإنقاذ؟

- قبول الجنزوري المهمة كان عملية انتحارية، ومع ذلك أنقذتنا من أنفسنا وحركت المياه الراكدة، وعاد بعض الأمان وأوقفت الاعتداءات الآثمة على مؤسسات الدولة السيادية خصوصا بعد أن ذهب «التمويل» .

ما سر التدني الأخلاقي في المجتمع بعد الثورة ؟

- المجتمع في حالة مخاض وولادة، ولابد من طرد الدم الفاسد ليأتي المولود مكتملا وليس مشوها .

ماذا أخذت على شباب الثورة ؟

الذهاب لميدان التحرير، رغم أن «مجلس شعب» يدعم الشرعية الدستورية .

حوار مع النفس ليس للنشر

"لحظة صدق . . مع النفس"

ماذا لديك في المشوار؟

أعتقد أن هاجس الكتابة له عندي محوران، أما الهاجس الأول فهو أنني شعرت بأنني في حاجة ماسة وشديدة للبوح؛ لأن البوح يريحني كثيرا خصوصا أن في صدري أشياء كثيرة، ربما كانت معتقلة داخل هذا الصدر، وربما كانت مخنوقة وربما كانت تعاني من الانفجار .. فقد أردت الإفراج عنها بالكامل.

الهاجس الثاني أنني أردت أن أكون شاهدا حقيقيا على عصر عشته، وبالتالي ليس من المعقول أن آتي إلى الحياة وأمضي دون شهادتي على هذا العصر، وهذا الدافع لي في أن أتسلق شجرة الذاكرة وأعكف على الكتابة .

هل قررت ..أن تكشف كل شيء؟

هذا سؤال صعب .. أتذكر أنني حينما نشرت شيئا له خصوصية يتعلق بالفنان عبد الحليم حافظ أن هاجمني الفيس بوك بألفاظ نابية، لم أكن أتخيل أن تتحول صفحة الفيس بوك لمثل هذا السوء، فقد وصفوني بأوصاف بشعة، وشعرت أنني ندمت ألف مرة على أنني نشرت هذا الشيء؛ ذلك لأنني كنت أريد أن أتعرض لإنسانية عبد الحليم حافظ كرجل، ومن هنا كانت المسألة تتعلق بي فندمت وأدركت أنه ما كان ينبغي أن أخوض في هذه السيرة، ذلك هو السبب الذي يجعلني لا أكشف كل شيء عن من صادفتهم في العمر.

ما هي حدود المكاشفة ؟

حدود ألا أصل إلى مرحلة أن تأتيني خطابات من امرأة أحبتني يوما ما، وعندي الخطابات كاملة ثم أنشر هذه الخطابات ... هذا شيء خطير؛ لأني في هذه الحالة كأني أعبر حاجزا أخلاقيًا، لكن غادة السمان، لم تشعر بهذا؛ فقد نشرت خطابات غسان كنفاني كاملة لها.. كان الرجل يكتب ما يشاء ويخرج من قلبه ما يريد، وهي كانت ترغب في أن تقدم عملا أدبيا بكل العمق، مهما كان فهي من الزاوية الفنية البحتة كانت لها رؤاها .. أما النقاد فقد اعتبروا أنها عبرت، وكسرت إشارات الأخلاق في الشارع الأدبي .

أنا لا أستطيع أن أفعل مثلما فعل لويس عوض، حينما قرر ذات يوم أنه ببساطة شديدة له شقيق اسمه الدكتور رمسيس عوض يغار منه، أنا لا أملك أن أكتب هذا، ولا أملك أن أقول جدلا، ولو افترضت أن هذا كان حقيقيا، فإن بعضا من عائلتي متخلفون عقليا، وقد هاجم النقاد الدكتور لويس عوض هذا بشدة، واعتبروه فوق ظروف الكتابة .

السيرة الذاتية ينبغي أن تراعي بعضا من الأخلاقيات؛ لأنها ليست مكاشفة بالكامل؛ حيث لا أستطيع أن أتعرض لبشر بنقاط ضعفهم الحادة، ولابد من احترام نقاط الضعف التي يحملها كل إنسان منا، أنا شخصيا عندي نقاط ضعف، ولكن المكاشفة في السيرة الذاتية لها حدودها. .

هل الأخلاق زمان كانت أخلاق الزمن الجميل؟ ألم تكن هناك غيرة بين الفنانين ؟

نعم كانت في الزمن الماضي فضائح أخلاقية في الوسط الفني، ولكن لم يكن هناك «فيس بوك» ولا «تويتر» ولا تليفزيون، ولم تكن هناك غير إذاعة الدولة الرسمية وبعض الصحف، ولم تكن هناك صحف صفراء، فكيف تصل هذه المعلومات والفضائح للناس..لقد كانوا يتندرون بها ويتحاكون عنها، ويتمتمون بها همسا .

كانوا يقولون مثلا في بعض ألوان الغيرة إن هند رستم كانت تغار بشدة وهي العظيمة في الأنوثة والجمال من الفنانة الرقيقة السمراء إيمان، وكانت السيدة مديحة يسري هي مخزن أسرار الفنانين جميعا؛ فهم يثقون فيها ويحبونها، وكل قصة حب ربما بدأت عند مديحة وانتهت عندها بالطلاق، وكل رواية عاطفية كانت مديحة يسري شاهدة عليها.. ذلك ما رأيته بنفسي.

غيرة.. الفنانين

أما الغيرة بين الفنانين في ذلك الزمن فهي موجودة، ولم يكن الفنانون كما يتصور الناس ملائكة .. كانوا يغارون ويدبرون المقالب لبعضهم، وكان إذا ما جاء دور من الأدوار تدعي فنانة أن فلانة مسافرة حتى ينتشر الخبر في المدينة، ويتصور الناس أنها في حالة سفر وبالتالي يتم العثور على الأدوار.

كان رمسيس نجيب مثلا يقابل الفنانين في قهوة و مطعم «كورسال»، وكنت والناقد الفني محمد تبارك من المقربين له، وذات يوم عرض على حسين كمال أن يكون نجما في أحد أفلامه، واسمه «العنب المر» لكن حسين كمال تمسك بالإخراج، ومن هنا ذهب الدور إلى الأستاذ محمود مرسي.

هناك نوعية من الفنانين كانت لها بعض الأعمال في السحر والشعوذة، وبعضهن دون ذكر أسماء كانت تذهب إلى بيت فنانة، ثم تلقي بحجاب في أحد زوايا البيت ظنا أنه يفقرها ويتعسها ويبعد عنها الشهرة .. لماذا لا أريد أن أذكر أسماء؟ .. لأن بعضهن مازلن أحياء ولهن أحفاد و سيعرفون القصص، وبالتالي ربما سوف يثير هذا أشياء لا أحبها.

أريد أن أقول ملاحظة عن الغيرة بين الكتّاب .. وليس صحيحا أن الزمن الماضي كانت فيه علاقات سلسة وجميلة ورقيقة، لقد كانت هناك غيره بين يوسف إدريس، ونجيب محفوظ ولم يكن نجيب يقيم لهذه الغيرة حسابا،

ولكن يوسف إدريس كان يغار منه، وحينما فاز نجيب محفوظ بنوبل تظاهر يوسف إدريس بالسعادة لكنه كان في أعماقه حزينا، وقد نشرت حديثا مع يوسف إدريس نشره الأستاذ إبراهيم سعده في أخبار اليوم، يعبر به يوسف عن حزنه، وأنه كان الأولى أن يكون هو الذي حصل على نوبل، وليس نجيب محفوظ .بل إنه اعترف لي بأن اللجنة في السويد أبلغوه بأن الجائزة قادمة له .

كان الناشر عبد الحميد جودة السحار لا ينشر إلا لنجيب محفوظ فقط؛ لصداقة كبيرة بينهما وكان هذا يضايق ثروت أباظة الذي كان بينه وبين يوسف إدريس مساحات كثيرة من النقاشات في الدور السادس بالأهرام .

إبداع الزمن الجميل

كان الدكتور حسين فوزي غارقا في أطيافه العلمية والموسيقية، لا يعبأ بأحد على الإطلاق، بينما كان توفيق الحكيم يسخر في كثير من الأحوال من البعض، وإذا جاءت صحفية أو مذيعة لتوفيق الحكيم كل الكتاب الكبار العظام يلتفون حوله، وكان يقول لهم سيبوني أتكلم مع البنية أو الأستاذة، ولكن كانوا يحاولون إحراج توفيق الحكيم بوجودهم .

شهد الدور السادس في الأهرام أحداثا عديدة عندما كان محمد حسنين هيكل رئيسا للتحرير، وكانت الغيرة شهيرة في الكتابة، خاصة عندما كتب يوسف إدريس «أنا قائم مقام الصحافة» مما أثار التراشق جدلا ومناقشات كثيرة خاصة بين يوسف إدريس وبعض الكتاب خاصة إبراهيم الورداني .. الذي يكتب باب صواريخ وكانت صواريخه في الهدف.

لم تكن الحياة هادئة وسلسة بين الكتاب وإن كانت دائما تبدو في شكل وارف الظلال ورقيق وجميل، لكن ما كان في النفس ..يظل في النفس باعتبار أن الفنان يستطيع أن يخفي مشاعره في الغيرة، وهي أمر مشروع إذا كانت أمرا مهنيا ولم يكن هناك نوع من السلاسة في ذلك .

على الجانب الآخر لم تكن هناك غيرة بين نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم كانا يجلسان يتناقشان في سلام كامل، وللدقة والأمانة كان ينضم لهما الفنان التشكيلي المثقف المفكر صلاح طاهر، فكانت النقاشات جميلة بين صلاح طاهر وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ .. أتذكر أن السيدة بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، كانت تمر على بعض المكاتب لتلقي التحية فقط، ولم تضبط متلبسة بالنقاش مع أحد، بينما كان الدكتور رشاد رشدي يشعر بأنه مثقف أكاديمي كبير مهم .. أما هؤلاء الكتاب فهم ليسوا أكاديميين، ولم يكن يعترف رشاد رشدي بأحد سوى أن يكون أكاديميا .

أشهر القصص في الغيرة كانت بين أنيس منصور وكمال الملاخ، وكانت على حب بعض الفتيات الشهيرات والمذيعات تحديدا، كنت أعرف حبه لمذيعة مشهورة وكان دائما عندما يتأخر يعتذر مبررا ذلك بأنه كان يقوم بتوصيلها، وكان الملاخ دائما يقول لي إنه يتعرض لحملات خطف حبيباته من جانب أنيس منصور بالذات، وقال لي إن أنيس حكاء وله جاذبية شديدة، في حين أن الملاخ جمله قصيرة، وفي بعض الأحيان لا تفهمه صديقاته من النساء .

في أخبار اليوم كان الصراع يدور دائما بين الكتاب بعضهم البعض، أتذكر محمد حسنين هيكل كان في آخر ساعة له مجموعة يديرها صلاح هلال، ومجموعة أخرى يديرها صلاح جلال كان النقاش في صالح القارئ دائما ..

أتذكر جيدا أن الكتّاب في ذلك الزمان كانوا يتمتعون بالرقي في الكلمة، كان لكل واحد منهم أسلوبه ورحيقه وعطره وحلاوته في الصحافة، وقد تأثرت في بداية حياتي بالكاتب محمد حسنين هيكل حتى عندما ذهبت إلى السد العالي في احتفال مرور عامين على تأسيس السد العالي، وكتبته بشكل مسترسل وشطب أحمد بهاء الدين المقدمة المسترسلة، وبدأت المقالة

بالحدث نفسه وقال لي بهاء عبارة لن أنساها لا يوجد غير محمد حسنين هيكل واحد! .

غيرة الأدباء

الغريب أنه كانت هناك غيرة لدى الحاكم بين أحمد بهاء الدين ومحمد حسنين هيكل، بمعنى أن جمال عبد الناصر كان يسأل في الأوقات الحرجة التي فيها أحداث مهمة، هو الأخ بهاء في مصر؟ وهذا معناه أن الأستاذ بهاء لم يعجبه ما يحدث فآثر الصمت.

كان هناك صلاح حافظ وهو لم يأخذ حقه الكافي من النجومية، رغم أنه كان كاتبا مغوارا، ولابد من ذكر اسم كان ينافس محمد حسنين هيكل في ذلك الوقت، هو صلاح عبد الجيد لكنه مات في وقت مبكر، لم تصل الغيرة في أي زمن إلى ما يسمى بمنافسة أو غيرة تصل إلى حد تكسير العظام .

هل حقا كان عبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب على سبيل الهزار يتشاتمان ؟

نعم وفي أغنية «من غير ليه» كان أثناء تحفيظ عبد الوهاب لعبد الحليم اللحن كانا يتشاتمان وكان حليم يحتفظ بالشريط تحت وسادته، وبعد وفاته أذكر أن السيدة نهلة القدسي طلبت من أحد أقارب عبد الحليم أن يحتفظ بالشريط؛ كي تتسلمه حتى لا يذاع في إذاعة، أو شيء من هذا القبيل وتتراءى الشتائم على أذن المستمعين بما لا يليق بهما، وعندما كان عبد الوهاب وعبد الحليم يتشاتمان أمامي في بعض الأحيان فأنا لا أضحك ولا أبتسم، ولا أبدي شيئا من الجدية حتى لا يشعران بوجود غريب بينهما .

كان محمد عبد الوهاب يستعين بجواره باثنين من المحامين لبيب معوض ومجدي العمروسي، ولكني كنت ألاحظ أن محمد عبد الوهاب يثق في لبيب معوض كمحام ثقة عمياء، بينما ليست هذه الثقة بالكامل مع مجدي

العمروسي، بحكم أن العمروسي كان أقرب إلى عبد الحليم منه إلى عبد الوهاب، إلا أنه كان يجيد التعامل معهما الاثنين .. وقال لي عبد الحليم إذا أردنا أن نتصور أن هناك نسبة من الغدر من الأصدقاء فإنها نسبة 4 % فقط في مجدي العمروسي، وكانت ثقته شديدة جدا في مجدي العمروسي .

أما عبد الوهاب فكان يرى أن لبيب معوض يدرك التكيف القانوني لأي شيء، وهو الذي حضر توقيع معظم عقود أفلام عبد الوهاب وكل تعاقداته مع الفنانين، على الرغم من أن عبد الوهاب عنده درجة وسوسة شديدة جدا في الحياة، وليس في الفن فقط، أذكر مرة عرضوا عليه أن يذهب إلى قاعة ألبرت هول في لندن؛ لتسليمه جائزة الاسطوانة الذهبية، فطلب مني أن أسافر إلى لندن، وألتقي بهؤلاء وأجمع معلومات عن الجائزة والمسئولين عنها، ومن سبق أن حصل عليها من قبل وجمعت هذه المعلومات بنفسي .

عبد الوهاب لم يكن يثق في أي أحد فكريا إلا مصطفى محمود ويستمع له بالساعات، ويقول له قول لي يا درش ..! بصرني يا درش ..! وإذا لجأ في السياسة لأحد فإنه يلجأ لموسى صبري، فكان موسى صبري يحيط عبد الوهاب بمعلومات في السياسة ومصطفى محمود يزوده بأفكار كثيرة في الحياة والرؤى والتأملات، ومن هنا فإن صناعة وجدان عبد الوهاب كانت سماعية بمعنى أنه كان يعتمد على أذنه كثيرا، وعندما ذهبت إليه أنا والزميلة الإذاعية نادية صالح؛ لتسجيل «زيارة في مكتبة فلان» بادرنا عبد الوهاب بقوله لن تجدوا كتبا ولا أسطوانات، بل سوف تجدون عقلًا به كتب وأسطوانات ومزيكا وكلمة حلوة في دماغي .

هل رأيت الملك فاروق وجها لوجه ؟

نعم كنا نزور إحدى قريباتي في حي عابدين، وفي الساعة السابعة خرجت أتمشى بجوار السرايا، ولاحظت أن هناك جلبة وبشرًا كثيرين، وفهمت أن هذا موكب الملك فوقفت من بعيد أرقب الأمر ثم اضطررت للسير في الشارع،

وأخذت حرصي أن أنظر إلى من هو داخل السيارة، وعندما نظرت إليه كنت أعلم أن الملك فاروق في طريقه لقضاء سهرة في الحلمية، وكانت الساعة حوالي العاشرة والنصف، وكان مرتديا ملابسه الكاملة، والغريب أنه كان في سيارته وفي يده منشة وهي إحدى عادات الكبار في ذلك الزمن .

أسماء كبرت على يديك ؟

الأستاذ فاروق جويدة الشاعر المعروف في الأهرام كان يعمل معنا في صباح الخير، وكنت أكلفه بأخبار اقتصادية، وشعرت أنه يكتب الاقتصاد بلغة أدبية جميلة، فاندهشت من ذلك المزيج الغريب بين الصحافة والاقتصاد . .

نزلت بنفسي وأنا أدير باب «من مفكرتي» ودخلت باب الأستاذ يوسف السباعي وكان رئيسا لمجلس الإدارة، واستأذنت وقلت له يا يوسف بيه كما كنا نناديه، وقلت له هناك شاب موجود معانا أعتقد إنه كفء، وواعد يكتب الأخبار الاقتصادية بلغة أدبية، فسخر يوسف السباعي معقبا بقوله ما علاقة الأدب بالاقتصاد، المفروض إن الخبر الاقتصادي يكتب بشكل مباشر اقتصادي، قلت له يا يوسف بيه إن فاروق جويدة يكتب الأخبار الاقتصادية بسلاسة كاتب يفهم الاقتصاد، ويعبر عنه بلغة أدبية، وبعد فترة تركنا فاروق جويدة وذهب إلى الأهرام وكبر هناك .

هل رأيت الشيخ الشعراوي شخصيا ؟

نعم رأيته في بيت عماد الدين أديب في لندن، ذهبت أنا و آمال العمدة زوجتي الراحلة، ووقفنا على الباب حتى أتت الدكتورة هالة سرحان زوجة عماد في ذلك الوقت بمنديل عريض ووضعته على رأس آمال العمدة؛ كي تغطي شعرها ثم دخلنا وجيبناه وجلسنا نتكلم.

لقد كان سؤالي القنبلة الذي ألقيته عليه هو بالنص: «يا فضيلة الشيخ الشعراوي هل سحر بيانك هو لغة أم تفقه في الفقه ؟».

فقال لي أمام عماد الدين أديب: آه.. من أسئلتك .. السؤال صعب والإجابة عليه أصعب اعتبره كما تشاء ..فقلت له يا فضيلة الشيخ الشعراوي: أنت تُسَخِّرُ سحر بيانك من أجل أن يصل للناس تفسير القرآن الكريم، فقال لي أنا مستريح لهذا التفسير.

كان هذا اللقاء مقدمة لمناقشة وحديث طويل نشر على صفحات مجلة صباح الخير على امتداد ثلاث حلقات، وقت أن كنت رئيسا للتحرير، إلا أنني كنت أمينا للغاية في نشر ما قاله فمثلا هو ضد عمل المرأة، ويفضل أن يتسلى أحيانا بالذرة التي يجلبها من أمريكا بدولار واحد، وقد كنت أمينا في نقل كل ما قاله، ويبدو أن هذا قد أرهقه بشدة فقد دخل المستشفى فيما بعد وكتبت الوفد خبرا يقول إن الشيخ الشعراوي أصيب بوعكة إثر حديث صحفي صرح به لإحدى المجلات المصرية، وكان يقصد أن يقول إنها مجلة صباح الخير.

صراعات المطربين

هل عاصرت صراعات الشهرة و كيف رأيتها ؟

رأيتها بشدة بين عبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب، لكنها كانت صراعات مكتومة؛ إذ إن عبد الحليم حافظ نجح في عصر محمد عبد الوهاب، أما صراعات الشهرة الحقيقية غير المكتومة والمعلنة فكانت بين عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش، ومحرم فؤاد، كان محرم يحسد عبد الحليم ولكن كان صوت حليم أرقى الأصوات .

كان فريد الأطرش طيبا بشدة يحكي عن بعض الصحفيين الذين قضوا عنده بعض الليالي وتعشوا على مائدته، وكان الوحيد الذي يملك أن يكون صديقا للطرفين هو الصديق جلال معوض، وزوجته الجميلة ليلى فوزي، كانا يتنقلان بين بيت فريد وبيت عبد الحليم، في تلك اللحظات كنت أشعر أن عبد الحليم لا يأبه كثيرا بفريد الأطرش، غير أن فريد كان يتضايق بل

إن فريد الأطرش كان عنده سفرجي اسمه عبد الحليم، وكان يصرخ فيه ويشتمه وكأنه يخرج ما كان فيه .

كانوا يقولون إن فريد الأطرش سخي لدرجة كبيرة في بيته، لكنني لم أزره في بيته على الإطلاق، وقالوا إنه يبدو كريما إلى حد الهبل، ويبدو أن الناس تحب أن تصطاد في المياه العكرة، فقالوا إنني قلت إن فريد الأطرش أهبل وهذا غير صحيح ! كما أنني قلت مرة عن عبد الحليم إن ذكاءه يصل إلى حدود الخبث، ولم أقل إنه خبيث، وبعض الناس أرادت أن تغير في الصيغة حتى يبدو أن هناك شيئا مختلفا .

كان هناك نوع من التنافس الشديد جدا يصل لدرجة تكسير العظام بين فايزة أحمد ووردة؛ ذلك أن الأستاذ أنيس منصور - رحمه الله - كان يقف بشدة بجوار فايزة أحمد، ولم أكن أدري سر عدائه للسيدة وردة، والوحيد الذي يعلم السر هو وجدي الحكيم، وهو إنسان كتوم للغاية.

كانت كلمات الأغاني تتسرب من وردة لفايزة، وكانت هناك بين الاثنتين شخصيات تقلد الأصوات كاتب لبناني أو سوري مثلا يقول لفايزة إن وردة تقول عنك إنكِ تغنين وأنت قاعدة .. وكانت فايزة أحمد كلما ذهبت بيتا من بيوت أصدقائها من طيبتها الشديدة تغني في الحال غير أن وردة لم تكن تغني أبدا.

وأذكر أن نجاة قد وجهت لها الدعوة لحضور حفل عيد ميلاد إحسان عبد القدوس، ثم قال إحسان لنجاة عاوزين نسمع صوت نجاة الجميل، فقالت: حاضر، ولمحتها وهي تغادر الغرفة ثم تغادر المكان، وسألتها رايحة فين يا نجاة؟ قالت أنا مدعوة كإنسانة وليس كمطربة، وانصرفت!

هل هناك لحظة غاب عنك الوعي فيها في يوم من الأيام ؟

نعم أصبت بنقص شديد في السكر وسقطت من طولي على الأرض وكنت

في بيروت أحاور السيدة ماجدة الرومي، وكان من المفترض أننا سنظهر معًا على الهواء من استديو الأوربت، والبرنامج يظهر يوم الخميس وحتى يوم الأربعاء كان الإعداد جاهزا، وطلبت من مدير متحف في بيروت أن أدخل أنا وماجدة الرومي كي تلتقط لي صورة بجوار المتحف، كأنها ذكرى لي أنا وماجدة الرومي، وقلت إنني سأعرضها؛ لأبين أنني عندما ذهبت المتحف أردت التصوير مع ماجدة الرومي، واتصل بي زوجها السابق صبيحة يوم الخميس، وقال لي إن ماجدة الرومي لن تظهر معك الليلة في برنامجك في الأوربت، وشعرت أن الدم وصل لرأسي بدرجة شديدة .. المكالمة حرقت دمي وكانت معي في بيروت ابنتي حنان التي أسرعت وطلبت لي عسلًا ونمت ساعة كاملة حتى استعدت لياقتي مرة أخرى.

وتخيلت أن السيدة ماجدة الرومي سوف تحاول الاتصال لتعتذر، أو أحد أصدقائنا المشتركين، خاصة الموسيقار جمال سلامة، ولم أتصل بأحد سوى طارق الكاشف، وأبلغته أن السيدة ماجدة الرومي قد اعتذرت، وأبلغني أن شقيق السيدة ماجدة الرومي يعمل في الأوربت معنا، ويقول إن زوجها دائم الخلافات والمشاكل، ولكن الفظيع أن يأتي هذا قبل الإذاعة بساعات بعد أن رتبت الأمر، وأعددت كل شيء .

ماذا بين سميحة أيوب وسناء جميل ومحسنة توفيق وسهير البابلي ؟

هؤلاء كن الأربعة الكبار إلا أن سهير كانت الأصغر.. سميحة وسناء كانت بينهما أشياء غريبة، وصراعات من نوع مختلف وشكل المقالب كان يصل لحد وصول خطابات إلى سعد وهبة من شأنها أن تصل بهما إلى حد الطلاق، وكانت سميحة أحيانا تقدر حب سناء وتفاجئها ببعض المقالب، وكانت سناء لبساطتها وقلبها الأبيض تعترف أنها هي التي دبرت بعض المقالب لسميحة، بينما كانت السيدة محسنة توفيق أبعد ما تكون عن المقالب؛ لأنها سقطت في

بحر الأيديولوجيات والاشتراكية، وكانت لا تقبل أي عمل على الإطلاق إلا إذا كان فيه فكر اشتراكي .

سهير البابلي كانت تريد أن تكون زهرة بين هؤلاء، ومن هنا اشتدت الصراعات بينهن، خاصة أن الراحل أحمد حمروش كان يبدي إعجابه بسهير البابلي وكانت تدور في الوسط الفني حكايات وحكايات، وهو حكاء بطبيعته، ونقال، والألسنة كالمبرد، وليس صحيحا أن الزمن الماضي الجميل كان منزوع الأحاسيس في الغيرة، تلك كانت صفة بشرية.

أيضا كانت هناك غيرة شديدة بين سميحة أيوب وسهير المرشدي؛ لأن سهير استطاعت أن تحصل على كرم مطاوع وسميحة كانت تحترم كرم مطاوع كمخرج، وتعتبره أيقونة المسرح المصري، وكانت سهير تشعر بالضيق من هذه الأشياء.

زمان ناصر والسادات ومبارك ما شهادتك ؟

في زمن عبد الناصر كان الإنسان لا يملك أن يفتح فمه، وكنت عندما أجلس أنظر إلى أي كرسي أو أباجورة معلقة، وعندي شعور أن شيئا ما يسجل، ومن هنا كنا نحرص على أن ندير الموسيقى في الغرفة، حتى تبدو الأصوات مختلطة، كنا نخشى رجال سامي شرف أكثر مما نخاف من عبد الناصر نفسه؛ لأنهم يستطيعون أن يعصفوا بأي إنسان .

في زمن السادات كانت المسألة عبارة عن بشر واقتصاد واستثمارات، فاغتنى الأغنياء وافتقر الفقراء لم يكن أحد يستطيع أن يرى ماذا بداخل الرئيس السادات سوى أنه كان يريد أن يقول إن البلد في حالة بهجة ورفاهية ونعمة .. إلا أنه فاجأ الجميع بحرب أكتوبر 1973 وكانت هذه هي الضربة القاضية التي قسمت ظهر إسرائيل .

أما في زمن مبارك فقد كانت السنوات العشر الأولى واعدة، ولا يمكن لأي أحد أن يدعي غير ذلك، ولا يستطيع أحد القول بأن الـ30 عاما في حكم مبارك كانت كلها بؤسًا، بالعكس .. كان مبارك واعدا، ويحب أن تصل البلاد لأعظم درجات المجد، وكانت لديه خطة خمسية وثلاثية وكانت معه مجموعة من الناس يفكر بهم، خصوصا، أن مبارك فهم كواليس الحياة السياسية، وهو نائب، وفهم موضوعات كثيرة أهمها الأمن القومي وكان هناك إحساس عند السادات وهو نائبه فكان يقول للسيدة جيهان السادات عندما تكون هناك فرصة للمجاملة تجاملي حسني؛ لأنه يملك مفتاح البلاد في الفترة المقبلة، وليس مجاملة منصور حسن وهو رجل خطير وعاقل، وكان ممكنا أن تكون له آفاق سياسية غير أنه بعد خروجه من القصر الرئاسي صمت، ولم يفتح فمه زمنا طويلا .

فيما بعد عندما بدأت الدولة في سوريا تستعد لاستقبال بشار رئيسا بدأت الأحاسيس في مصر تنمو وتتوالى، لماذا لا تكون في مصر فرصة لتوريث جمال مبارك ؟

أذكر في إحدى المناسبات أو الأفراح على ما أظن أن جلست مع هشام طلعت مصطفى، ولم يكن هناك حوار إلا عن توريث جمال... سأل هشام طلعت مصطفى الرئيس السابق .. هل جمال يدخل السياسة بالكامل ؟

فأجابه: أخاف عليه من الإخوان.. سوف أظل رئيسا للبلد إلى أن يظهر أحد.. لكنه ليس جمال .. كانت هذه شهادة قالها لي هشام طلعت قبل أن يدخل إلى السجن .. بيت مبارك هو الذي أراد أن يضع جمال في الصورة بعد ذلك، وهذه شهادتي التي لا أستطيع أن أنكرها..

كانت معلوماتي أن السيدة سوزان عندما كانت تذهب إلى الإسكندرية كانت تبيت عند السيدة آمال والدة المهندس طلعت مصطفى، في بيتها

وليس في الفندق، هذه بعض الأسرار التي عرفتها من أصدقاء بالإسكندرية كانوا يزورون السيدة آمال، ولها إسهامات كثيرة في المجتمع المدني بالمال وأعمال الخير.. عرفت أيضا أن الرئيس السابق سأل هشام طلعت: أنت قتلت سوزان تميم ؟ قال له لا يا ريس ولم يحدث شيء سوى المحاكمة ثم الإعدام ثم الطعن ثم السجن .

من أشهر نقاد ذلك الزمن ؟؟

جليل البنداري في الفن، ولويس عوض في الأدب، وكان لويس عوض يعمل حسابا كبيرا لكامل الشناوي الذي كان يدخل معه في مساجلات كلامية، أما جليل البنداري عندما قابلته لأول وهلة شتمني بالأب والأم، وعندما بكيت ذهبت إلى كامل الشناوي، وقال إن عربون حب جليل البنداري هو هذه الشتائم؛ ولهذا نحن نسميه جليل الأدب وهو والد زميلتنا في الأهرام أهداف البنداري ..وقد دخل في حياة كل نجمة في السيناريو والحوار وكان شيئا لامعا ومهما في زمنه.

جاء بعده الناقد عبد الفتاح البارودي وكان يحب فنانة المسرح نجوى سالم، وكان مهتما بأن يضع الدراما في مكانة بارزة ولكن لم تكن له جاذبية أسلوب جليل البنداري، ولكن تميز بسهولة وسلاسة ورقة بالغة .

هل للعمالقة صغائر ؟

نعم شخصية كانت تحب الخادمات، وشخصية أخرى كانت تحب فتيات السينما الصغيرات الجدد ويقوم بتوصيلهن لما يسمى بالمجد، وفي ذات مرة أرسلت هذه الشخصية فتاة للمخرج أحمد كامل مرسي وكان يقول إنها لا تصلح كأنثى ولا كممثلة .. يبدو أنه كانت تحدث علاقات ثمنا لهذه الأشياء.

كذلك كان الفنان صلاح طاهر تقترب منه كثيرات من النساء كن يستغللن اقترابهن من هذا الفنان المشهور، حتى إنه قرر أنه لا أحد يقترب من البيت وقد كره كل هذا؛ لأنه أدرك أن بعض النساء في حالة استغلال لشهرة صلاح طاهر، لويس عوض كان ناقدا محترما له صوت ورؤية وأفكار وله كتاب بعنوان أقنعة بلا شخصيات دون أن يذكر أسماء.

متى تحدث سقطات المشاهير؟

تحدث نتيجة علاقاتهم بالجنس الآخر، تصل إلى فرض السيطرة على الأنثى القادمة له سواء في عمل أو سهرة .. والغريب أن النساء كان يسعدهن علاقتهن بالمشاهير غير أن المرأة التي تقترب من رجل مشهور كانت تفاخر وتعلن ذلك بزهو..!

الغريب أن صلاح عبد الصبور أعجب بفتاة ودعاها إلى العشاء، وظل صامتا إلى أن جاء يوم وذهب إلى الكلية التي تدرس بها الفتاة، وسمع عن حكايات عديدة لم تحدث، وهنا تعلمت من هذا الموقف أن أكون واثقا من الشخص الذي أتعامل معه، أو معها فلا يقترب من سور حديقتي .

كيف ترى السعادة؟

رؤية إنسان عايش وتعايش في الحياة أن السعادة وهم كبير، وأنها في حقيقة الأمر هي تعاسة أقل .. أما عن أهمية المرأة في حياتي فلا شك أنني أشعر بعد رحيل آمال بعبارة قالها إحسان عبد القدوس دقيقة للغاية .. فقد شعرت بعد رحيلها باليتم العاطفي.

وقد عشت (في زمن الوحدة) علاقة إنسانية عاطفية مهنية تقاسمنا النجاح معا، وسافرنا معا، ورأينا العالم معا، وتشاجرنا معا، وتصالحنا معا، وشربنا نبع الحنان معا..علاقة كنت فيها الأب والحبيب والأخ ورفيق

الطريق..كانت توليفة غريبة لم يقف العمر ولا الدين حائلا فيها .

كيف ترى الفراغ ؟

يمرض البني آدم السليم .

المقارنات بالغير كيف ترصدها؟

تجلب لصاحبها التعاسة .

كيف تقرأ قيمة الخير؟

كرهته يوم ارتبط في حياتي بالابتزاز .

ما خلاصة فلسفة الحياة التي استنبطتها بنفسك عبر مشوارك الثري؟

القوة هي الاستغناء.. ودوما اردد شكرا لأشواك العمر، فقد علمتني الصلابة أكثر .

حياتي في صور

أمي التي وجهتني إلى ما أعشق وكان حنانها يدفئني.

هذا أبي كان قاسيًا ولكني تعلمت الصلابة على يد قسوة حنونة.

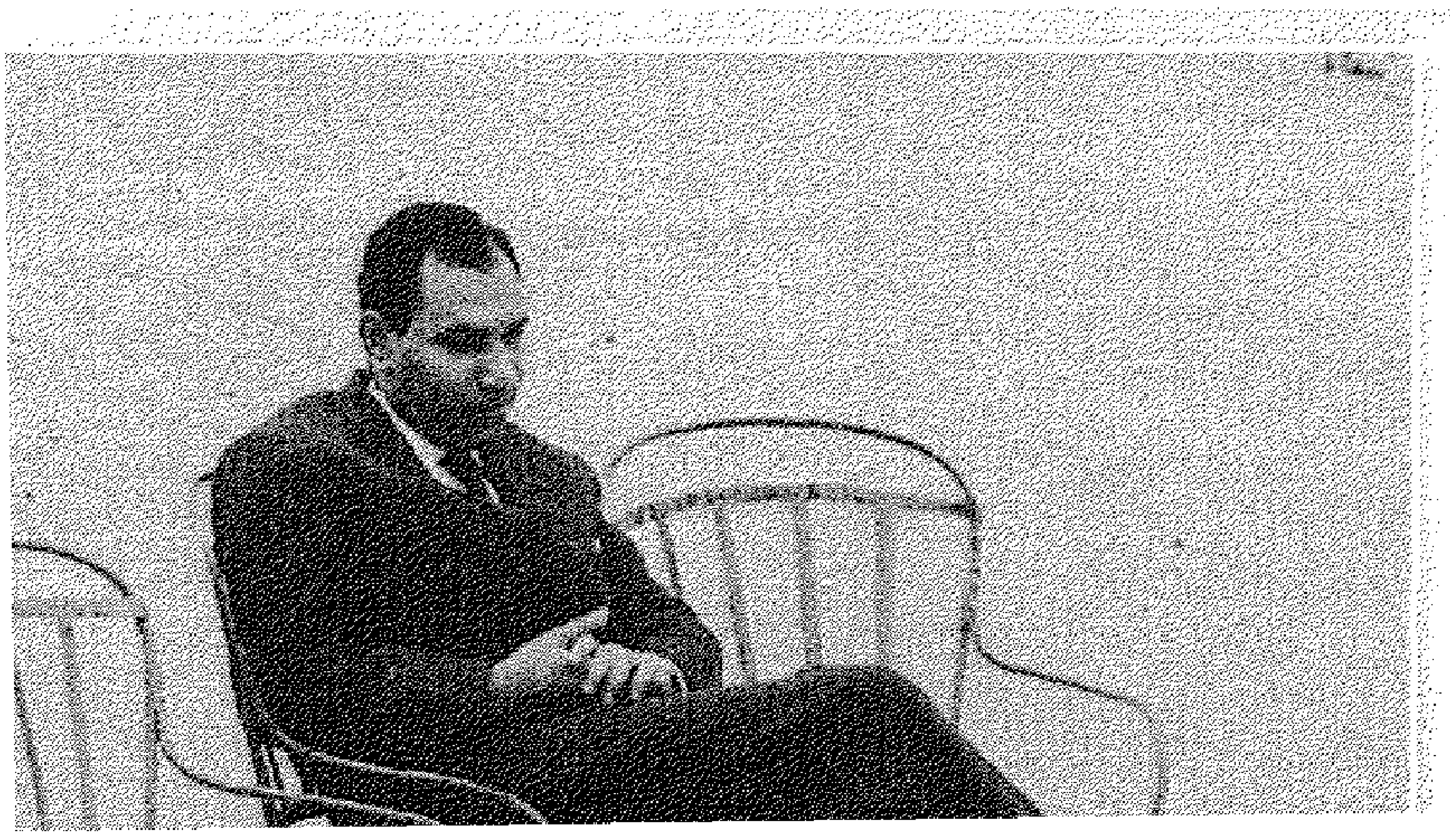

أول مرة سافرت لأوروبا في جلسة تأمل وحدي على شاطئ بحيرة جنيف الشهيرة.

◀ أغسل وجهي وأنا تلميذ وأسمع النصيحة.

لحظة الزواج بكل ما في هذه المؤسسة من متاعب ولذات.

▼

▲ سعاد حسني ليلة زفافنا
أنا وآمال جاءت تشاركنا
فرحة .

نادية لطفي أعز الأحباب
في ليلة الحب.
▼

▶ أجمل حنان التي
وهبتني الحنان دوما .

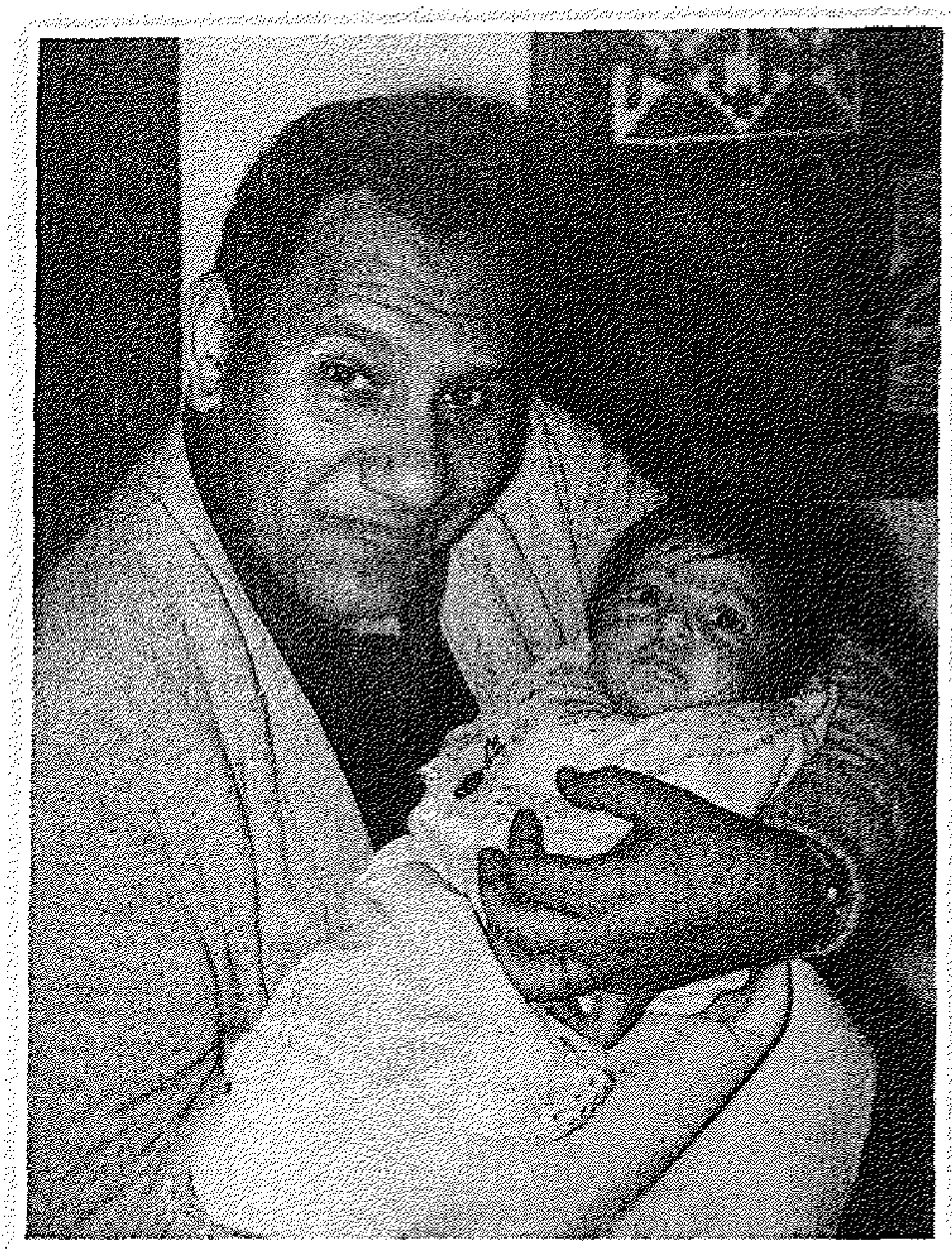

حنان فوق أكتافي ياما
شالتني فوق أكتافها ..
▼

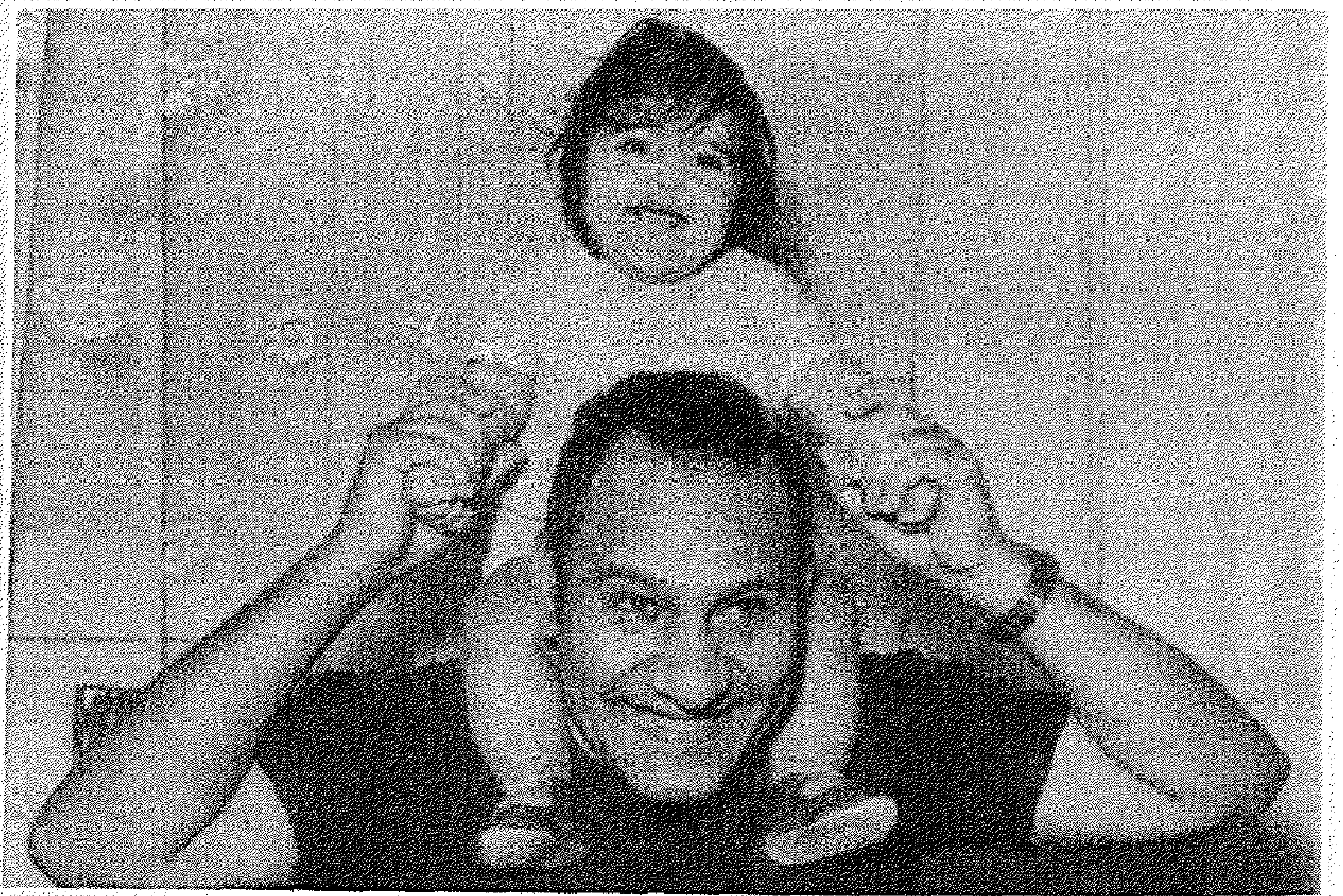

▲ أبوة ولا شيء أكثر.

أنا وابنتي) حوار مطول لإذاعة الشرق الأوسط ..
فكرة نادية صالح في رمضان).
▼

□ في إحدى حفلات توقيع
أحد كتبها وتهنئة مني.

ليلة أخذ مني حليم، ثمرة العمر حنان .

▲ صورة عائلية في الكنيسة ليلة زفاف حليم وحنان .

أنا وآمال وحنان وحليم : صورة تذكارية.

▼

حفيدي شريف.

حليم وحنان وشريف.

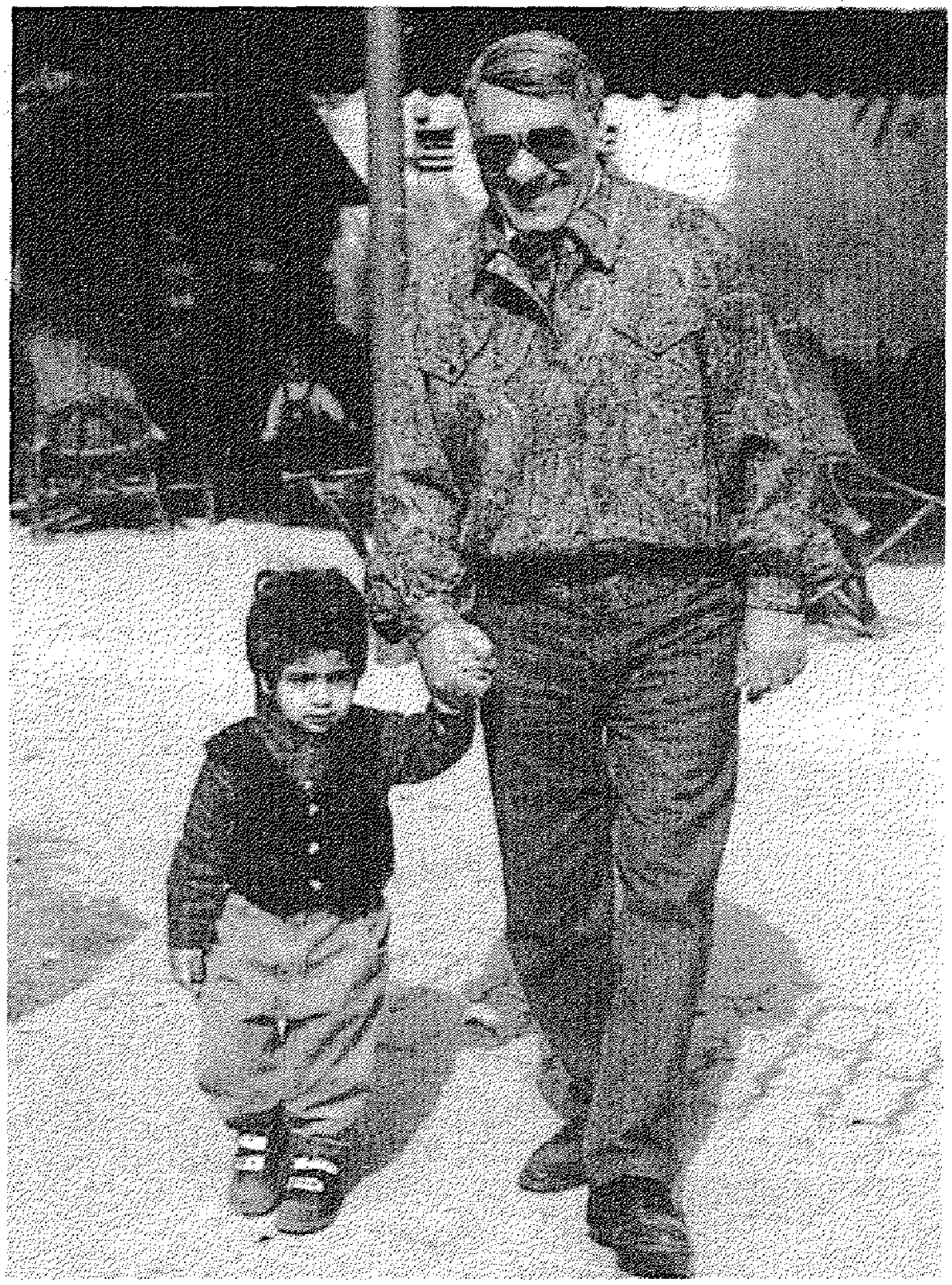

▶ شريف الذي منحني لقب جدو في لحظة تريض بالنادي.

أنا وآمال بعد أن أعطانا شريف لقب جدو وجدتي.

▼

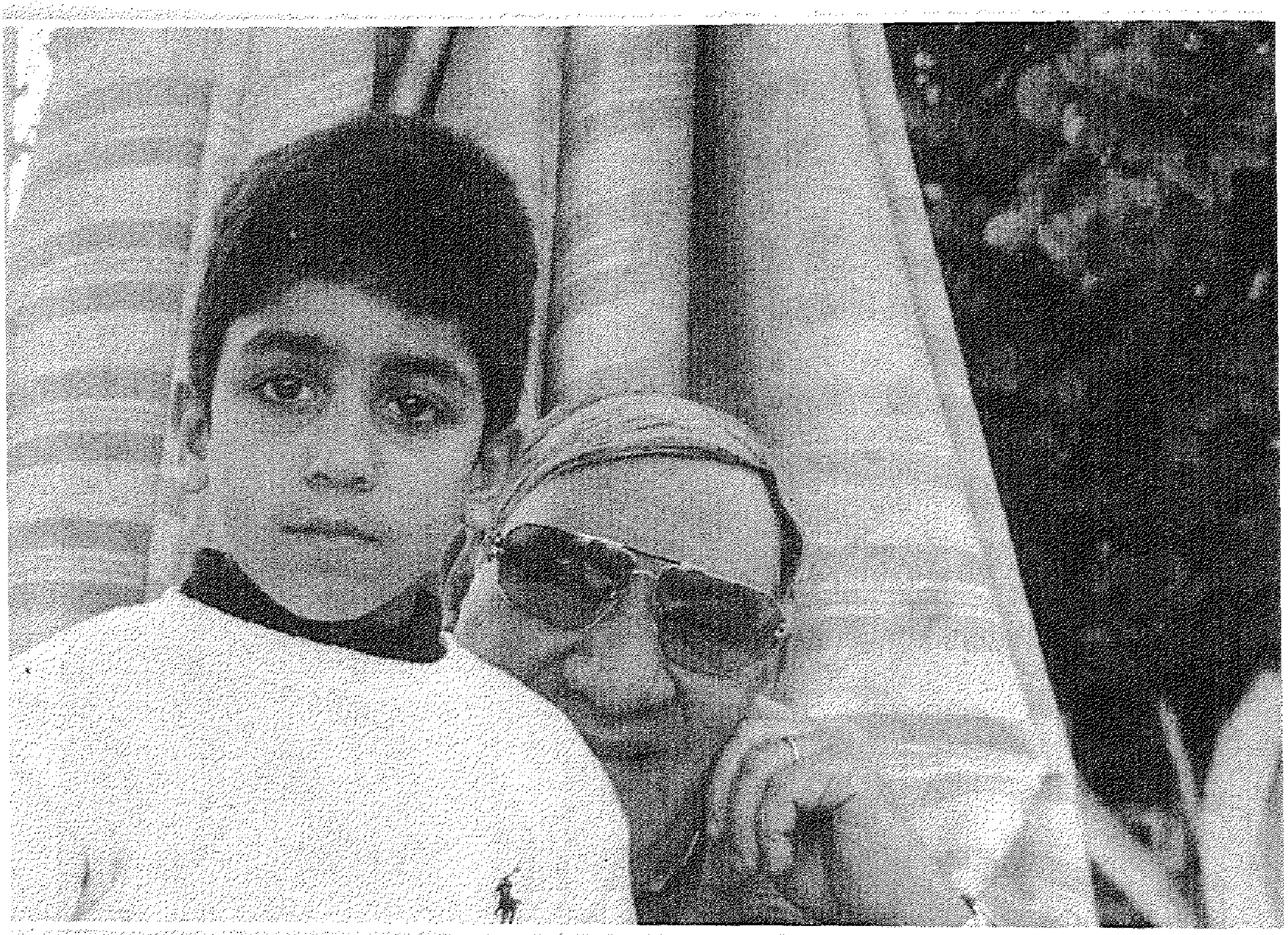

▲ ملامحه جادة وصار بالفعل جاداً
اجتذبته التكنولوجيا.

حفيدي، هو صديقي .. صداقة مقطرة
..بلا مقابل.
▼

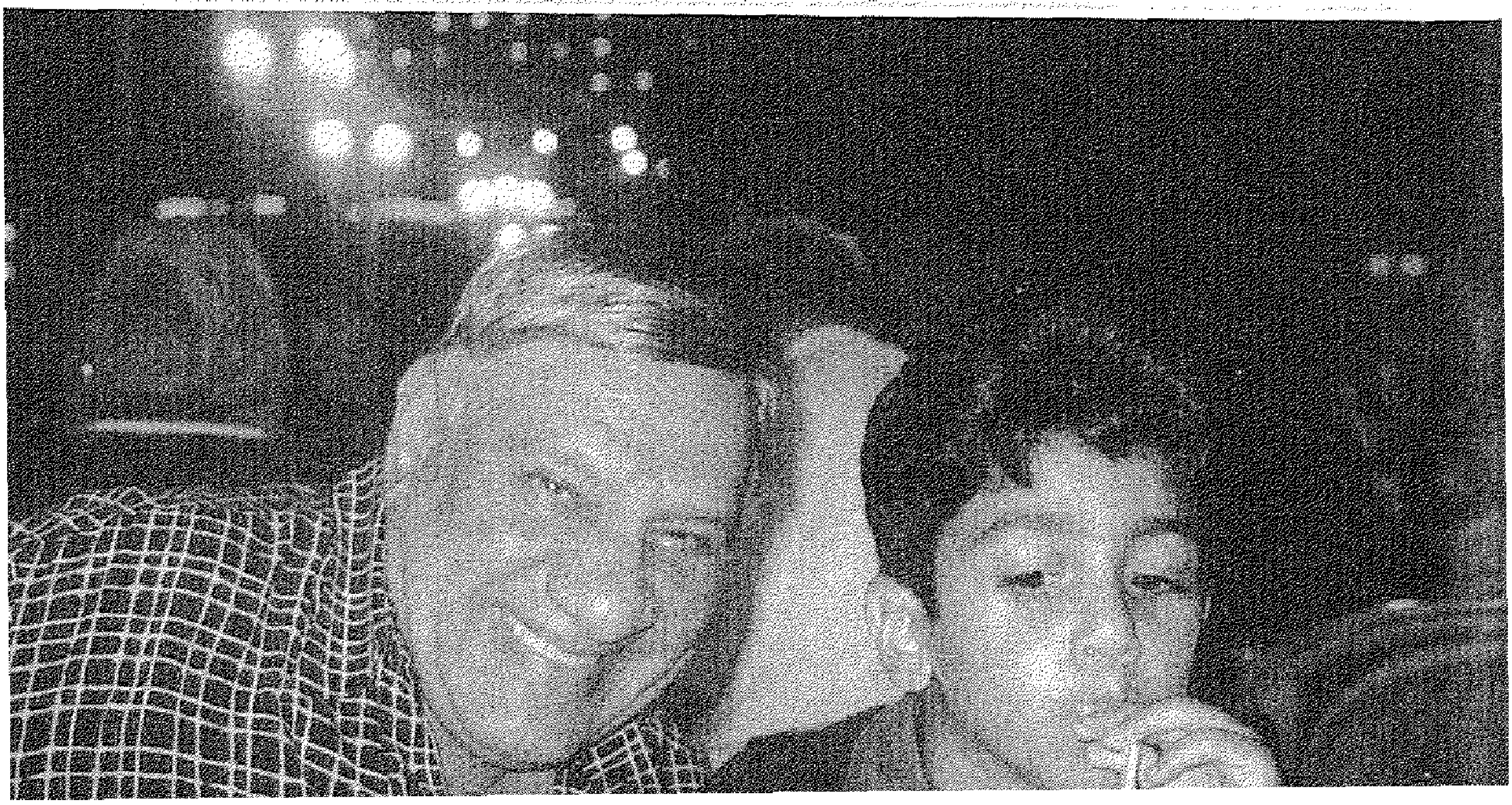

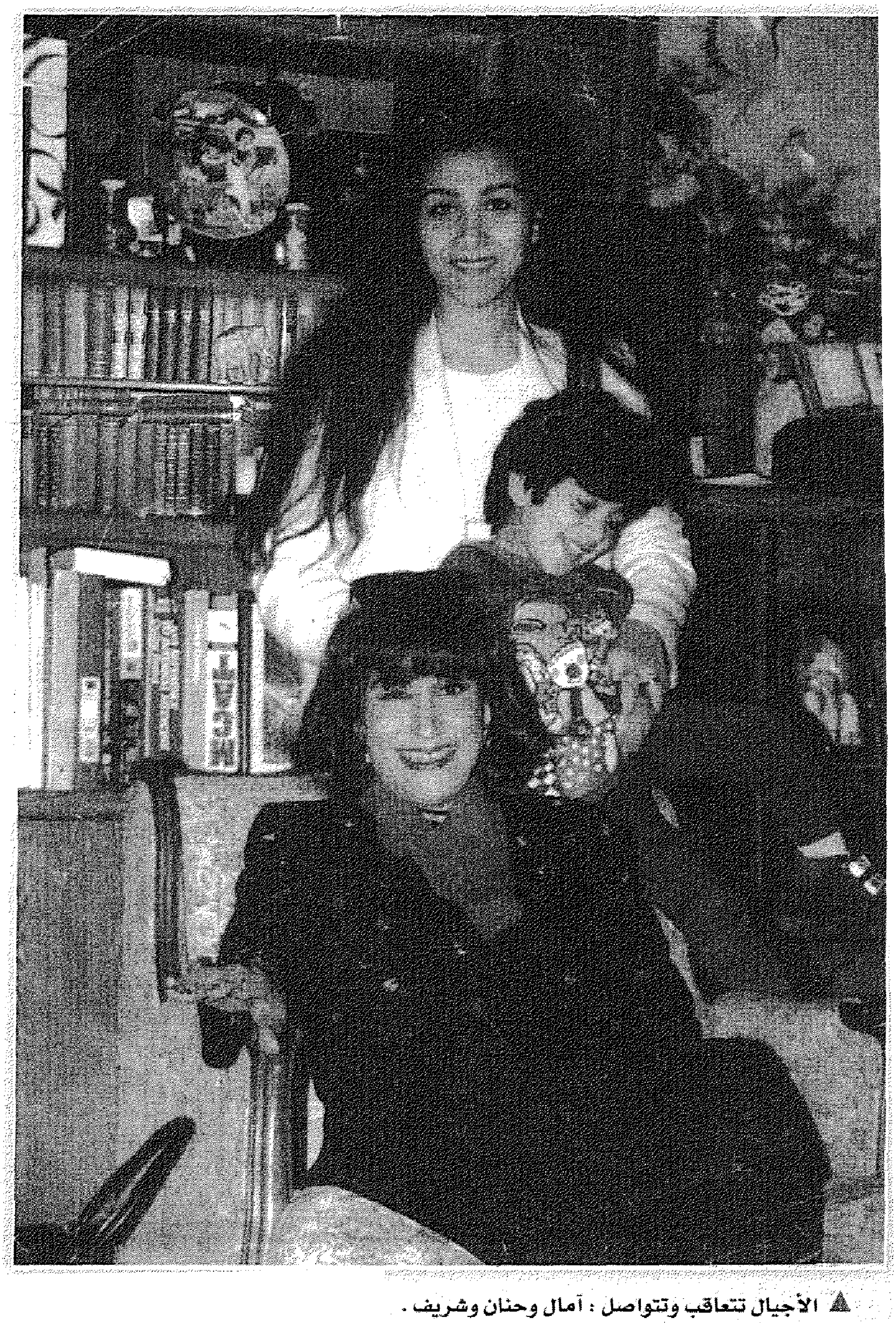

▲ الأجيال تتعاقب وتتواصل : آمال وحنان وشريف .

▲ قال المصور لنا : خليكوا زي ما انتو .

▲ أنا وآمال العمدة رفيقة أيامي في لحظة صافية محصنة ضد الرعد والرياح ..والآخر الذي لا يحمل سنابل الخير .. آمال التي ساندت نجاحي وهي أجمل صوت مثقف .

حقنة الأنسولين رفيقة العمر منذ 1964

▼

لحظة الكتابة
وفي الخلفية صوت
فيروز.

ماذا تخبئ لي الدنيا؟
سؤال على شفتي.

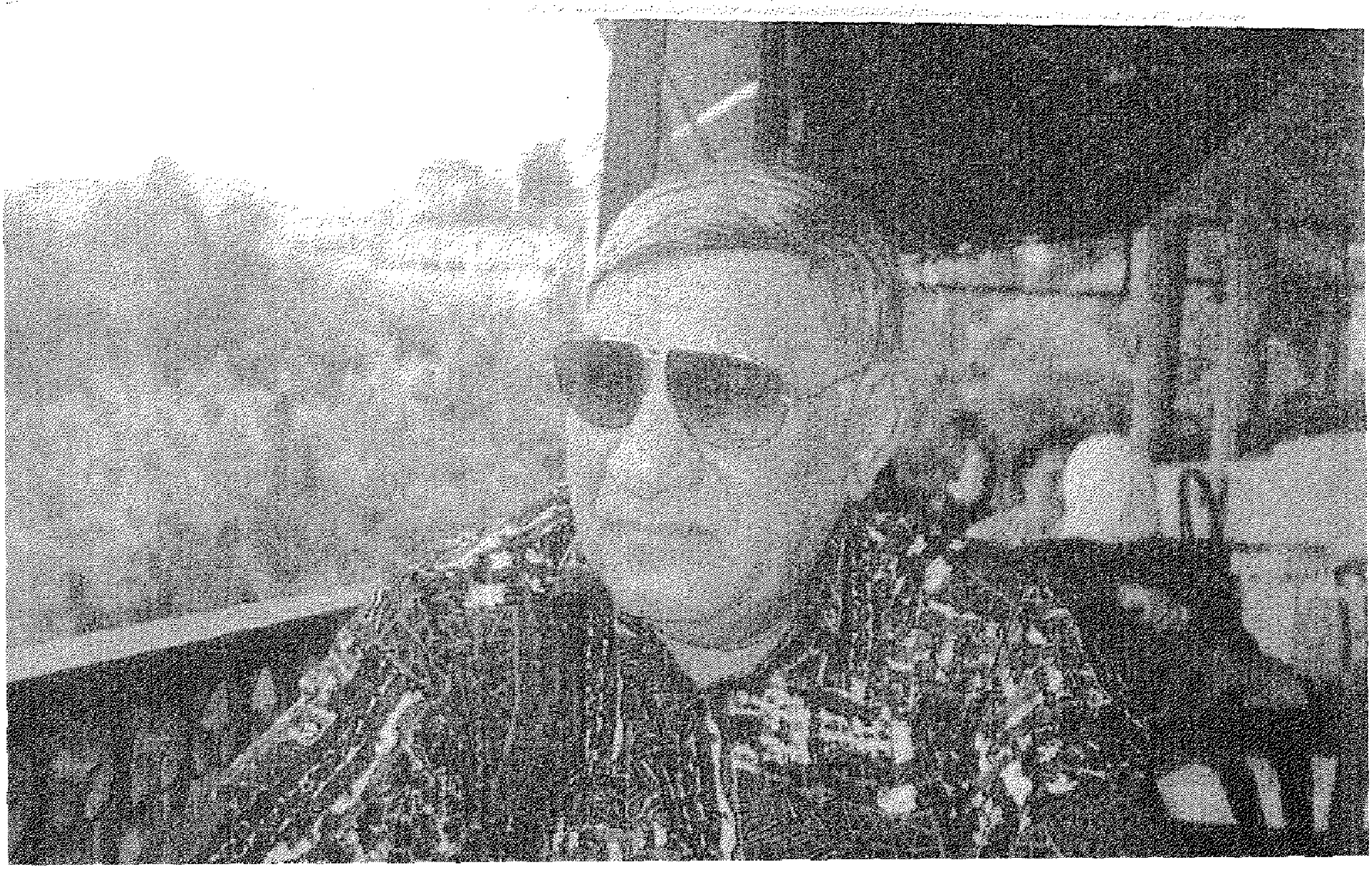

▲ أصافح بحب وحرارة إحسان عبد القدوس .

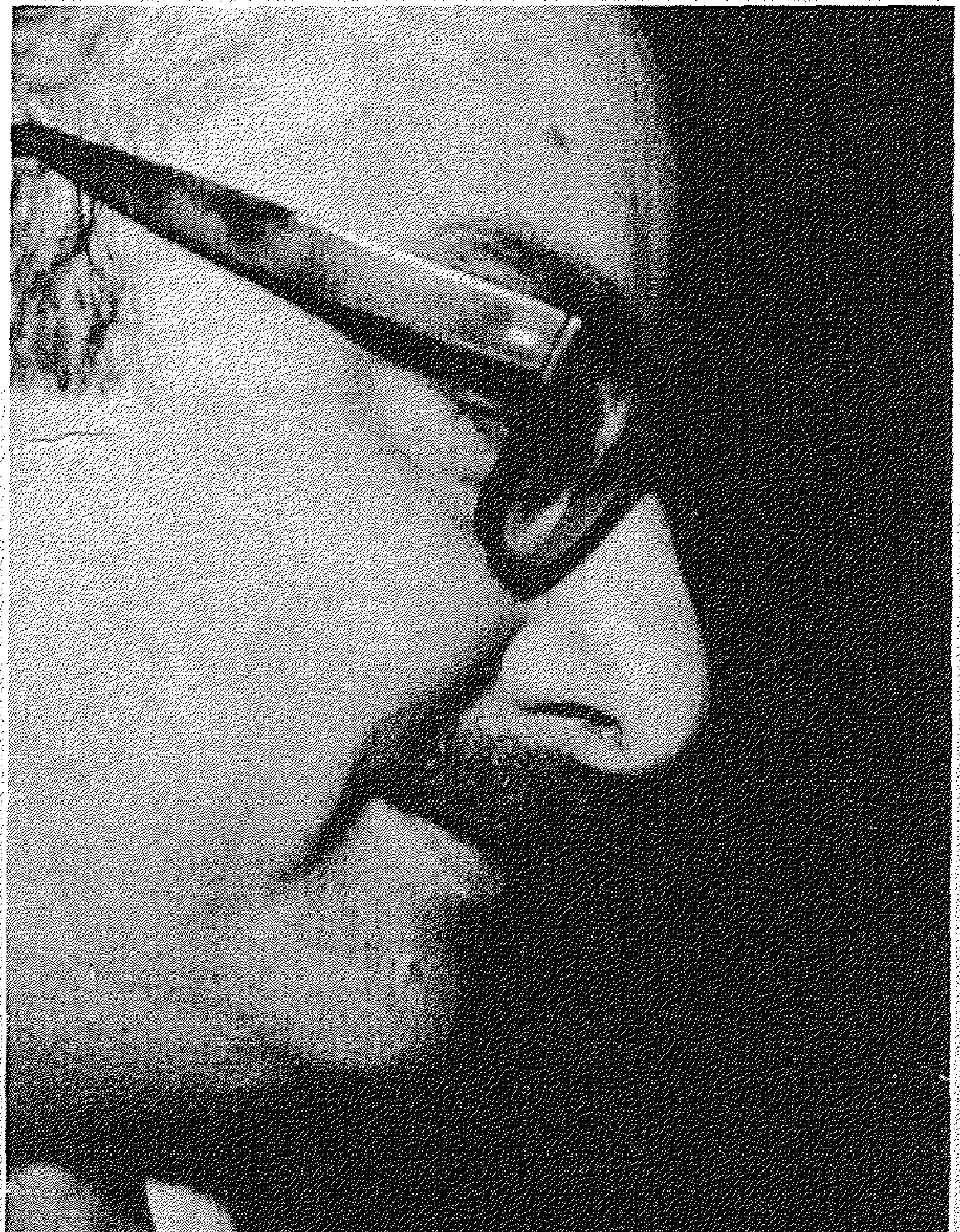

حسن فؤاد مكتشف
المواهب . ◄

في بداية المشوار مع أنور أحمد الذي جسد شخصية مصطفى كامل في فيلم.

مع المتواضع كالعشب : الروائي الطيب صالح .

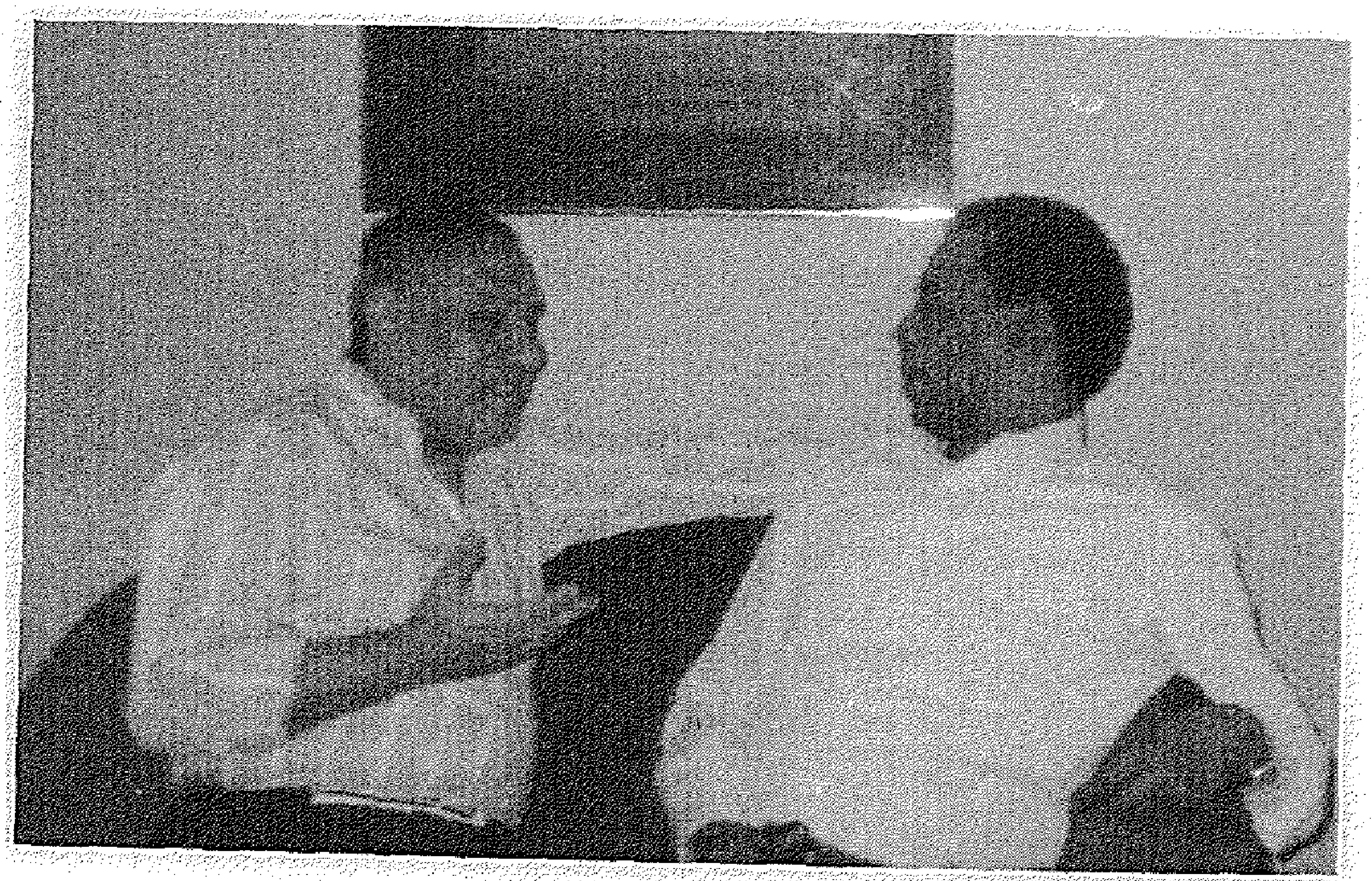

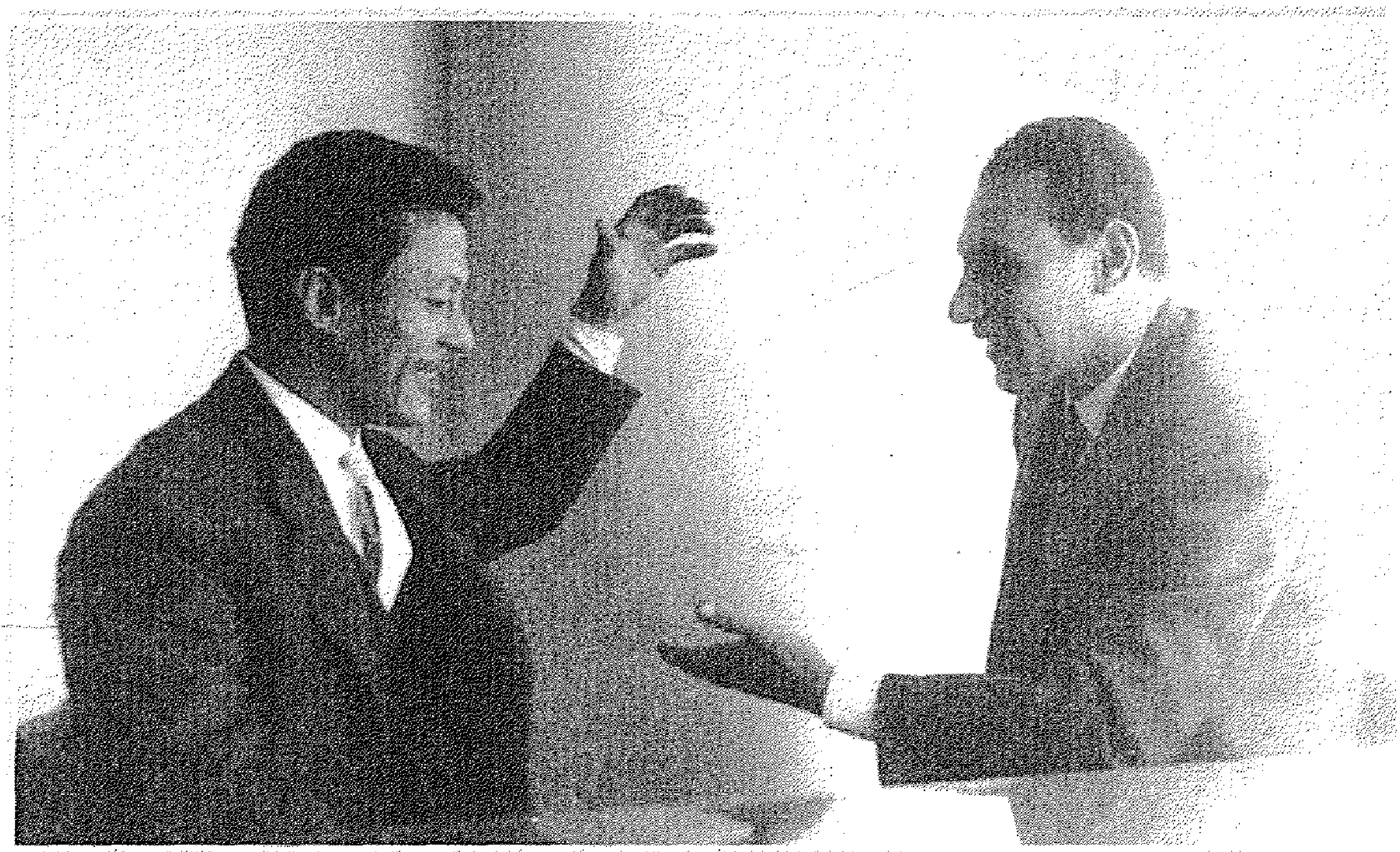

▲ زمالة عمر مع الروائي عبد الله
الطوخي عام 1960 في صباح الخير.

في مجلة صباح الخير.
▼

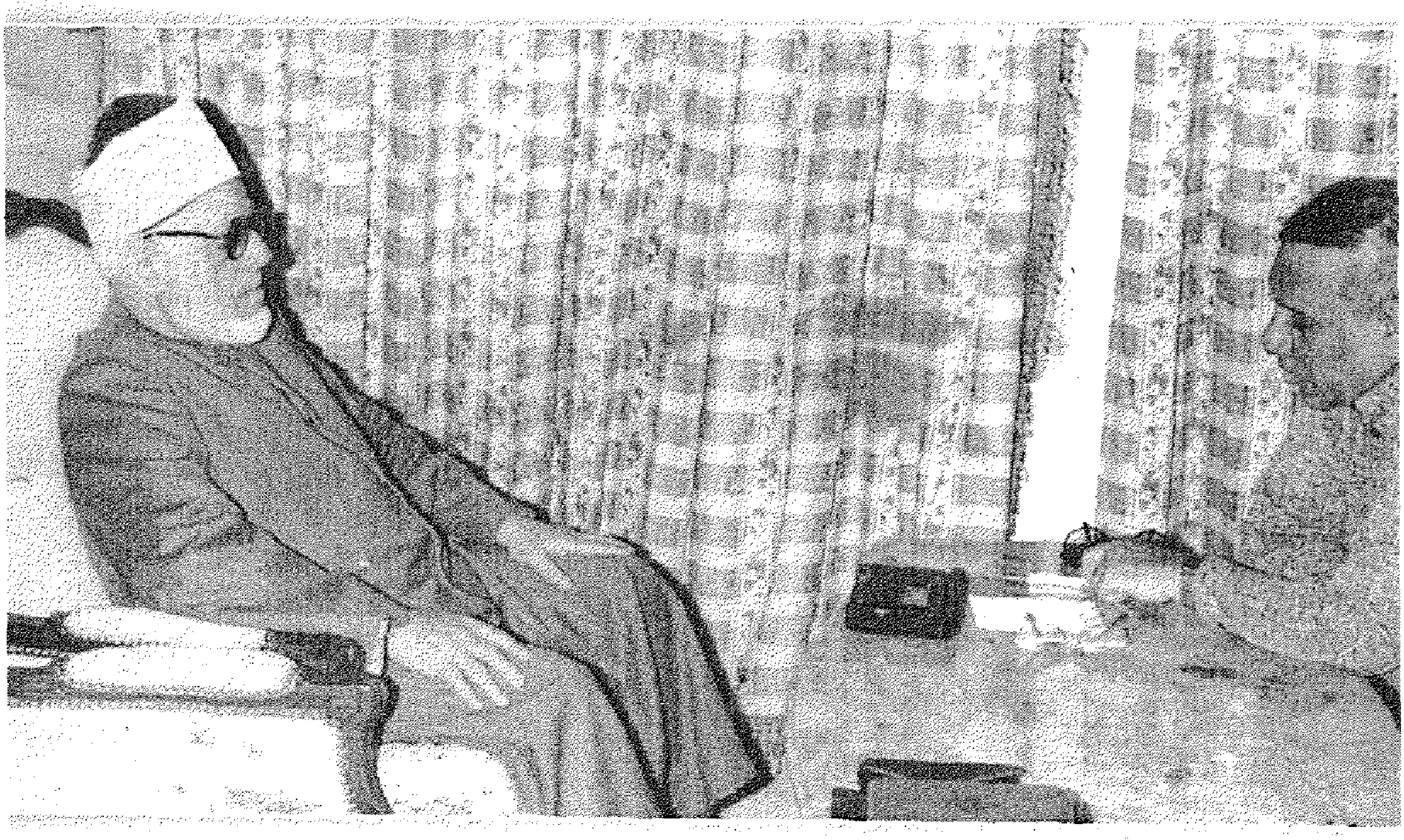

▲ فضيلة شيخ الأزهر جاد الحق في حوار صحفي بالرياض.

حوار مع الرئيس السوداني البشير بالخرطوم بعد ساعات من توليه
الحكم ودبر اللقاء وزير إعلامه علي شمو . ▼

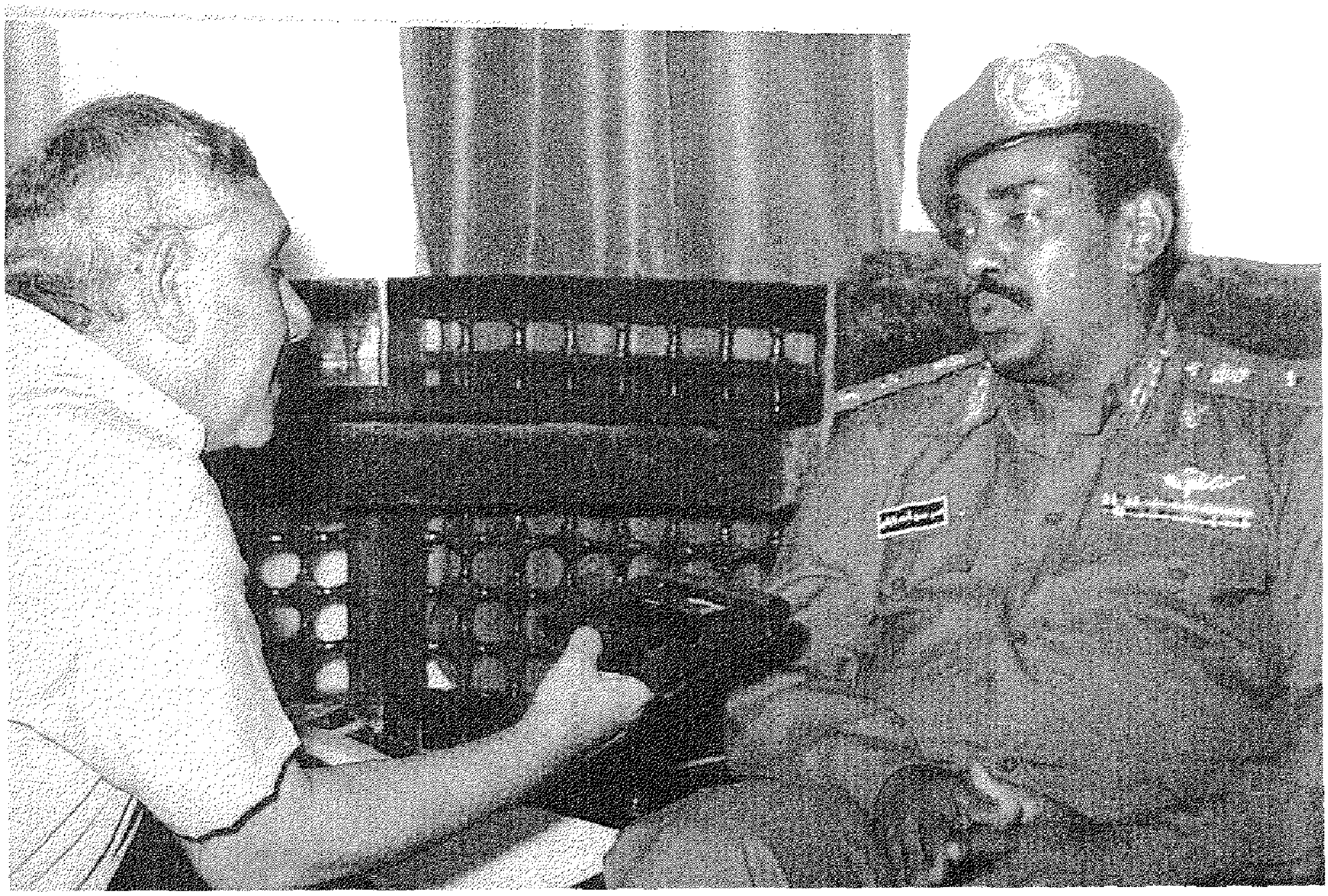

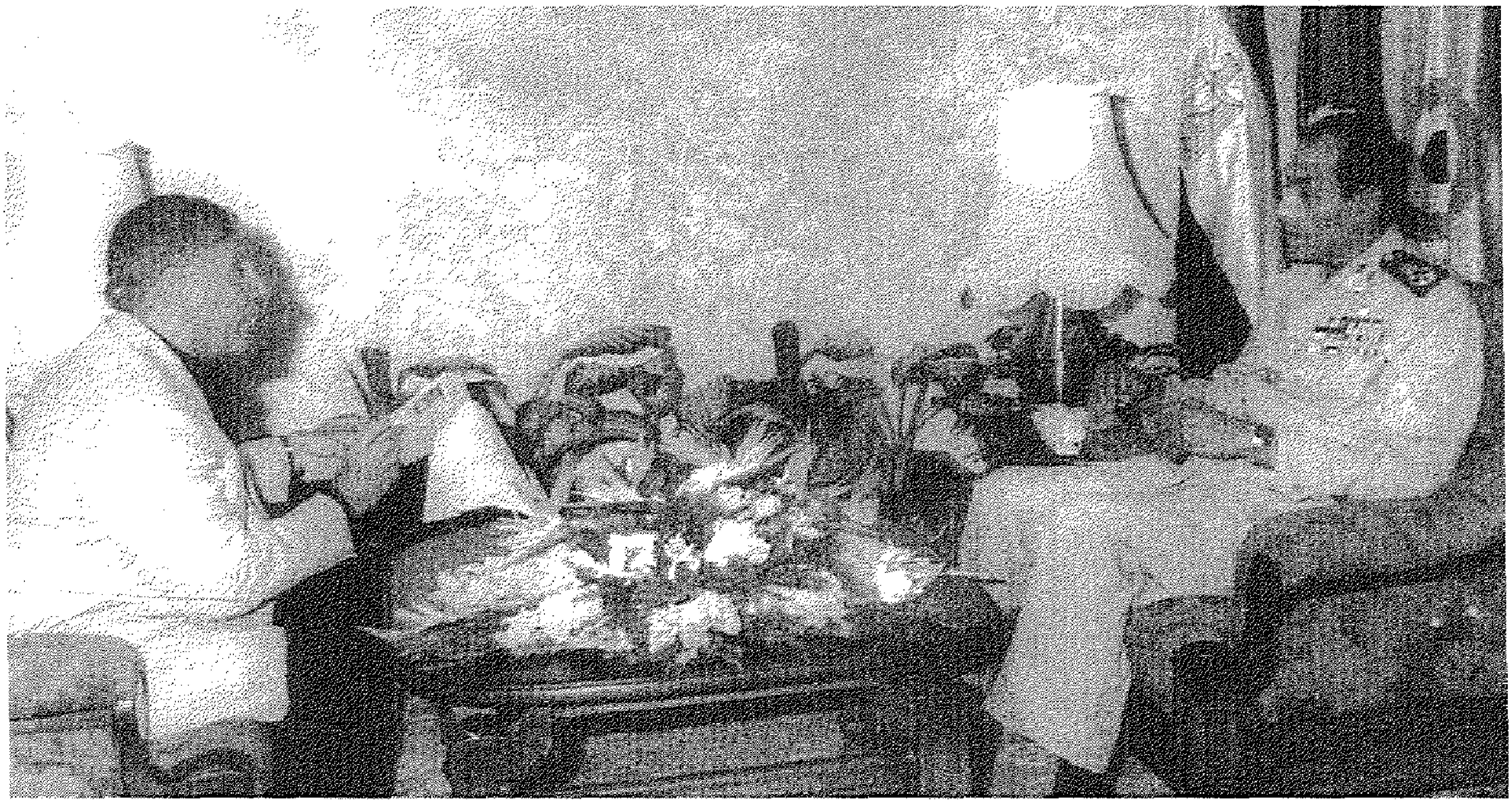

▲ الحوار الوحيد في التليفزيون بيني وبين المشير طنطاوي.

مع محمد البرادعي وزوجته في
بيته بفيينا . ▼

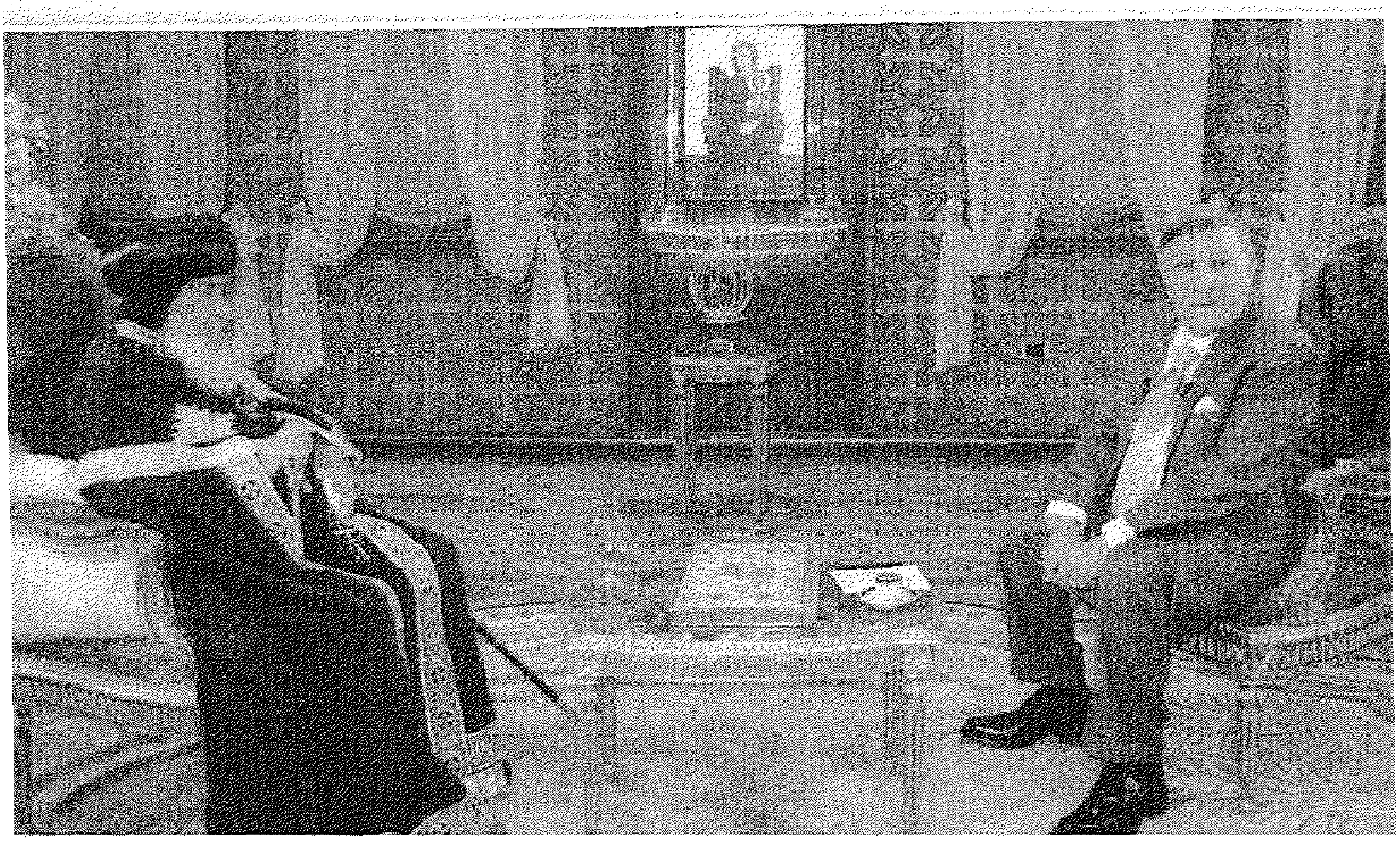

▲ في حضرة قداسة البابا شنودة أنا - كمصري — وليس كقبطي مع المفكر رئيس الكنيسة المصرية وحوار على وشك البداية .

كورت فالدهايم وحوار صحفي في ڤيينا دبره سفيرنا مصطفى الفقي..

▼

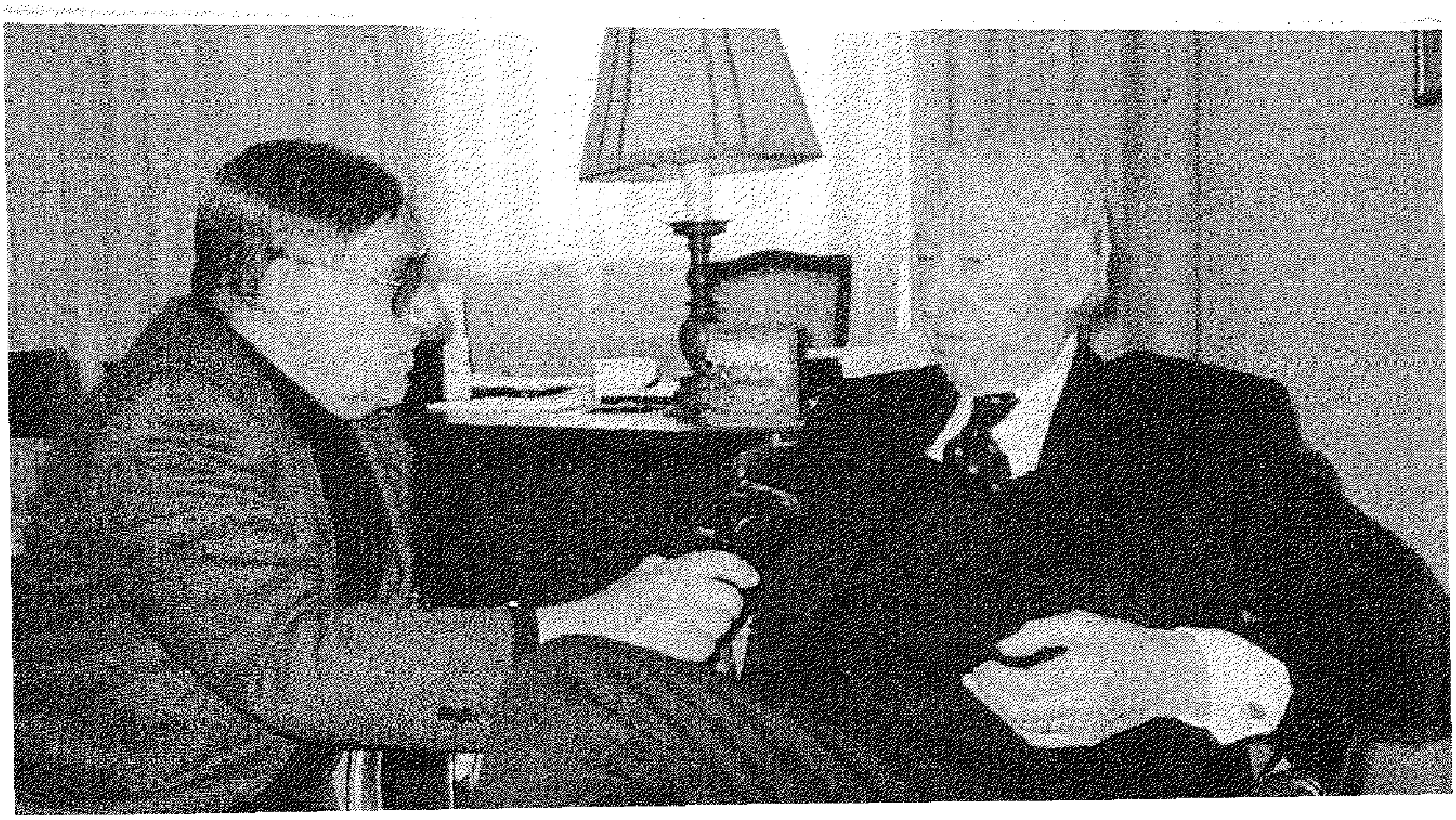

▲ هيكل للحضور : هذا نجم ساطع في التليفزيون .

سؤال من هيكل : ماذا أخذت حنان من عاداتك السيئة ؟

▼

▲ د. نادية رضوان ومفيد فوزي،د.عصام شرف وحنان وسهير جودة في مناسبة اجتماعية .

جائزة لسمراء الفن إيمان التي من
أجل قلبها ودعت مجدها .
▼

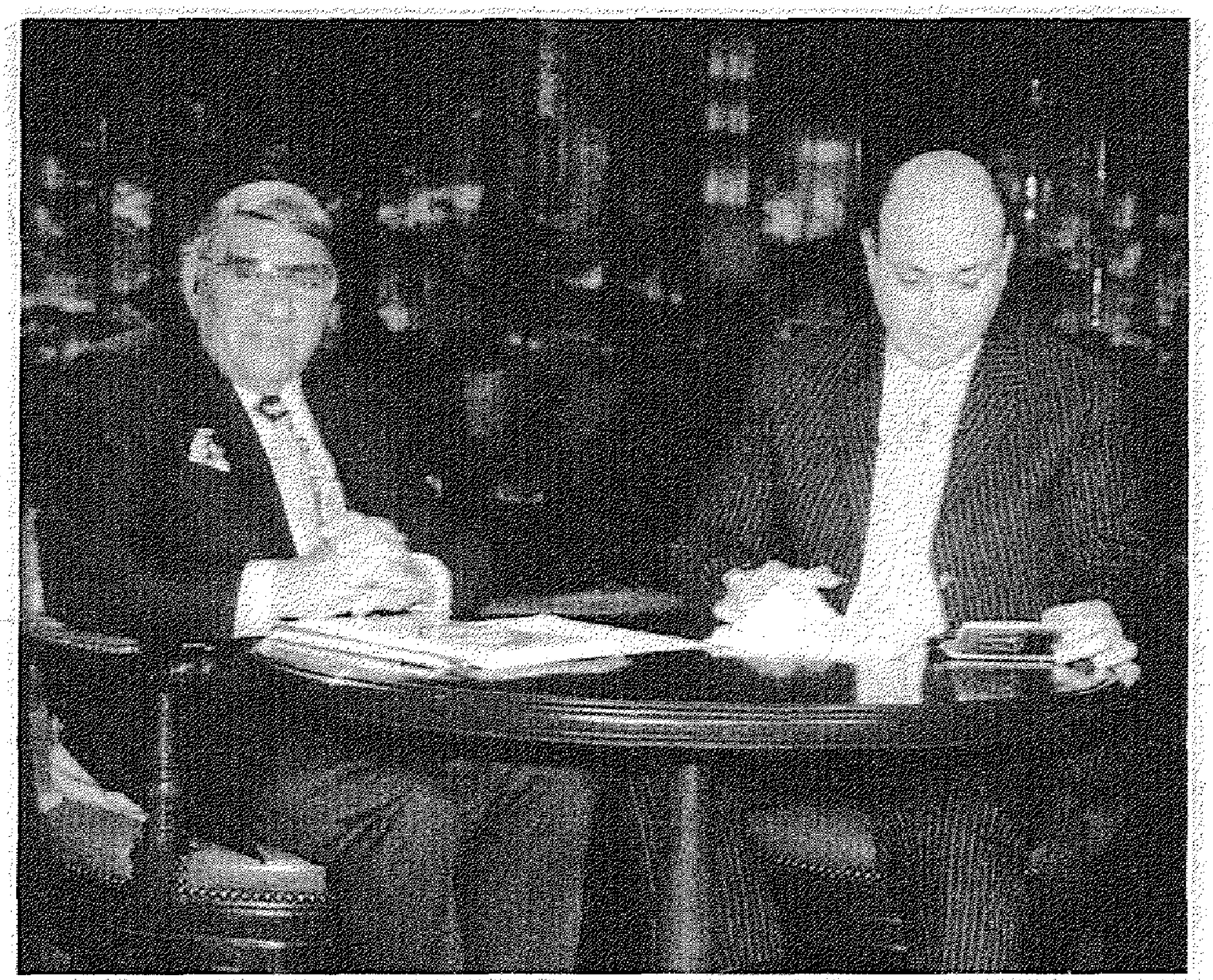

▲ مع عمرو أديب في القاهرة اليوم .. كانت تجربة بكل ما فيها..

المحاور مفيد فوزي في حديث المدينة ..

▼

▲ لحظة الظهور على الهواء في الأوربيت.

حوار للسؤال عن زهرة خشخاش
مع فاروق حسني .
▼

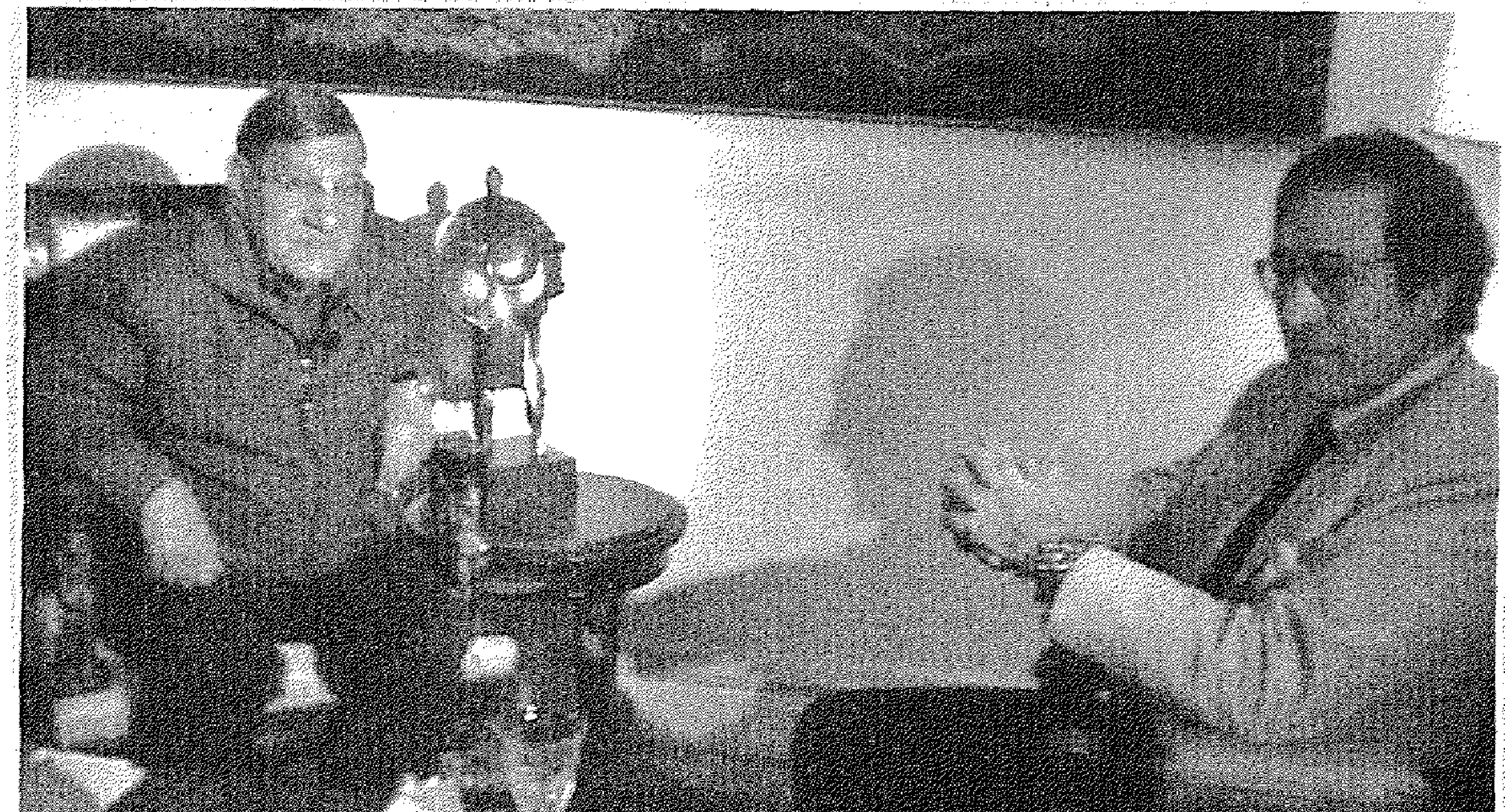

▲ في السجن (أسأل النزيلات) .

فوق حفارة البترول .. أسأل

▼

▲ أنا وأحمد شفيق، عندما كان وزيراً للطيران.. أراه عاقلاً منضبطاً وشخصية لها كاريزما (دعوته في شرم الشيخ بمناسبة تبوؤ الطيران المصري مكانه بين طيران العالم).

مع صديق العمر لبيب معوض في رحلة أوربية.
▼

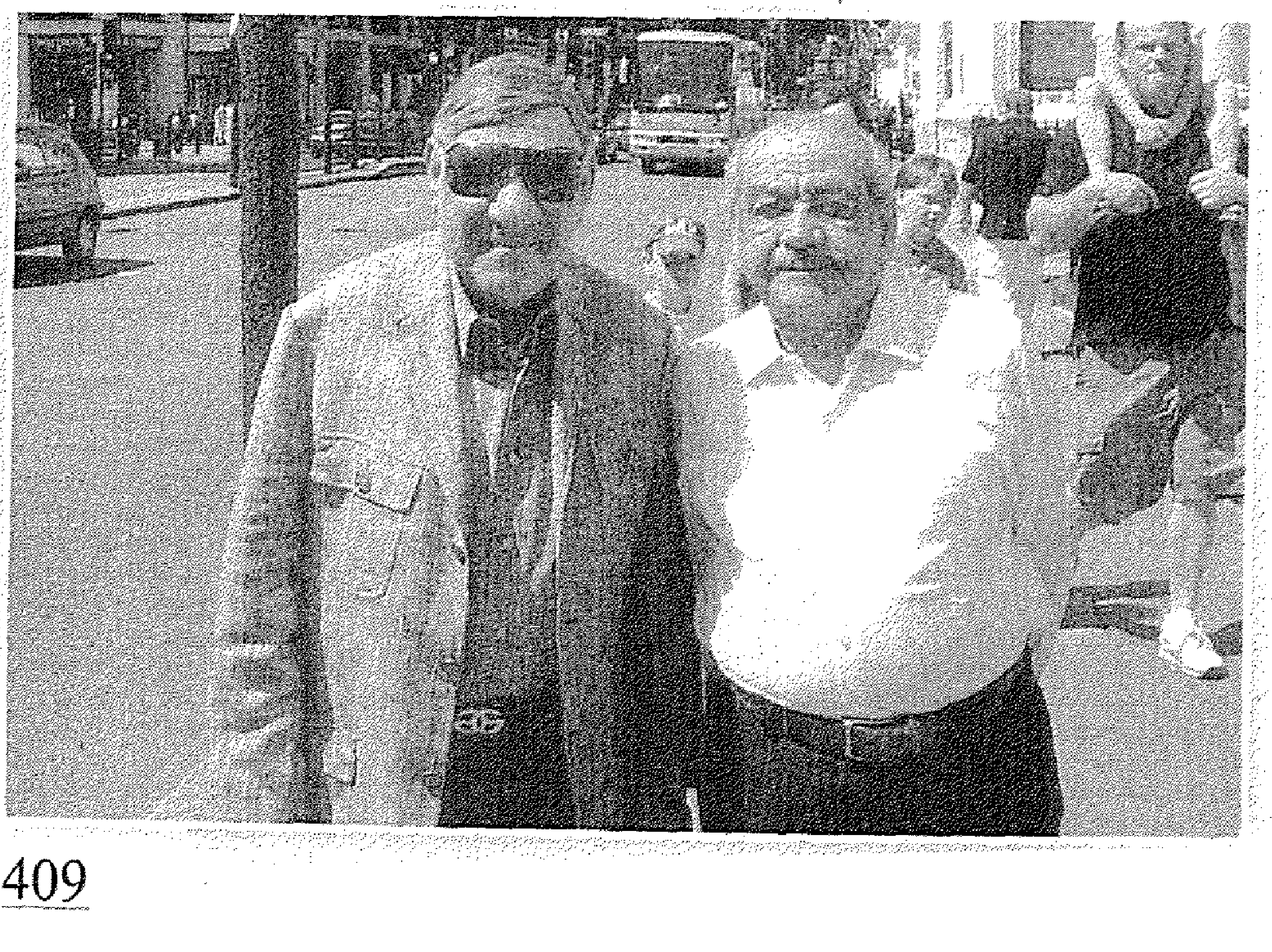

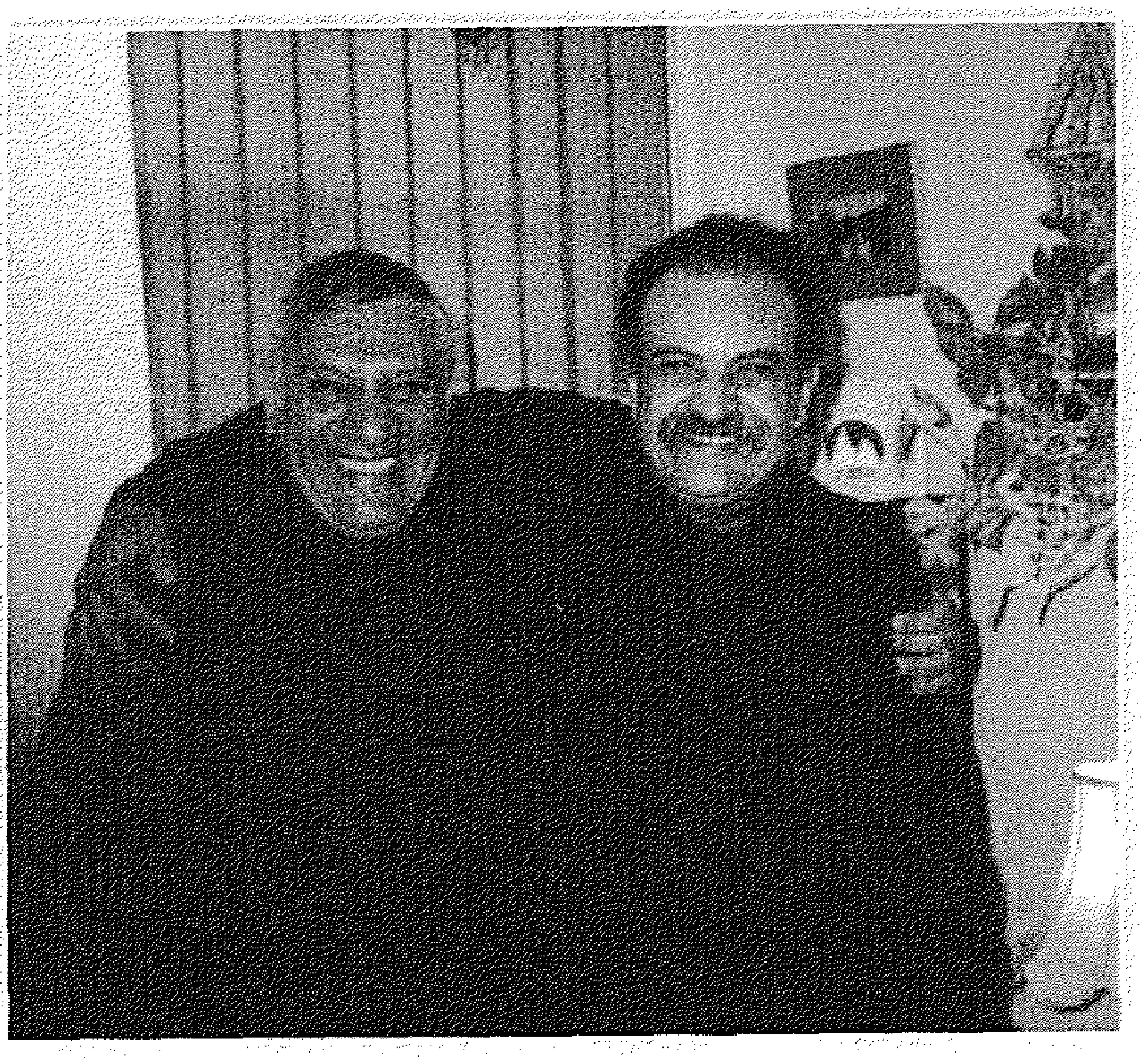

في فجر المشوار الصحفي – في زيارة لليابان مع الفنان الفذ رجائي ونيس ◄

► الحوار مع نيشان له إيقاع خاص .

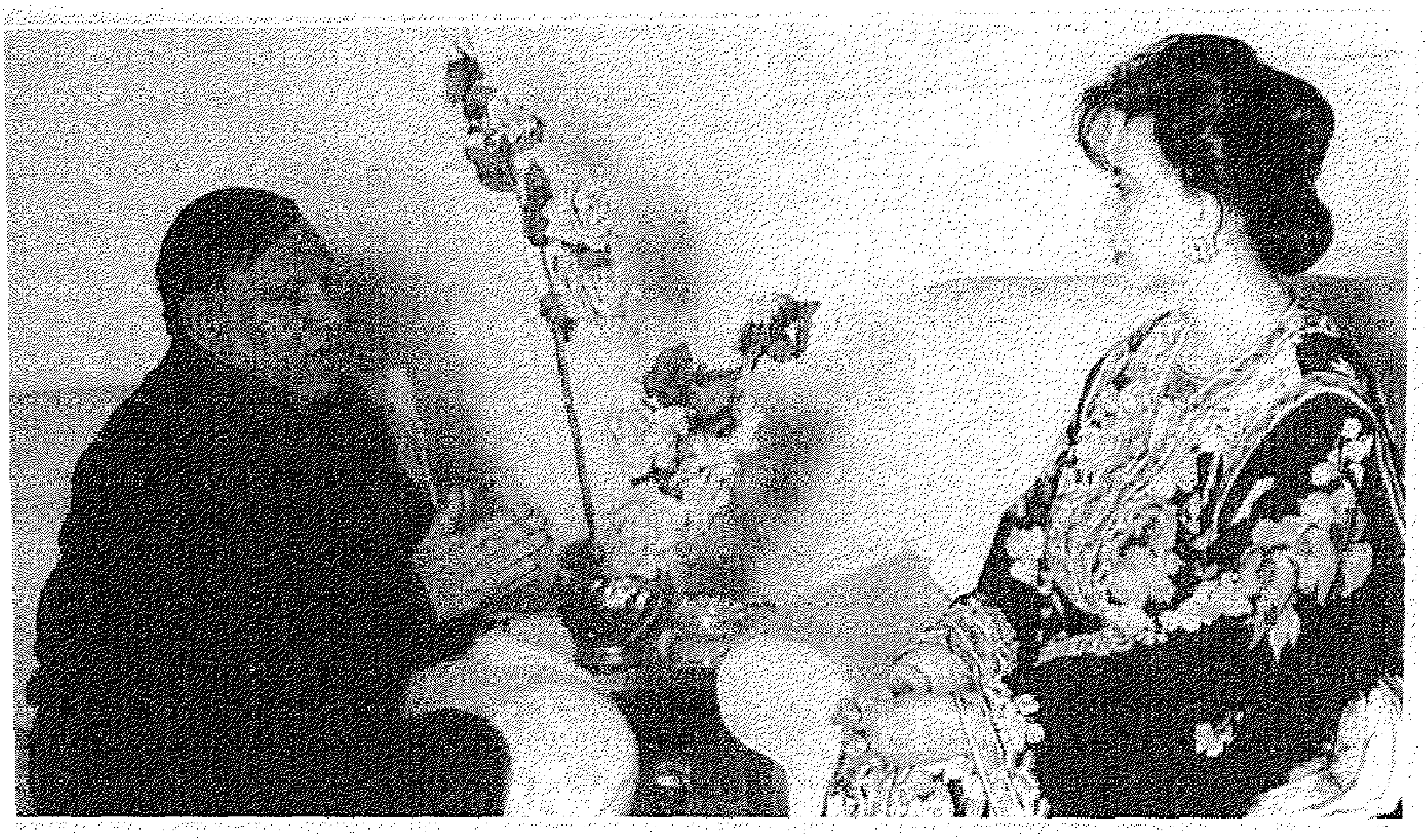

▲ أنا وقصيدة إنسانية راقية : د. سعاد الصباح .

الاستماع لفيروز لا يقل عذوبة عن شدوها.

▼

▲ أنا والجندول وكروان حيران .. محمد عبد الوهاب .

نهلة القدسي ومحمد عبد الوهاب، قصة حب وفن وعطاء وحين غاب عن بيته سافرت نهلة لمسقط رأسها الأردن.. كنت أمسك الخشب كلما رأيتهما معا، عيناها في عينه » ▼

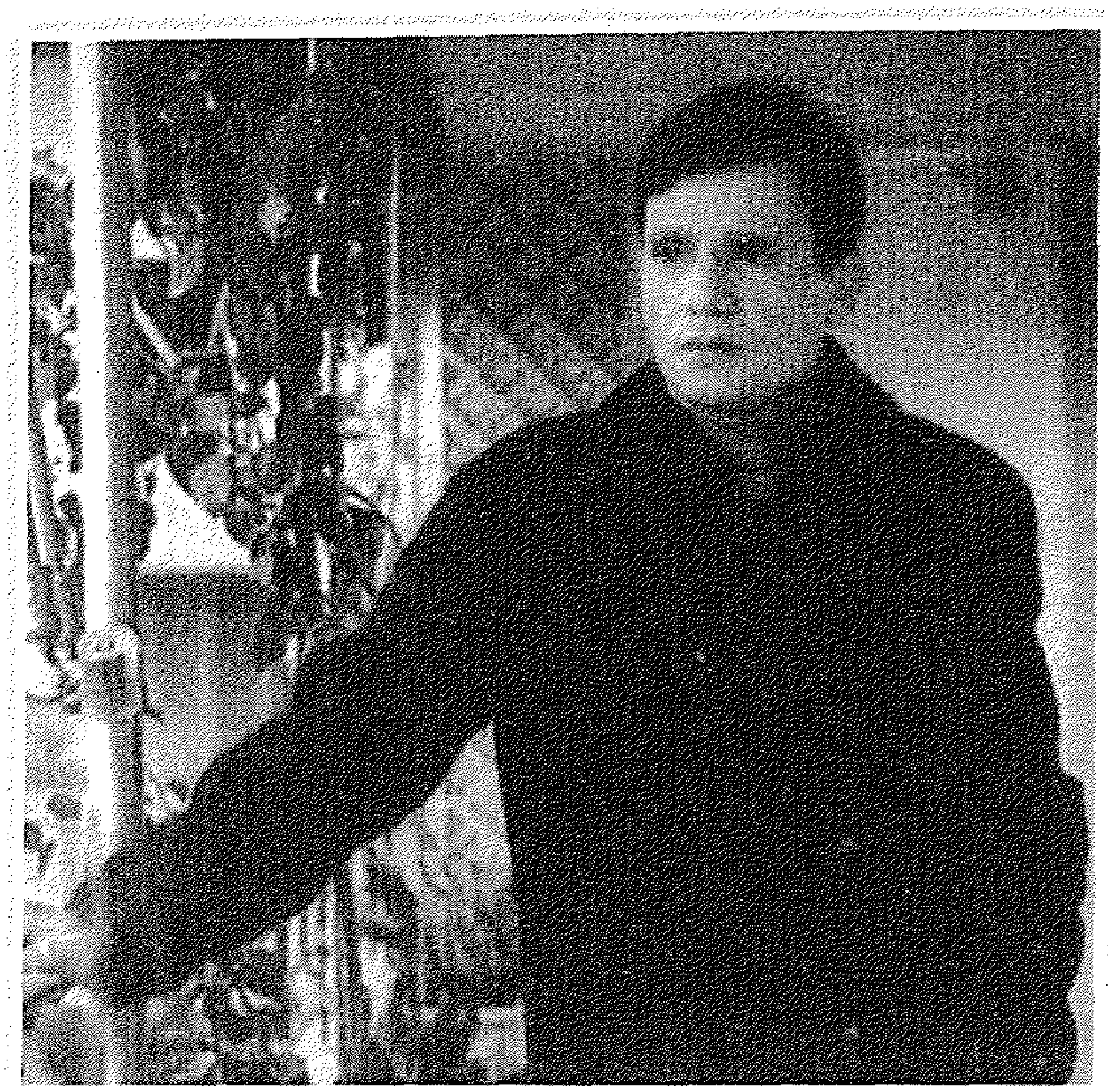

▶ صديقي حليم
.. يسكن دمي .

بليغ حمدي وصلاح چاهين رفقة الصبا
▼

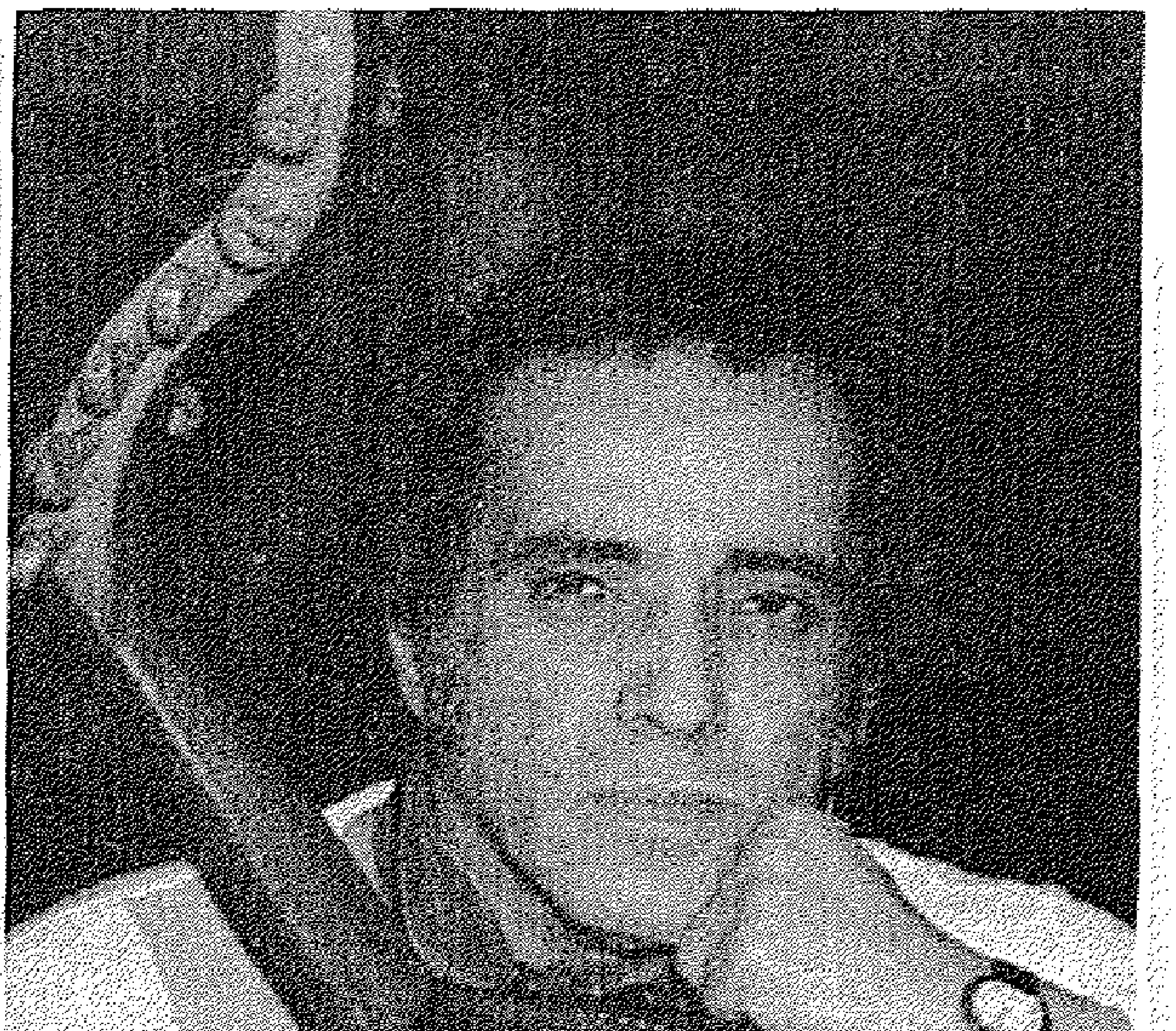

▲ منجم الألحان المصرية : مع محمد الموجي .

المطرب والملحن علي حميدة، كان ضيفًا
إذاعيًا، وكان الميكرفون ثالثنا .
▼

▲ تجلس على يميني آمال فهمي وكم أنا مدين لها.

فاتن حمامة في عيد ميلادها في استوديو تصوير مسلسل وجه القمر وأقف عن يمينها . وتظل فاتن عظيمة الفن والمقام . هي بالمناسبة جوزائية مثلي ▼

▲ استضفت العظيمة سناء جميل في برنامج تليفزيوني.

مع المذيعة اللامعة هالة أبو علم في نيويورك لتغطية إعلامية.

▼

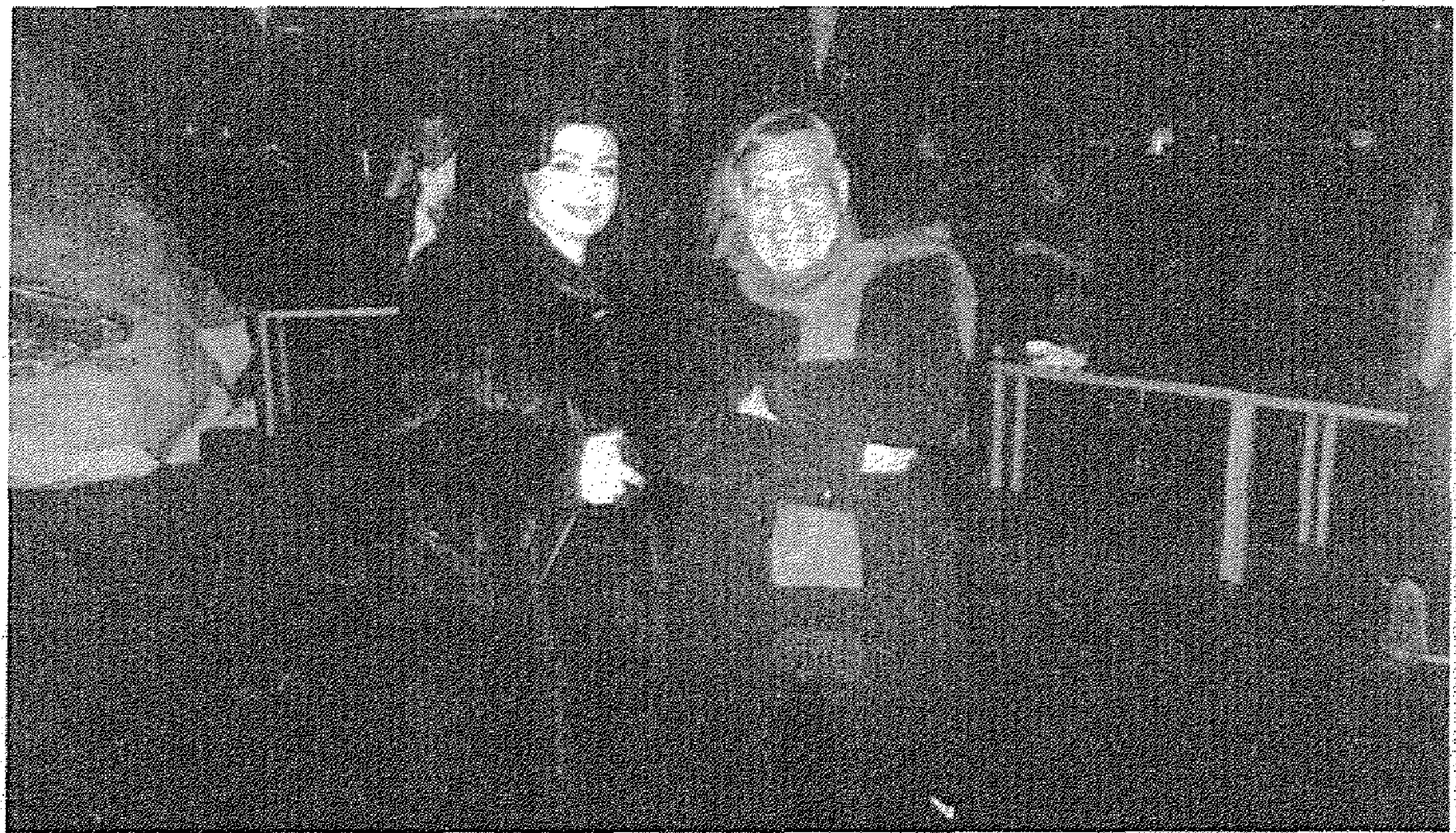

الأديبة الراقية الراحلة ليلى عسيران - لا أنساها - شاركتنا الكتابة في صباح الخير، ثم كبر اسمها ودقت على باب الشهرة بروايتها عصافير الفجر وصرنا أصدقاء حتى فارقت الحياة .

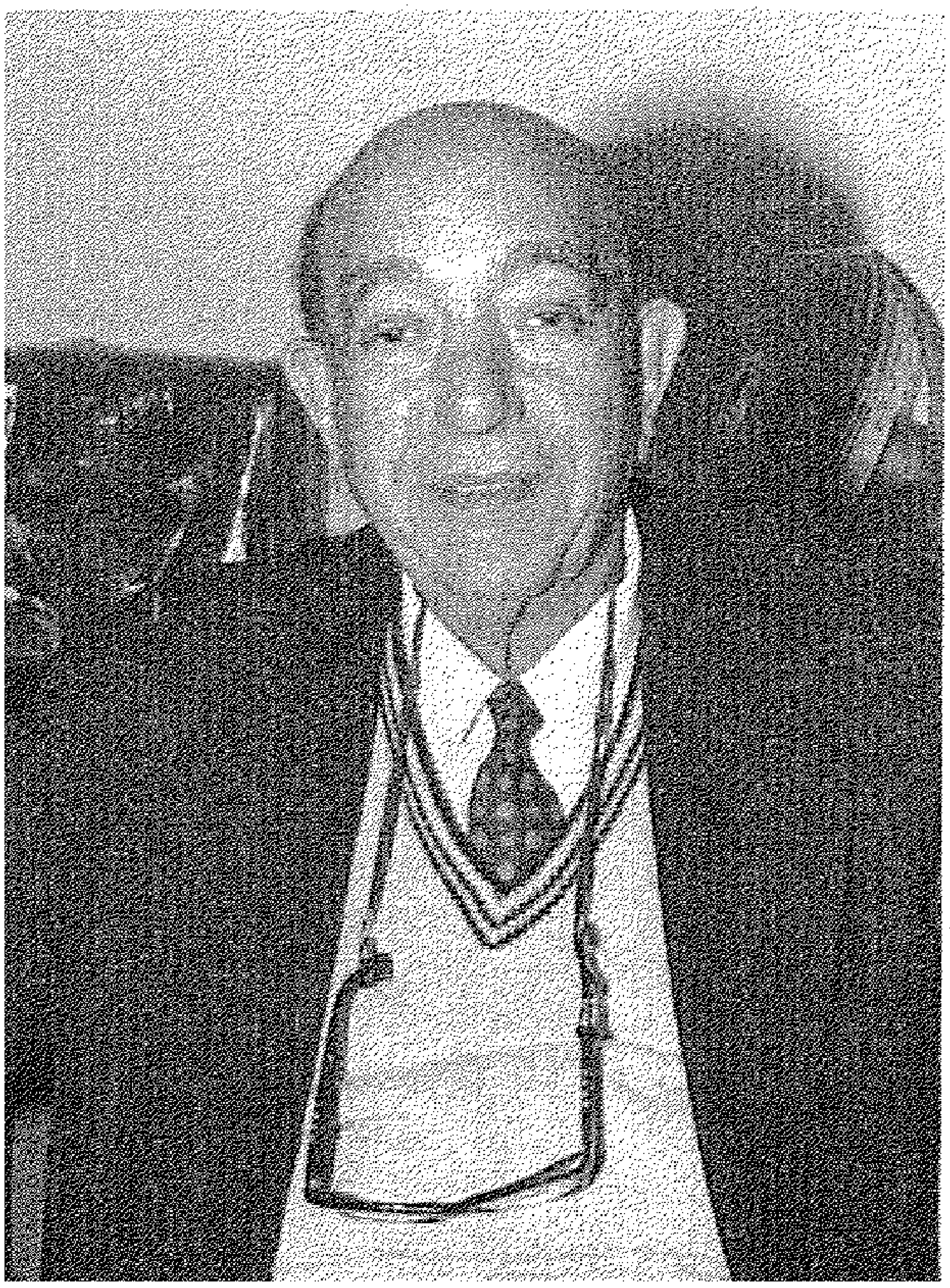

د. سيد عويس : أنا مدين لهذا الرجل كعالم اجتماع بمنهج تفكيري وإضافة البعد الاجتماعي لمعايشة الواقع.

▲ يروق لي في وحدتي أن أستعيد مشوار العمر والقفز فوق المتاريس.

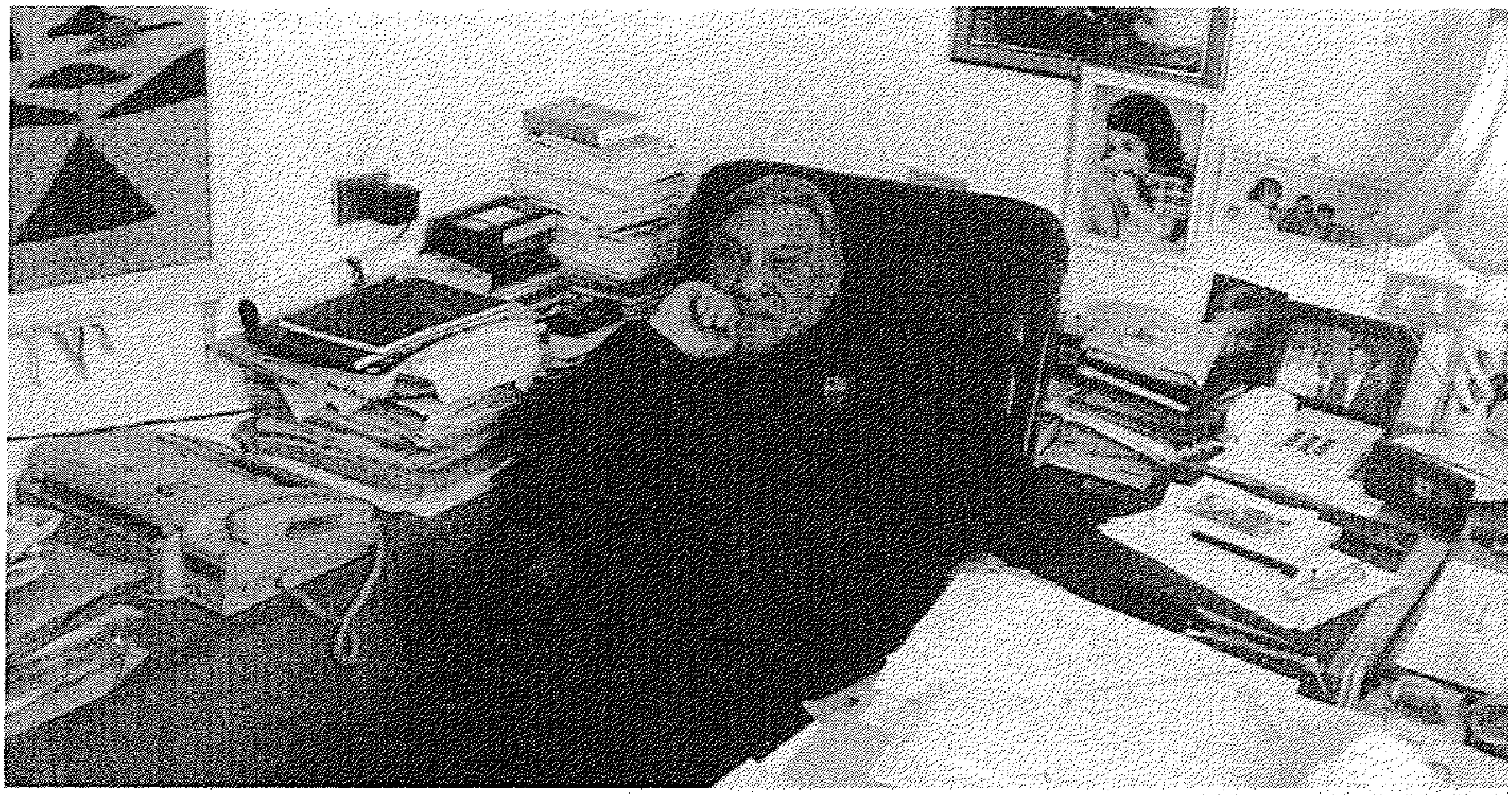

▲ ها أنذا في حالة تأمل كامل دائمًا وكم حجب التأمل.. بعضاً من متع الحياة

▲ في كتاب أيامي .. أنا قانع بنصيبي من الحياة

- عشت ثورة يوليو وثورة التصحيح وثورة يناير!
- رفضت السياسة من فجر المشوار!
- صغائر العمالقة!
- شتائم الكبار!
- أستاذية بهاء!
- موقعة نوبل بين محفوظ وإدريس!
- المرعب في زمن عبد الناصر!
- عبد الوهاب والمرأة!
- صائد المواهب!
- حب لا يعرف المستحيل!
- هل السعادة وهم!
- من هو مخزن أسرار النجوم!
- أشهر دون جوانات زمان!
- سقطات المشاهير!
- أصدقاء سكنوا القلب!
- هكذا كانت غيرة الفنانات!

Bibliotheca Alexandrina
11152829

الدار المصرية اللبنانية

9 789774 277665